

الجـــــزء الثالث



دار الكتب الخديوية

كتاب

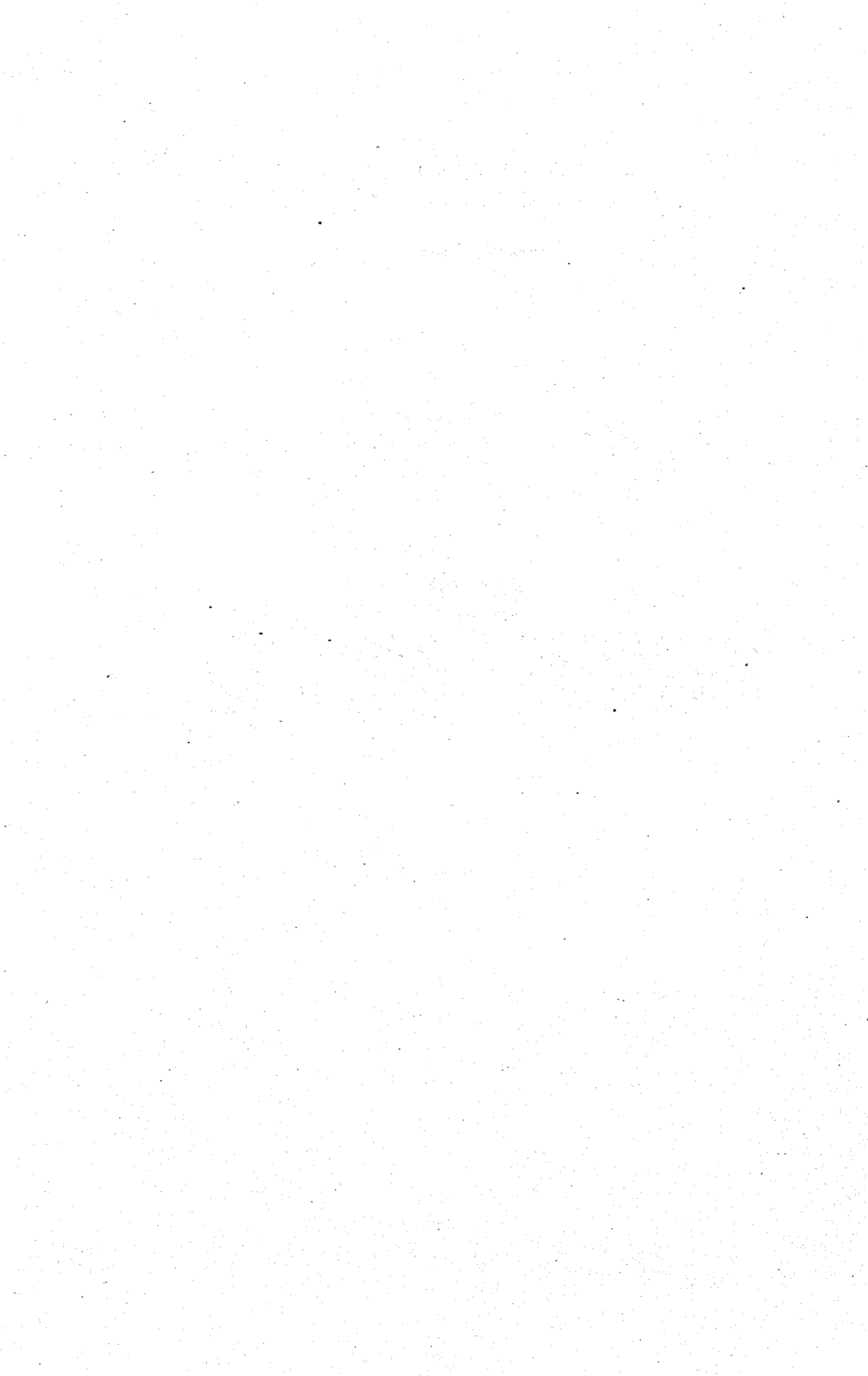


تأليف

الشيخ أبي العباس أحمد القلقشندي

الجـــزء الثالث

طبـــع
بالمطبعة الأمـــيرية بالقاهرة
سنة ١٣٣٢ هـ
١٩١٤ م



بسم الله الرحمن الرحيم

صلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه

الفصل الثانى

من الباب الثانى من المقالة الأُولىٰ

(فى الكلام علىٰ نَفْس الخط ؛ وفيه سبعة أطراف)

الطَّرَف الأوّل

(فى فضيلة الخط)

قال تعالىٰ : ﴿اِقْرَأْ وربُّكَ الأَكْرَمُ الَّذِى عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الإِنْسَانَ ما لَمْ يَعْلَمْ﴾ فأضاف تعليم الخط إلىٰ نفسه ، وآمتنَّ به علىٰ عباده ؛ وناهيك بذلك شرفا !

وقال جل وعز : ﴿ن وَالْقَلَمِ وما يَسْطُرُونَ﴾ فأقسم بما يَسْطُرونه .

وعن آبن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالىٰ : ﴿أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ﴾ أنه الخط كما تقدّم الكلام عليه .

ويروىٰ أنَّ سليمان عليه السلام سأل عِفْرِيتا عن الكلام فقال : رِيحٌ لا يبقىٰ ! قال فما قَيْدُه ؟ قال : الكتابة .

وقال عبيد الله بن العباس : الخط لِسانُ اليد .

وقال جعفر بن يحيىٰ: الخط سِمْط الحكمة، وبه تُفَصَّل شُذُورها، وينتظم منثورها.

وقال النَّظَّـام: الخط أصل الروح له جسدانية فى سائر الأعمال (١). إلىٰ مايَجْرى هذا المَجْرىٰ.

وقال إبراهيم بن محمد الشيبانى: الخط لسان اليَد، وبَهْجة الضمير، وسَفير العُقُول، ووَصِيُّ الفِكْر، وسِلاح المَعرِفة، وأُنْس الإخوان عنـد الفُرْقة، ومحادَثَتُهم علىٰ بُعْـد المسافة، ومستودَع السِّر، ودِيوان الأمور.

وقال مسلم بن الوليد: من عجائب الله تعالىٰ فى خلقه، وإنعامه عليهم من فضله، تعليمُه إيَّاهم الكِتَابَ المُفيدَ للباقين، حِكَمَ الماضين، والمخاطِبَ للعيون بسرائر القلوب، علىٰ لغات متفرّقة، فى معانٍ معقولة، بحروف مؤلَّفة من ألف، وباء، وجيم، ودال، متباينـاتِ الصُّوَر مختلفاتِ الجهات، لَقَاحُها التفكير، ونِتـاجُها التأليف، تَخْرَس مُنْفَردة، وتَنْطِق مُزْدوِجة، بلا أصواتٍ مسموعة، ولا ألْسُن مزوَّرة، ولا حركاتٍ ظاهرة، ما خلا قَلَمًـا جَوَّف باريه بطنَه لِيعْلَق المِـدادُ به، وأرهف جانبيـه ليردّ ما آنتشر منه إليه، وشقَّ رأسه ليحتبس الآستمداد عليه، وأربع من شَفَتيه، ليجمعا حَواشىَ تصويره إليه، فهنالك آشتدّ القلم برشْفه، وقذف المـادّة إلىٰ صدره، ثم مَجَّها من شـقِّه بمقدار ما آحتملت شَفَتاه بتخطيط أجزاء النقط التى أراد بهـا الخطوط، فالأبصار لها سامِيَة، فإذا حكَتْها الألسُن فالآذان لها واعية. وأوْلىٰ أسمائها بها حينئذ الكلامُ الذى سَدّاه العقلُ وألْحَمـه اللسان، وقطَعَتْه الأسـنان، ولفَظَتْه الشَّـفَتان، وصَدّاه الجو، وجُرِّعته الأسماع علىٰ أنحاءٍ شتّٰى، وسِمِّيتْ لها (٢) الأشياء لتعريف متناكِرِها، وتمييز متشابِهِها، وتبيين معلومها من مجهولها. فمن ذلك فَضَل الكُتَّابُ الصِّناعات.

---

(١) عبارة الضوء. "قال بعض العلماء: الخط كالروح فى الجسد".

(٢) لعله وسمت أى تطلعت ونظرت. أو وسميت بها الخ.

وبالجملة فليس يذكُر ذاكر شيئا مما يجرِى به الخاطر، أو يميلُ إليه العقل، أو يُلْقيه الفهم، أو يقع عليه الوهم، أو تُدْرِكه الحواسُّ، إلا والكتّابُ والكلام موكّلان به، مدبِّرانِ له، معبِّران عنه .

فلما أن تضمَّنت الحروفُ الدلالة، وقامت الألفاظُ بالعبارة، نطقت الأفواه بكل لغة، وتصرَّف المَنْطِق بكل جهة، فلم تكتف منه أُمَّة بأمة، ولم تستَغْنِ عنه مِلَّة دُونَ مِلَّة، فَعُرِّب ذلك بلغة العرب التى هى القاهرةُ لجميع اللُّغات، المنظِّمة لجميع المعانى فى وجيز الصِّفات .

ولو لم يكن من شَرَف الخط إلا أن الله تعالىٰ أنزله علىٰ آدم أو هُودٍ عليهما السلام كما تقدّم ذكره، وأنزل الصُّحُف علىٰ الأنبياء مسطورةً، وأنزل الألواح علىٰ موسىٰ عليه السلام مكتوبةً، لكان فيه كفاية .

وأيضا فإنَّ فيه من حِفْظ الحُقوق، ومنعِ تمرُّد ذَوِى العقوق، بما يُسطَّر عليهم من الشهادات، التى تقع فى السجلات، والمكاتَباتِ بين الناس لحوائجهم من المسافات البعيدة التى لاينضبْط مثلُ ذلك لحامل رسالة، ولا يناله الحاضرُ بمشافَهَة وإن كثر حفظه وزادت بلاغته . ولذلك قيل : الخطُّ أفضلُ من اللفظ : لأن اللفظ يُفَهِّم الحاضر فقط، والخط يفَهِّم الحاضر والغائب . ولله القائل فى ذلك يصف القلم .

وأخْرَسَ يَنْطِق بالمُحْكَمات * وجُثْمانُه صامِتٌ أجْوَفُ
بمكَّةَ يَنْطِقُ فى خُفْيةٍ * وبالشام مَنْطِقُه يُعْرَفُ

الطرف الثانى

(فى بيان حقيقة الخط)

قال الشيخ شمس الدين بن الاكفانى فى كتابه "إرشاد القاصد" فى حصر العلوم :

وهو علم نتعرّف منـه صورُ الحروف المفردة ، وأوضاعَها ، وكيفيـةُ تركيبها خطًّا ، أو ما يكتَب منها فى السُّطور، وكيف سبيله أن يُكْتَب،وما لا يُكْتَب ؛ وإبدالُ ما يُبْدل منها فى الهِجاء وبمـا ذا يُبْدل . قال : وبه ظهرَتْ خاصَّـة النوع الإنسانىّ من القُوَّة إلىٰ الفعل،وآمتاز به عن سائر الحيوان؛وضَبْطُ الأموال،وترتيبُ الأحوال، وحفظُ العلوم فى الأدوار، وآستمرارُها علىٰ الأطوار، وآنتقالُ الأخبـار من زمان إلىٰ زمان، وحمل السِّرّ من مكان إلىٰ مكان .

وبهذه الفضائل حافظت الغريزة الإنسانية علىٰ قَبُوله بطلب تعلُّمه محافظةً لم يحتج بها إلىٰ تَذْكار بعد الغَيْبة. ولهذه العلة آستَغْنىٰ عن كتاب يُصنَّف فيه .

ثم قال : وجميع العلوم إنما تعرف بالدلالة عليها : بالإشارة، أو اللفْظ، أو الخط ؛ والإشـارة تتوقَّف علىٰ المشاهدة؛ واللفظ يتوقَّف علىٰ حضور المخاطَب وسمـاعه؛ أما الخط فإنه لايتوقَّف علىٰ شيء فهو أعمُّها نفعا وأشرفُها .

وآعلم أنه قد تقدّم فى الكلام علىٰ اللغة فى "النوع الأوّل مما يحتاج إليه الكاتب" أنه ينبغى للكاتب أن يتعلَّم لغـةَ من يَحتاج إلىٰ مخاطبته أو مكاتبته من اللغـات غير العربيـة،فكذلك ينبغى أن يتعلم من الخطوط غيرِ العربيـة ما يَحْتاج إليه من ذلك فقد قال محمد بن عمر المدائنىّ فى كتاب "القلم والدواة": إنه يجب عليه أن يتعلم الهندية وغيرها من الخطوط العجميَّة . ويؤيد ذلك ماتقدّم فى الكلام علىٰ اللغـة أن النبىّ صلى الله عليه وسلم "أمر زيْدَ بنَ ثابت رضى الله عنه أن يتعلَّم كتابَ يَهُودَ من السُّريانية أو العبرانية فتعلَّمَها" وكان يقرأ علىٰ النبى صلى الله عليه وسلم كُتُبَهم ويجيبهم عنه .

الطرف الثالث

(فى وضع الخط، وفيه جملتان)

الجملة الأولىٰ

(فى بيان المقصود من وضعه، والمُوازنة بينه و بين اللفظ)

أما بيان المقصود من وضعه اعلم[1] أن وضع اللفظ لأداء المعنىٰ الحاصل فى الذهن المشعور به للسمع؛ إذ لا وقوفَ علىٰ ما فى الذهن؛ ووضع الخط لأداء اللفظ المقصود فهمه للناظر فيه . فإذا أردت إيقافك أحدا علىٰ ما فى ذهنك من المعانى تكلمتَ بألفاظ وُضِعتْ لها، وإذا أردت تأدية ألفاظٍ لذلك الإيقاف إلىٰ أحد بغير شِفَاهٍ، نقشْتَ النُّقوش الموضوعة لتلك الألفاظ، فيطالع تلك النقوش، و يفهم منها تلك الألفاظ، ومن الألفاظ تلك المعانى؛ ولا علاقةَ معقولةٌ بين المعانى والألفاظ علىٰ الأمر العام، ولا بين الألفاظ والنقوش الموضوعة؛ ومن ثَمَّ جاء ٱختلافُ اللُّغات والخُطُوط كالعربيَّة والرُّوميَّة وغيرِهما .

وأما المُوازنةُ بينه و بين اللفظ، فالأصلُ فى ذلك أن الخطَّ واللفظَ يتقاسمانِ فضيلةَ البيان ويشتركان فيها : من حيث إن الخط دالٌّ علىٰ الألفاظ والألفاظَ دالَّةٌ علىٰ الأوهام؛ ولٱشتراك الخط واللفظ فى هذه الفضيلة وقع التناسبُ بينهما فى كثير من أحوالها؛ وذلك أنهما يعبِّران عن المعانى إلا أن اللفظ معنًى متحرِّك والخطَّ معنًى ساكنٌ، وهو وإن كان ساكنا فإنه يفعلُ فعلَ المتحرِّك بإيصاله كلَّ ما تضمنه إلىٰ الأفهام وهو مستقرّ فى حيزه ومكانه فنائم[2] كما أن اللفظ فيه العَذْب الرشيقُ السائغ فى الأسماع كذلك الخط فيه الرائق المستحسَنُ الأشكالِ والصُّور . وكما أن اللفظ

(١) أى فنقول آعلم الخ . (٢) لعل وجه الكلام هكذا [مستقر فى حيزه، قائم فى مكانه، وكما الخ] .

فيه الجَزْل الفصيح الذى يستعملُه مَصَاقِـع الخُطَباء، ومَفَالِق الشُّـعَراء، والمبتذَلُ السخيف الذى يستعمله العوامّ فى المكاتبة والمخاطبة، كذلك الخَطُّ فيه المحرَّر المحقَّق الذى تكتب به الكُتُب السلطانية والأمور المهـمة، وفيـه المُطْلق المرسَـل الذى يتكاتَب به الناس و يستعملونه فيما بينهم . وكما أن اللفظ يقَع فيه لحنُ الإعراب الذى يهجِّنه كذلك الخط يقع فيـه لَحْن الهِجَاء . وكما أن اللفظ إذا كان مقبولا حُلْوا رفع المعنىٰ الخسيسَ وقرَّبه من النُّفُوس ، و إن كان غَثًّا مستـكْرَها وضـع المعنىٰ الرفيعَ و بعَّده من القلوب، كذلك الخط إذا كان جَيِّـدا حسَنًا، بعث الإنسـان علىٰ قراءة ما أُودِع فيه و إن كان قليل الفائدة، وان كان ركيكا قبيحا، صَرَفه عن تأمُّل ما تضمَّنه و إن كان جليلَ الفائدة .

ولمـا آشترك اللفظ والخط فى الفوائد العامَّة التى جُعِلت فيهما وقع الآشتراك أيضا بين آلتيهما إذ آلة اللفظ اللسانُ ، وآلة الخط القـلَمُ ؛ وكل منهما يفعل فعل الآخر فى الإبانة عن المعانى إلا أن اللفظ لمـا كان دليلا طبيعيًّا جُعِلت آلتُـه آلة طبيعيةً، والخط لما كان دليلا صِنَاعيًّا جعلت آلته آلةً صناعيَّة ؛ ولمـا تقاسمت الآلتان الدلالةَ نابت إحداهما مناب الأخرىٰ فأوقعوا آسمَ اللسان علىٰ القلم فقالوا : الأقلام ألْسِـنَةُ الأفْهام، وشَرَّكُوا بينهما فى الآسم فقالوا : القلمُ أحدُ اللِّسانين .

الجمـــلة الثـانية

(فى أصل وضـعه ؛ وفيه مَسْلَكان)

المسلك الأوّل

(فى وضـع مطلق الحروف)

قيل إن أوّل مَنْ وضع الخُطوط والكُتُبَ كلَّها آدمُ عليه السلام : كتبها فى طين وطبخه ؛ وذلك قبل موته بثلثمائة سـنة ؛ فلمـا أظلَّ الأرضَ الغرقُ أصاب كلَّ قوم

كتابهم . وقيل أَخْنُوخ (وهو إدريس عليه السلام) . وقيل إنها أنزلت على آدم عليه السلام فى إحدى وعشرين صحيفة . وقضية هذه المقالة أنها توقيفية علمها الله تعالى بالوحى، والمقالتان الأولتان محتملتان لأن تكون توقيفية وأن تكون آصطلاحية وضعها آدم وإدريس عليهما السلام . على أنه يحتمل أن يكون بعض ذلك توقيفيا علمه الله تعالى بالوحى، وبعضه آصطلاحيا وضعه البشر : واحدٌ أو جماعةٌ، فيصير الخلاف فيه كالخلاف فى اللغة هل هى توقيفية أو آصطلاحية على ماهو مقرّر فى علم الأصول . والله سبحانه وتعالى أعلم .

المسلك الثانى

(فى وضع حروف العربيـــة)

قال الشيخ أبو العباس البُونىّ رحمه الله فى كتابه "لطائف الإشارات، فى أسرار الحروف المعلومات":

يروى عن أبى ذرّ الغِفَارىّ رضى الله عنه أنه قال : "سألتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فقلت: يارسولَ اللهِ كلُّ نبيٍّ مُرْسَل بم يُرْسلُ؟ ـ قال بكتاب منَزَّل ـ قلت يارسولَ الله أىّ كتابٍ أُنْزِل على آدمَ ؟ ـ قال : ا ب ت ث ج إلى آخره ـ قلت يارسول الله كم حَرْف ؟ ـ قال : تسعٌ وعشرونَ ـ قلت يارسول الله عدَدْتَ ثمانيةً وعشرين، فغَضِبَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حتّى آحمرَّت عيناه، ثم قال ياأبا ذرّ: والَّذِى بَعَثنِى بالحقِّ نبيًّا ! ماأنزلَ اللهُ تعالى على آدم إلا تِسْعةً وعشرين حرفاً ـ قلت يارسول الله فيها ألف ولام ـ فقال عليه السلام : لام ألف حرفٌ واحد، أنزله على آدم فى صحيفةٍ واحدةٍ، ومعه سبعونَ ألفَ مَلَك، من خالف لام ألف فقد كفر بما أُنْزِل على آدم! ومَنْ لم يعدّ لام ألف فهو برىء منّى وأنا برىء منه! ومَنْ لا يُؤْمِنُ بالحروف وهى تسعةٌ وعشرون حرفاً لايخرج من النار أبدا مكنّه .

وهذا الخبر ظاهر فى أن المراد منه حروف العربيــة فقط، إذ قد أجاب صلى الله عليه وسلم أبا ذرّ رضى الله عنه بحروف ا ب ت ث وأثبت منها لام ألف، وليس ذلك فى غير حروف العربية ؛ وقضية ذلك أن حروف العربية أنزلت علىٰ آدم عليه السلام وهو الموافق لما فى أوّل الفصل قبله، لكن فى كتاب "التنبيــه علىٰ نقط المصاحف وشكلها" للشيــخ أبى عمرو الدانىّ رحمه الله أنها أنزلت علىٰ هُودٍ عليــه السلام، ولا تباين بينهما: لجواز أن تنزل علىٰ آدمَ مرّة وعلىٰ هُودٍ أخرىٰ، فربما نزلت الآية علىٰ نبىّ ثم نزَلَتْ علىٰ نبىّ آخر كما قيل فى قوله تعالىٰ: ﴿حٰمٓ عٓسٓقٓ كَذٰلِكَ يُوحِى إِلَيْكَ وإلىٰ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ إنه ما بعث اللهُ تعــالىٰ نبيًّا إلا وأنزل عليه ﴿حٰمٓ عٓسٓقٓ﴾ وقد أنزلت ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ علىٰ سليمان عليه السلام، ثم أنزلت علىٰ النبىّ صلى الله عليه وسلم؛ وربما أنزلت الآية الواحدة علىٰ النبىّ صلى الله عليه وسلم مرّتين كما فى الفاتحة فإنها نزلت مرةً بمكة ومرةً بالمدينة علىٰ أحد الأقوال .

وعلىٰ الجملة فقضيته أنها توقيفيَّة وهو الموافق لأحد الأقوال فى مطلق الحروف .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن أول مَنْ وضع الحروف العربيةَ ثلاثةُ رجال من بَوْلانَ، (و بَوْلانُ قبيلةٌ من طيئ) نزلوا مدينة الأنبار، وهم مُرَامِرُ(١) بنُ مُرَّة، وأسلمُ بن سِدْرة، وعامرُ بنُ جَدَرَة، اجتمعوا فوضعُوا حروفا مقطَّعة وموصولة، ثم قاسُوها علىٰ هِجَاء السُّريانية؛ فأما مُرامِر(١) فوضع الصُّوَر، وأما أَسْلَمُ ففَصَل ووصل، وأمَّا عامر فوضع الإعجام؛ ثم نُقِل هذا العِلم إلىٰ مكة وتعلَّمه مَنْ تعلمه وكثُر فى الناس وتداولُوه .

ونقل الجوهرىّ عن شَرْقىّ بن القَطَامىّ أن أوّل من وضعه رجال من طيئ منهم مُرَامِر(١) بن مُرَّة وأنشد عليه :

---

(١) فى الأصل مرار . والذى فى جميع معاجم اللغة مرامر، وكذا فى البيت أيضا .

تَعَلَّمْتُ باجَادٍ وآلَ مُرَامِرٍ * وَسَوَّدْتُ أثوابِي ولَسْتُ بِكَاتِبِ

قال الجوهرىّ : وانما قال آل مُرَامِر لأنه كان قد سمّى كل واحد من أولاده بكلمة من أبى جاد وهم ثمانية . وذكر غيره نحوه فقال : أوّل مَن ٱخترعه وألَّف حروفه ستة أشخاص من طَسْمٍ كانوا نُزُولا عند عَدْنانَ بن أُدَدَ، وكانت أسماؤهم : أبجد، و هوّز، و حطى، و كلمن، و سعفص، و قرشت، فوضعُوا الكتابةَ والخطَّ علىٰ أسمائهم، فلما وجدوا فى الألفاظ حروفا ليست فى أسمائهم ألحقوها بها، وسمَّوْها الرَّوادِف، وهى الثاء المثلثة، والخاء، والذال، والظاء، والغين، والضاد المعجمات علىٰ حسب مايلحق من حروف الجُمَّل، ثم ٱنتقل عنهم إلىٰ الأنبار، وٱتصل بأهل الحِيرَة، وفَشَا فى العرب ولم ينتشر كلَّ الٱنتشار إلىٰ أن كان المَبْعثُ .

وقيل إن نفيسًا ونَصْرا وتيما ودومة بنى إسماعيل وضعوا كتابا واحدا وجعلوه سطرا واحدا موصول الحروف كلِّها غير متفرّق، ثم فرّقه نَبْت وهَمَيْسَعُ وقَيْذار، وفرّقوا الحروف وجعلوا الأشباه والنظائر. وعن هشام بن محمد عن أبيه قال : أخبرنى قومٌ مَن علماء مصر أن أوّل من كتب الكتاب العربِيَّ رجُل من بنى النَّضْر بن كنانة، فكتبته العرب حينئذ .

وقضيةُ هذه المقالات أنها ٱصطلاحية .

وفى السيرة لٱبن هشام : أن أوّل من كتب الخطَّ العربىَّ حِمْيَرُ بنُ سبإٍ عُلِّمه فى المَنَام قال : وكانوا قبل ذلك يكتُبون بالمُسْنَد سمّى بذلك لأنهم كانوا يُسْنِدونه إلىٰ هود عليه السلام . وهو مخالف لما تقدّم من كلام أبى عمرو الدانى : أن العربىّ أنزل علىٰ هود عليه السلام .

قال السهيلىّ رحمه الله فى" التعريف والإعلام" : والأصح ماروينـاه من طريق أبى عُمَر بن عبد البر رحمه الله يرفعه إلىٰ النبىّ صلى الله عليه وسـلم قال : "أوّلُ مَنْ كَتَب بالعَرَبيَّة إسماعِيلُ عليه السلام" قال آبن عبد البر : وهذا أصح من رواية "أوّلُ مَنْ تَكَلَّم بالعرَبيَّة إسماعيلُ" وهذا محتمل للتوقيف أيضا : بأن يكون إسماعيل عُلِّمها بالوحى ، وللاصطلاح : بأن يكون وضعه من نفسه .

ثم أوّل ما ظهرت الكتابة العربية بمكة من قِبَلِ حَرْب بن أُمية . قال المدائنى : حدثنى حسانُ بن عبد الملك الأنصارىّ قال : حدثنى سليمان بن سعيد المرّىّ قال : سمعت الفرّاء يقول حدّثنى العمرىّ أنه قيل لآبن عباس من أيْنَ تعلَّمتم الهِجاء والكتابة والشَّكْل؟ قال عُلِّمناه من حَرْب بن أُمَيَّة، قيل : ومن أين عُلِّمه حرب بن أُمَيَّـة ؟ قال : من طارئٍ طرأ علينا من اليمن، قيل : ومن أين عُلِّمه ذلك الطارئ؟ قال : كانت[1] بالوحى لهود عليه السلام .

وذكر أبو عمرو الدانى فى كتاب " التنبيه علىٰ النقط والشـكل " نحوه . وقيـل أوّل ماظهرت باليمن من قِبَل أبى سُفْيان بن أمية : عمّ أبى سفيان بن حرب، وأتته من قِبَل رجل من أهل الحِيرة، قال أهل الحِيرة : أخذناها من أهل الأنبار .

وقال أبو بكر بن أبى داود عن علىّ بن حرب عن هشام بن محمد بن السائب قال : تعـلم بشر بن عبد الملك الكتابةَ من أهل الأنبـار ، وخرج إلىٰ مكة، وتزوّج الصَّهباء بنتَ حرب . وقيل إنه لمـا تعلم أبو سفيان بنُ حرب الخطَّ من أبيه تعلمه عمرُ بنُ الخطاب رضى الله عنه وجماعة من قريش، وتعلمه معاويةُ بنُ أبى سفيان من عمه سُفْيانَ .

(١) فى الضوء [من كاتب الوحى] .

أما الأوس والخزرج فقد رَوىٰ الواقدىّ بسنده إلىٰ سعد بن سعيد قال : كانت الكِتَابةُ العربية قليلًا فى الأَوْس والخَزْرَج ، وكان يهودىٌّ من يهودِ ماسكةَ قد عُلِّمها فكان يعلِّمها الصِّبيان لجاء الإسلام وفيهم بِضْعةَ عشرَ يكتُبون، منهم سعيد بن زُرارة، والمنذر بنُ عمرو، وأُبَىُّ بن كعب ، و زيدُ بن ثابت، يكتُب الكتابين جميعا العربية والعِبْرانية، ورافعُ بن مالك، وأُسيْد بن حُضَيْر، ومَعْنُ بن عدىّ، وأبو عَبْس بن كثير، وأَوْسُ بن خَوَلِىٍّ، و بشير بن سعد .

قال صاحب " الأبحاث الجميلة فى شرح العقيلة " : والخط العربىّ هو المعروف الآن بالكُوفىّ ومنه ٱستُنْبِطت الأقلامُ التى هى الآن. وقد ذكر ٱبن الحسين فى كتابه فى قلم الثُّلُث أن الخطَّ الكوفىّ فيه عدّة أقلام مَرْجِعُها إلىٰ أصلين وهما التقوير والبسط .

فالمقور هو المعبَّر عنه الآن باللَّيِّن : وهو الذى تكون عراقاته وما فى معناها منخسفة منحطة إلىٰ أسفل كالثلث والرقاع ونحوهما .

والمبسوط : هو المعَبَّر عنه الآن باليابس وهو مالا ٱنخِسافَ وٱنحطاط فيه كالمحقَّق وعلىٰ ترتيب هـذين الأصلين الأقلامُ الموجودةُ الآن . ثم قد ذكر صاحب " إعانة المنشئ " أن أوّل مانُقِل الخط العربىّ من الكوفىِّ إلىٰ ٱبتداء هذه الأقلام المستعملة الآن فى أواخر خلافة بنى أُمَيَّة وأوائل خلافة بنى العباس .

قلت : علىٰ أن الكثير من كُتَّاب زماننا يزعمون أن الوزير أبا علىّ بنَ مقلة (رحمه الله تعالىٰ) هو أوّلُ من ٱبتدع ذلك ، وهو غلط فإنا نجد من الكُتُب بخط الأوّلين فيما قبل المائتين ما ليس علىٰ صورة الكوفىّ بل يتغير عنه إلىٰ نحو هـذه الأوضاع المستقرة وان كان هو إلىٰ الكوفىّ أميل لقُرْبه من نقله عنه .

قال أبو جعفر النحاس فى "صناعة الكتّاب": ويقال إن جَوْدة الخط آنتهت إلى رجلين من أهل الشأم يقال لهما الضَّحَّاك وإسحاق بن حَمَّاد، وكانا يخطانِ الجليـلَ؛ وكأنه يريد الطُّومار أو قريبًا منه .

قال صاحب "إعانة المنشئ" وكان الضحاك فى خلافة السَّفَّاح : أوّلِ خلفاء بنى العباس، وإسحاق بن حَمَّاد فى خلافة المنصور والمهدىّ .

قال النحاس : ثم أخذ إبراهيم (يعنى الشـجرىّ) عن إسحاق بن حماد الجليـلَ وآخترع منه قلما أخفَّ منه سماه قلم الثلثين، وكان أخطَّ أهلِ دهره به، ثم آخترع من قلم الثلثين قلمـا سماه قلم الثلث .

قال صاحب "الأبحاث الجميلة": وأخذ يوسف أخو إبراهيم الشجرىّ القلمَ الجليلَ عن إسحاق أيضا، وآخترع منه قلما أدق منه وكتبه كتابة حسنةً فأُعْجِب به ذوالرياستَيْنِ الفضلُ بنُ سهل وزيرُ المأمون، وأمر أن تحرّر الكتبُ السلطانية به، ولا تكتب بغيره وسماه القلم الرِّياسىّ . قال بعض المتأخرين : وأظنه قَلَم التوقيعات .

قال النَّحَّاس : ثم أخذ عن إبراهيم الشجرىّ الأحولُ الثلثين والثلثَ ، وآخترع منهما قلما سماه قلم النصف، وقلما أخفَّ من الثلث سماه خفيف الثُّلُث، وقلما متصلَ الحروف ليس فى حروفه شىء ينفصل عن غيره سماه المسَلْسَل، وقلما سماه غُبار الحِلْية، وقلمـا سمـاه خط المُؤَامَرَات، وقلما سماه خطَّ القِصَص، وقلمـا مقصوعا سمـاه الحَوَائجىّ . قال : وكان خطه يوصف بالبهجة والحُسْن من غير إحكام ولا إتقان، وكان عجيبَ البَرْى للقلم، وكان وجه النعجة مقدّما فى الجليل . قال : وكان محمد بن معدان يعنى المعروف بأبى ذرجان مقدّما فى خط النِّصف، وكان قلمه مسـتوىَ السِّـنَّيْن، وكان يشُقُّ الطاء، والظاءَ، والصاد، والضاد بعرض النصف؛ ويعطف

مثل يا، ويصل كلَّ ياءٍ من يساره إلىٰ يمينه بعَرْض النصف لا يرىٰ فيه ٱضطراب. وكان أحمد بن محمد بن حفص المعروف بزاقف أجلَّ الكُتَّاب خطًّا فى الثلث، وكان ٱبنُ الزَّيَّات فى أيام ٱبن طولون وزيرِ المعتصم يعجبه خطُّه ولا يكتب بين يديه غيرُه، وٱنتهت رياسةُ الخط بمصر إلىٰ طَبْطب المحرِّر جودةً و إحكاما .

قال النحاس : وكان أهل مدينة السلام يحسُدونَ أهل مصر علىٰ طَبْطب وٱبن عبد كان يعنى كاتب الإنشاء لٱبن طولون، ويقولون بمصر كاتبٌ ومحرِّرٌ ليس لأمير المؤمنين بمدينة السلام مثلُهما .

قلت : ثم ٱنتهت جودة الخط وتحريُره علىٰ رأس الثلثمائة إلىٰ الوزير أبى علىّ محمد ٱبن مقلة وأخيه أبى عبد الله .

قال صاحب "إعانة المنشئ" : وولَّدا طريقة ٱخترعاها وكتب فى زمانهما جماعة فلم يقاربوهما . وتفرّد أبو عبد الله بالنَّسْخ، والوزير أبو علىّ بالدَّرْج، وكان الكمال فى ذلك للوزير، وهو الذى هَنْدَس الحروفَ وأجاد تحريرها ، وعنه ٱنتشر الخطُّ فى مَشَارق الأرض ومغَاربها، ولله قول القائل :

سَبَقَ الدَّمْعُ فى المَسِيرِ المَطَايَا * إذ روىٰ من أحِب عنه بقُلَّه
وأجادَ السُّطورَ فى صَفْحةِ الخدّ ولمْ لا يُجِيد وهْو ٱبنُ مُقْله

وقول الآخر:

تَسَلْسَلَ دَمْعِى فَوْقَ خَدِّى أَسْطُرا * ولا عَجَبٌ مِنْ ذاكَ وهو ٱبنُ مُقْلةِ

ثم أخذ عن ٱبن مقلة محمد بن السمسمانى، ومحمد بن أسد، وعنهما أخذ الأستاذ أبو الحسن علىّ بن هلال المعروف بابن البوّاب، وهو الذى أكمل قواعد الخط وتممها وٱخترع غالبَ(١) الأقلام التى أسسها ٱبن مقلة، ولما مات رثاه بعضهم بقوله :

(١) فى الضوء . وٱخترع عدة أقلام .

وٱستشعر الكُتّابُ فقدك سالفًا * فجرت بصـحّة ذلك الأيّامُ

فلذاك سوّدتِ الدُّوِىُّ وجُوهَها * أسـفًا عليـك وشُقّتِ الأقلامُ

وممن أخذ عنـه محمدُ بنُ عبد الملك ، وعن محمدِ بنِ عبد الملك أخذتِ الشـيخةُ المحدِّثة الكاتبة زينبُ الملقّبةُ بشُهْدة ٱبنةُ الابرى ؛ وعنها أخذ أمينُ الدين ياقوتُ ، وعنـه أخذ الولىُّ العجمىّ ؛ وعليه كتب العفيفُ ؛ وعن العفيف أخذ ولدُه الشيخُ عماد الدين ، ويقال إنه كان كٱبن البوّاب فى زمانه . وعن الشـيخ عماد الدين بن العفيف أخذ الشيخ شمسُ الدين بنُ أبى رُقَيبة محتسبُ الفُسْطاط ، وهو ممن عاصرْناه ؛ وأخذ عنه شيخُنا الشيخ شمسُ الدين محمدُ بن علىّ الزِّفْتـاوىّ المكَتِّب بالفُسْطاط ، وصنف مختصرا فى قلم الثلث مع قواعدَ ضمَّها إليه فى صـنعة الكتابة ، أحسـن فيه الصنيعَ ؛ وبه تخرّج صاحبُنا الشـيخ زين الدِّين شَعْبان بن محمد بن داود الآثارىّ محتسبُ مِصْر ، ونظم فى صنعة الخط ألفيـة وسمّها (بالعِناية الربّانيـة فى الطريقة الشّعبانيه) لم يُسبَقْ إلى مثلها ؛ ثم توجه بعد ذلك إلى مكة ، ثم إلى اليمن والهنـد ؛ ثم عاد إلى مكة فأقام بها ونبغ .

قلت : وقد علم مما تقدّم ذكره أن ألقاب الأقلام : من الثلثين والنصف والثلث وخفيف الثُّلُث والمُسَلْسَل والغُبَار قديمةٌ ، وإن وقع فى أذهان كثير من الناس أنهـا من مخترعات ٱبن مقلة وٱبن البوّاب فمن بعدهما .

الطرف الرابع

(فى عَدَد الحروف، وجهة ٱبتدائها، وكيفية ترتيبها؛ وفيه أربع[1] جمل)

الجملة الأولىٰ

(فى مطلق الحروف فى جميع اللغات)

وٱعلم أن الحروف تختلف بٱختلاف اللُّغـات بحسب تَعـدُّد مخارجها، فحروف السُّرْيانيين، والرُّوم، والفُرْس، والصَّقْلَب، والتُّرك من أربعة وعشرين حرفا إلىٰ ستة وعشرين حرفا؛ وحروف العِبْرانيين، واليُونانيين، والقِبْط الأُوَل، والهُنود وغيرهم من ٱثنين وثلاثين إلىٰ سـتة وثلاثين؛ فيوجد فى غير العربيـة من الحروف ما لا يوجد فى العربية كما يوجد فى العربية ما لا يوجد فى غيرها من اللُّغات، ويكثر فى الٱستعمال فيهـا ما لا يكثر فى غيرها . فالحـاء المهملة، والظاء المعجمة ممـا أُفْرِدت بها العربُ فى لغاتها، وٱختصت بها دون غيرها من أرباب اللُّغات؛ والعين المهملة قليلة فى كلام بعض الأمم ومفقودة فى كلام كثير منهـم ؛ وكذلك الصاد والضاد والذال المعجمة ليست فى الفارسية، والثاء المثلثـة ليست فى الروميَّة ولا فى الفارسية، والفاء ليست فى التركية .

قال الشـيخ أثير الدين أبو حيان رحمه الله : ولذلك يقولون فى فقيه پقيـه بالباء الموحدة المشربة الفَيَويَّة .

الجملة الثـانية

(فى حروف العربيـــة)

وٱعلم أنا لمـا كنا بحمد الله أُمَّةً وسـطًا خيرَ أُمَّةٍ أُخْرِجتْ للناس، وكان خيرُ الأمور أوسَاطَها، وكانت حروف اللُّغات ما بين أربعةٍ وعشرين حرفا إلىٰ سـتة وثلاثين كما

(١) المعدود خمس .

تقدّم، كانت حروف الكلام العربىّ التى بها رُقِم القرءان الكريمُ ثمانيةً وعشرين حرفًا فى اللفظ، متوسطةً بين حروف اللُّغـات، وهى ا ب ت ث إلىٰ آخره، وتسمى حروفَ الهِجاء وحروف التَّهجِّى، ويسميها سيبويه والخليلُ حروفَ العربية أى حروف اللغة العربية، وهى التى يتركَّب منها الكلامُ العربىّ، وتسمى أيضا حروف المُعْجَم، إما لأنها مقطَّعة لا تُفْهَم إلا بإضـافة بعضها إلىٰ بعض، وإما لأن منها مايُنقَط النقطَ المعروفَ، أو تنقط كلُّها أى تُشْـكَل إذ النقط قد يكون بمعنىٰ الشَّـكْل.
وقال بعض أهل اللغة: النقط (١) بالسواد كمثل التاء عليها نقطتان، يقال منه أعجمتُ الحروف، ومعناه حرف الخط المُعْجم. وبعضهم (٢) يجعل المُعْجم مصدرا بمعنىٰ الإعجام من أعجمتُ الشىء إذا بيَّنته فكأنها مبيِّنة للكلام، وتكون الهمزةُ فى أعجمت للإزالة أى أزلت عُجمتَه إما بنقطِه أو شكله.

قال الشيخ عبد الخالق بن أبى القاسم المصرىّ: وإذا آعتبرت سائر اللغات بالتحقيق لن يزيد ذلك علىٰ ثمانيــة وعشرين حرفًا (يريد غير اللام ألف) فى الحروف العربية والقائل بذلك يجعل اللام ألف مركبا من حرفين فلا يعدّه حرفا مستقلًّا.

قال علماء الحرف: وجعلت ثمانية وعشرين حرفا علىٰ عدد منازل القمر الثمانية والعشرين.

قالوا: ولمـا كانت المنازلُ القمريةُ يظهَر منهـا فوق الأرض أربع عشرة منزلةً ويغيبُ تحت الأرض أربعَ عشرةَ كانت هـذه الحروف ما يظهر منهـا مع لام التعريف أربعةَ عشرَ بعدَد المنازل الظاهرة: وهى الألف، والباء، والحاء المهملة،

---

(١) أى العجم النقط الخ كما فى اللسان.

(٢) هو المبرد كما نقله عنه فى اللسان.

والخاء المعجمة، والعين المهملة، والغين المعجمة، والفاء، والقاف، والكاف، واللام، والميم، والهاء، والواو، والياء المثناة تحتُ . تقول الألف والباء والحاء فتظهر اللام فى لفظك وكذلك فى البواقى . وما يندغم منها أربعةَ عشرَ حرفا أيضا بعدد المنازل الغائبة : وهى التاء المثناة من فوق، والثاء المثلثة، والدال المهملة، والذال المعجمةُ، والراء، والزاى، والسين المهملة، والشين المعجمة، والصاد المهملة، والضاد المعجمة، والطاء المهملة، والظاء المعجمة، والنون. تقول التاء، والثاء، والدال فتخفىٰ فى لفظك، وكذلك فى البواقى .

وقد تقدّم فى خبر أبى ذرّ رضى الله عنه أنها نزلت علىٰ آدم عليه السلام تسعةً وعشرين حرفا عدّ منها اللام ألف وهو الموجود فى التصوير فلا يعوّل إلا عليه إن صح الحديث .

ثم للحروف العربية فروعٌ توجَدُ فى اللفظ دون الكتابة مستحسَنةٌ ومستَقْبَحة، تبلغ بها الحروف العربية سبعة وأربعين حرفا، ولا يوجد ذلك فى لغة أمة من الأمم، أضربنا عن ذكرها لعدم تعلّقها بالخط الذى نحن بصدده، وبالله المستعان .

الجملة الثالثة

(فى بيان جهة ٱبتداآت الحروف)

وٱعلم أن أصحاب الأقلام ٱختلفوا باعتبار مقاصدهم فى البُداءة بالحروف .

فمنهم من يبدأ من اليمين إلىٰ اليَسَار كالعرب والعِبْرانيين والهُنُود وأهل الطبيعة والسُّرْيانيين، آخذا فيه علىٰ سير الفلك من المشرق إلىٰ المغرب، والمشرق عندهم يمين الفلك ويقال له مأخذ كَوْرىّ، وقيل لأن فيه الاستمداد من الكبد إلىٰ القلب .

ومنهم من يبـدأ من اليسار إلىٰ اليمين كالروميـة واليونانيَّـة والقِبْطية ، وفنٌّ من الفارسـية آخذا فيه علىٰ سير الكواكب السبعة السـيارة من المغرب إلىٰ المشرق . ويقال له مأخذ دَوْرِىّ ؛ وقيل لأنه ناشئ عن حركة القلب إلىٰ الكبد .

الجملة الرابعـة

(فى كيفية ترتيب الحروف)

وٱعلم أن ترتيب الحروف علىٰ ضربين : مفردٍ ومزدَوِجٍ ؛ وبين أهـل الشرق وأهل الغرب فى كل من النوعين خلاف فى الترتيب .

أما المفرد فأهل الشرق يرتبونه علىٰ هذا الترتيب :

ا ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز س ش ص ض ط ظ
ع غ ف ق ك ل م ن ه و لا ى

وأما أهل الغرب فإنهم يرتبونه علىٰ هذا الترتيب :

ا ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز ط ظ ك ل م ن ص ض
ع غ ف ق س ش ه و لا ى

وأما المزدَوِجُ فأهل الشرق يرتبونه علىٰ هذا الترتيب :

أبجد ، هوّز ، حطى ، كلمن ، سعفص ، قرشت ، ثخذ ، ضظغ .

وأهل الغرب يرتبونه علىٰ هذا الترتيب :

أبجد ، هوّز ، حطى ، كلمن ، سعفص ، قرشت ، ثخذ ، ظغش[1] .

---

(١) كذا فى الأصل والضوء ولعل الصواب ظغفض .

علىٰ أنه قد ٱختلف فى كلمات أبجد هل لها معنًى أم لا، وهل يكره تعلُّمُها أم لا، وأ كثر الناس فى الشرق والغرب علىٰ تعلُّمِها .

وقد جاء أنها كانت تُعَلَّم فى زمن عمرَ بنِ الخطاب رضى الله عنه، ويشهد لذلك قول الأعرابىّ فى أبياته :

أَتَيْتُ مهاجِرِينَ فعَلَّمُونِى * ثلاثَةَ أَسْطُرٍ مُتَتابِعاتِ
وخَطُّوا لِى أبا جادٍ وقالوا * تَعلَّمْ سَعْفَصًا وقُرَيِّشاتِ

وقيل : إن أبجد، وهوز، وحطى، وكلمن، كانت أسماء ملوك مَدْيَن، وإن كلمن كان فى زمن شُعَيْب عليه السلام، وقد تقدّم أن الأربعة المذكورة كانت أسماء واضِعِى الخط العربىّ علىٰ قولٍ والله أعلم .

الجملة الخامسة

(فى كيفية صور الحروف العربية وتداخل أشكالها)

قد تقدّم أن الحروف العربيةَ علىٰ تسع عشرة صورة : وهى صورة الألف، وصورة الباء والتاء والثاء، وصورة الجيم والحاء والخاء، وصورة الدال والذال، وصورة الراء والزاى، وصورة السين والشين، وصورة الصاد والضاد، وصورة الطاء والظاء، وصورة العين والغين، وصورة الفاء والقاف[(١)]، وصورة الكاف، وصورة اللام، وصورة الميم، وصورة النون، وصورة الهاء، وصورة الواو، وصورة اللام ألف، وصورة الياء، وفرقوا بينها بالنقط كما سيأتى، وقصدوا بذلك تقليل الصُّوَر للٱختصار لأن ذلك أخف من أن يجعل لكل حرف صورة فتكثُر الصُّوَر . ثم ترجع الصور التِسْعَ عشرةَ صورةً[(٢)] بعد ذلك إلىٰ خمس صور : وهى الألف والجيم والراء والنون والميم؛ ففى

---

(١) لعله وصورة القاف ليتم العدد ولٱختلاف الصورتين فى الرسم .

(٢) لعله زائد من الناسخ والصواب إسقاطه .

صورة الألف إحدىٰ عشرة صورة ألف قائمة : وهى ا وسَبْعُ ألفات[(١)] مسطوحة : وهى ب ت ث ، ك ل ى ، فكل هذه علىٰ صورة الألف غير أن فيهـا ماتَكَرَّر فيه صورةُ الألف : وهى الكاف واللام ، وألِفانِ مبطوحتان : وهى ط ظ ؛ وألف معطوفة : وهى لا ؛ وفى الجيم سبع صور جيم مُرَقَّلة : وهى ج ح خ ، وجيمان محذوفتان وهما د ذ ، وجيمان شاخصتان وهما ع غ ؛ وفى الراء ثلاث صور وهى ر ز و ؛ وفى النون ست صور وهى ن س ش ص ض ق ؛ وفى الميم صورتان وهما م ه .

الطرف الخـامس

(فى تحسين الخَطّ ، وفيـــه جملتان)

الجملة الأُولىٰ

(فى الحث علىٰ تحسيــن الخط)

لاخفاءَ أن حُسْن الخط من أحسن الأوصاف التى يتصفُ بها الكاتبُ ، وأنه يرفع قَدْرَه عنـد الناس ، ويكون وسيلةً إلىٰ نُجْح مقاصده ، وبلوغ مآربه ؛ مع ماينضم إلىٰ ذلك من الفوائد التى لا تـكاد تُحْصىٰ كثرةً .

وقد قال أمير المؤمنين علىّ كرم الله وجهه : "الخط الحَسَنُ يزيد الحَقَّ وضُوحا" .

وقال بعض العلماء : الخط كالروح فى الجسد ، فإذا كان الإنسانُ جسيما وسيمـا حسن الهيئة ، كان فى العيون أعظم ، وفى النفوس أفخم ؛ وإذا كان علىٰ ضدّ ذلك سَئِمَتْه النفُوسُ ، ومَجَّتْــه القلوب ؛ فكذلك الخط إذا كان حسنَ الوصف ، مليحَ الرَّصْف ،

---

(١) لم يذكر إلا ستة ولعل الساقط الفاء فانها لم تذكر فى الصور الاتية .

مفتّح العيون، أملس المُتون، كثير الائتلاف، قليل الاختلاف، هشّتْ إليه النفوس، واشتهته الأرواح، حتّى إن الإنسان ليقرؤه وإن كان فيه كلامٌ دَنِىء، ومعنًى ردىء، مستزيدا منه ولو كَثُر، من غير سآمة تلحَقُه ؛ وإذا كان الخط قبيحًا مَجّتــه الأفهام، ولفظَتْه العيون والأفكار، وسَئِم قارئه، وإن كان فيه من الحِكْمة عَجائبُها، ومن الألفاظ غَرائبُها .

ويقال : إن الخط مُوازٍ للقراءة، فأجود الخط أبينُه، كما أن أجود القراءة أبينُها ؛ ولا يخفىٰ أن الخط الحَسَن هو البَيِّن الرائقُ البَهِج . ثم قد تقدّم فى الكلام علىٰ أصل وضع الخط أن الخَطَّ واللفظ يتقاسمانِ فضيلةَ البيان، ويشتركان فيها .

قال فى "موادّ البيان" : ولما كان الخط قسيما للَّفْظ فى البيان الذى آمتَن الله تُعالىٰ بتعليمه علىٰ الإنسان، وجب علىٰ الكاتب أن يُعْنىٰ بأمر الخط، ويُراعِىَ من تَجْويده وتصحيحه، ما يراعيه من تهذيب اللفظ وتنقيحه : ليــدُلَّ علىٰ سُرْعةٍ وسهولةٍ كما يدُلُّ اللفظ البليغ البيِّن : لأن الخط وإن كان علىٰ الإطلاق فى المنزلة التى لاتُســاوىٰ من الشرف فإنمــا تحصل فضائلُه للجيد منه، كما أن المَنطِق وإن كان من الشرف فى هذا الحدّ فإنمــا تحصل فضائله التامّةُ لمَنْطِق البليغ اللَّسِن ، دون مَنْطِق العَيِّ الألكن ؛ وكذلك سائر الصــنائع الفاضلة علىٰ الإطلاق إنمــا يحصل فضلها للمــاهر فيها دون المبتدئ .

قال : فينبغى للكاتب أن لا يقدّم علىٰ تهذيب خطه وتحريره شيئا من آدابه فإن جَوْدة الخط أوّلُ الأدوات التى ينتظم بحصولهــا له آسم الكتابة، ويُحْكم عليــه إذا حازها بأنه من أهلها . وقد دخل بحُسْن الخط فى الصــناعة مَنْ إذا فُحِص عن مقدار معرفته وجب أن تُنزَّه الكتابةُ عن نسبته إليها .

ويجب مع ذلك أن يراعى تأسيس الخط على الوضع الذى ٱصطلح عليه المجيدون من الكُتَّاب . فقد قسم أهل الصناعة الخط إلى قسمين : محقَّق ومُطْلَق .

فأما المحقَّق فما صَحَّتْ أشكاله وحروفُه على ٱعتبارها مفردة .

قال فى "موادّ البيان": وهذا القسم هو الذى يُستعمل فى الأمور الجسيمة: ككُتُب العهود، والإسجالات، والتمليكات التى تبقى على الأعقاب، والمكاتبات الصادرةِ عن الملوك إلى الملوك، الدالة على قدر المكتوب عنه والمكتوب إليه .

وأما المُطْلَق فهو الذى تداخلت حروفه وٱتصل بعضُها ببعض .

قال فى "موادّ البيان" : وهو خط مولَّد من المحقَّق، يستعمل فى تنفيذ مالا يمكن تأخيره من المكاتبات المهمَّة والأمور العامّة . قال : ويجب أن يَلْزم الطريقة فى كل واحد من الخطين، ولا يخالِط حروف أحدهما بحروف الآخر.

الجملة الثـانية

(فى الطريق إلى تحسين الخط ، ويتوصَّل إلى ذلك بأمور)

الأوّل[1] ــ معرفة تشكيل الحروف

قال فى "موادّ البيان" : وهو الأصل فى أدب الخط : لأن الخط إنما يسمَّى جيدا إذا حسُنَتْ أشكال حروفه، وإنما يسمَّى رديئا إذا قَبُحتْ أشكال حروفه . وحُسْن صور حروف الخط فى العين شبيهٌ بحُسْن مخارج اللفظ العَذْب فى السَّمْع .

قال : والوجه فى تصحيح الحروف أن يبدأ أوّلا بتقويمها مفردةً مبسوطةً لتصح صورة كل حرف منها على حيالها، ثم يؤخذ فى تقويمها مجموعة مركبة، وأن يُبْدأ

(١) لم يذكر غيره ولعله ٱكتفى بما تقدم فى الأدوات من حسن البراية والحبر والليقة وغير ذلك فليتنبه .

من المرَكَّب بالثنائىّ والثلاثىّ،ثم بالرباعىّ، ثم بالخماسىّ؛ فإن هذه هى أمثلة الأسماء والحروف الأصلية،وأن يعتمد فى التمثيل علىٰ توقيف المَهَرة فى الخطوط،العارفين بأوضاعها ورسومها وآستعمال آلاتها، فإن لكل خط من الخطوط قَلَما من الأقلام يصلُح لذلك الخط؛ وهذه الأقلام المختلفة نظير آلات الصنائع المختلفة التى يصنع الصانع بكل آلة منها جزءا من صِنَاعته لا يصنع به غيره؛ولا يعوّل علىٰ كتابة خط من الخطوط بنقل مثاله بنفسه فإن ذلك لا يكفيه،إذ لو كان ذلك كافيا لآستُغْنى فى جميع الصنائع عمن يُوَقِّف عليها.علىٰ أن كثيرا من أصحاب الخطوط قد كتبوا طبعا دون التوقيف من أحد علىٰ طريقة من طرق المحرّرين،إلا أن الأفضل أن يبنىٰ الخطُّ علىٰ أصل يكون له أساسا، فإذا فُصِّلت أحواله آنكشف فسادُ كثيرٍ من حروفه.

الطرف السادس

(فى قواعِدَ تتعلق بالكتابة،
لا يَستغنِى الكاتب المُجِيد عن معرفتها؛وفيه جملتان)

الجملة الأولى

(فى هندسة الحروف،ومعرفة آعتبار صحتها ونحن نذكرها علىٰ ترتيب الحروف)

الألف

قال الوزير أبو علىّ بن مقْلَةَ : وهى شَكْل مركّب من خطٍّ منتصب، يجب أن يكون مستقيما غير مائل إلىٰ آستلقاء ولا آنكباب . قال : وليست مناسِبةً لحرف فى طُول ولا قصَر .

قال الشيخ شرف الدين محمد بن الشيخ عز الدين بن عبد السلام : وهى قاعدة الحروف المفردة، وباقى الحروف متفرّعة عنها ومنسوبة إليها .

ثم الذى ذكره صاحب "رسائل إخوان الصفا" فى رسالة الموسيقىٰ، عند ذكر حروف المعجم ٱستطرادا أن مساحتها فى الطول تكون ثمانَ نُقَط من نُقَط القلم الذى تكتب به ليكون العرض ثُمُن الطُّول .

والذى ذكره الشـيخ شرف الدين محمد بن الشيخ عز الدين بن عبد السلام : أنها مقدّرة بست نقط .

والذى ذكره الشـيخ زين الدين شـعبان الآثارىّ فى ألفيته أنهـا مقدّرة بسبع نقط، فمـا زاد علىٰ ذلك كان زائدا عن مقدارها وما نقص كان ناقصا عنه .

قال ٱبن عبد السـلام : وتكون النقطة مربعة . قال : ويكون ٱبتداؤها بنقطة وآخرها بشَظِيَّة .

قال ٱبن مقلة : وٱعتبارها أن تخط إلىٰ جانبها ثلاث ألِفات أو أربع ألِفات فتجد فضاء ما بينها متساويا .

قال ٱبن عبد السلام : وتكون تلك الألفاتُ المخطوطةُ إلىٰ جانبها مناسِباتٍ لهـا فى الطول متساوياتِ الرءُوس والأذناب .

البـاء

قال ٱبن مقلة : هى شـكلٌ مركّب من خطين : منتصبٍ ومنسطح . قال : ونسبته إلىٰ الألف بالمساواة .

قال ٱبن عبد السـلام : ويكون المنتصب طولُه بمقدار ثُلثِ ألِفِ خطِّه . قال ويُبْدأ أوّلُه بنقطة، وكذلك آخره إن كان مُرْسَلا، فإن كان معطوفا فليكُنْ بسِنّ القلم

اليسرىٰ، والمستدير فيه مثل المنتصب، ولكن يكون المنتصبُ أرجَحَ من المستديرَ بنَزْرٍ يسير؛ وتكون السِّنَّة المبتدأُ بها مترجِّحةً فى الطُّول علىٰ آخرها المعطوفِ .

قال ٱبن مقلة : وٱعتبارُ صحَّتها أن تزيد فى أَحَدِ سِنَّيْها أَلِفا فتصير لاما . وزاد ابن عبدالسلام فى إيضاحه فقال : أن تزيد المنتصب تكملة ألف بحيث يكون طول جملته كطول المنسطح لا أطولَ ولا أقْصَر. ثم قال : وهذا الحرف وما يَجْرِى مَجْراه من يَمْنة إلىٰ يَسْرة، وكلُّ ما كان كذلك فينبغى أن يمال القلم فيه نحو اليَسْرة قليلا .

ولا يخفىٰ أن التـاء والثـاء فى معنىٰ الباء فى ذلك جميعه .

الجـيم

قال ٱبن مقلة : هى شكل مركَّب من خَطَّيْن : مُنْكَبٍّ ونصف دائرة، وقُطْرها مساوٍ للألف . وأبدل ٱبن عبد السلام المُنْكَبَّ بالمُنْسطِح . ثم قال : والمنسطح كثلثَىْ ألِفٍ من خطه، وربما يكون أنقَصَ بنُقْطة . قال : ومساحة نصف الدائرة كألِفٍ ونصفِ ألِفٍ من قلم الكتابة، ورأسُها يكونُ من يَسْرةٍ إلىٰ يَمْنةٍ علىٰ ٱستقامةٍ تقريبا، وكلُّ ما كان كذلك ينبغى أن يمال برأس القلم فيه إلىٰ اليَمْنة قليلا، يُبْدأ أوّله بشَظِيَّة بالسِّنّ اليمنىٰ من القلم، وآخر تَعْرِيجها بالسِّنّ اليُسرىٰ منه .

قال ٱبن مقلة : وٱعتبارُ صحتها أن تخُطَّ عن يمينها وشِمالها خطَّيْن فلا تنقص عنهما شيئا يسيرا ولا تخرج .

وقال ٱبن عبد السلام : وٱعتبار صحة رأسها أن تكتُبه من يَسْرة إلىٰ يَمْنة علىٰ ٱستقامةٍ تقريبا. قال : وحسْنُها أن تَخْفِضها من الجهة ايمنىٰ قليلا؛ وميزانُها أن تُسطِّر سطرا وتأخذ عليه من يَسْرة إلىٰ يَمْنةٍ مقدارَ ثُلُثَىْ ألِفٍ من قلم الكتابة، بحيث لا يرتفع

أوّلهـا عن آخرِها إلاّ يسيرا، ولا آخرُها عن أوّلها بل تكون منسبكة فيه . وٱعتبار نِصف الدائرة أن تقابله بنصف آخر فيصير دائرة . ثم قال : وليَقْصِد أن يجعل رأسَ الجيم ســواءً آخذا ٱبتداء الدائرة فى جسد ثلث الرأس، منسبكا فيه ، بحيث يكون الثلث ضِلعًا واحدا .

ولايخفىٰ أن الحـاء والخـاء فى معنىٰ الجيم فى جميع ماتقدّم .

الدال

قال ٱبن مقلة : هى شَكْل مركَّب من خطين : منكَبٌّ ومنسطح، مجموعهما مساوٍ للألف . وجعل ٱبن عبدالسلام منها شكلا آخَرَ مركّبًا من ثلاثة خطوط : منكَبٌّ، ومُنْسطح، ومستدير . وكأنه يريد الدال المجموعة . ثم قال : فالمنكب طوله بمقدار نصف ألِف خطِّه لاغيرُ، وكذلك المنسطح . وٱبتداء أوّلها بنقطة، وآخرها إن كان مرسلا بقَطَّة، وان كان معطوفا بسِنّ القلم اليُسْرىٰ .

قال ٱبن مقلة : وٱعتبار صحتها أن تصل طَرَفيها بخطٍّ فتجده مثلَّثا متساوى الأضلاع .

ولا يخفىٰ أن الذال فى معنىٰ ماتقدّم .

الراء

قال ٱبن مقلة : وهى شكْلٌ مركّب من خطٍّ مقوَّس هو ربع الدائرة التى قُطْرها الألف وفى رأسه سِنَّة مقدّرة فى الفكر .

قال ٱبن عبد السلام : وتبدأ أوّلهـا بنقطة، وآخرها إن كان مُرْسَلا فبسنّ القلم اليمنىٰ، وإن كان معطوفا فبسنّه اليسرىٰ .

قال ٱبن مقلة : وٱعتبار صحتها أن تَصِلها بمثلها فتصير نصفَ دائرة .

ولا يخفىٰ أن **الزاى** فى معناها .

السين

قال ٱبن مقلة : وهو شكلٌ مركَّب من خمسة خُطُوط : منتصبٍ ، ومقوَّس ، ومنتصبٍ ،ومُقَوّسٍ ،ثم مُقَوَّس .

قال ٱبن عبد السلام : ومساحة رأس السين من أول سِنّ منها إلىٰ ثالث سِنّ كثُلُثَيْ ألِف خطِّه . قال : ومساحةُ قَوْسها إن كان معطوفا مساحةُ ألف من خطه ، و إن كان مُرْسَلا مساحةُ ألفين من خطه . وطول كل سِـنَّة مثلُ سُدُس ألف خطه ، يُبْدأ أوّلهـا بنقطة ، أما آخرها فإن كان مرسلا فبسنّ القلم اليمنىٰ ، و إن كان معطوفا فبسِـنِّه اليسرىٰ . قال : و إذا ٱبتدأت بالسِّنَّة وطلعت إلىٰ الثانية فخُذ إلىٰ الثالثـة من أعلاها ليصير بياض من أسفلها ، فإنك متىٰ أخذت رأس سِنَّة من أسفلها صار أسفلها مصطحبا ،و يكون البياض الذى بين السنات علىٰ السوية فى البياض .

قال ٱبن مقلة : وٱعتبار صحتها يعنى صحة رأسها أن تُمِرّ بأعلاها وأسـفلها خطين فلا تخرج عنهما شيئا ولا تنقص .

ولا يخفىٰ أنّ حكم **الشين** أيضا كذلك .

الصـاد

قال ٱبن مقلة : هى شكل مركب من ثلاثة خطوط : مقوَّس ،ومنسَطِح ،ومقوَّس .

قال ٱبن عبد السلام : وٱبتداؤه بشَطِيَّة، أما ٱنتهاؤه فإن كان مرسلا فبسنّ القلم اليمنىٰ، وإن كان معطوفا فبسنه اليُسْرىٰ . قال : ومساحة رأس الصاد فى الطول كُثُلُثَىْ ألِف خطه ، ومساحةُ قوسِها إن كان معطوفًا مساحةُ ألِف الكِتابةِ ؛ وإن كان مرسلا فمساحة ألفين من قلم خطه .

قال ٱبن مقلة : وٱعتبار صحتها أن تجعلها مُرَبَّعة فتصير متساويةَ الزَّوايا فى المِقْدار.

وقال ٱبن عبد السلام : ٱعتِبار صحتها أن يكون أعلاها كراء معلَّقة ، والمنسطح كباء، والمقوّس كنون، ويكون رأس النون مُشْرِفا علىٰ آخرها .

ولا يخفىٰ أن **الضاد** كذلك .

الطـاء

قال ٱبن عبد السلام : هو شكلٌ مركّب من ثلاثة خطوط : منتصبٍ، ومقوّسٍ، ومنسطِح ، يبدأ أوّلُه بنقطة وآخره بنقطة . قال : ومساحة ضَوْء الطاء فى الطول كثُلثَى ألِف خطِّه .

قال ٱبن مقلة : وٱعتبارها كٱعتبار (1) .

وقال ٱبن عبد السلام : ٱعتبار صحتها أن يكون المنتصب كألف من خطه فى الأنتصاب والطول، والمقوّس كراء معلقة ، والمنسطِح كباء مرسلةٍ .

ولا يخفىٰ أن حكم **الظـاء** فى ذلك كالطاء .

---

(1) بياض فى الأصل بقدر كلمة .

العين

قال ٱبن مقلة : وهى شكلٌ مركّب من خطين : مقوّسٍ ومنسطحٍ أحدهما نصف الدائرة .

وقال ٱبن عبدالسلام : هى شكل مركب من ثلاثة خطوط : مقوّس[(١)]، ومنكب ، يبدأ أوّلها بشظِيَّة ، وآخر تعريجها بسنّ القلم اليسرىٰ ، والتعريجة نصف دائرة ؛ ومساحة القوس كألِفٍ وثلث من قلم الكتابة ، ومساحة الرأس فى الطول كثلثَىْ ألِف خطه ، ويصوّر من رأسها رأس صاد .

قال ٱبن مقلة : وٱعتبار صحتها كٱعتبار الجيم .

وقال ٱبن عبدالسلام : ٱعتبارها أن تخط عن يمينها خطا من أعلاها إلىٰ منتهىٰ تعريجها فلا يقصر ظهر القوس عن يسارها يسيرا بنقطة تكون سدس ألف خطها لا غير .

ولا يخفىٰ أن الغين فى الحكم كذلك .

الفاء

قال ٱبن مقلة : هى شكلٌ مركّب من أربعة خطوط : منكبٌّ ، ومستَلْقٍ ، ومنتصب ، ومنسطح .

قال ٱبن عبد السلام : تبدأ أوّله بنقطة وتأخذه علىٰ سطر إلىٰ جهة اليسار ، ثم تأخذ المستلق إلىٰ أن تنتهِىَ إلىٰ قُبالة المنسطح بحيث يصير كالدال المقلوبة ، ثم

---

(١) لعله مقوّسين . وفى الأصل تضبيب إشارة إلىٰ التوقف .

تأخذ من حيث آنتهيت إلىٰ أن تَلْصَق بالمنسطح فيبقىٰ مثلَّثا متساوىَ الأضلاع، مساحةُ ضوئه نقطةٌ بمقدارِ سدسِ ألِف خطِّه، ثم إن كان معطوفا ختمته بسِنِّ القلم، وإن كان مرسلا فبقطته .

قال آبن مقلة : وآعتبار صحته أن تصل بالخط الثانى منها خطا فيصير مثلَّثا قائم الزاوية .

القـاف

قال آبن مقلة : هو شكل مركَّب من ثلاثة خطوط : منكَبٍّ، ومستلقٍ، ومقوّس .

قال آبن عبد السلام : هو مركب من أربعة خطوط، رأسها كرأس الفاء سواء بجميع ماتقدّم، وإرسالُها كالنون علىٰ ماسيأتى ذكره، فإن كان آخرها معطوفا فبسنِّ القلم اليسرىٰ، وإن كان مرسلا فبسنِّه اليمنىٰ . قال : ومساحة ضوء القوس من أوّله إلىٰ آخره إن كان معطوفا كألِف قلم الكتابة، وإن كان مرسلا فكألفين .

قال آبن مقلة : وآعتبار صحتها كآعتبار النون، وسيأتى ذكره .

الكاف

قال ابن مقلة : شكلٌ مركَّب من أربعة خطوط : منكبٍّ، ومنسطِحٍ، ومنتصبٍ، ومنسطِحٍ .

وقال آبن عبد السلام : وهو مركَّب من أربعة خطوط، مستَلْقٍ، ومنسطحٍ، طوله مقدارُ ألِف وثلُث ألف من قلم الكتابة، ومنكبٍّ طوله مقدار ثلث ألف

من خطه ، ومنسطحٍ ، طوله مقدار ألفين من خطه ، يفصل منتهىٰ المنسطح ما بين المنسطحين .

قال : ولك أن تزيد الأسفل عن رأس الكاف بمقدار ثُلث ألِف الكتابة بسبب مايتصل به ، فيصير فضاءُ مابين ما ٱتصل بآخرها إلىٰ رأس الكاف مثلَ الفضاء الذى بين المنسطِحين .

قال : ولا يجوز أن تُكتب مختَلسةً إذا لم يتصل آخرُها بحرف ، بل إذا كانت آخر كلمة تكتب منتصبةً قائمةً لا غيرُ ، وتكتب إذا كانت منتصبة كاللام علىٰ ماسيأتى بيانه .

قال : وتبدأ أوّلها بشظِيّة فإذا ٱنتهيتَ إلىٰ ٱتصال رأسها بالمنسطح تشير بتدويرها دون تحديدها .

قال ٱبن مقلة : وٱعتبار صحتها أن ينفصل منها ياءان . قال ٱبن عبد السلام : يعنى مستقيمةً ومقلوبةً .

اللام

قال ٱبن مقلة : هى شكل مركَّبٌ من خطين : منتصبٍ ، ومنسَطِح .

قال ٱبن عبد السلام : فالمنسطح ألف والمنتصب ياء ؛ فإن كان معطوفا فبسِنِّ القلم اليسرىٰ ، وإن كان مرسلا فبقَطِّه .

قال ٱبن مقلة : وٱعتبار صحتها أن تُخْرِج من أوّلها إلىٰ آخرها خطا يُمَاسُّ الطرفين فيصير مثلّثا قائمَ الزاوية .

قال : وتكتب علىٰ الأنواع الثلاثة التى تكتب عليها الباء .

المــــيم

قال ٱبن مقلة : هى شكل مركَّب من أربعــة خطوط : مُنْكَبٍّ، ومســتَلْقٍ، ومنسطِح، ومُقوَّس .

وقال ٱبن عبدالسلام : مركَّب من أربعة خطوط : منكبٍّ، ومقوَّس، ومستلق بتقويس، ومقوّس كالراء يكون ربع دائرة؛ فإن كان آخرها منتصـبا فهو فى الوضع والطُّول مثل ألفٍ من خطه غير مائل إلىٰ ٱستلقاء ولا ٱنكباب،تبدأ أوّل الميم بشَظِيَّة وآخرها بشَظِيَّة .

قال : ومساحةُ ضوئها مثل سدُس ألفِ خطِّها؛ وهو مستطيلٌ مستدير كالبيضة منتصب إلىٰ جهة اليمين .

قال ٱبن مقلة : وٱعتبارها كٱعتبار الهاء، وسيأتى .

النون

قال ٱبن مقــلة : هو شكل مركَّب من خطٍّ مقوّس، هو نصف الدائرة؛ وفيه سِنة مقدّرة فى الفكر .

قال ٱبن عبد الســلام : يبدَأُ أوّلُه بنقطة، وآخره إن كان معطوفا فبسِنِّ القــلم اليسرىٰ ومساحة ضوئه ألف من قلم خطه، وإن كان مُرْسَــلا فبسنّ القلم اليمنىٰ، ومساحة ضَوْئه ألفان من قلِم خَطِّه .

قال ٱبن مقلة : وٱعتبار صحتها أن يُوصَل بها مثلها فتكون دائرةً .

الهاء

قال ٱبن مقلة : هى شكل مركّب من ثلاثة خطوط ، منكبٍّ ، ومنتصبٍ ، ومقوّس .

وقال ٱبن عبد السلام : من ثلاثة خطوط ، منكبٍّ ، ومنسطح بترطيب ، ومستلقٍ ؛ تبدأ أوّلها بنقطة وآخرها إرسالة بسنّ القلم اليمنى ؛ طول المنكبّ كطول نصف ألف من خطه ، وطول المنسطح كثلث ألف من خطه ، وطول المستلقى كنصف ألف قلم خطه .

قال ٱبن مقلة : وٱعتبار صحتها أن تجعلها مربّعة فتتساوى الزاويتان العُلْياوان كتَساوِى الزاويتين السُّفْلاوَيْنِ .

وقال ٱبن عبد السلام : ٱعتبار صحتها أن تجعل ردّتها فى ثلثيها ، فاذا كمل وضعها فاجعلها مربعة فتتساوى الزاويتان العاليتان والزاويتان السافلتان .

الواو

قال ٱبن مقلة : هى شكل مركّبٌ من ثلاثة خطوط : مستلقٍ ، ومنكَبٍّ ، ومقوّس .

وقال ٱبن عبد السلام : هى مركّبة من أربعة خطوط ، رأسها كرأس الفاء ، وتقويسها كالراء ، وهو ربع دائرة ؛ تبدأ أوّلها بنقطة ، وآخرُها إن كان معطوفا فبسنّ القلم اليسرى ، وإن كان مرسلا فبِسنّه اليمنى .

اللام ألف

قال ٱبن عبد السلام : هى شكل مركّب من ثلاثة خطوط : منكبٍّ ،ومنسطِح مستقيم،ومستلق؛طول المنكبِّ كطول ألفٍ من قلم الكتابة،وطول المنسطح كثلثى ألف الكتابة،وطول المستلق كطول ألف الكتابة؛تبدأ أوّلَ المنكبِّ بنقطة، وكذلك المستلق .

قال : وٱعتبار صحتها أن يكون ثلثها من أسفلها والثلثان من أعلاها، وأن تخط من رأس اللام إلىٰ رأس الألف خطا مسـتقيما، وأن تخط من أعلاها إلى أسفلها خطا فلا يقصر عنها ولا يخرج.

قال : ومنها نوع آخر مركب من ثلاثة خطوط : منكبٍّ ، ومسـتديرٍ يقارب ألفا، ومستلق يقابل طرفه طرف المُنْكَبِّ .

اليـاء

قال ٱبن مقلة : شكْل مركّب من ثلاثة خطوط، مستلقٍ، ومنْكَبٍّ، ومقوّس.

قال ٱبن عبْد السلام : وهى كالنون؛ وتبدأ أوّلها بشَـظِيَّة رأسها كدال مقلوبة، طول المستلق منها كنصف ألفٍ من خطه، وكذلك المنكَبُّ علىٰ ماتقدّم فى الدال.

قال : والمقوّس إن كان معطوفا فمساحته كألِفٍ من خطّه وآخره بسِنِّ القلم اليسرىٰ وإن كان مرسَلا فمساحته كألفين من خطه وآخره بسنِّ القلم اليمنىٰ .

قال : ومنها نوع كرأس الكاف المستلق والمنسطحُ سواءٌ .

قال ٱبن مقلة : وٱعتبارها كٱعتبار الواو .

الجملة الثانيــــة

(فى معرفة مايقع به ٱبتداء الحروف وٱنتهاؤها : من نُقْطة أو شظيَّة أو غير ذلك)

أما الأبتداء فعلى ثلاثة أضرب .

الضرب الأوّل

(ما يبتـــدأ بنقطة ،وهو تسع صور[1])

صورة البـاء وأختيها ، وصورة الدال وأختها ، وصورة السـين وأختها ، وصورة اللام ، وصورة النون ، وصورة العين وأختها . وقد جمعها السَّرَّمَرِّىُّ فى أُرْجوزته فى أوائل كلمات بيتٍ واحد ، وهو قوله :

إذا بَدَتْ دَعْدٌ رَقَا سَنَاها * لعاشِقٍ ناحَ على هَوَاها

على أن الشيخ شرف الدين بن عبد السلام قد وَهِم فعدّ منها الفاء ، وليس كذلك بل هى مما يبتدأ بجلفة[2] على ماسيأتى ذكره .

الضرب الثـانى

(ما يبتدأ بشــظيَّة ،وهو صُوَر خمسة أحرف)

الحـاء ، والطـاء ، واليـاء ، والصـاد ، والكاف

وقد جمعها السرمرىُّ فى قوله : "خطى يصك" .

وجعل ٱبن عبد السلام الخمسة

الغين ، والطـاء ، والحـاء ، والكاف ، والصـاد

---

(١) لم يصل العدد إلى التسع ولعله سبع وسقطت صورة الراء وأختها كما يظهر بالتأمل فى بقية الأضرب .

(٢) لعله بحلقة .

وجمعها فى قوله : "غط خصّك" وألحق بها أشباهها .

الضرب الثـالث

(مايبتدأ بجلفة[1] . وهو صور أربعة احرف)

القـاف ، والمـــيم ، والواو ، والفـاء

وقد جمعها السرمرىّ فى قوله : "قُمْ وفِّ" .

وأما الاختِتام فعلىٰ ثلاثة أضرب أيضا :

الضرب الأوّل

(ما يختتم بقطّة القلم . وهو صور ستة أحرف)

الطـاء ، والفـاء ، والبـاء ، واللام ، والدال ، والكاف

وجمعها ابن عبدالسلام فى قوله : "دَبَّ طِفْلك" ولا يخفى أن أخواتها فى معناها .

الضرب الثـانى

(مايختتم بشظيّة ، وهو صورة واحدة)

وهى الألف

الضرب الثـالث

(مايرسل فى ختمه إرسالا ، وهو صورة أحدَ عشرَ حرفا ، وهى)

السين ، والراء ، والحـاء ، والمـيم ، والنون ، واليـاء ،

والعين ، والقـاف ، والصاد ، والواو ، والهـاء .

---

(١) لعله بحلقة .

يجمعها قولك "سرح منيع وقصه" .

الطـــرف السابع

(فى مقدّمات تتعلق بأوضاع الخط وقوانين الكتابة، وفيه ثلاث جمل)

الجملة الأولى

(فى كيفية إمساك القَلَم عند الكتابة ، ووضعه على الوَرَق)

قال الوزير أبو علىّ بن مقلة رحمه الله : يجب أن تكون أطراف الأصابع الثلاث: الوُسْطى والسبَّابة والإبهام على القلم، و إلى ذلك يشير أبو تَمَّـام الطائىّ بقوله :

وسدّت * ثلاثَ نَوَاحِيهِ الثَّلاثُ الأنامِلُ *

أما قول القائل فى وصف القلم أيضا :

وَذِى عَفَافٍ راكِعٍ ساجِد * أخُو صَلاحٍ دَمْعُه جارِى
مُلَازِمُ الخَمْسِ لِأوقاتِهَـا * مُجْتَهِـدًا فى طاعة البارِى

يريد بالخمس الأصابعَ الخمسَ، فإنه على سبيل المجاز، من باب مجاز المجاورة .

قال الشيخ عمـاد الدين بن العفيف : وتكون الأصابع مبسوطةً غير مقبوضة ، لأن بسـط الأصابع يتمكن الكاتب معه من إدارة القلم ؛ ولا يتكئ على القلم الاتكاء الشديد المُضْعف له ؛ ولا يمسكه الإمساك الضعيف فيضعف اقتدارُه فى الخط ، لكن يجعل اعتماده فى ذلك معتدلا .

وقال حنون : إذا أراد الكاتب أن يكتُب فإنه يأخذ القلم فيتكِئ على الخِنْصر، و يعتمد بسائر أصابعه على القلم ، ويعتمد بالوُسْطى على البِنْصر، و يرفع السـبَّابة على القلم ، ويُعْمِل الإبهام فى دَوَرانه وتحريكه .

قال آبن مقلة : ويكون إمساك القلم فُوَيْق الفتحة بمقدار عَرْض شعيرتين أوثلاثٍ ؛ وتكون أطراف الأصابع متساويةً حولَ القلم لاتفضُل إحداهن على الأخرى .

قال صاحب "الحلية" : وتكون الأصابع على القلم منبسطة غير منقبضة ليتمكّنَ من إدارة القلم ، ولا يدار حالة الآستمداد .

قال آبن العفيف : وعلى حسب تمكُّن الكاتبِ من إدارة قلمه وسرعة يَدِه فى الدَّوَران يكون صفاء جوهر حروفه .

الجملة الثانيــــة

(فى كيفية الآستمداد ، ووضع القلم على الدَّرْج)

أما الآستمداد فهو أصــل عظيم من أصول الكتابة . وقد قال المقرّ العــلائىّ بن فضل الله : من لم يُحْسِن الآستمدادَ وبَرْىَ القلم فليس من الكتابة فى شىء .

قال الشــيخ عماد الدين بن العفيف : واذا مدّ الكاتب فليكن القلم بين أصابعــه على صورة إمساكه له حين الكتابه ، ولا يديره للآستمداد : لأن أحسن المذاهب فيه أن يكون من يد الكاتب على صورة وضعه فى الكتّاب ، ويحرّك رأس القلم من باطن يَده إلى خارجها فإنه يمكن معه مقام القلم على نصبته من الأصــابع ، ومتى عدل عن هذا لَحِقتْه المَشَقَّة فى نقل نَصْبة الأصابع فى كل مَدّة .

قال : وهــذا من أكبر ما يحتاج إليه الكاتب ، لأن هــذا هو الذى عليه مَدَار جَوْدة الخط .

ثم قال : وقَلَّما يُدْرِك علم هذا الفصل إلا العالِمُ الحاذق بهَنْدَسة الخط ، مع مايكون معه من الأَنَاة وحسن التأدية .

ومن كلام المقرّ العلائىّ بن فضل الله : ينبغى للكاتب أن لا يُكْثِر الاستمداد بل يمدّ مَدًّا معتدلا ، ولا يحرّك اللِّيقة من مكانها ، ولا يعثر بالقلم فإن ذلك عيب عند الكُتَّاب ، ولا يردّ القلم إلى اللِّيقة حتّى يستوعبَ مافيه من المَداد ، ولا يُدْخِل منه الدواةَ كثيرا ، بل إلى حدّ شقِّه ، ولا يجاوز ذلك إلى آخر الفتحة : ليأمن تسويد أنامله ، وليس ذلك من خصال الكُتَّاب .

وأما وضع القلم على الدَّرْج فقال أبو علىّ بن مُقلةَ : ويجب أن يكون أوّلَ ما يُوضَع على الدَّرْج موضعَ القطة منكبًّا .

الجملة الثالثة

(فى وضع القلم على الأُذُن حالَ الكتابة عند التفكر)

قال محمد بن عمر المدائنى : يُستحبُّ للكاتب فى كتابته إذا فكَّر فى حاجة أن يَضَعَ القلم على أُذُنه ، وساق بسنده إلى أنس بن مالك رضى الله عنه أنّ معاوية بنَ أبى سُفيان كان يكتب للنبىّ صلى الله عليه وسلم ، فكان إذا رأى من النبىّ صلى الله عليه وسلم إعراضا وضَعَ القَلَمَ فى فيه ، فنظر إليه النبىّ صلى الله عليه وسلم وقال : "يا مُعاويةُ إذا كُنْتَ كاتِبًا فَضعِ القَلَمَ على أُذُنِكَ فإنَّهُ أذْكَرُ لَكَ ولِلمُمْلِى" .

وساق بسنده أيضا إلى زيد بن ثابت رضى الله عنه أنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم نَظَر إليه وهو يَكْتُب فى حَوائجه فقال له : "ضَعِ القَلَمَ على أُذُنِكَ فإنَّهُ أذكَرُ لكَ" .

وأخرج أيضا من رواية أنس بن مالك رضى الله عنه أنه قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وسلم لكاتبه "ضَعِ القَلَمَ على أُذُنِكَ يَكُنْ أذكَرَ لَكَ" .

وفى رواية عن أنس : "كان معاويةُ كاتبًا للنبىّ فرآه يومًا قد وَضَعَ القَلَمَ على الأرض فقال : يامعاوية إذا كَتَبْتَ كاتبًا فضعِ القَلَمَ على أُذُنِك" .

وأخرج أيضا "أن كَعْبا كان يتحدّث عند عائشةَ ، فذكر إسرافيلَ فقال : له جَناح بالمَشْرِق وجَناح بالمغرب وجَناحٌ مُسَرْبَل به والقَلَمُ علىٰ أُذُنِه فإذا نزلَ الوَحْىُ جرىٰ القلَمُ ودرَسَتِ الملائكةُ . فقالت عائشةُ : هكذا سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم".

الطرف الثـامن (١)

(فى ذكر قوانينَ يعتمدها الكاتبُ فى الخط ، وفيه ستُّ جمل)

الجملة الأولىٰ

(فى كيفية حركة اليد بالقلم فى الكتابة ، وما يجب أن يُراعىٰ فى كلِّ حرف)

قال السَّمَرَّىّ وآبنُ عبد السلام وغيرهما : كلُّ خط منتصب ينبغى أن يكون الآعتماد فيه من القلم علىٰ سِنَّيْه معًا ، وكل خط من يَمْنةٍ إلىٰ يَسْرةٍ ينبغى أن يمال القلم فيه نحو اليَسْرة قليلا ، وكل خط من يَسْرةٍ إلىٰ يَمْنة ينبغى أن يُمَال رأسُ القلم فيه إلىٰ اليَمْنة قليلا ، وكل شظِيَّة ينبغى أن تكون بالسِّنّ اليمنىٰ من القلم ، وكل نُقْطة ينبغى أن تكون بسِنَّىِ القلم ، وكل تقعير كما فى النون وتعريقة الصاد يجب أن تكون بالسنِّ الأيمن وكل إرسالة يجب أن تكون بسنّ القلم اليمنىٰ ، وكل تعريج كما فى عراقة الجيم والعين يجب أن يكون بسنِّ القلم اليُسْرىٰ ، وكل ما أُخِذ فيه من يَمْنة إلىٰ يَسْرة كاللام ونحوها ينبغى أن يُمـال فيه رأسُ القلم إلىٰ اليَسْرة قليلا ، وكل ما أُخِذ فيه من يَسْرةٍ إلىٰ اليمنة كرأس الجيم ينبغى أن يُمال رأسُ القلم فيه إلىٰ اليَمْنة قليلا ، وكلُّ خط منتصبٍ فيجب أن يكون آنتهاؤه إرسالة ، وطول كل سنة من السين ونحوها مثل سُدُس ألِف خطها ، وقيل مثل سبعه ، وكلُّ شظية فى أوّلٍ أو آخرٍ مثلُ سُبع ألِف خطِّها .

قال الشيخ عماد الدين بن العفيف : وللسِّنِّ الأيمن من القلم الألفُ واللام ورَفعة الطاء والنون والباءُ والكافُ إذا كانت قائمة مبتدأة ، وأواخر التعريقات والمَدّات

(١) تقدم أن الأطراف سبعة فهذا زائد عليها .

وطبقة الصاد والضـاد، ومدّة السين والشين؛ وللأيسر الجيمُ وأختاها والرّدّات وتدوير رءُوس الفاءات والقافات والهاءات والواوات والكافات المشقوقة .

قال : وكل ردّة من اليسار إلىٰ اليمين تكون بصَدْر القلم .

قال : ويجب أن تكون المَطَّات الطويلة بسِنِّ القلم اليمنىٰ مُشَظَّاةً ممـالة، فتكون المَطَّة من رأس شَظِيَّتها، وأن تُكتب المَدّات القصيرةُ بحرف القَلَم؛ وإذا ٱبتدأ بالمَدّة وجب أن يُدار القلمُ علىٰ سِنِّه مثل مَطَّة الطاء؛ وإذا وُصِلت المطَّةُ بحرفٍ مثلِها كُتبت بوجه القلم مثل مَطَّة الفاء المفردة . ثم قال : وهذا من أعظم أسرار الكتابة .

الجملة الثـانيـــة

(فى تناسُبِ الحروف ومقاديرها فى كل قلم)

قال صاحب "رسائل إخوان الصفا": فى رسالة المُوسيقىٰ منه : ينبغى لمن يَرْغَب أن يكون خطُّه جيِّـدا وما يكتُبه صحيحَ التناسُب، أن يَجْعلَ لذلك أصلاً يَبْنِى عليه حروفَه : ليكون ذلك قانوناً له يرجع إليه فى حروفه، لا يتجاوزه ولا يُقَصِّر دُونَه .

قال : ومثال ذلك فى الخطِّ العربىِّ أن تخط ألِفا بأىِّ قلم شِئْتَ، وتجعل غِلَظَه الذى هو عَرْضه مناسبًا لطُوله وهو الثمن : ليكون الطُّولُ مثلَ العَرْض ثمانَ مرَّاتٍ . ثم تجعلُ البركار علىٰ وَسَـط الألف وتُدير دائرةً تحيط بالألف لا يخرُج دَوْرُها عن طرفَيْه، فإن هـذا الطريق والمَسْلَك يُوصِّلان إلىٰ معرفة مقادير الحروف علىٰ النسبة، ولا تحتاج فى مقايسك ما تقصده إلىٰ شىء يخرج عن الألف وعن الدائرة التى تحيط به .

فالباء وأخواتها : كل واحدة منها يجب أن يكون تسطيحُها إذا أضيفَتْ إليه سنُّها مساويا لطول الألف، فإن زاد سَمُج وإن قَصُر قَبُح ؛ ومقدار ٱرتفاع سِـنِّها وجميع

السنن التى فى السين والشين ونحوها لا يتجاوز مقدار ثمن الألف . والجيمُ وأخواتُها مقدارُ مدَّتها فى الابتداء لايقصُر عن نصف طُول الألف .

وكذلك يجرى الأمر فى العين، والغين، والسين، والشين، والصـاد، والضاد، والراء والزاى : كل واحدة منها مثل ربع محيط الدائرة؛ والدال، والذال كل واحدة منهما يجب أن يكون مقدارها إذا أُزيل الانثناء الذى فيهـا وأعيدت إلىٰ التسطيح لايتجاوز طول الألف ولا يقصر دونه .

والسين، والشين : كلُّ واحدة منهما يجب أن تكون سِنَنُها إلىٰ فوقُ مثلَ مقدار ثمن الألف، وفى العرض بمقدار نصفها، وفى التعريق مثل نصف الدائرة المحيطة بالألف .

والصاد، والضاد : مقدار عَرْض كلٍّ منهما فى مَدَاها مثلُ مقدار نصف الألف وفتحة البياض فيها مقدارُ ثمن الألف أو سدسها، وتعريقها إلىٰ أسفل مثل نصف الدائرة المحيطة بالألف .

والطاء، والظاء : كلُّ واحدة منهما فى ناحية يجب أن يكون مقدارُه مثـلَ مقدار جميع طول الألف وعرضُه مثلَ نصف الألف .

والعين، والغين كلُّ واحد منهما مقدارُ تقويسه فى العَرض مثـلُ نصفِ الألف أو مثلُ الألف إذا أعيدت إلىٰ التسطيح وأزيل تثنِّيه، وتقويسُه من أسـفل مثلُ نصفِ محيط الدائرة .

والفاء : يجب أن يكون تسطيحُه إلىٰ قُدَّام بعـد الطالع منه من فوق مثلَ طول الألف .

وحَلْقته وحلقة الواو والميم كلُّها إلىٰ فوقُ مثلُ سدس الألف، وإلىٰ أسفل فى الميم .

والواوُ : مثلُ الراء . والقاف تقويسُها من فوقُ ينبغى أن يكون مثلَ سُدُس طول الالف، وتعريقها مثل مقدار نصف الدائرة .

والكاف : ينبغى أن يكون الأعلىٰ منها طولَ الألف ، وفتحةُ البياض التى داخِلَه مثلَ سدس طول الألف ؛ وتسطيحه من أسفل مثلُ أعلاه وكسرته إلىٰ فوق مثلُ نصف طول الألف .

واللام : يجب أن يكون مقدارُ طُول قائمتها مثلَ الألِف ، ومدّتها إلىٰ قدّام مثل مقدار نصف الألف .

والنون : يجب أن يكون مقدارُه مثلَ نصف محيط الدائرة .

واليـاء : ينبغى أن يكون مَبْدؤه دالا مقلوبةً لا تجاوز مقدار طُول الألف ، وتعريقها إلىٰ أسفلَ مثلُ نصف محيط الدائرة .

ثم قال : وهذه المقادير وكميةُ نسبة بعضها إلىٰ بعض هو ماتوجبه قوانينُ الهندسة والنسبة الفاضلة ، إلا أن مايتعارفه الناس و يستعمله الكُتَّاب علىٰ غير ذلك .

وقد أشار الشيخ عمادالدين بن العفيف إلىٰ ضوابط فى ذلك علىٰ ماتقتضيه أوضاع الكُتَّاب يجب الوقوف عندها فقال : وٱعلم أنّ مقادير الحروف متناسبةٌ فى كل خط من الخطوط .

وٱعلم أن صاحبنا الشـيخ زين الدين شـعبان الآثارىّ فى ألفيته قد جعل طول الألف سبعَ نقط من كل قلم ، ومقتضاه أن يكون العرض سُبُعَ الطُّول .

ثم قال : إن ما زاد عن ذلك فهو زائد فى الطول ، وما كان ناقصـا عن ذلك فهو ناقص ، وعلىٰ ذلك تختلف المقـادير المقدّرة بالألف من الحروف بنقص قدر الثمن من الطول .

فالألف واللام قَدْرٌ سواء فى كل خط ، وكذلك الباء وأختاها ، والجيم وأختاها ، والعين والغين قدرٌ سواء ، والنون ، والصاد ، والضاد ، والسين ، والشين ، والقاف ، والياء المُعرّقة قدر سواء ، والراء ، والزاى ، والميم ، والواو قدرٌ سواء .

قال : وكل عراقة بدأتَ بها فى كل خط مّا فعلىٰ مثلها يكون ٱنتهاؤها .

ثم قال : فتفَهَّمْ هذا القدرَ فإنه كثيرا مايختلط علىٰ الكُتَّاب الحُذَّاق .

وقد ذكر الشيخ شرف الدين بن عبد السلام من ذلك أضربا :

أحدهـا ــ ما هو متناسب الطُّول ، وهو خمس صور : صورةُ الألف ، وصورةُ اللام ، وصورةُ القاف ، وصورةُ التاء ، وصورة الكاف ويجمعها قولك " القتك " وفرَّع عليها أربع صور يجمعها قولك "بث مى" .

الثـانى ــ ما يجوز مدُّه من أول السطر إلىٰ آخره وقصره ما شـاء ، ما لم يَقْصُر عن طول الألف ، وهى البـاء ، والكاف ، واللام ، ويجمعها قولك " بكل " ويتفرّع عليها أخواتها .

الثالث ــ ما هو متناسِبٌ فى المِقْدار ، وهو ثلاث صور : يجمعها قولك "ديل" .

والمنكبُّ من الدالِ والمستلقى منها والمنسطح والمستلقى منها والمنكَبُّ من الياء بمقدار نصف ألفِ خطِّه .

الرابع ــ ما هو متناسب المساحة فى حال العطف والإرسال : وهى القـاف ، والسيـن ، والبـاء ، واليـاء ، والضاد ، ويجمعها قولك " قبس يض " وكل أخت تُلْحَق بأختهـا .

الخـامس ــ ماهو متناسب فى الإرسـال وهو الميم ، والواو ، والزاى ، ويجمعها قولك "موز" .

السادس ــ ماهو متناسبٌ فى الضَّوْء والإرسال ، وهو ست صور : هى الفاء ، والقاف ، والهـاء ، والميم ، والواو ، واللام ألف ؛ ويجمعها قولك "فقه مولا" .

السابع ـ ماهو متناسبُ ضـوء الباطن ، وهو ثلاث صور : الصاد ، والطاء ، والعين وأخواتُها .

الثـامن ـ ماهو متناسب الرءُوس ، وهو ثلاث : الصاد ، والعين ، والطـاء ؛ ويجمعها قولك "صعط" ويُلْحَق بها أخواتُها .

التاسع ـ ماهو متناسبٌ فى التعريج ، وهو العين ، والجيم ، ويجمعهما قولك "عج" .

الجملة الثالثـة

(فيما يجب ٱعتماده لكل ناحية من نواحى القلم)

قد تقدّم فى الكلام علىٰ بِرَاية القـلم أن للقلم سِـنًّا أيمَن وسنًّا أيْسَر ، وعَرْضا ، ووَجْها ، وصَدْرا ؛ وأنه يتعيَّن علىٰ الكاتب معرفةُ كلٍّ واحد منها : ليُعطِىَ كل واحدٍ منها حقَّه فى الموضع الذى يقتضيه الحال . وقد ذكر الشُّسَّمَرِّىُّ فى أرجوزته جُملا كلية إذا عرفها الكاتب سَهُل عليه مايرومُه من ذلك فقال :

"إن كل خط منتصبِ الشَّكْل كالألف ونحوه يجب فى كتابته الاعتماد علىٰ سنَّى القلم جميعا ، وكلَّ خطٍّ آخذٍ من اليمين إلىٰ اليسار يجب إمالةُ القلم فيه إلىٰ اليسار شيئا يسيرا ، وكلَّ خطٍّ آخذٍ من اليسار إلىٰ اليمين يجب إمالةُ القلم فيه إلىٰ اليمين شيئا يسيرا ، وكل نقطة يعتمد فيها بسنيه جميعا ، وكل شـظيَّة فإنها تُخْتَلَسُ بسنه اليمنىٰ ٱختلاسا ، وكل إرسـالةٍ تعقيب كما فى الجيم والعين يُعتمدُ فيها علىٰ السن الأيسرِ ، وكلَّ تَقْعير كما فى النون يكتب بالسنِّ اليمنىٰ " .

وأفصح عن ذلك الشيخ عماد الدين بن العفيف فقال :

إن لِلسِّن الأيمنِ الألفَ واللامَ ، ورفعة الطاء ، والنونَ ، والباء ، والكاف إذا كانت قائمة مبتدأة ، وأواخرَ التعريقات والمدّات ، وطَبْقة خطة الصـاد والضاد المستفلةَ ،

وبدء السين والشين . وللسن الأيسر الجيمَ وأختيها ، والرّدّات ، وتدوير رءُوس الفاءات والهـاءات والواوات والكافات المشقوقة[1] . ثم قال : وكل ردّة من اليسار إلىٰ اليمين تكون بصدر القلم .

الجملة الرابعـــــة

(فى الترويس)

والذى يدخله الترويس فى الجملة الألف ، والباء ، والجيم ، والدال ، والراء ، والطاء ، والكاف ، واللام المجموعة ، ويختلف الحالُ فى ترويسها وعدمِه بٱختلاف الأقلام .

فمنها ما يروّس حتما ، ومنها ما يمتنع فيـه الترويس ، ومنها ما الكاتبُ فيـه بالخيار بين الترويس وعدمه ، وربمـا رُوّس بعض الحروف فى بعض الأقلام ولم يُرَوّس فى بعضها . ثم قد ذكر أهل الصـناعة أن ترويس الألف كسُبعِه . وذهب ياقوتُ إلىٰ الزيادة علىٰ ذلك ؛ وترويس البـاء وأختيها بقـدر نُقْطتين ؛ وترويس الجيم بقدر نصف نصبها ؛ وترويس الصاد والطاء كالسين ؛ وترويس الفـاء والقاف كالبـاء . وسيأتى الكلام علىٰ ترويس كل حرف منها فى قلمه إن شاء الله تعالىٰ .

الجملة الخامســـة

(فيما يُطمس من الحروف ويفتح)

وهى المعبر عنها بالعُقَد ، وهى صورة الصاد ، والطاء ، والعين ، والفاء ، والقاف ، والميم والهاء ، والواو ، واللام ألف المخففة ، ويختلف الحال فيها :

---

(١) لعله المشكولة كما يستفاد من التعريف عن أشكال الحروف الآتى .

فمنهـا ما لا يُطْمَس بحال، وهى الصـاد وأختها، والطاء وأختها، والعين المفردة والمبتدأة وأختها .

ومنها مايطمس فى بعض الأقلام دون بعض وهى: العين المتوسطة، والعين الأخيرة؛ وكذلك الغين، والفاء، والقاف، والميم، والهـاء، والواو، واللام ألف .
وسيأتى الكلام علىٰ ما يُطْمَسُ ويفتَحُ من ذلك فى كل قلم عند ذكره .

ثم الطَّمْس فيما يُطْمَس منها علىٰ سبيل الجواز لاعلىٰ سبيل اللزوم .

قال الشيخ عماد الدين بن العفيف : والرجوع فى ذلك إلىٰ قانون مضبوط، وهو أنه كُلَّما غَلُظَتِ الأقلام كان الطمس فيها علىٰ خلاف الأصل، وكُلَّما رقَّتْ كان الفتح فيها علىٰ خلاف الأصل، وذلك أنَّنا عدَلْنا عن الفتح إلىٰ الطَّمْس لأجل التلطيف .

الجملة السادسـة

(فى ذكر الأقلام المستعْمَلة فى ديوان الإنشاء فى زماننا)

وسـيأتى فى المقالة الثالثـة فى الكلام علىٰ ما يناسب كل مقدار من مقادير قطع الورق من الأقلام: أن المقرّ الشهابىَّ بنَ فضل الله ذكر فى ذلك خمسة أقلام، وهى: مختصَر الطُّومار، والثُّلُث، وخَفِيف الثُّلُث، والتوقيع، والرِّقاع . مختصر الطُّومار لقطع البغدادىّ الكامل، والثُّلُث لقَطْع الثلثَيْنِ، وخفيفُ الثلث لقطع النصف، والتوقيع لقطع الثلث، والرقاع لقطع العادة .

ويلتحق بالخمسة التى ذكرها ثلاثةُ أقلام أُخَر، وهى : الطُّومار الكامل، والمحقَّق، والغُبَـار .

فالطُّومار : يكْتُبَ به السـلطان علاماتِهِ علىٰ المكاتَبـات والوِلَايات ومَنَاشـير الاقطاع .

والمحقَّق : ٱستُحْدِثت كتابتُــه فى طُغْراوات كُتُب القـانات علىٰ ما سـيأتى بيانه فى موضعه .

والغُبَار : يُكْتَب به بطائقُ الحمام والملطّفات وما فى معناها .

وحينئذ فيكون المستعملُ بديوان الإنشـاء فى الجملة ثمـانيةَ أقلام : الطُّومار، ومختَصر الطُّومار، والثُّلث، وخَفِيف الثلث، والتَّوقيع، والرِّقاع، والمحقّق، والغُبار.

وقد ٱختلف الكُتَّاب فى تسمية قلم الثُّلُث وما فى معناه من الأقلام المنسوبة إلىٰ الكُسُور كالثلثين والنصف علىٰ مَذْهبين :

المذهب الأوّل ـ مانقله صاحب "منهاج الإصابة" عن الوزير أبى علىّ بن مقلة أن الأصل فى ذلك أن للخط الكُوفىّ أصلين من أربعَ عشرة طريقة ، هُمَا لَهـا كالحاشيتين : وهمـا قلم الطومار : وهو قلم مبسوط كله ليس فيه شىءٌ مسـتدير .

قال : وكثيرا ماكُتِب به مصاحفُ المدينة القديمةُ ؛ وقلم غُبَار الحِلْية : وهو قلم مسـتدير كلُّه ليس فيه شىءٌ مستقيمٌ ؛ فالأقلام كلُّها تأخذ من المستقيمة والمسـتديرة نسبا مختلِفة ، فإن كان فيــه من الخطوط المستقيمة الثلثُ سمى قَلَم الثلث ، وإن كان فيه من الخطوط المستقيمة الثُلُثانِ سمى قلم الثلثين ، وعلىٰ ذلك ٱقتصر صاحب "منهاج الإصـابة" .

المذهب الثانى ـ ماذهب إليه بعض الكُتَّاب أن هذه الأقلام منسوبة من نسبة قلم الطُّومار فى المساحة ، وذلك أن قلم الطُّومار الذى هو أجلُّ الأقلام مِساحةُ عَرْضِه أربعٌ وعشرون شَعْرة من شعر البِرْذون كما سيأتى ، وقلمُ الثلث منه بمقدار ثُلُثه : وهو ثمـان شعرات ، وقلمُ النصف بمقدار نصفه ، وهو ٱثنتا عَشْرةَ شـعرّة ، وقلم الثلثين بمقدار ثلثيه : وهو ثمانَ عشرةَ شعرة . وإلىٰ ذلك كان يذهب بعض مشايخ الكُتَّاب الذين أدركناهم ، وعليه ٱقتصر المولىٰ زين الدين شعبان الآثارىّ فى ألفيته .

وهذه صور حروف الأقلام السبعة التى تستعمَل فى ديوان الإنشاء ولوازمه وهى : الطُّومار، ومختَصَره، والثلُث، وخفيفُ الثلُث، والرِّقاع، والمحقَّق، والغُبار فى حالتى الإفراد والتركيب .

القــــــلم الأوّل

(قـــلم الطُّومار بإضـافة قلم إلىٰ الطُّومار)

والمراد بالطُّومار الكاملُ من مقادير قَطْع الورق أصل عمله ، وهو المعبَّر عنه فى زماننا بالفَرْخة؛ فأضيف هذا القلم إليه لمناسبة الكتابة به فيه . وقد تقدّم أنه قلمٌ جليلٌ قدّرَ الكُتَّاب مِساحةَ عَرْضِه بأربع وعشرين شعرةً من شَعْر البِرْذَوْن؛ وبه كانت الخلفاءُ تكتُب علاماتِهم فى الزمن المتقدّم فى أيام بَنِى أُمَيَّة فَمَنْ بعدهم .

فقد حكىٰ أحمد بن إبراهيم الدَّوْرَقِىُّ فى مناقب عُمَرَ بنِ عبـد العزيز : أن عُمَرَ بن عبد العزيز أُتِىَ بطُومار ليكتُب فيه فامتنَع وقال : فيه ضَـياعُ الوَرَق وهو من بيتِ مالِ المسلمين؛ وبالضرورة فلا يُكْتَب فى الطُّومار إلا بقَلَم الطُّومار؛ وهذا دليل علىٰ أنه كان موجودا فيما قَبْله ، وأظُنُّه من الامور التى رتَّبها معاويةُ بنُ أبى سُفْيان ، إذ هو اوّلُ من قرّر أُمورَ الخلافة ، ورتَّب أحوالَ المُلْك ، وبه آسـتقرّتْ كتابةُ ملُوك الديار المصرية من لَدُن السلطان الملك الناصر "محمد بن قلاوُون" وهَلُمَّ جرًّا إلىٰ زماننا .

قال صاحبُ "مِنْهاج الإصابة" : ويكونُ من لُبِّ الجريد الاخضَر، ويُؤخَذ منه من أعلىٰ الفتحة مايَسَعُ رءُوس الأنامل . قال : ويمكن أن يكونَ من القَصَب الفارسىِّ .

قلت : والذى آستقرّ عليه الحالُ فى كتابة العُهود بالديار المصْريَّة بقَصَب البُوص الأبيض الغليظِ الأنابيب؛ ينتقىٰ قَصَبه من جَزائر الصعيد بالوجه القِبْلىّ؛ وفى كل سنة

يُجَهَّز بَرِيدىٌّ بطلب هذه الأقلام من وُلَاة الوجه القِبْلى، ويُؤْتىٰ بها فتحفظ عند كاتب السِّر ويُبْرىٰ منها مايحتاج اليه (١) يوضع فى دواته بقَدْر الحاجة .

قال فى "منهاج الإصابة" : ولابدّ فيه (١) بقدر مايحتاج إليه فى مَجِّ القلم الحِبْرَ فى القرطاس .

وآعلم أن للكُتَّاب فيه طريقتين :

إحداهما ــ طريقةُ الثلُث فتجرى الحال فيه علىٰ الميل إلىٰ (١)

الثانيــة ــ طريقــة المُحَقَّق فتجرى الحال فيه علىٰ الميل إلىٰ (١) بطريقتين، وكيفيــة تشــكل (١) والفاء والقــاف فيه أوســطها لحــدده (١) مدوّرة البيــا (١) الأحرف كمثــله (١) الرابع أن يكون فيــه صاد مدوّرة (١) وكاف مشكولة .

وذكر المولىٰ زين الدين شعبان الآثارىّ فى ألفيته : (١) فيه التروبس فى الألف، والباء، والجيم، والدال (١) واللام والنون فى الإفراد والتركيب عند الآبتــداء وأنه (١) الطمس فى شىء من عقــده كالصاد، والطــاء، والفاء، والقاف، والميم، والهاء، والواو، واللام ألف المحققة بحال، والمعنىٰ فيه أن الطمس لا يليق بالخط الجليل .

---

(١) وقع طمس بالحبر فى هذه الصحيفة فى مواضع .

وهذه صورة كتابة آسم السلطان فى المكاتبات والولايات وغيرها منسو با للسلطان

السلطان الملك الناصر حسن بن الناصر محمد بن قلاوون

صورة مايكتب فى جليل المكاتبات



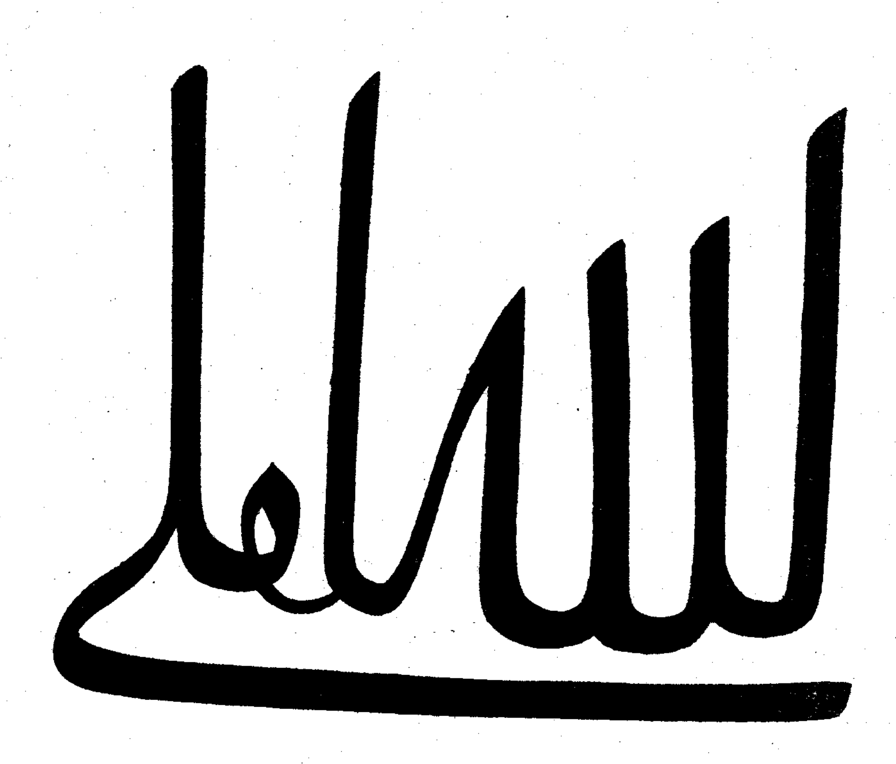
صورة مايكتب فى متوسطات المكاتبات



صورة مايكتب فى صغار المكاتبات



وهذه صورة كتابة العلامة على المناشير للإقطاع لمن علامته
الله أملي بيـاء راجعة



القـــــلم الثانى

(قـــلم مختصـــر الطـــومار)

بإضافة قلم إلىٰ مختصر، وربمـا قيل فيه مختصر الطُّومار بحذف المضاف؛ وهو الذى يكتب به فى قَطْع البغدادىّ الكامل .

وقد ذكر المولىٰ زين الدّين شعبان الآثارىّ فى أَلْفِيَّتِه : أن مقدار مساحته مابين كامل الطُّومار وبين قلم الثلثين، وحينئذ فيكون مقـداره مابين عرض ست عشرة شعرةً من شعر البِرْذَوْنِ وبين أربع وعشرين شعرةً؛ والحـامل له علىٰ ذلك أن أعلىٰ ما وضـعوه من الأقلام المنسوبة لكسرٍ من الكسور قلمُ الثلثين، وهو عرض ستَّ عشرةَ شعرة؛ فلو كان مرادهم بمختصر الطومار هـذا المقدار، لعبروا عنه بقلم الثلثين دون مختصر الطومار، فتعين أن يكون فوق ذلك ودون الطومار الكامل، فيكون مابين عرض ثمـانَ عشرةَ شعرة وعرض أربع وعشرين شعرة .

ثم هذا القلم يجوز أن يُكْتَب به علىٰ طريقة الثلث فى الميل فى حروفه إلىٰ التقوير وعلىٰ ذلك يكتُب كُتَّاب ديوان الإنشاء فى عهود الملوك عن الخلفاء، والمكاتبـة إلىٰ القانات العظام من ملوك بلاد الشرق . ويجوز أن يكتب به علىٰ طريقة المحقّق فى الميـل فى حروفه إلىٰ البسط كما فى الطريقة الثانية من قلم الطُّومار، وسيأتى ذكر تشكيل الثلث فيما بعد إن شاء الله تعالىٰ .

ولايخفىٰ أن هذا القلم بالنسبة إلىٰ الترويس وعدم الطمس علىٰ ماتقدّم فى الطومار للحوقه به فى الجلالة وسَعة مساحة العرض .

وهـــــذه صـــــ

صـــــــورة كتابتـــــــه

القـــــلم الثـالث

قـــلم الثلث

بإضافة قلم إلىٰ الثلث ،ويقال فيــه الثلث بحذف المضاف وهو الذى يُكْتَب به فى قَطْع الثلثين .

وقد تقــدّم آختلاف الكُتَّاب فى نسبته هل هو باعتبار التقوير والبسط أو باعتبار أنه ثلثُ مساحة الطومار، من حيث إن عَرْض الطومار أربع وعشرون شعرةً من شعر البِرْذَوْنِ، وعرض الثلث ثمانُ شعرات وهى الثلث من ذلك؛ وقَطَّة هذا القلم محرّفة : لأنه يحتاج فيه إلىٰ تشعيرات لاتتأتى إلا بحرف القلم،وهو إلىٰ التقوير أميل منه إلىٰ البَسْط، بخلاف المحقَّق علىٰ ماسيأتى ذكره، والترويس فيه لازم .

وقد ذكر المولىٰ زين الدين شعبان الآثارىّ فىأَلْفِيَّتِهِ :أنه يروّس فيه من الحروف الألف المفردة، والجيم وأختاها، والطاء،والكاف المجموعة، واللام المفردة، والسنة المبتدأة،وعُقَدُه من الصاد وأختها ،والطاء وأختها ،والعين وأختها، والفاء، والقاف، والميم، والهاء، والواو، واللام ألف المحققة كلُّها مفتحة لايجوز فيها الطمس بحال .

وهو علىٰ نوعين :

النـــــــوع الأوّل

(الثلث الثقيل)

وربمـا قيل فيه ثقيل الثلث ، وهو المقدّرة مساحته بثمانِ شـعرات علىٰ ما تقدّم ذكره، وهذه صُوَره مفردة ومركبة .

الألف علىٰ ضربين مفردة ومركبة، فالمفردة علىٰ ثلاثة أنواع .

الأوّل ـ الألف المطلق



وطريقه : أن تبتدئ فيه بصدر القلم من قفا الألف، ثم تصعد إلىٰ هامتها فإذا بلغتها نزلت بعرض القلم إلىٰ وجهه، ثم تنزل بوجه القلم معتمدا فى نزولك علىٰ السنّ اليمنىٰ حتّى إذا بلغت شاكلة الألف أدرت القلم برفق حتّى تختمه بحرفه .

الثانى ـ المشعر

وطريقه : كالذى قبله إلا أنه إذا جئت آخر الألف عطفت ذنبها ويكون موصولا بغيره، فإن لم يوصل بغيره فالغالب أن يكون مطلقا .

الثالث ـ المحرَّف



وطريقه : أن يبدأ فيه من هامة الألف بوجه القلم فتضعه علىٰ تحريفه وتنزل به مستويا، حتى إذا بلغت شاكلته أدرت حرف القلم علىٰ ما مضىٰ من الشرط فى المطلق والمُشَعَّر .

الضرب الثـانى

(المركَّب مع غيره من الحروف)

ولا يكون إلا طرفا أخيرا، إذ لا يوصل بما بعده، لأن الألف مطيَّة يُرْكَبُ عليها ولا تَرْكَبُ، وطريقه أنك تصعد به بعد تمـام الحرف الذى قبله بصدر القلم عكسا لنزولك بالألف المحرّف ، فإذا بلغتَ هامة الألف وقفت بالقـلم حتّى يكون بمنزلة رأس الألف المحرّف.

وكذلك يفعل فى اللام الطالع، وهذه صورته .

الطـالع

ا

الصـــــــورة الثانيـــــــة

(صورة البـاء)

وهى علىٰ ضربين

الضرب الأوّل

المفـــردة

وهى ثلاثة أنواع : مجموسة، وموقوفة، ومبسوطة . ولك فى ابتـدائها فى الثلاث الصور وجهان : إن شئت بدأت من قفاها بتشـعيرة علىٰ مامضىٰ من صفة الألف المطلق، وهو مذهب الأستاذ أبى الحسن، وإن شئت بصدر القلم . ثم لكل صورة منها طريقة تخصها .

فأما المجموعة : فطريقها أن تبدأ من رأسها بوجه القلم حتّىٰ إذا بلغت فتلة البـاء وهى الإدارة الخفية التى تجمع بين الخط القائم والمبسوط، فتلت القلم ومططت الباء بصدره، حتّىٰ إذا صرت إلىٰ آخرها ختمت بحرف القلم الأيمن ، ونَثَرتَ يدَك برفق حتّىٰ ترفع ذنب الباء، حتّىٰ يجىء رأسها فى نهاية الدقة .

المجموعة

ب

وأما الموقوفة : فطريقها كطريق المجموعة فى جميع ماتقدّم ، إلا أنك إذا بلغت المكانَ الذى ترفع فيه من ذنب المجموعة ، وقفتَ فيه بعرض القلم فتأتى مطة محرّفة كتحريف القلم .

الموقـــوفة

ب

وأما المبسوطة[1] :

المبســـوطة

ب

وأما المركبة[2] : فعلى نوعين : متوسطة، ومتطرّفة .

فأما المتوسطة : فلها حالان .

أحدهما ـ أن يكون قبلها وبعدها مثلها، فتكون الوسطىٰ مرتفعة علىٰ أخواتها . وإذا رفعتها أكثر من أخواتها، رجعت فى خط يلاصقها. وهذا فى كل حرف صغير كالنون، والباء، والتاء .

الثـانى ـ أن لايكون قبلها وبعدها مثلها ، فهى كإحدىٰ السنات .

(١) لم يتكلم عليها . (٢) هذا هو الضرب الثانى من ضربى الباء وهى المركبة .

وأما المتطرّفة : فلها حالان أيضا .

أحدهما ـ أن تكون مبتدأة : وهى التى تكون فى أوّل الكلمة ، فطريقها أن تبدأ فيها بعرض القلم تحدّرا من يمينك إلىٰ يسارك ، وهى تصحب الجيم وأختيها .

الثانى ـ أن تكون فى آخر الكلمة ، وتكون محذوفة الرأس للتركيب كرأس السين المبسوطة ، وتكون صورة مدّتها كصورة المفردة سواءً فى جميع أحوالهـا : فى الجمع والبسط والوقف ؛ وهذه صورها .

مركبة مجموعة — مركبة موقوفة — مركبة مبسوطة

بك بك بك

الصورة الثـالثة

(صــورة الجيم وما شاكلها)

وهى علىٰ أربعة أضرب : مرسَلة ، ومسْبلَة ، ومجموعة ، وملوَّزة ؛
وٱبتداء جميع الصور علىٰ وجهين ، من رأسها ومن جبهتها .

فأما المبتدأة من رأسها فيخيَّر الكاتب فيها بين أمرين : إن شاء جعلها جرّا ، وإن شاء جعلها مشـعَّرة ، فإنها يُبْدأ فيها بصدر القلم ، وهو مذهب الأستاذ أبى الحسن ، والمشـعَّرة يخْطَفها بحرف القلم أو بصـدره علىٰ ما مضىٰ ؛ فإذا بلغتَ جبهتها أدرت بحررت بوجه القلم ، وأنت فى الجرّة بالخيار : إن شئت جئت بها علىٰ خط مستقيم ، وإن شئتَ رطَّبتها شيئا يسـيرا ؛ فإذا بلغت قفاها ، كنت أيضا مخيرا : إن شئت رجعت فى الخط الذى جئت فيه ، وإن شئت رجعت فى خط تحته يلاصقه بصدر القلم ؛ فإذا وصلت تحت هامة الجيم أدرت القلم علىٰ تحريفه فنزلت بعرضه حتّى إذا بلغت آخر عجز الجيم ختمتها بحرف القلم . ولا يخرج صدر الجيم عن الخط الموازى

لجبهتها، كما لايجوز أن يخرج طَرَف ذَنَبها عن الخط الموازى لقَفَاها، حتّٰى لو نصب عليها خطوطا لناسبت أعاليها أسافلها، وهذه صورتها .

مفردة مرسلة

وأما المسبلة : فإنها كالمرسلة فى الصورة والصفة، والفرق بينهما أنك فى المرسلة إذا بلغت الصدر ونزلت فيه، أسبلت ذنبها، وهذه صورتها .

مفردة مسبلة

وأما المجموعة : فإنها كالمرسلة أيضا فى جميع أوصافها و يزيد عليها أنك إذا وفيت بها علىٰ مامضىٰ من صفة المرسلة رددت ذنبها علىٰ عجزها فصارت هنالك دائرة ، وهذه صورتها .

مفردة مجموعة



وأما الملوّزة : فإنها لا تكون إلا قبل الألف، وطريقها أن تبدأ بعرض القلم من تحت الألف فيما تقدّر، فإذا بلغت جبهة الجيم، جررت بوجه القلم جرّة مبطنة حتّى يصير البياض الأوسط لَوْزَةً محققة، فترفع الألف مع جبهة الجيم وتبقىٰ تحت ذنب الألف بقية رأس الجيم، وهذه صورتها .

مبتدأة مركبة ملوّزة

وزاد المتأخرون صورة أخرىٰ تسمى الرّتقاء، وصورتها أنك تبتدئ برأس واو من واوات الثلث مفردة، وتكون مرتفعة الرأس بقدر نقطة من نقط الخط، ثم تكمل عليها ببقية العمل المتقدّم ذكره علىٰ الثلاث حالات المتقدّمة فى الباب، وهى المرسلة والمسبلة، والمجموعة، وهذه صورها .

رتقاء مرسلة

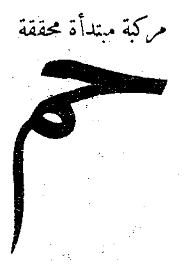
رتقاء مسبلة

رتقاء مجموعة

وزاد المتأخرون صُوَرا أخرىٰ فى التركيب : وهى ثلاث : أُولىٰ، ووُسْطىٰ، وأخيرة .

أما الأولىٰ : فٱبتداء العمل فيها كٱبتداء العمل فى الثلاث حالات الأول، ثم تكمل بالحرف الذى تريد، وهذه صورتها .

مركبة مبتدأة محققة



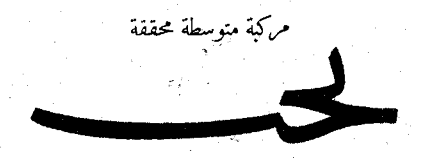
وتارة تكون ملَوَّزة وهى التى تصحب الألف وما شابهها كالدال، واللام، واللام ألف، وقد صوّروها مع الألف فتقاس علىٰ ماعداها .

وهذه صورتها مع اللام — وهذه صورتها مع اللام ألف — وهذه صورتها مع الدال

مركبة مبتدأة ملوّزة مع شبه الألف — مركبة مبتدأة ملوّزة مع شبه الألف — مركبة مبتدأة ملوّزة مع شبه الألف

واما المتوسطة : فالعمل فيها كالعمل فى المبتدأة المحقَّقة المركبة كما تقـدّم ولكن بغير ترويس، وهذه صورتها .

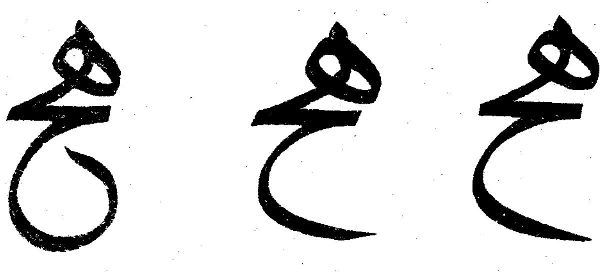
مركبة متوسطة محققة



وأما الأخيرة : فالعمل فيها كالعمل فى الثلاث حالات الأُوَل : المرسلة ، والمسبلة ، والمجموعة ، ولكن بغير ترويس ، وهذهِ صورها .

مركبة مختتمة مرسلة — مركبة مختتمة مسبلة — مركبة مختتمة مجموعة







الصورة الرابعـــة

(صـــورة الدّال وأختهـا)

وهى علىٰ ضربين : مفردة ، ومركبة

الضرب الأوّل

المفـــردة

ولها صورة واحدة ، وهى شكل مُثَلَّثٍ علىٰ زاوية واحدة ، ويجمع طرفها جمعا يسيرا ، وهذه صورتها :

مفـــردة



الضرب الثانى

المركبـــة

ولها أربعة أشكال : مجموعة، ومبسوطة، ومخطوفة، ومقطوفة .

أما المجموعة : فإنك ترفَعُها بعد فراغك من الحرف الذى قبلها، ولك فى ذلك مذهبان :

أحدهما ـ مذهب الوزير أبى علىّ بن مقلة[١] .

والثانى ـ مذهب الأستاذ أبى الحسن بن البوّاب، وطريقه أن ترفعها مائلا إلىٰ اليسار ميلا خفيفا .

ثم علىٰ كلا المذهبين ترجع بخط يلاصق الخط الذى صَعِدت به وبظهر القطة فى الانتهاء، وتأتى بالعراقة علىٰ شكل عراقة الدال المفردة فى الجمع، وهذه صورتها :

مجموعة مركبـــة



وأما المبســوطة : فحكمها فى جميع صـفاتها حكم المجموعة، إلا أنك إذا نزلت فى المبسوطة إلىٰ العراقة وفتلتها، أرسلت العراقة بعرض القلم، وهذه صورتها :

مركبة مبســـوطة



(١) لم يبين طريقه ولعله سقط من قلم الناسخ فحرر .

وأما المخطوفة : فهى كالمجموعة أيضا ، إلا انك تخْطَفها بحرف القلم وتختمها بأدَقِّ ماتقدر عليه من النحافة ، وهذه صورتها :

مركبـــة مخطوفة

وأما المقطوفة : فهى كالمخطوفة ، إلا أنك بعد الفتلة تُبْقِى لها ذَنَباً صغيرا بحرف القلم وهذه صورتها :

مركبـــة مقطوفة

الصورة الخـامسة

(صـــورة الراء وأختهـا)

وهى علىٰ ضربين : مفردة ، ومركبة

الضرب الأوّل

المفـــردة

ولهـا ثلاثة أشكال : مجموعة ، ومبسوطة ، ومقورة ؛ وآبتـداؤها فى جميع الصور علىٰ وجهين .

أحدهما ــ أن تبدأ من قفاها صاعدا إلىٰ هامتها ثم تنزل إلىٰ وجهها .

والثانى ــ أن تبدأ بها حدّا من رأسها ، وهو مذهب الأستاذ أبى الحسن بن البوّاب .

ثم لكل واحدة منها بعـد ذلك عمل يخصها . فأما المجموعة فطريقها أن تبدأ فيها بوجه القلم وتنزل علىٰ خط الآسـتواء بقدر ربعها ، ثم تدير القلم وتبـدأ فى العراقة بصدر القلم ، ويكون تنزيلك إيّاها أكثَرَ صـبا من الباء المفردة قليلا ، فإذا عرقت مثـلَىْ مانزلت به أوّلا علىٰ خط الآستواء نثرت يَدَك بالقلم إلىٰ فوقُ وأنت تريد ذات اليمين بإشارة لطيفة ، ويكون خَتْمها بسنِّ القلم اليمنىٰ ، وهذه صورتها :

مفـــردة مجموعة



واما المبســوطة : فطريقها أن تنزل بها علىٰ ما ذكرناه ، وترسل ما عرقت منها علىٰ ما تقــدّم فى الدّال المجموعة وتنقص منها النـــثرة الأخيرة ، وتحـدّد طرفها ، وهذه صورتها :

مفـــردة مبسوطة



وأما المقوّرة : فطريقها أن تنزل بأقلَّ ممـا ذكرناه شيئا يسيرا ، وهذه صورتها :

مفـــردة مقوّرة



الضرب الثانى

المركبـــة

ولهـا أربعة أشكال : مخطوفة، ومقطوفة، وبتراء، ومدغمة .

فأما المخطوفة : فهى كالمقوّرة فى الصورة، غير أن عراقتها بحرف القلم، وهـذه صورتها :

مركبـــة مخطوفة



وأما المقطوفة : فإنك تُبْقِى لها ذَنَباً صغيرا، وهذه صورتها :

مركبة مقـــوّرة



وأما البتراء : فإنك تقطفها من الثلثين فتحذف ثلثها وتأتى بها مستدقة الطرف ، وهذه صورتها :

مركبـــة مقطوفة



وأما المدغمة : فإنها تصلح بعد كل حرف وتقبح بعد المدّ، وسميت مدغمة مجازا وإلا فالحرف الذى قبلها هو الذى يدغم فيها، لكنهم لما حذفوا منها شيئا لقبوها بذلك، ولا بُدَّ أن تحذف من الحرف الذى قبلها شيئا من آخره وتحذف منها شيئا من أوّلها .

وتُبْقى من كل واحد منهما مايدل عليه ، وهذه صورتها :

مركبـــة مدغمة



الصورة السادســـة

(صورة السين)

وحكمها فى حالتى الإفراد والتركيب سواءٌ ، غير أنها فى حالة الإفراد تزيد العراقة ، وعراقتها كعراقة النون فى الجمع والبسط والتقوير ، وسيأتى الكلام علىٰ ذلك فى حرف النون إن شاء الله تعالىٰ .

ثم هى علىٰ نوعين : محقَّقة ، ومعلقة .

فأما المحققة : فلها شكلان ، مُظْهَرة ، ومدغَمة .

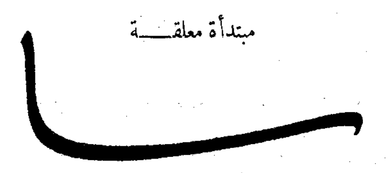
فطريق المظهرة أن تبــدأ بوجه القلم ثم تدير القــلم منها إلىٰ أختها إدارة لطيفــة فى نهاية الاعتدال ، وتحدّد رأس الثانية بسن القلم اليمنىٰ ، ويكون الذى بين الأولىٰ والثانية أقلَّ ممــا بين الثانية والثالثة ، وهو مذهب الأستاذ أبى الحسن بن البوّاب .
وإذا كان قبلها شىء يكون سواء ، ويجوز أن تكون مصدّرة مقلوبة ، وهذه صفتها :

محققة مظهـــرة



وأما المعلقة : فصفتها أنك تحذف السين حذفا وتقيم جرّةً مقامها، وتبدأها بوجه القلم عاملا إلىٰ آخرها .

هذا إذا كانت مبتدأة، فإن كانت متوسطة، فالأولىٰ أن تكون محققة، ولا بدّ من جرّ فوقَ المعلقة نقطت أو لم تنقط، وهذه صورتها :



وتحسن قبل الكاف المشكولة وقبل الألف، ولا تكون قبل الصاد والعين والكاف المعرّاة، وقيل إنها لم تر فى خط آبن البوّاب إلا مفردة .

الصـــــورة السابعـــــة

(صــــورة الصاد)

والكلام فى عراقتها كالكلام فى عراقة السين : من الجمع، والبسط، والتقوير، وسيأتى الكلام علىٰ ذلك فى حرف النون .

نعم لاتكون عراقتها إلا حديدة الطرَف فى جميع صورها، ولا يجوز فيها الوقف بحال. أما نفس الصاد فلها شكل واحد، وهى تقارب التلويزة. وللناس فيها مذهبان: الاول إظهار مبدإ الصاد تحت رأس العراقة، والآخر إخفاؤه؛ وفى كلا المذهبين لا بدّ من ظهور رأسها شيئا يسيرا . فإن كانت متوسطة، فيكون رأسها بحرف القلم

محدّد الطَّرَف . وإن كانت مفردة أو متطرّفة فإنها تكون عريضة الرأس بوجه القلم . وإذا ركبت علىٰ خط قبلها ، لا يكون خطا علىٰ خط ولا يظهر أكثر من خط واحد ، وهذه صورتها :

مجمـــوعة

ص

الصـــــورة الثـامنـــــــة

(صورة الطاء وأختها)

وهى ثلاثة أنواع : موقوفة ، ومرسلة ، ومحققة

فأما الموقوفة : فطريقها أن تبدأ بها علىٰ صورة الألف المطلق . فإذا وفيت به ، رجعت طالعا من تلقاء ذَنَبِ الألف حتّىٰ تقارب شاكلته ، فترجع إلىٰ يمينك ، فتركب عليه شكلا علىٰ صورة اللوزة ، وتخرج ذَنَبَ اللوزة من تحت الألف وتقف عليه بعرض القلم فتظهر القطة ، وهذه صفتها .

مفردة موقـــوفة



وأما المرسلة : فهى علىٰ نحو ما تقدّم فى الموقوفة غير أن الجرّة السفلىٰ هاهنا مبطنة ، وفى الموقوفة علىٰ خط مستقيم ، وهذه صفتها .

مفردة مبسوطة



وقد آختلف الكُتَّاب فى رأس الطاء، فكان بعضهم يذهب أن يكون علىٰ طَرَف اللَّوْزة من غير ركوب عليها، وهو أحد المذاهب فيها .

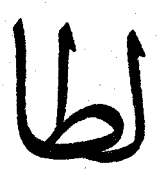
قال الشيخ أبو القاسم : سألت بعض مشايخى عن "طى" كيف يكون وضع الياء فيها ؟ بحضرة جماعة من الكُتَّاب، فقال : تُكتَب طـاء جيدة بعدها ياء حسـنة، فقلت : الحمـد لله الذى أبقىٰ علىٰ جديد الأرض مَنْ يُحْسِنُ صفة الخط بمثل هـذا الضبط . فلمـا أردت الآنصراف أشار إلىّ أن آجلسْ فجلست حتّى آنصرف القوم، فقـال : قد كنتُ سألتُ عنها شـيخنا أبا الحسن بن هلال فقال لى : إذا فرغت من الطاء فاحذف رأس اليـاء وألصـق قفا الياء بذَنَبِ الطاء، ثم تممها علىٰ مذهبك فى اليـاء أنّى شئتَ، ولا تخرج صدر الياء من تحت رأس الطاء . وعلامة صحتها أنك إذا حذفت لوزة الطاء بقيت فى نهاية الصحة إن كان بعـدها ياء . وإن كان بعدها واو بقيت أيضا فى نهاية الكمال .

قال الشيخ أبو القاسم : فينبغى أن يكون رأسها فى آخر اللوزة، ولا يكون مركبا علىٰ ظهرها لانه إذا تركب بطل هذا القياس .

وأما المحققة : فإنك تبدأ فيها علىٰ صورة اللام المبتدأة المعلقة، ويأتى الكلام علىٰ ذلك فى حرف اللام إن شاء الله تعالىٰ .

وأ كثر ما تستعمل هـذه الطاء إذا كانت مشعَّرة بألف قبلها وألف بعـدها فتستحسن، وهذه صفتها .

متوسطة بين قامين



وٱعلم أنه لا بدّ للطاء من مدّة قبلها تركب عليها، ويكون طرفها ينتهى إلىٰ تحت رأس الطاء من غير زيادة ولا نُقْصان، ويجوز فى طَرَف هـذه المدّة الجمعُ وعدمه، وكلا المذهبين حسن .

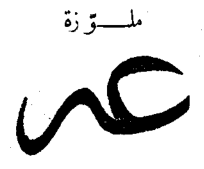
الصورة التاســعة

(صورة العين وأختها، ولها حالان)

الحال الأوّل : أن لاتكون متصلة بما قبلها،وهى علىٰ نوعين : ملَوَّزة، ومركَّبة.

أما الملوزة : فإنك تبدأ فيها من رأس العين بحرف القلم فى غاية الدّقة، حتّى إذا وصلت إلىٰ هـامتها، مَكَّنت إدارة قلمك فصرت عاملا بوجهه إلىٰ قَمَحْدُوةِ العين فتصير علىٰ صورة اللوزة؛ وتكون هذه العين قبل الهـاء المدغمة؛ وهذه صفتها .

ملــوزة



وتكون أيضا قبل هاء الردف؛ وهذه صورتها .

ملوزة مع هاء الردف



وأما المركبة : فهى مركبة من راءين محققة ومعلقة ، وٱبتـداؤها علىٰ ما تقـدّم فى الملوزة؛غير أنك إذا صرت إلىٰ هامتها وأدرت القَمَحْدُوَة، نزلت علىٰ خطٍّ مستقيم أو قريب من الٱسـتقامة . والذى وجد بخط الأسـتاذ أبى الحسن بن البوّاب علىٰ

الاستقامة ، وهـذه العين لا يكون بعدها إلا حرف طالع كالألف واللام وما جرىٰ مَجراهما ، وهذه صفتها .

مركبـــة ونعلية

وكثيرٌ من الكُتَّاب يخلِطونها مع ما قبلها كالجماعة والبضاعة ، فإنهم يردّون من الألف إلىٰ العين جرّة مبطنة يجعلونها عاليــة العين ، وهى مستحسنة ، ولا بدّ لها من ألف قبلها وحرفٍ طالع بعدها ، وهذه صفتها .

مردوفة ومشكولة

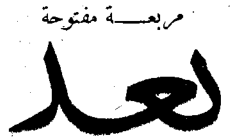


الحال الثـانى : أن يكون قبلها شىء متصل بهـا ، وتسـمى المربعة ، وهى علىٰ نوعين : منوّرة ، ومطموسة .

فأما المنوّرة : وتسمّى المحققة ، فإنك إذا خرجت من الحرف الذى قبلها أتبعت خطا محدودبا مبطنا إلىٰ يسارك بصدر القلم ، ثم حررت عالية العين بوجه القلم ثم علىٰ الجرّة الأولىٰ جرة تنـاقضها مثلها فى القـدر والمساحة بقطع الخط الأوّل ، ثم إن كانت معرقة عرقت . وإن كانت غير ذلك اتبعتها مابعدها .

وعلامة صحتها أن تلتمس البياض الذى فى وسطها فإن تناسبت زواياه فهو فى غاية الصحة وقد تم تركيبها ، وإلا فتحرر حتّٰى يصح ما رسم ؛ وهذه صفتها .

مربعـــة مفتوحة



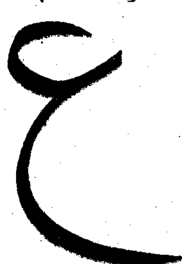
وأما المطموسة ، وتسـمّى المعلقة ولا تكون إلا فى قلم التوقيعات والرقاع ، فصفتها أن تكون وقصاء غير مفتوحة ، ولا يجوز فيها من العراقات غير المجموعة ، وهذه صورتها .

معلقة مطموسة

ثم إن كانت معرّقة مفردة أو مركبة ، فالعراقة علىٰ ثلاثة أنواع : مسبلة ، ومرسلة ، ومجموعة ، كعراقات الجيم .

فأما المسبلة : فإنك إذا نزلت من ظهرها أسبلت العراقة فتكون أكثر من نصف الدائرة ، ولا يخرج الصدر عن الرأس ولا الظهر عن القَمَحْدُوة ، بل يكون كل واحد منهما مساويا لما فوقه ، غير زائد عليه ولا ناقص عنه . وكان الوزير أبو علىّ بن مقلة رحمه الله يقول : "المرء علىٰ ترك شىء مما يعمله أقدرُ منه علىٰ تكلف شىء لم يعتده" ويأمر الطلبة بإخراج ذَنَبِ العين من تحت صدرها ؛ وهذه صورتها .

مفردة مســبلة



وأما المرسلة : فإنك تأتى بالعراقة نصف دائرة محققة ، ونتأمل فيها من المسامتة ما وصف فى المسبلة والمســبلة تكون حديدة الطرف ، والمرسلة يجوز فيهــا التحديد والوقف ، والتحديد مذهب الأستاذ أبى الحسن بن البوّاب ؛ وهذه صورة التحديد ، وهذه صورة الوقف .

مفردة مرســـلة



وأما المجموعة : فإنها كالمرسلة أيضا فى جميع أوصافها ، وتزيد عليها أنك إذا وَفَّيت بها على ما مضى من صــفة المرسلة ، رددت ذَنَبها على عجزها فصارت هنالك دائرةٌ ؛ وهذه صفتها .

مفـــردة مجموعة



الصـــــورة العـاشرة

(صـــورة الفـاء)

وهى علىٰ ضربين : مفردة، ومركبة

فأما المفردة : فعلىٰ ثلاثة أقسام : مجموعة، ومبسوطة، وموقوفة . وقد تقدّم الكلام علىٰ هذه العراقات فى حرف الباء، فأغنىٰ عن إعادته هنا؛ وهذه صفة العراقات الثلاث .

مجمـــوعة موقـــوفة مبســـوطة

وأما المركبـة : فإنها تكون مقلوبة ، وذلك أن بياضها يكون الحادّ منه فى ملتقىٰ الخطين اللذين يتقاطعان فى ذَهَابها ومجيئها ، ويكون عرضه عند هامتها ؛ وهذه صفة المتوسطة .

متوســـطة

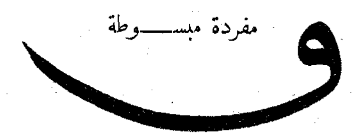
الصـــــورة الحـادية عشرة

(صـــورة القاف)

وهى علىٰ ضربين أيضا : مفردة، ومركبة

فأما المفردة : فحكم رأسها حكم الفاء، وحكم عراقتها حكم النون، وستأتى، غير أنها تكون مفردة مبسوطة وهى مستحسنة بخلاف النون؛ وهذه صفتها .

مفردة مبســـوطة



وأما المركبة : فإنها كالفاء فى جميع ما تقدم، فلا حاجة إلىٰ تمثيلها .

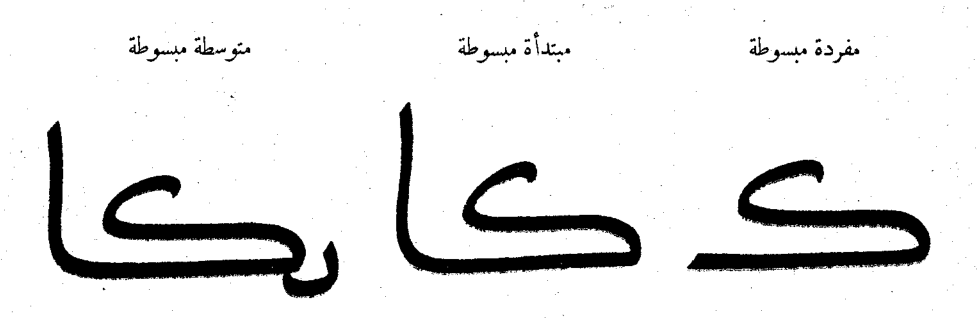
الصـــورة الثانيـــة عشرة

(صورة الكاف)

وهى علىٰ ثلاثة أنواع : مبسوطة ، ومشكولة ، ومعرّاة ؛
ولكل واحدة منها موضع يخصها

فأما المبسوطة : فتكون مفردة ومركبة ، و إفرادها قليل ؛ والمركبة منها موضعها الأبتداءات والوسط ، ولا تكون طرفا أخيرا بحال ؛ وطريقها أن تبدأ فيها بصدر القلم من رأسها حتىٰ ترد جبهتها فتخط عاليتها بوجه القلم وتفتل علىٰ هذا المنهاج إلىٰ المَطَّة السُّفلىٰ ، وتمطها بصدر القلم وتقط ذنبها ؛ وتتوخّى فى عاليتها أن تكون علىٰ خط مستقيم لتجعلها قالبا للمطة السفلىٰ ؛ وآعتبار صحتها باعتبار البياض الذى فى وسطها إذا آستقام آستقامت ؛ وهذه صورتها فى الإفراد ، والتركيب ، والأبتداء .

مفردة مبسوطة — مبتدأة مبسوطة — متوسطة مبسوطة



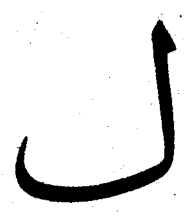
وأما المشكولة : فلا تكون إلا مركبة ، وموضعها الأبتداءات والوسط ، ولا تنفرد البتة ، وتكون علىٰ هيئة شق لوزة فإن وصلت بألف أو لام تبينت ولا يخرج الحرف الذى يكون بعدها من تحت رأسها أصلا لأن الكاف المبسوطة والمشكولة لا يجوز

أن يأتى بعدهما مدّة، وإنما سميت مشكولة للجرّة التى عليها؛ وهذه صورتها فى الآبتداء وفى الوسط .

مبتـــدأة مشكولة　　　　متوســـطة مشكولة

وأما المعرّاة : فلا تكون إلا طَرَفا أخيرا وهى فى الصورة والشبه كاللام المطلقة، والفرق بين اللام والكاف المعرّاة أن القائم من الكاف ثلثا المبسوط، والمبسوط من اللام كالقائم فيها؛ وهذه الكاف لا تجمع أبدا، فإن مواضعها أواخر السطور؛ وهذه صفتها .

مفردة معـــراة



الصورة الثالثـــة عشرة

(صـــورة اللام)

وهى علىٰ ضربين : مفردةٍ، ومركبةٍ

الضرب الأوّل

المفـــردة

وهى علىٰ نوعين : مجموعة، ومطلقة

فأما المجموعة : فطريقها ان تبدأ من قفاها علىٰ نحو ما وصف فى الألف المطلق لأن الالف واللام يجريان علىٰ نظام واحد فى كل خط لأنهما صاحبان، كالباء والتاء، وكالحاء والخاء، وكالعين والغين . فإذا وصلت إلىٰ شاكلته عرقت اللام عراقة أكثر حُدُورا من الباء، وجمعت ذنبها كما تقدّم فى حرف الراء، وهذه صفتها .

مجموعـــة مطلقـــة

ل ل

الضرب الثـانى

المــــركبة

وهى علىٰ قسمين : محققة ، ومبتدأة معلقة .

فأما المبتــدأة المحقَّــقة : فهى كالمرسلة غير أنها محذوفة المَطَّة لأجل التركيب ؛ وهذه صفتها .

مبتدأة محققة

وأما المبتدأة المعلقة : فتنزل فيها بعرض القلم مائلا من يمينك إلىٰ يسارك ، وهى تختص بثلاثة أحرف من سائر الحروف وهى الجيم ، والحاء ، والخاء ؛ ويكون مبتدؤها يوازى قفا الجيم من غير زيادة ولا إشارة إلىٰ العراقة ؛ وهذه صفتها :

مبتـــدأة معلقة



الصورة الرابعـــــة عشرة

(صـــورة الميم)

وهى علىٰ خمسة أضرب : محققة، ومعلقة، ومسبلة، ومبسوطة، ومفتولة .

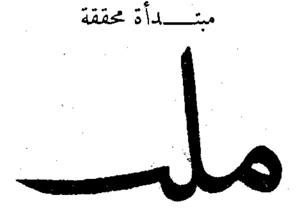
الضرب الأوّل

المحققـة

وهى علىٰ نوعين : مبتدأة ، وغير مبتدأة

فأما المحققة المبتدأة : فإنهـا كثيرا ما تصحب اللام، وصفتها إذا أردت[1] وضعها أنك إذا صرت إلىٰ آخر الحرف الذى تريد منه الميم المحققة، تميل فيه يسيرا ثم ترجع بخط آخر بجواره طالعا فيه، ثم تعرّق كتعريق الميم المعلقة، وهذه صفتها .

مبتـــدأة محققة



وكان الشـيخ عمـاد الدين بن العفيف إذا آنتهىٰ من الحرف الذى قبل هـذه الميم، يقف فيه ثم يبدأ من يمينه براء مدغمة، وهذه صفتها .

محققـــة مختتمة



وأما المحقَّقة غير المبتدأة[2] : ... ...

(١) فى العبارة شىء يظهر للتأمل . (٢) سقط الكلام عليها من النسخة .

الضرب الثـانى

المعلَّقــة

وهى علىٰ نوعين، مبتدأة، وغير مبتدأة

فأما المعلقة المبتدأة : فإنها لاتحسن إلا مشَــعَّرة مع ما قبلها ، ولا تكون إلا قبل الألف؛ وهذه صفتها .

معلقة مبتـــدأة

ما

وأما المعلقة غير المبتداة : فإنها تختص بالبسملة علىٰ مذهب الحُذَّاقِ .

وطريقها : أنك إذا مططت إلىٰ آخر المطة ، رجعت بالميم فى الخط الذى جئت فيه ، حتّى إذا بلغت هامتهـا فارقت ذلك الخط لئلا تجىء منافرة ؛ فإذا وصلت إلىٰ جبهة الميم ، عَرَّقتها علىٰ ما رسم فى الراء المجموعة والمقوّرة والمبسوطة والمخطوفة .

وكان الأستاذ أبو الحسن بن البوّاب لا يفردها ؛ وهذه صفتها .

معلقـــة مختتمة



وأما المعلَّقة المبتدأة : فإنك تبدأ فيها كابتداء المحققة ، فإذا بلغت فتلتها ألصقت مَدَّتها بقفاها ، والأَوْلىٰ أن تكون مطموسة ، فاذا بلغت جبهتها عَرَّقت كتعريق الراء المُدْغَمة ، لا يستعمل فيها غير ذلك ، وهذه صفتها .

معلقة مبتـــدأة



الضرب الثـالث

المُسْـــبَلة

ولا بأس بتركيبهـا وانفرادها ، غير أنك إذا وصلت إلىٰ جبهتها أسـبلت عراقة كهيئة الألف ملأىٰ من فوقُ ، وتكون حديدة الطرف ، وهذه صفتها .

مفردة مسبلة



مركبـــة



الضرب الرابـــع

المبسوطة

وهى كالمحققة ، وهى مفردة ، وهذه صفتها .

مبســـوطة



الضرب الخامس

المفتـــولة

وأكثر مواضعها بعد الهاء المدغمة علىٰ مذهب الحُذَّاق. وبعض الكتّاب يجيزها مع غير الهاء، والأول أجود .

وطريقها أنك إذا جئت بها بعد الهاء المدغمة تقوّس بصدر القلم ثم تنزل بقدر ما قوّست، ثم تدير الميم عن يمينك وتردّ إلىٰ يسارك شكلا مدورا، وتعرّقها علىٰ ماتقدّم فى المعلقة والمحققة؛ وهذه صفتها .

مفتـــولة



الصورة الخامســـة عشرة

(صـــورة النون)

وهى علىٰ ضربين : مفردة، ومركبة

الضرب الأوّل

المفـــردة

وهى علىٰ اربعة أنواع : مجموعة، ومقوّرة، ومبسوطة، ومدغمة

فأما المجموعة : فطريقها أن تبدأ بوجه القلم علىٰ خطٍّ مستقيم . فإذا نزلت منها بمقدار ماينزل من الباء وبلغت الفتلة، أدرت القلم برفق من الفتلة بصدر القلم،

ثم تصـير العراقة جمعا بصـدر القلم ، حتىّ إذا بلغت ذنبها ختمت بحرف القـلم ؛ وهذه صفتها .

مفردة مجموعة



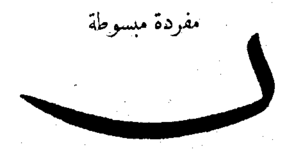
وأما المقوّرة : فإنها تكون كنصف دائرة ، ويكون ذَنَبها موازيا لرأسها من غير زيادة عليه ؛ ويجوز أن يكون ناقصا عنه شيئا يسيرا ، وذلك قليل ؛ وهذه صفتها .

مفردة مقوّرة



وأما المبسوطة : فأكثر ماتكون متطرّفة ولا تكون مفردة بحال . وطريقها أنك إذا نزلت علىٰ ماوصف فى المجموعة وبلغت بها الفتلة وأدرت صدر القلم إلىٰ العراقة ، جعلتها قِطْعَةَ قَوْسٍ من دائرة عُظْمىٰ ، حتّى يكون فيها تبطين يسـير ، وتختمها بحرف القلم ، ولا يجوز فى شىء من مبسوطات العراقة أن يكون مرفوعا ، ولا يجوز أن يكون إلا حديد الطَّرَف ؛ وهذه صفتها :

مفردة مبسوطة



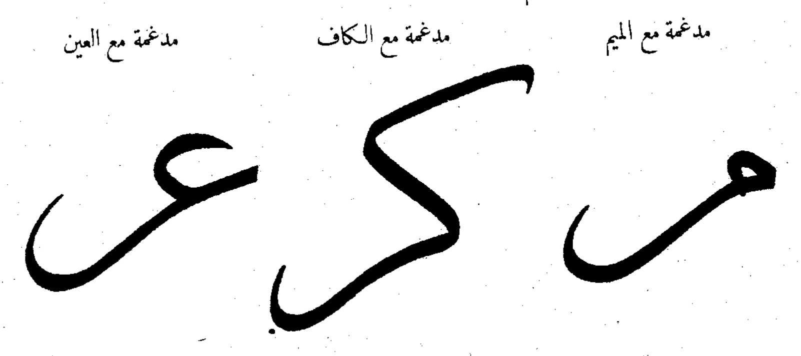
وأما المدغمة : فإنها لاتنفرد البَتَّةَ ، ولاتحسُن إلا مع ثلاثة أحرف ، مع الميم وهى كثيرة المؤاخاة لها ، ومع الكاف ومع العين .

وكان بعض الكُتَّاب يأبىٰ إدغام النون ويكرهه ، إلا الأستاذ أبا الحسن بن البوّاب .

ولا يتقدّم هـذه النونَ من سائر الحروف إلا ثلاثةُ أحرف : الميم المعلقة من سائر الميمات ، والعين الملوزة : وهى الصاديَّة من أشكال العين خاصّة ، والكاف المشكولة من أشكال الكاف خاصّة .

وطريقها أنك إذا بلغت قفا الميم أو صدر العين أو قاعدة الكاف ، صببتَ النون صبًّا فى عَرْض اللام المبتدأة المعلقة ، فإذا صببتَ ثلثيها ، ختمت العراقة علىٰ مارسم فى الراء المدغمة وعراقة الميم المدغمة ، وهذه صورها :

مدغمة مع الميم مدغمة مع الكاف مدغمة مع العين



الصورة السادســـةَ عشرةَ

(صـــورة الهـاء)

وهى علىٰ ضربين : مفردةٍ ، ومركبةٍ

الضرب الأوّل

المفـــردة

وهى علىٰ نوعين : معرّاة ، ومركبة

فأما المعرّاة : فطريقها أن تبدأ من رأسها بوجه القلم ثم تنزل إلىٰ عجزها مميلا إلىٰ ذات اليمين شيئا يسيرا ، ثم تفتل إلىٰ قاعدتها بصدر القـلم إلىٰ صدرها ، ثم تصعد بمثل ما كنت انحدرت به من وجهها إلىٰ قفاها ، وهذه صفتها .

معـــراة



وأما المركبة : فهى فى الصورة قريبة من المُعَرّاة إلىٰ صدرها؛ فاذا بلغتَ صدرها وأنت طالع إلىٰ وجهها، رفعته بعرض القلم وأخرجت وجه الهاء إلىٰ قفاها؛ والكاتب مخير بين التقليل والتكثير فى ذلك. و يكون الطرف الخـارج إلىٰ قفاها محـدّدا؛ وهذه صفتها :

مركبـة

ه

و إنمـا سميت مُرَكَّبة و إن كانت مفردة مجازا لتركيب طرفها وإلا فالمراد بالمركَّب كيفما وقع فى المصطلح المختلِطُ بغيره .

الضرب الثـانى

المركبـــة

وهى علىٰ قسمين

القســـم الأوّل

المشـــقوقة

وهى علىٰ ستة أنواع : ملوّزة، ووجه الهر، ومشقوقة طولا، ومشقوقة عرضا، ومختَلَسة، ومدغَمَة .

فأما الملوّزة : فتكون مبتدأة، ومتوسـطة؛ ولا تتأخر بحـال . فإن كانت مبتدأة فطريقها أن تبدأ بصدر القلم مقدارَ نصف الهاء المفردة، ثم تدير القلم من يسارك إلىٰ يمينك حتّٰى إذا وصلت إلىٰ المكان الذى آبتـدأت منه أدرت إلىٰ يمينك أيضا حتّٰى يصير مركز نصف دائرة محققة لطيفة بصدر القلم، وتقف عليها وقفة خفيفة، ثم تنزل بوجه القلم من غير إدارة حتّٰى تصير إلىٰ المكان الذى آبتدأتَ منه أوّلا، فيصير رأس الهاء حادّا فى الغاية .

ومذهب الأستاذ أبى الحسن أن يكون النصف الأعلى أصغر من النصف الأسفل بجزء يسير ؛ وهذه صفتها .

مقـــورة



وإن كانت متوسطة : فهى غير مستحسنة إلا قبل الألف ، وطريقها على ما تقدّم ولها حكم : وهو أنك تجىء بالخط الذى قبلها حتّى يشقها متصلا بالألف ، حتّى لو طرحتَ الهاء لاتصل الألف بما قبله مستغنيا عن الهاء كأنما ركبت من فوقه تركيبا ، ويكون هذا العمل فى كل حرف يقع معها ؛ وهذه صفتها .

مقورة مســـتديرة



وأما وجه الهر : فتكون أيضا مبتدأة ، ومتوسطة ؛ ولا يجوز تأخيرها . وطريقها فى الابتداء والتوسط أنك تبدأ من رأسها بوجه القلم معتدل النزول شيئا قليلا ، ثم تردّها عن يمينك إلى يسارك صاعدة معتدلة ، ثم يصير جميعها دائرة على مركزين ، فإذا بلغت المكان الذى ابتدأت منه تكففتها طولا حذارا من أن يقع فيها حَوَلٌ ، وهو أن يكون أحد شقيها أوسعَ من الآخر . وكثيرا ما يكون شقها بحرف القلم إذا كانت متوسطة .

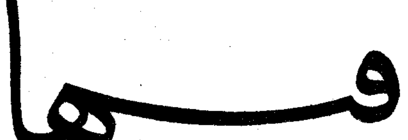
فإن كانت مبتدأة فشقها بوجه القلم .

وهذه صورتها فى الابتداء

وجه الهــــر

وهذه صورتها فى التوسط

وجه الهر متوسطة

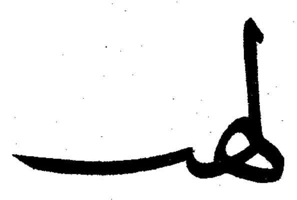


وأما المشقوقة طولا : فإنها لاتكون إلا متوسطة ، ولا يجوز تقديمها ولا تأخيرها ، ولا تصــحب من حروف المعجم غير اللام وحدها ، وطريقها كطريق وجه الهر ، ويفترقان فى القاعدة فتكون قاعدتها مســتديرة ، وتكون اللام نازلة عليها من فوقها ، وعلامة صحتها أنك إذا حذفت الهاء صارت اللام متصلة بما بعــدها كأنما زيدت الهاء عليها ، وهذه صفتها .

مشــــقوقة طولا

وأما المشقوقة عرضا : فلا تكون إلا صحبة اللام أيضا ، وطريقها أنك إذا نزلت باللام معتدلة ، أدرت الهاء فأصقتها بوجه اللام وشققت الهاء عرضا ، ولا بدّ من مدّة لطيفة تكون بعدها ، وهذه صفتها .

مشــــقوقة عرضا



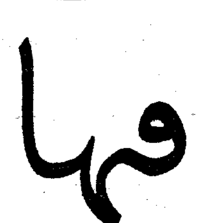
وأما المختَلَسة : فإنها لا تكون إلا مبتدأة ، ويكون بعدها من الحروف حروف المدّ واللين : وهى الألف ، والواو ، والياء ؛ وهى مطموسة ؛ وهذه صفتها .

مختلســـة

ى

وأما المدغمة : فلا تكون إلا متوسطة ؛ وطريقها أنك إذا فرغت من الحرف الذى قبلها أدرت منه إدارة لطيفة ، ونزلت بها نزلة إلىٰ ذات اليمين ، ثم صَعِدت فى خط يلاصق الخط الذى هبطت فيــه من غير وخز يكون بينهما ؛ وتكون مطموسة أيضا ولا يكون أسفلها أوسع من أعلاها بل يكون أعلاها أوسع شيئا يسيرا ؛ ويتوخّى فيها الترطيب : وهو شـدّة الاستدارات ، فمتىٰ كان العمل فيهـا يابسا كان رديئا ؛ وهذه صورتها :

مدغمـــة



القســـــــم الثـانى

ما يقع فى آخر الكلمة وهى علىٰ نوعين
هاء الرِّدْف، والمُخْفَاة

فأما هاء الردف : فطريقها أنك إذا فرغت من الحرف الذى قبلها طَلّعْت فيه بصدر القلم، ثم نزلتَ فى الخط الذى صعِدتَ فيه .

هذا مذهب الأستاذ أبى الحسن بن البوّاب .

ومذهب الوزير أبى علىّ بن مقلة أن تنزل فى خط يلاصق الخط الذى صَعِدت فيه ، وكلاهما مستحسن؛ فاذا بلغت ثلثى ماصعدت به جئت بصدر القلم إلىٰ وجه الهاء ولا تخرج رأسها إلىٰ قفاها البتة؛ وهذه صفتها :

مردوفـــة

وأما المُخْفاة: فأكثر ماتصحب الحروفُ القِصَار ، وهى يمين أليق؛ وطريقها أنك إذا فرغت من الحرف الذى قبلها أدرت منه إلىٰ الهـاء إدارة لطيفة مهلّلة، ثم تأتى بنصف راء مدغمة حديدة الطَّرَف مخطوفة؛ وهذه صفتها :

مخطـــوفة

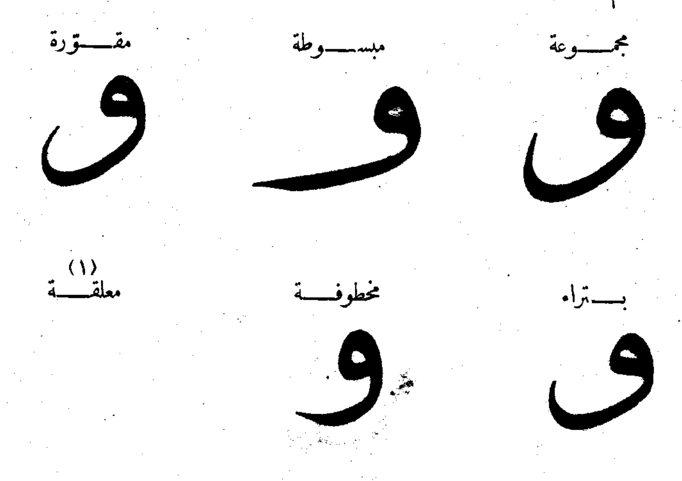


الصورة السابعـــة عشرة

(صـــورة الواو)

ونظيرها فى التركيب الفاء، وفى الإفراد القاف، لكن القاف أكبر مساحة من الواو، وتكون على خمسة أنواع : مجموعة، ومبسوطة، ومقورة، وبتراء، ومخطوفة؛ ويكون ذلك فى الإفراد والتركيب .

وكان بعض الكُتَّاب يجعلها معلقة كالراء المدغمة لأنها قدرها . وقد تقدّم أن الراء والزاى، والميم، والواو قدر سواء فى كل خط .



الصـــورة الثـامنة عشرة

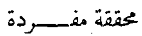
(صورة اللام ألف)

ولها ثلاث صور : محققة، ومخففة، ووراقية

فأما المحققة : فلا تكون إلا مفـردة ولا يجوز تركيبها بحال؛ وطريقها أن تبـدأ بوجه القلم ثم تنزل به على تلك الصورة، ثم تفتل إلى قاعدتها بوجه القلم، ثم ترفع القلم

(١) لم يضع لهـا رسمـا فى الأصل .

وقد بَطَّنْتَ قلمك فصــيرت بطنه ممــا يلى يمينك وظهره عن يســارك، ويكون قدر الألف واللام قدرا سواء فى الطول والالتواء والغلَظ والنَّحافة، ويكون ما بينهما كواحد منهما، وتكون القاعدة على هيئة رأس الفاء المبسوطة لكنها مقلوبة، وهذه صورتها :





وأما المخففة : فيجوز فيها التركيب والإفراد وكلاهما مستحْسَن جيد . وصورتها فى التركيب كصورتها فى الإفراد، وطريقها أن تأتى بلام معلَّقة على ما تقدّم فى اللام المعلقة فى حرف اللام، ثم ترمى عليها ألفا مُعوَجَّةً إلى ذات اليمين ويكون ذنب الألف موزونا على الخط الذى لا مست به الحرف الذى قبل اللام إن كانت مركبة ؛ وهذه صفتها :

مخففة مركبـــة



وإن لم تكن مركبة فتشعرهما معا، وهذه صورتها فى الإفراد :



وأما الوراقيــة : فإنها كالمحققة ، فإذا كتبت اللام ركبت عليها الألف وأخرجتها عنها، ثم صيرت لها منها قاعدة مثلثة حادّة الزوايا، والأولى أن تكون مفردة .

قال الشيخ عماد الدين بن العفيف رحمه الله : ولايكون هذا الشكل إلا فى قلم النسخ وما شاكله وفى قلم المحقق وماشابهه ، وهذه صفتها :

وراقيـــة

لا

الصورة التاســـعة عشرة

(صـــورة اليـاء)

وهى علىٰ ضربين : مفردة ، ومركبة

الضرب الأوّل

المفـــردة

وهى علىٰ ثلاثة أنواع : مجموعة ، ومقوّرة ، ومبسوطة

فأما المجموعة : فطريقها أن تبدأ بصدر القلم فتعمل رأسها دالا مقلوبة وصدرها أيضـا دالا مسـتوية ، فإذا تركبت الدالان جررت العراقة ، وعلامة صحتها أن تكون الدالان صحيحتين كما تقـدّم . وإذا ركبت خطا من ذنبها إلىٰ صـدرها ، صار صادا جيدة ، وهذه صفتها :

مفـــردة مجموعة



وأما المقوّرة : فبـدؤها كبدء المجموعة، غير أنك إذا وصلت إلىٰ صدرها عرقت نصف دائرة، ويكون ذنبها يحاذى صدرها، وتكون حديدة الطرف؛ ولا يجوز فيها الوقف ولا الجمع؛ ويكون رأسها موزونا علىٰ صدرها، لا يجاوزها، سواء انفردت أو تركبت؛ وهذه صورتها :

مقـــوّرة

ى

وأما المبســوطة : فعلىٰ ما تقدّم فى المقوّرة؛ وتفارقها من الصدر فتكون العراقة قطعة قوس مهلّلة، وتكون حديدة الطرف ولايجوز فيها الوقف؛ وهذه صورتها :

مبســـوطة



الضرب الثـانى

المركبـــة

وهى علىٰ ثلاثة أنواع : مبتدأة، ومتوسطة، ومتأخرة

فأما المبتدأة والمتوسطة : فحكمهما حكم الباء، والتاء، والنون، وماشابهها .

وأما المتأخرة : فعلىٰ ثلاث صور، محققة، وراجعة، ومعلقة .

فأما المحققة : فعلىٰ ماتقدّم أوّلا ، غير أنك تحذف رأسها للتركيب ؛ وهذه صورتها :

محققـــة

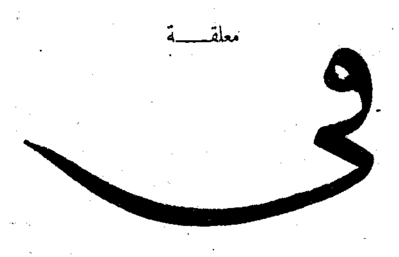
وأماالراجعة : فتختصُّ ببعض الكلم دون بعض : كالفاء ، واللام ، وهى مع الفاء أكثر ٱستعمالا .

وطريقها أنك إذا فرغت من الحرف الذى قبلها بطنته شيئا يسيرا وجئت برأس كرأس الياء ، ويكون فيها شيء من تبطين ، ثم تجرّ القلم إلىٰ ذات اليمين جرّة معتدلة فى التكييف ، فاذا بلغت ثلاثة أرباعها أدرت القلم برفق ، ولا تظهر الإدارة ، ثم تمرّ وأنت مديرٌ لقلمك حتّى تختمها بحرف القلم فى نهاية الدقة والتحديد ؛ وهذه صورتها :

راجعـــة

واما المعلقة : فتكون علىٰ صورة اللام المجموعة واللام المرسلة ؛ وهذه صفتها :

معلقـــة



النـــــوع الثـانى

قلم الثلث الخفيف

ويقال فيه خفيف الثلث ،وهو الذى يكتب به فى قَطْع النصف ،وصُوَرُه كصُوَر الثلث الثقيل المتقـدّمة الذكر لاتختلف ، إلا أنه أدق منه قليلا وألطف مقادير منه بنزر يسير .

قال الشيخ زين الدين عبد الرحمن بن الصائغ : والفرق بينه وبين الثلث الثقيل أن الثقيـل تكون منتصباته ومبسوطاته قدر سَبْع نُقَط علىٰ ما فى قلمه ،علىٰ ماتقدّم ، والثلث الخفيف يكون مقدار ذلك منـه خمس نقط . فإن نقص عن ذلك قليلا ، سمى القلم اللؤلؤىّ .

القـــــلم الرابع

قـلم التوقيع

بإضافة قلم إلىٰ التوقيع ،سمى بذلك لأن الخلفاء والوزراء كانت توقع به علىٰ ظهور القِصَص ،ويقال فيه قلم التوقيعات علىٰ الجمع أيضا ،وقد يقال فيه التوقيع والتوقيعات بحذف المضاف إليه . ثم هو علىٰ نوعين .

النـــــوع الأوّل

قلم التوقيع المطلق

وهو الذى يكتب به فى قَطْع الثلث ،وقد تقدّم أن أوّل من آخترعه يوسُف أخو إبراهيم الشجرىّ ،وأن ذا الرياستين : الفضلَ بن هارون أُعْجِب به ،وأمر أن تحرّر الكتابة السلطانية به دون غيره وسماه القلم الرياسىّ ، ولعله إنمـا سمى الرياسىّ لمـا تقدم من آختصاص الكتب السلطانيـة به أخذا من الرياسـة ؛ وقواعد حروفه وأوضاعُه فى الأصل قواعد قلم الثلث إلا أنه يخالفه فى أمور .

أحدها ـ أن قَطّته إلىٰ التدوير أميل، بخلاف الثلث فإن قَطّته إلىٰ التحريف أميل. وذلك أن التوقيع آمتلاء حروفه علىٰ السواء بخلاف الثلث، فإن فيه تشعيرات تحتاج إلىٰ التحريف.

الثانى ـ أن حروفه إلىٰ التقوير أميل من الثلث، وإن كان فى الثلث ميل إلىٰ التقوير فإنه لايبلغ فى ذلك مبلغ التوقيع.

قال لى الشيخ عبد الرحمن المُكَتِّب(١) الشهير بابن الصائغ : ويكون فى سطره تقوير مّا علىٰ نسبة تقوير حروفه.

قال الشيخ زين الدين شعبان فى ألفيته : وتكون منتصباته مروّسة كما فى الثلث.

قال لى الشيخ زين الدين عبد الرحمن بن الصائغ المُكَتِّب : ويجوز ترك الترويس فى بعض حروفه.

قال الشيخ زين الدين شعبان الآثارى : ويخيَّر فيه بين الطمس والفتح فى العين المتوسطة، والفاء، والقاف، والميم، والواو، وعقدة اللام ألف المحققة. وخص الشيخ زين الدين عبد الرحمن بن الصائغ طمس العين بالآخرة.

قال الشيخ زين الدين شعبان الآثارى : ويختص من الحروف الزائدة علىٰ الثلث، بالراء المقورة، والراء البتراء، والراء المخطوفة، والواو المقورة، والواو البتراء، والواو المخطوفة، والعين البتراء؛ وسيأتى ذكرها عند تشكيل الحروف فيما بعدُ إن شاء الله تعالىٰ.

---

(١) قال فى الصحاح للجوهرى : والمُكْتِب الذى يعلم الكتابة، قال الحسن : كان الحجاج مُكْتِبا بالطائف يعنى معلما. وفى المصباح كتبت الغلام تكتيبا علمته الكتابة. [ففيه لغتان].

حرف الألف

مطـــلق مشـــعر محـــرّف مركب

البـاء

مجمـــوعة موقـــوفة مبســـوطة

مدغمة مجموعة مدغمة مبسوطة مركبة مبتدأة . مركبة متوسطة

مركبـــة موقوفة مركبـــة مبسوطة

الجيم

مرسلة — مسبلة — مجموعة

رتقاء مفردة مرسلة — رتقاء مقوّرة مسبلة — رتقاء مفردة مجموعة

مركبة مبتدأة ملوزة — رتقاء مبتدأة — مركبة متوسطة

مركبة مختتمة مرسلة — مركبة مسبلة — مجموعة

الدال

مفردة مجموعة	مختلســـة	مركبة مجموعة
د	د	عد

مركبة مختلسة	مركبة مخطوفة	مركبة مشعرة
عد	حد	هد

الراء

مقـــورة	مخطـــوفة	مفردة مبسوطة
ر	ر	ر

مفردة مدغمة	مركبة مبسوطة	مركبة مدغمة
ر	حر	عر

مفردة مجموعة	مركبة مجموعة
ر	صهر

السين

مخسوفة — مجموعة — مبسوطة

مبتدأة مركبة — متوسطة — مخسوفة

مطرفة مبسوطة — مطرفة مجموعة — مفردة معلقة

مركبة مطرفة معلقة — مركبة متوسطة معلقة

الصاد

مخسوفة مجموعة مبسوطة

مبتدأة متوسطة مطرفة مخسوفة

مطرّفة مجموعة مطرفة مبسوطة

الطاء

مفردة مرسلة مفردة موقوفة مركبة ملفوفة

مبتدأة مبسوطة — متوسطة لقائمين — متوسطة لمبسوطين

طسم لطا سطـ

مطرفة موقوفة — مطرفة مرسلة

وط وط

العين

مرســــلة — مســــبلة — مجمـــوعة — نعلية بينها منتصب

ع ع ع عا

نعلية بينها ماهو فى حكم المنتصب — صادية بينها مبسوط — صادية بينها ماهو فى حكم المبسوط

عد عسـ عم

مولفة مع الإفراد | مولفة مع التركيب | بـــتراء

الفاء

مجمـــوعة | موقـــوفة | مبســـوطة

مبتـــدأة | متوســـطة | متطرفة مجموعة

مطرفة موقوفة | مطرفة مبسوطة

القــاف

مفردة مجوعة — مخســـوفة — مبســـوطة

و و و

مطرفة مجموعة — مطرفة مخسوفة — مطرفة مبسوطة

حو حو حو

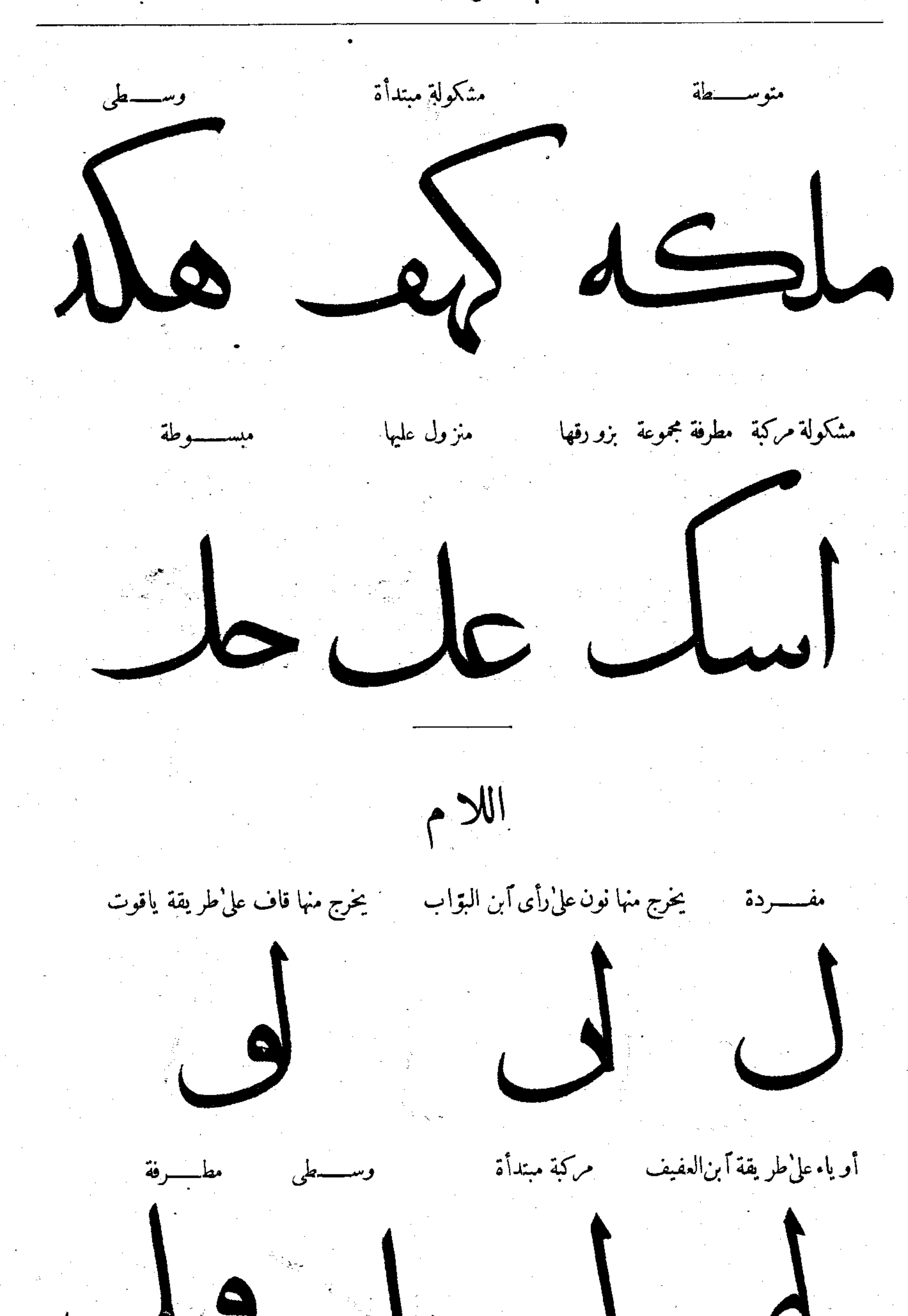
الكاف

مجموعة مفردة — موقـــوفة — مبســـوطة

ل ل ل

مشكولة مبتدأة — متوســـطة — مبسوطة مبتدأة

كا مكلف كبا


متوســـطة
مشكولة مبتدأة
وســـطى
مشكولة مركبة مطرفة مجموعة بزورقها
منزول عليها
مبســـوطة
اللام
مفـــردة
يخرج منها نون على رأى ابن البوّاب
يخرج منها قاف على طريقة ياقوت
أو ياء على طريقة ابن العفيف
مركبة مبتدأة
وســـطى
مطـــرفة

الميم

مفردة | مخطوفة | مسبلة | مبتدأة مشعرة

مـ مـ م ما

وسطى مقلوبة | وسطى محققة | مسبلة ملفوفة | مسبلة ملوزة

مما مما م م

النون

مفردة مجموعة | مدغمة | مختلسة | وسطى

ں ں ں بلـ

مركبة مطرفة مجموعة | مدغمة | مختلسة

من من من

الهـاء

مركبة مبتدأة ملوزة — مفردة مثلثة — مفردة مربعة

طالعـــة — مدغمـــة — وجه الهر

مردوفة — محققة — محدودبة — مخطوفة

الـــواو

مجموعة مشدودة | مبسوطة مشدودة | مجموعة مفتوحة | مبسوطة مفتوحة

و و و و

مقـــورة | مخلوفة منورة | بـــتراء

و و و

اللام الف

محققة مفردة | مرشوقة مفردة | مركبة محققة

لا لا حلا علا

اليـاء

راجعـــة	مركبـــة	مفردة مجموعة
ے	ى	ى

مركبة مبسوطة	مركبة مجموعة	مبتدأة ثم وسطى
ى	ى	ى

مركبة مبسوطة	مركبة مخسوفة	مركبة راجعة
ى	ى	ے

القـــــلم الخـامس

من الأقلام المستعملة بديوان الإنشاء

قـــلم الرِّقَاع

بإضافة قلم إلىٰ الرقاع، والمعنىٰ أنه يُكْتَبُ به فى الرِّقَاع جمع رُقْعَةٍ، والمراد الورقة الصـغيرة التى تكتب فيها المكاتبـات اللطيفة والقِصَص وما فى معناها، وهو الذى يكتب به فى قَطْع العادة من المنصورى والقطع الصغير، وصُوَره فى الأصل كصُوَرَ حروف الثلث والرِّقاع(١) فى الإفراد والتركيب إلا أنه يخالفه فى أمور :

أحدها ــ أن قلمه أميل إلىٰ التدوير من قلم التوقيع الذى هو أميل إلىٰ التدوير من قلم الثلث .

قال لى الشـيخ عبد الرحمن بن الصائغ المُكَتِّبُ : وتكون جِلْفَـةُ قلمه فى البِرَاية أقصر من الثلث والتوقيع .

الثـانى ــ أن حروفه تكون أدقَّ وألطف من حروف التوقيع .

الثالث ــ أن الترويس لايقع فى منتصـباته من الألف المفردة وأخواتها إلا فى القليل، بخلاف الثلث والتوقيع فإن الترويس فيهما لازم .

الرابع ــ أنه يغلب فيه الطمس فى العين المتوسـطة والأخيرة، وكذلك الفاء، والقاف، والميم، والواو، وعقدة اللام ألف المحققة. أما الصاد والطاءُ والعين المفردة والمبتدأة فإنها لاتكون الا مفتوحة .

الخامس ــ أنه يوجد فيه من الحروف ما لا يوجد فى غيره كالألف الممـالة إلىٰ جهة اليمين علىٰ ماسيأتى ذكره فى موضعه إن شاء الله تعالىٰ .

(١) لعل الصواب . والتوقيع .

وهـــذه صورة حروفه إفرادا وتركيبا

الألف

مطـــلق	مشـــمر	محـــرّف	طالـــع
ا	ل	ا	ا

البـاء

مجمـــوعة	مدغمة مفردة	مدغمة مبسوطة	مفردة موقوفة

مبتدأة . وسطى . مطرفة	مطرفة موقوفة	مطرفة مبسوطة

الجـــيم

مفردة مرسلة | مفردة مسبلة | مفردة مجموعة

ح ح ح

رتقاء مرسلة | رتقاء مجموعة | رتقاء مسبلة

ح ح ح

مبتـــدأة | وســـطى | وسطى مفتوحة

حسد ـحـ لحں

مطرفة مرسلة | مطرفة مسبلة | مطرفة مجموعة

ح ح ح

الدال

مشـــعرة	مخطـــوفة	مختلســـة	مفردة مجموعة
هد	د	د	د

مخطـــوفة	مختلســـة	مركبة مجموعة
مد	عد	مد

الـــراء

بـــتراء	مخطـــوفة	مقـــورة	مجمـــوعة
ر	ر	ر	ر

مقطـــوفة	مدغمـــة	محققـــة
ر	ر	ر

السين

مجمـــوعة   معلقــــة   مخســــوفة

س   ســـ   س

مبســـوطة   مبتـــدأة   متوســـطة

س   سلغد   عسعه

مطرفة مجموعة   مبســـوطة   مخســـوفة   معلقـــة

س   س   س   س

الصـــاد

مجمـــوعة	مبســـوطة	مخســـوفة
ص	ص	ص

أولى مركبة	وسطى مركبة	مطرفة مجموعة
صل	ـصم	ـص

مطرفة مبسوطة	مطرّفة مخسوفة
ـص	ـص

الطاء

مرسلة — ط

موقوفة — ط

مبتدأة — طا

متوسطة — حط

مطرفة مرسلة — حط

مطرفة موقوفة — عط

العين

مرسلة — ع

مسبلة — ع

مجموعة — ع

مبتدأة نعلية — عا

مبتدأة صادية — عـ

متوسطة — ـعـ

مطرفة مرسلة — مع

مطرفة مسبلة — مع

مطرفة مجموعة — مع

الفـــــاء

مبســـــوطة	موقــــوفة	مجمــــوعة
ـو	ـو	ى

مطرفة مجموعة	وســـــطى	أولى مركبة
مف	معد	ڡـ

مطرفة مبسوطة	مطرفة موقوفة
مڡ	مڡ

القـــاف

مفردة مجموعة — مخســـوفة — مبســـوطة — مبتـــدأة

متوســـطة — مطرفة مجموعة — مطرفة مخسوفة — مبســـوطة

الـــكاف

مجمـــوعة — موقـــوفة — مبســـوطة — أولىٰ مشكولة

وسطى مشكولة — مركبة مجموعة

مركبة موقوفة — مركبة مقورة — أولى مبسوطة

وسطى مبسوطة — مشكولة موصولة — مشكولة مفصولة

اللام

مفردة مجموعة — موقـــوفة — مبســـوطة — مبتـــدأة

متوســـطة — مجموعة مركبة — مبســـوطة — موقـــوفة

الميم

مفردة معلقة	مخطوفة	مسبلة	مبتدأة مركبة
وسطى مركبة	مطارفة معلقة	مركبة مسبلة	مختتمة محققة

النون

مجموعة	مدغمة مجموعة	مدغمة مبسوطة
مبسوطة	مخسوفة	أولى . وسطى
مجموعة مركبة	مبسوطة مركبة	مخسوفة مركبة

الهـــــاء

مربعـــة مدوّرة وجه الهر مدغمـــة

ه ه همر وهدا

مشقوقة عرضا ملـــوّزة مشقوقة طولا محدودبة

حها هل لها مه

محققـــة مختطفـــة مختلســـة

وه وه وه

الـــــواو

مجموعة مفردة مبسوطة مفردة مجموعة مركبة مبسوطة مركبة

و و فو عو

اللام ألف

محققة مفردة　　مفـــردة　　محققة مركبة　　مرفـــلة

لا　　لا　　حلا　　ولا

اليــاء

مجموعة مفردة　　مخســـوفة　　راجعــــة　　مبتدأه ، وسطى

ى　　ى　　ے　　ـد

مجموعة مركبة　　مخسوفة مركبة　　راجعة مركبة مختتمة

وى　　وى　　وے

القـــلم السـادس[1]

قـلم الغُبـارِ

سمى بذلك لدقته، كأن النظر يضعُف عن رؤيته لدقتـه كما يضعُف عن رؤية الشيء عند ثَوَرَانِ الغُبَار وتغطيته له، وهو الذى يكتب به فى القطع الصغير من ورق الطير وغيره .

وبه تكتب بطائق الحمام التى تحمل علىٰ أجنحتها فى ورق الطير. وبعضهم يسميه قلم الجَنَاح لذلك، وهو قلم ضئيل مولَّد من الرقاع والنسخ، مفَتَّح العُقَدِ من غير ترويس فيه، وينبغى أن تكون قَطَّته مائلة إلىٰ التدوير لتفرّعه عن الرقاع والنسخ .

وهذه صورة حروفه إفرادا وتركيبا :

ا ب ر س د د ر رس س ص ص ط ع ف ف و ك ل ل

ر ه و و لا لا لا ى ى

بسم الله الرحمن الرحيم

كتب الامام على رضى الله عنه الى بعض عماله
لا تؤخر عمل اليوم لغد فان عليك الاعمال
وان للناس سوء عن سلطانهم او نفرة اعوذ
بالله ان تدركنى واياكم ضغاين محمولة فى صدور طويل

---

(١) هو فى الحقيقة سابع لتكلمه علىٰ خفيف الثلث فيما سبق فى الكلام علىٰ قلم الثلث حيث قسمه الىٰ نوعين : ثقيل وخفيف . فلم يترك من الأقلام شيئا كما قد يتوهم .

وهذه الصورة المصطلح عليها الآن : (وقد أجازوا فيها الفتح والطمس جميعا)

بسم الله الرحمن الرحيم وبه ثقتي
قال الإمام أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه
المعروف قروض والأيام دول ومن توانى
عن نفسه ضاع ومن قاهر الحق قهر والسلام

الجملة السابعة

(فى كتابة البسملة)

و بيان صورتها فى كل قلم من الأقلام المستعملة فى ديوان الإنشاء، وفيها مَهْيعَان

المَهْيع الأوّل

(فى ذكر قواعدَ جامعةٍ للبسملة فى جميع الأقلام، وتشتمل على ثمانِ قواعدَ)

الأولى ــ قد ٱتفق الكُتَّابُ على تطويل باء البسملة أكثرَ مما يطوّل به غيرها من الباءات التى فى أوّل الكلمة . وسيأتى فى الكلام على البسملة فى المقالة الثالثة أنها طولت بدلا من الألف المحذوفة بينها و بين السين لكثرة تكْرارها . وقد ذكر بعضُ المصنِّفين فى الخط أنها تكون بمقدار ثُلُثَىْ ألِف ذلك الخطّ .

وقد سبق القول على مقدار ألِف كلّ قلم فيما تقدّم، وهذا أصل يترتب عليه غيره .

الثانيــة ــ فى البَسْملة خمسُ أخوات متساويات فى الطول والٱنتصاب، وهى : ألفُ الجلالة، والألف واللام من الرحمن ، والألف واللام من الرحيم، فكلُّها على مقدار واحد، وقد سبق .

الثالثة ـ فيها أربع أخوات متساويات فى الإرسال: وهى إرسالةُ الميم من بسم وإرسالة الراء من الرحمن، وإرسالة الراء من الرحيم، وإرسالة الميم من الرحيم.

الرابعة ـ فيها أربع أَخَوَات متساويات فى الضَّوْء: وهى الميم من بسم، والهاء من الجَلَالة، والميم من الرحمن، والميم من الرحيم.

الخامسة ـ فيها أختان متناسبتان فى المقدار: وهما الحاء من الرحمن، والحاء من الرحيم.

السادسة ـ أن لامات الجلالة تكون موازيةً من أعلاها للباء فى أول البسملة إلا أن اللام الثانية من لامات الجلالة تكون أخفضَ من اللام الأولىٰ بيسير.

قال ٱبن عبد السلام فى الميزان: بحيث لا يُدْرَك ذلك إلا بتأمل. والذى ذكره الشيخ زينُ الدين الآثارى أنها تكون ناقصة عنها بقدر نُقْطة (يعنى من نُقَط قلم كتابتها) وتكون الهاء أخفض من اللام الثانيةِ مثل ذلك.

السابعة ـ أن يكون بين الباء والسين قدرُ رُبُعِ ألفٍ من ألفات ذلك الخط، وتكون أسنان السين منها محدّدةَ الأطراف، ويكون الأخذ من كل سِنٍّ من أسنان السين من أعلاها آخذا فيها إلىٰ أسفل مع التساوى من الأعلىٰ وكذا من الأسفل، بحيث إنه إذا خُطَّ خطٌّ من أسفل الباء إلىٰ آخر السين لاصق بهما ووقع علىٰ الاستقامة، ثم يأخذ فى مدّ السين من أعلىٰ السنة الأخيرة منها، وتكون أصابعه مقدّمة وكُلْوة يده مؤخَّرةً.

الثامنة ـ أن يكون البسط بين اللام الأولىٰ والثانية منخسفا لا مستويا، وكذلك ما بين اللام الثانية والهاء.

المهيع الثانى

(فى بيان صورة البسملة فى كل قلم من الأقلام التى تستعمل فى ديوان الإنشاء)

قد تقدّم أن الأقلام التى تستعمل فى ديوان الإنشاء مما يكتب به كُتَّابُه ستةُ أقلام وهى : مختَصَرُ الطومار، وقلم الثلث الثقيل والخفيف ، وقلم التوقيعات، وقلم الرِّقاع، وقلم الغُبَار، إلا أن المحقَّق لا بسملةَ له فى ديوان الإنشاء : لأنه إنما يستعمل فى كتابة طغراة كتاب على ما تقدّم ذكره، ولا بَسملة للطغراة .

اللهم إلا أن يكتب مختصر الطُّومار على طريقة المحقَّق فتكتب البسملة فيه على طريقة المحقق، بخلاف قلم الغُبار فإنه يكتَبُ به فى الملَطِّفات فيُحتاج إلى البسملة وإن لم يحتج إليها فى البطائق .

ولتعلم أن صورة البسملة فى هذه الأقلام تختلف ما بين صورة واحدة لكل قلم فأكثر . وقد ذكر صاحب العناية الربانية صُوَرا من ذلك : وأنا أوردها على الترتيب إن شاء الله تعالى .

فأما بسملة قلم مختصر الطومار، فقد تقدّم أن طريقته طريقة الطُّومار، وأن الطُّومار تارةً يُكْتَب على طريقة المحقَّق وهو الأكثر، وتارةً يُكْتَب على طريقة الثلث، وعليه عمل كُتَّاب الإنشاء، وربما عملوا على طريقة المحقَّق، وحينئذ فإن كان المكتوب على طريقة المحقَّق فبسملته على طريقة المحقق مع امتلاء قلمه على حَدِّ قلم مختصر الطومار على ما تقدّم بيانه .

وهــــذه صورة بســـملته

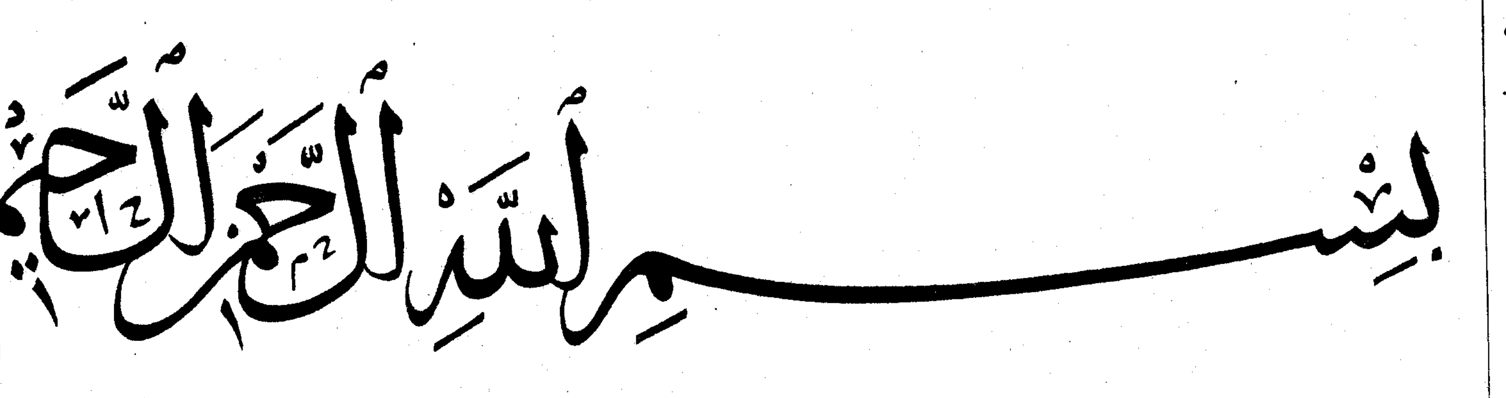


على طريقـــــة الثلث

وأما قلم الثلث الثقيل وقلم الثلث الخفيف فطريقهما واحدة لا خُلْفَ بينهما إلا فى رِقَّة القَلَم وغِلَظه علىٰ ماتقدّم بيانه فى الكلام علىٰ أصل الأقلام.

وللبسملة فيهما ثلاثُ صُوَر.

الصورة الأولىٰ ــ أن تكون الراء فى الرحمن وفى الرحيم محسوفةً، وهذه صورتها :



الصورة الثانيـة — أن تكون الراء فيهما مجموعة والنون في الرحمن مجموعة ؛ وهذه صورتها :



الصورة الثالثـــة : أن تكون الراء فيهما مُدْغَمَة والنون فى الرحمن مُدْغَمَة ؛ وهذه صورتهـا :

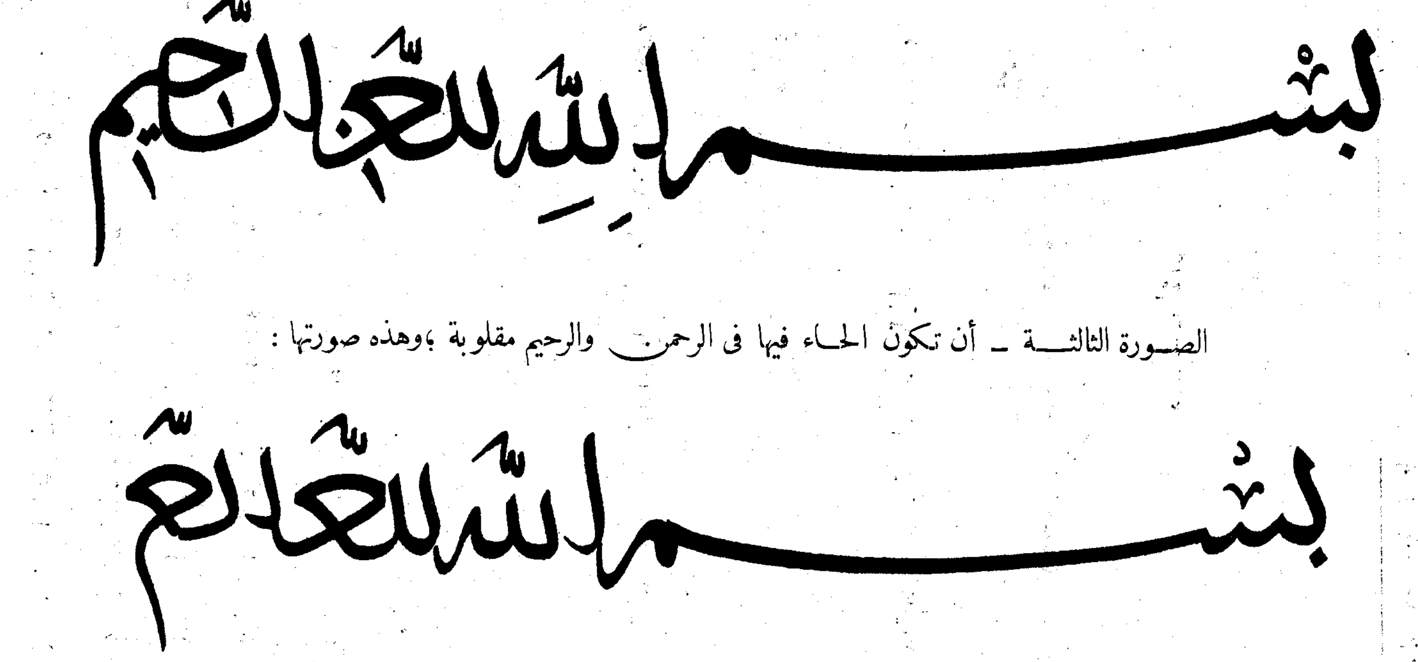
بسم الله الرحمن الرحيم

وأما بسملة قَلم التوقيع فلها ثلاثُ صُورَ :

الصورة الأولىٰ ـ مختصرة من قلم الثُّلُث فتكون كهى ، إلا أنها أدقُّ قلما منها ؛ وهذه صورتهـا :

بسم الله الرحمن الرحيم

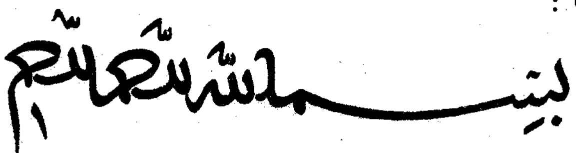
الصورة الثانيـــة ـ أن تكون الحاء فيها فى الرحمن مقلوبة وفى الرحيم مُلَوَّزة ؛ وهذه صورتهـا :



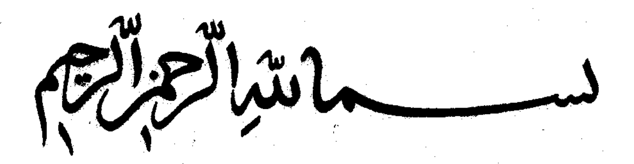
الصـورة الثالثـــة ـ أن تكون الحـاء فيها فى الرحمن والرحيم مقلوبة ؛وهذه صورتها :

وأما بسملة قلم الرقاع ، فإن السين تكون فيها بالتدريج ، كل سنٍّ دون التى قبلها بيسـير ، والكاتب فيها مخير بين وصل أسنانها وفصلها فصلًا يسيرا . وقد آصطلحوا على أن تكتب الألفُ التى قبل الجلالة فيها متصلةً بميم بسم ، وتكون مثـل الألف والصاعد فى قَلَم الرِّقاع ، ثم يجعل لها ذَيْلٌ وتُوصَل بالجلالة ؛ ولهـا ثلاث صور .

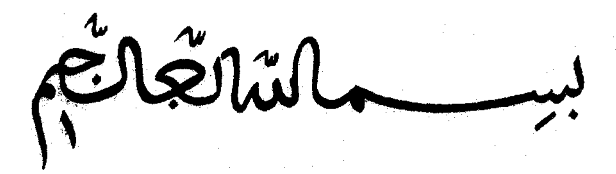
الصورة الأولى ــ أن تكون الراء فيها مدغَمَة ، والحاء فى الرحمن والرحيم مقلوبة ؛ وهذه صورتها :



الصورة الثانية ــ أن تكون الراء فيها مدغمة والحاء رتقاءَ ، وهذه صورتها :



الصورة الثالثة ــ أن توصل الألف بالجلالة من أعلاها ، وهذه صورتها :



وأما بسملة الغبار (١)

---

(١) لعله فلها صورة واحدة وهى هذه .

الجمـــــلة الثـامنة

(فى وجوه تجويد الكتابة وتحسينها، وهو علىٰ ضربين)

الضرب الأوّل

(حسن التشـــكيل)

قال الوزير أبو علىّ بن مُقْلة : وتحتـاج الحروف فى تصحيح أشكالهـا إلىٰ خمسة أشياء :

الأوّل ـ التوفِيَـة، وهى أن يُوَفَّىٰ كلُّ حرف من الحروف حَظَّه من الخُطُوط التى يركب منها : من مقوّس ومُنْحنٍ ومُنْسَطِح .

الثـانى ـ الإتمام، وهو أن يعطىٰ كلُّ حرف قِسمتَه من الأقدار التى يجب أن يكون عليها : من طُول أو قِصَر أو دِقّة أو غِلَظ .

الثـالث ـ الإكمال ، وهو أن يؤتىٰ كلُّ خط حظَّه من الهيئات التى ينبغى أن يكون عليها : من ٱنتصاب، وتسطيح، وٱنكباب، واستلقاء، وتقويس .

الرابع ـ الإشباع، وهو أن يؤتىٰ كلُّ خط حظه من صَدْر القلم حتّىٰ يتساوىٰ به فلا يكون بعض أجزائه أدقَّ من بعض ولا أغلظَ إلا فيما يجب أن يكون كذلك من أجزاء بعض الحروف من الدقة عن باقية مثل الألف والراء ونحوهما .

الخامس ـ الإرسال، وهو أن يُرْسِلَ يدَه بالقلم فى كل شكل يجرى بسُرْعة من غير ٱحتباس يُضَرِّسه ولا تَوَقُّف يرعشه .

الضرب الثـانى

(حسن الوضـــع)

قال الوزير : ويحتاج إلىٰ تصحيح أربعة أشياء .

الأوّل ـ الترصيف، وهو وصل كلّ حرف متصل إلىٰ حرف .

الثـانى ـ التأليف، وهو جمع كل حرف غير متصل إلىٰ غيره علىٰ أفضل ماينبغى ويحسن .

الثالث ـ التسطير، وهو إضافة الكلمة إلىٰ الكلمة حتّٰى تصير سـطرا منتظم الوضع كالمِسْطَرة .

الرابع ـ التنصيل، وهو مواقع المَدّات المستحسنة من الحروف المتصلة .

وآعلم أن المَدّ فى الخط قديم، فقد حكىٰ أبو جعفر النحاس فى "صناعة الكتّاب": أن أهـلَ الأنبار كانوا يكتُبون المَشْق . وكأنه يريد أنهم كانوا علىٰ ذلك فى القديم، فقد تقدّم أن أوّل ما تعلَّم أهلُ الحجاز الخَطَّ من أهل الأنبار . علىٰ أن صاحب "موادّ البيان" قد حكىٰ أن جماعة من المحرّرين كانوا يكرهون المَشْق لإفساده خطَّ المبتدئ ودلالته علىٰ تَهاوُن المنتهِى .

قال : ولذلك كرهوا كتابة البسملة بغير سـين مبيَّنة ثم صارت كراهة ذلك سُـنَّة وعُرْفا . والذى عليه حُذَّاق المحررين آستعمال المدّ .

قال فى "موادّ البيان" وهذه المدّات تستعمل لأمرين: أحدهما أنها تحسِّن الخط وتفخِّمه فى مكان كما يُحَسِّن مَدُّ الصوت اللفظَ ويفخِّمه فى مكان . الثانى أنها ربمـا أوقعت ليتم السَّطْر إذا فضـل منه مالا يتَّسع لحرف آخر : لأن السطر ربمـا ضاق عن كلمتين وفَضَل عن كلمة فتمدّ التى وقعت فى آخر السطر لتقع الأخرىٰ فى أوّل السطر الذى يليه .

وقال الشيخ عماد الدين بن العفيف : مواضع المدّ أواخر السطور ، وتُكْره إذا كانت سينا مدغمة .

قال فى "موادّ البيان": فيجب علىٰ الكاتب أن يعرف أحكامها لئلّا يوقِعَها فى غير المواضع اللائقة بها فيشتبه الحرف بغيره ويفسُد المعنىٰ ، مثل أن يوقع المدّ فى متعلم بين الميم والتاء فتشتبه بمستعلم ، أو يوقع المدّ فى متسلم بين الميم والتاء فتشتبه بمستسلم .
ثم قال : وبالجملة فالكلمة الأصلية آسما كانت أو حرفا أو فعلا لا تخرج عن أربعة أصناف :

الصنف الأوّل

(الثنائية)

وهى إما أسماء مضاعفة أو أفعال أو حروف .

فالأسماء : نحو ندّ ، وضر ، وسِرّ ، وشَرّ ، وظِلّ ، وطَلّ ، وما أشبه ذلك .

والأفعال : نحو قُلْ ، وكُلْ ، وقُمْ ، وعُدْ ، ونَمْ ، وسِرْ ، ونحو ذلك .

والحروف : نحو هل ، وبل ، وقط ، وقد ، ومذ ، وعن ، ولو ، ولم ، ومِنْ ، وما ، وما يجرى مجرىٰ ذلك .

فأما الأسماء والأفعال الثنائية فقد ذكر فى "موادّ البيان": أنه لا يحسن المدّ فى شىء منها إلا فى سِرّ ، وشَرّ ، من الأسماء وسِرْ من الأفعال لأن السين أو الشين وان كان كل منهما حرفا علىٰ حياله فى صورة ثلاثة أحرف .

قال : وقد يحسن فى نحو ظل ، وطَلّ ، فى بعض المواضع .

وأما الحروف الثنائية فقد ذكر فى "موادّ البيان" : أنه لا يَحسُن المدُّ فيها .
(١٠)

وحكىٰ صاحب "منهاج الإصابة" : أن بعض الكتّاب كان يمدّ فى أواخر السطور مثلَ ما ، وهل ، وعن . ثم حكى عن أبى القاسم بن خلوف : أن ذلك لايجوز فى عن فى أوّل السطر ولا فى آخره .

الصنف الثانى

(الثلاثية)

قال فى "موادّ البيان" : والمدّ فيها علىٰ الأكثر قبيح لأنها لاتنقسم بقسمين متساويين .

قال : ومنها ما يُسمَح فى مدّه للضرورة كما إذا وقع فى آخر سطر يحتاج إلىٰ التتميم فيُمَدُّ كبيع وقطع ونحوهما . وعلىٰ نحو من ذلك جرىٰ صاحب "مِنْهاج الإصابة" ثم قال : ويجوز أن تمدّ إذا كان ثالثها ألفا أو لاما .

وقال الشيخ عماد الدين بن العفيف : كان والدى يمدّ فى الكلمة الثلاثيَّة إذا كان أوّلَها الجيمُ وأختاها ، والطاء ، والسين ، والعين .

قال فى "موادّ البيان" : وينبغى إذا مُدَّ أن يُقـدَّم الحرفان الأوّلان وتُوضَع المدّة بينهما وبين الثالث . أما عسىٰ ، ومتىٰ ، وفتىً ، ونحوها فانها لاتحتمل المدّ بحال .

الصنف الثـالث

(الرباعية نحو محمد وجعفر)

قال أبو القاسم بن خلوف : والمدّ فيه جائز بل المدّ فيه أحسن من القصر .

قال فى "موادّ البيان" : ولايجوز أن يقدّم منها ثلاثة أحرف ويوقع المدّة بينها وبين الحرف الرابع ولا بالعكس بل يوقع المدّ بين الحرفين الأوّلين والحرفين الآخِرين فقط .

قال : علىٰ أن منها مالا يحسُن المدّ فيه نحو تغلب ، وخبير ، ونمير .

الصـــــنف الرابع
(الخُمَـاسية)

نحو : مشتمِل ، ومستقِلّ ، ومسيطِر ، ومهيمِن .

وقد آختلف علماء الخط فيه علىٰ مذهبين : فذهب صاحب ”موادّ البيان“ إلىٰ أن المدَّ فيها لايحسُن ، فإنها لاتنقسم بقسمين متساويين كما فى الثُّلاثِيَّـة ، وذهب أبو القاسم بن خلوف إلىٰ أن المدّ فيها لازم ، لا يجوز تركه . ثم إذا مَدّ فالذى ذكره فى ”موادّ البيـان“ أن الأحسن أن يُقدّم حرفين ويُوقِـعَ المدَّ بينهما و بين الثـلاثة الأحرف الأخر .

أما ما كان زائدا علىٰ خمسة فقد ذكر صاحب ”العناية الرَّبّانيـة“ أنه يُرجَع فيه إلىٰ الأصول . و يعتبر من السُّداسىّ (١) فإنه مدّ فيما بعد السـين من مسلمون و بعد التاء من معتبر .

قال فى ”موادّ البيان“ : و يصح المدُّ فيما جاء من الأسماء والأفعال والحروف موصولا بضمير كناية مثل ، كتبته ، وعلمته ، وفيه ، ومنه ، وعليه ، و إليه ، إذا وقعت المَدّةُ بين تمام الكلمة والضمير .

قال : ومَشْق السـين يُحَسِّن الخطَّ فى بعض المواضع ، و يقبُح إذا وقعت طَرَفا نحو مَشْق السـين من العباس والحوّاس ، وأقبحُ من ذلك مشقُها إذا كانت موصولة بحرف واحد يتقـدّمها نحو يأنس ، وعانس ، وجالس ، وناعس . و إذا توالتْ سينان أو سين وشين ، فالأحسن أن يفصل بينهما فى الخط المحرّر بَمدَّة لطيفة نحو مَسسْت وَغَشَشْت ورَشَشْت .

(١) لعل الصواب من الثلاثى بالتاءين المثلثتين .

قال أبو القاسم بن خلوف : ومن الحروف مالا يحسُــن المدُّ بعده إذا كان مبتدأ وهو الباء وأختاها ، والياء ، والفاء ، والقاف ، واللام ؛ وأما الكاف المشكولة فإنه لايجوز مدُّ مابعدها فى آبتداءٍ ولا توسُّطٍ .

وقد ذكر الشيخ زين الدين شعبان الآثارىّ فى ألفيته حروفا يجوز مدُّها فى مواضع :

أحدها ـــ الباء وأختاها ، فتمدّ إذا كان بعــدها دال مثل بَدْر ، أو راء مثــل بَرّ ، أو ميم مثــل تم ، أو هاء مثل بهز ؛ وأنه ربمــا مُدَّت إذا كان بعدها لام مثل بل ، أو لام ألف مثل بلا .

الثانى ـــ الجيم وأختاها ، فتمدّ إذا كان بعدها دال مثل حداد ، أو راء مثل حرير ، أو ميم مثل حم ، أو هاء مثل جهر .

الثالث ـــ السين وأختها ، وتمدّ إذا كان بعــدها راء مثل سرّ ، أو ميم مثل سم ، أو هاء مثل سهم .

الرابع ، والخامس ـــ الصاد وأختها ، والطاء وأختها ، فلا يجوز مدُّ واحدٍ منها بحال .[1]

السادس ـــ العين وأختها ، فتمدّ إذا كان بعدها دال مثل عد ، أو راء مثل عر ، أو ميم مثل عم ، أو هاء مثل عهن .

السابع ، والثامن ، والتاسع ، والعاشر ، والحادى عشر ـــ الفاء ، والقاف ، واللام ، والميم ، والهاء ؛ فحكمها حُكم العين وأختها فى جواز المدّ فيما تقدّم .

قال الشيــيخ عماد الدين بن العفيف : ولا يجوز الجمع بين مدّتين فى كلمة واحدة و "علىٰ" تمدّ إذا كانت الياء معرّقةً ، فإن كانت راجعــة لم يجز المدُّ أصــلا : لأنه يجتمع فى كلمة ثُلاثيَّةٍ مدّتان .

قال فى "موادّ البيان" : ويقبُح أن تُمَـدّ حرفين تُوالِى بينهما فى سطر واحد ، وأن تُوقِــعَ حرفين ممدودين فى سطرين : أعلىٰ وأسفل علىٰ تقابلٍ وتحاذٍ .

---

(١) الكلام فيما يجوز مده نابثات هذا القسم سهو عن المَقْسم .

قال السَّمَرْقَنْدِيّ : وإن كان فى آخر الكلمة ياء لم يجز المدّ قبل الياء . قال : ولذلك لا يجوز المدّ بعد السين فى ٱسم موسىٰ،(١) ولا قبل السين فى ٱسم عيسىٰ .

قال الآثاريّ : وأجاز بعضُهم مدَّ العين منه بخلاف السين .

قال ٱبن العفيف : ولا تُدْغم الواو والنون بعد مدّ أصلا فى خفيفٍ ولا ثقيلٍ .

قال : ولا يحسُن إدغامُ السين بعد الكاف المشكولة، ويجوز بعد اللام والميم .

قال فى "موادّ البيان" : ويقبُح أن تكتب ياءان معطوفتان متقاربتان فى سطر واحد .

قال الشيخ عماد الدين بن الشيرازيّ : وإذا توالت العراقات وكان فيها الياء وجب أن تكون راجعة إلىٰ ذات اليمين .

قال ٱبن أبى رقيبة : سألت الشيخ عماد الدين بن العفيف : هل يكون ذلك فى كل قلم ؟ قال نعم ! إذا تمكَّن الكاتبُ من وضعها إلا فى المحقَّق فإنه غير جائز .

قال السَّمَرْقَنْدِيّ : وإن أتتْ ياءان متقاربتان مثل قول القائل "لى صلى" رُدَّ ياء الأخرىٰ من الكلمتين دون الأُولىٰ، وإن شئت عَرَّقتهما جميعا، وهو ٱختيار الوزير ٱبن مقلة . قال : وتردّ الياءُ بعد الألف واللام مثل إلىٰ فى خفيف الأقلام دون ثقيلها علىٰ الأحسن .

قال الآثاريّ : وإذا توالت حروفٌ متشابهةٌ كتبت القصير منه مقدَّما علىٰ الطويل .

الصنف الخامس(٢)

(مراعاة فواصل الكلام)

قال فى "موادّ البيان" : وذلك بأن تميز الفصول المشتمل كلُّ فصلٍ منها علىٰ نوع من الكلام عمَّا تقدّمه : لتُعْرف مَبادئُ الكلام ومَقاطعُه ؛ فإن الكلام ينقسم فُصُولا طِوالا

---

(١) كذا فى الضوء أيضا والمراد سواء ٱتصل المد بالياء أو كان قبله فى كلمته .

(٢) لم يترجم فى الضوء بخامس ، ولا بسادس ، وٱقتصر فى الترجمة علىٰ مابعدهما وهو المناسب .

وقِصارا، فالطِّوال كتقسيم منثور المترسل إلىٰ رسائله، ومنظوم الشاعر إلىٰ قصائده. ومثل هـذا لا يحتاج إلىٰ تفصيل : لأنه لا يشكل الحال فيه فى الرسالة أو القصيدة بغيرها آتصالا وآنفصالا .

والفصول القصار كانقسام الرسالة إلىٰ الفصول، والقصيدة إلىٰ الأبيات . ومثل هـذا قد يشكل، فينبغى أن يُميَّز تمييزا يؤمَنُ معهُ من الآختلاط ، فإن ترتيب الخط يفيد مايفيده ترتيبُ اللفظ . وذلك أن اللفظ إذا كان مرتَّبا تخلَّص بعضُ المعـانى من بعض، و إذا كان مُخَلَّطا أشكلت معانيه، وتعذر علىٰ سامعه إدراك محصوله .

وكذلك الخط إذا كان متميز الفُصُول، وصل معنىٰ كلِّ فصل منه إلىٰ النفْس علىٰ صورته، و إذا كان متصلا دعا إلىٰ إعمال الفِكْر فى تخليص أغراضه .

وقد آختلفت طُرُق الكُتَّاب فى فصول الكلام الذى لم يُمَـيَّزْ بذكر باب أو فصل ونحوه . فالنُّسَّاخ يجعلون لذلك دائرة تفصِـل بين الكلامين، وكُتَّابُ الرسائل يجعلون للفواصل بياضًا يكون بين الكلامين من سجع أو فصل كلام، إلا أن بياض فَصْـل الكلامين يكون فى قدر رأس إبهام، وفصل السجعتين يكون فى قدر رأسِ خِنْصر .

قال فى "موادّ البيان": و ينبغى أن لا تكون الجملة فى آخر السطر والفاصلة فى أوّل السطر الذى يليه، فإنه مُلْبِس لآتصال الكلام؛ بل لا يجعل فى أوّل السطر بياضا أصلا لأنه يقبح بذلك لخروجه عن نسبة السطور؛ ولا أن يُفْسِح بين السطر والذى يليه إفْسَاحًا زائدا عما بين كل سطرين، ولكن يُراعِى ذلك من أوّل شروعه فى كتابة السطر فيقدّر الخط بالجمع والمشق حتّى يخلُص من هذا العيب .

الصنف السادس

(حسن التدبير فى قطع الكلام ووصله فى أواخر السطور وأوائلها)

لأن السطور فى المنْظَر كالفصول ، فاذا قطع السطر علىٰ شىء يتعلَّق بما بعده كان قبيحا ، كما إذا كتب بعض حروف الكلمة فى آخر السطر وبعضها فى أوّل السطر الذى يليه .

ثم للفصل المستقبَح فى آخِر السطر وأوّل الذى يليه صنفان :

الصنف الأوّل

(فصلُ بعض حروف الكلمة الواحدة عن بعض ، وتفريقها فى السطر والذى يليه)

مثل أن تقع معه لفظة "كتاب" فى آخر السطر ، فيكتب الكافَ والتاءَ والألف فى آخر السطر والباءَ فى أوّل السطر الذى يليه ؛ أو يقع فى آخر السطر لفظُ "مسرور" فيكتب الميمَ والسينَ والراءَ فيه والواوَ والراءَ الثانيةَ فى أوّل السطر الذى يليه ونحو ذلك .

قال فى "موادّ البيان" : وهو قبيح جدًّا لأنه لا يجوز فصل الاسم عن بعضه .

قال : وأكثر ما يوجد ذلك فى مصاحف العامّة وخطوط الورّاقين ؛ والحامل لهم علىٰ ذلك فى الغالب هو ضيق آخر السطر عن الكلمة بكمالها ؛ ومن هنا احتاج الكاتب إلىٰ النظر فى ذلك بالجمع والمشق من حين شُروعه فى كتابة أوّل السطر علىٰ ما تقدّم .

قال صاحب "منهاج الإصابة" : وإنما وقع مثل ذلك فى المصاحف التى كتبت فى زمن أمير المؤمنين : عثمان بن عفان رضى الله عنه لأنها كتبت بقلم جليل مبسوطٍ ، فربما وقع فى بعض الأماكن اللفظة فيقطعها فى آخر السطر ويجعل باقِيهَا فى السطر الثانى .

وعلىٰ ذلك حمل ما رُوِى أن عثمان رضى الله عنـه . قال : "إنَّ فى المُصْحَف لَحْناً ستُقِيمه العربُ بألْسِنَتِها" إذ لاجائز أن يكون ذلك لَحْنا فى اللفظ فقد أجمع الصحابةُ رضوانُ الله عليهم علىٰ أن مابين دَفَّتَى المصحَف قُرْءانٌ، ومحالٌ أن يجتمعوا علىٰ لحن. علىٰ أن هذه الروايةَ غيرُ مشهورة عن عثمان رضى الله عنه كما أشار إلىٰ ذلك الشاطبىّ بقوله فى الرائية :

ومَنْ رَوىٰ ستُقِيمُ العُرْبُ ألسُنَها * لَحْنًـا بِهِ قولَ عثمانٍ فمـا شُهِرا

الصنف الثـانى

(فصـــل الكلمة التامة وصلتها)

مثل أن يكتب "وصلَ كتابُك وأيَّدك الله" مُفَصَّلات، فيكتب "وصل" فى آخر السطر و"كتابك" فى أوّل الذى يليـه، أو يكتب "أيَّدك" فى آخر سطر وآسم "الله" تعالىٰ فى أوّل الذى يليه، وما جرىٰ مجرىٰ ذلك .

قال فى "موادّ البيان" : والأحسن تجنُّبه إذا أمكن، فإن لم يمكن فيتجنَّبُ القبيحُ منه، وهو الفصل بين المضاف والمضاف إليه : كعبد الله وغلام زيد وماأشبه ذلك : لأنَّ المضـاف والمضاف إليـه بمنزلة الاسم الواحد، والفصـلُ بين الاسم وما يتلوه فى النسب : كقولك زيدُ بنُ محمد، فلا يجوز أن يُفْصَل بين الاسم والمنسوب إليـه كما لايجوز أن يفصَل بين المضاف والمضاف إليه . قال : فإن كان المراد بلفظة آبن تثبيت البنوّة كقولك لزيد آبنٌ جاز قطع الابن عما تقدّمه . وكأنه إنما آمتنع ذلك لأن لزيد لا يستقل بنفسه فلا يدخله لبس بخلاف غلام زيد ونحوه . ثم قال : ومما يقبُح فصلُه الفصْلُ بين كل آسمين جُعلا آسمـا واحدا نحو حضرموت، وتأبط شرًّا، وذى يَزَن، وأحدَ عشر .

قلت : وباب الخط وأقلامه وحسن تدبيره متسع لا يسع آستيفاؤه .

الفصـــل الثـالث

من البـاب الثـانى من المقـالة الأُولىٰ

(فى لواحق الخط،وفيه مقصدان)

المقصـد الأوّل

(فى النقط ، وفيــه أربع جمـل)

الجمـلة الأولىٰ

(فى مسيس الحـاجة إليــه)

قال محمد بن عمر المدائنىّ : ينبغى للكاتب أن يُعْجِم كتابَهُ، ويبيّن إعرابه، فإنه متىٰ أعراه عن الضبط، وأخلاه عن الشكل والنقط، كثر فيه التصحيف، وغلب عليه التحريف . وأخرج بسنده إلىٰ ٱبن عباس رضى الله عنه أنه قال "لكُلِّ شىءٍ نُورٌ، ونُورُ الكتاب العَجْمُ" . وعن الأوزاعىّ نحوه .

وقال أبو مالك الحَضْرِمىُّ : أىُّ قلم لم تُعجَم فُصُوله ،ٱستعْجَمَ مَحْصُولُه . ومن كلام بعضهم " الخُطُوط المُعْجَمة، كالبُرُود المُعْلَمَة " .

ثم قد تقـدّم فى الكلام علىٰ عدد الحروف أن حروف المعجم تسـعةٌ وعشرون حرفا،وقد وُضعتْ أشكالُها علىٰ تسعةَ عشرَ شكلا. فمنها مايشترَك فى الصُّورة الواحدة منـه الحرفان : كالدال والذال،والراء والزاى،والسـين والشين . ومنها ما يشـترك فى الصورة الواحدة منه الثـلاثةُ : كالباء والتاء والثاء، والجيم والحاء والخاء . ومنها ماينفرد بصورة واحدة كالألف . ومنها ما لايلتبس حالةَ الإفراد،فإذا رُكِّب ووُصِل بغـيره ٱلتبس : كالنون والقاف ، فإن النون فى حالة الإفراد منفردةٌ بصورة ،

فإذا رُكِّبت مع غيرها فى أوّل كلمة أو وَسَطها، ٱشتبهت بالبـاء وما فى معناها، والقاف إذا كانت منفردة لا تلتبس، فإذا وصلت بغـيرها أوّلا أو وسـطا ٱلتبست بالفـاء، فاحتيج إلىٰ مميز يُمَيِّز بعض الحُروف من بعض : من نقط أو إهمـال ليزول اللَّبْس، ويذهبَ الآشتراكُ .

قال الشيخ أثير الدين أبو حيان : ولذلك ينبغى أن القاف والنون إذا كتبا فى حالة الإفراد علىٰ صُورتهما الخاصَّة بهما لا يُنْقطان، لأنه لاشبه بينَهُما ولا يُشْبِهان غيرهما، فيكونان إذ ذاك كالكاف واللام . قال : ومنع بعضُ مشايخنا الآشـتراكَ فى صورة الحروف . وقال : الصورةُ والنقطُ مجموعُهما دالٌّ علىٰ كل الحرف ؛

إذا تقرَّر ذلك فالنقط مطلوب عند خوف اللَّبْس، لأنه إنمـا وُضِع لذلك، أما مع أمن اللَّبْس فالأَوْلىٰ تركُه لئلا يُظْلِم الخَطُّ من غير فائدة .

فقد حكى أنه عُرِض علىٰ عبدالله بن طاهر خَطُّ بعضِ الكُتَّاب فقال ما أحسَنَه ! لولا أنه أكثرَ شُونيزَه .

وقد حكىٰ محمد بن عمر المـدائنى أن جعفرا المتوكل كتب إلىٰ بعض عُمَّـاله أن أَحْصِ مَنْ قِبَلَك من المدنِيِّين وعَرِّفنا بمبلغ عددهم، فوقع علىٰ الحاء نقطة فجمع العاملُ مَنْ كان فى عمله منهم وخَصَاهم فماتُوا غير رجلين أو واحد .

وقد حكىٰ المدائنى عن بعض الأدباء أنه قال : كثرةُ النَّقْط فى الكِتَاب سُوء ظنٍّ بالمكتوب إليه .

أما كُتَّاب الأموال فإنهم لا يَرَوْن النقط بحال، بل تعاطيه عندهم عيبٌ فى الكتابة .

الجملة الثانية

(فى ذكر أوّل من وضع النقط)

قد تقدّم فى الكلام علىٰ وضع الحروف العربية أن أوّل مَنْ وضع الحُروفَ العربية ثلاثةُ رجال من قبيلة بَوْلان علىٰ أحد الأقوال . وهم : مُرارُ بنُ مُرَّة[1] ، وأسلَمُ ٱبنُ سِدْرة ، وعامر بنُ جَدَرَة ، وأن مرارا[1] وضع الصُّوَر ، وأسلَمَ فصلَ ووصل ، وعامرا وضع الإعجام . وقضية هذا أن الإعجام موضوع مع وضع الحروف .

وقد روى أن أوّل من نَقَط المصاحفَ ووضع العربيةَ أبو الأسود الدُّؤلىّ من تلقين أمير المؤمنين : "علىّ كرم الله وجهه" . فإن أريد بالنقط فى ذلك الإعجام ، فيحتمل أن يكون ذلك ٱبتداء لوضع الإعجام ، والظاهر ماتقدّم ، إذ يبعُد أن الحروف قبل ذلك مع تشابه صورها كانت عَرِيَّةً عن النقط إلىٰ حينِ نَقْط المصحف .

وقد روى أنَّ الصحابة رضوانُ الله عليهم جَرَّدوا المصحفَ من كل شيءٍ حتّى من النقط والشكل . علىٰ أنه يحتمل أن يكون المرادُ بالنقط الذى وضعه أبوالأسودِ الشكلَ علىٰ ما سيأتى بيانه إن شاء الله تعالىٰ .

الجملة الثالثة

(فى بيان صورة النقط ، وكيفية وضعه)

قال الوزير أبو علىّ بن مقلة رحمه الله : وللنَّقْط صورتان : إحداهما شكلٌ مربَّعٌ والأُخرىٰ شكل مستدير .

قال : وإذا كانت نقطتان علىٰ حرف ، فإن شئت جعلت واحدة فوقَ أُخْرىٰ ، وإن شئت جعلتَهما فى سطرٍ معًا ، وإذا كان بجوار ذلك الحرف حرفٌ يُنْقَط لم يجز أن يكون النَّقْط إذا ٱتسعت إلا واحدةً فوق أُخرىٰ ، والعلة فى ذلك أن النُّقَط إذا كُنَّ

---

(١) تقدّم التنبيه عليه .

فى سطر خرجْنَ عن حروفهن فوقع اللَّبْس فى الأشكال، فإذا جعل بعضُها علىٰ بعض كان علىٰ كل حرف قِسْطه من النُّقَط فزال الإشكال .

قلت : وإذا كان علىٰ الحـرف ثلاث نُقَط ، فإن كانت ثاء جعلت واحدة فوق آثنتين، وإن كانت شينا فبعضُ الكُتَّاب ينقطه كذلك ، وبعضهم ينقطه ثلاث نقط سطرا، وذلك لسعة حرف الشين بخلاف الثاء المثلثة .

أما السين إذا نقطت من أسفلها فإنهم ينقُطُونها ثلاثةً سطرا واحدًا .

الجملة الرابعـــة

(فيما يختصُّ بكل حرف من النقط وما لا نَقْطَ له)

قد تقـدّم أنَّ حروفَ المُعْجَم ثمانية وعشرون حرفًا سوىٰ اللام ألف، وان ذلك علىٰ عَدَد منازل القَمَر الثمانيةِ والعشرين، وأن المنازل أبدًا منهـا أربعةَ عشرَ فوق الأرض، وأربعـةَ عشرَ تحتَ الأرض، ثم إنه لا بُدَّ أن يَبْقىٰ مما فوقَ الأرض منزلةٌ مختفيَةٌ تحتَ الشَّـفَق، فكانت الحروف المنقوطةُ خمسـةَ عَشَر حرفا بعدَد المنـازل المختفِيَة : وهى الأربعةَ عَشَر التى تحت الأرض، والواحدةُ التى تحت الشُّعاع، إشارةً إلىٰ أنها تحتاج إلىٰ الإظهار لآختفائها : وهى الباء، والتاء ، والثاء، والجيم، والخاء، والذال، والزاى، والشين، والضاد، والظاء، والغين، والفاء، والقاف، والنون، والياء، آخر الحروف .

وكانت الحروف العاطلةُ ثلاثةَ عَشَر بعـدد المنازل الظاهرة : وهى الألفُ، والحاء، والدال، والراء، والسين، والصاد، والطاء، والعين، والكاف، واللام، والميم، والهاء، والواو .

فأمّا الألف فإنها لا تُنْقَط لانفرادها بصورةٍ واحدة، إذ ليس فى الحروف مايُشْبِهها فى حالتى الإفراد والتركيب .

وأما الباء فإنها تُنْقَط من أسفلَ لتخالِفَ التاءَ المثناة من فوقُ، والثاءَ المثلثةَ فى حالتى الإفراد والتركيب، والياء المثناة من تحتُ، والنون فى حالة التركيب ٱبتـداءً أو وسَطا ونُقِطت من أسفلُ لِئلَّا تلتبس بالنون حالة التركيب .

وأما التاء فإنهـا تُنْقَط بٱثنتين من فوقُ لتخالف ما قبلها وما بعدها من الصورتين فى حالة الإفراد وتخالفهما مع الياء والنون حالة التركيب ٱبتداءً أو وسَطا .

وأما الثاء فإنهـا تُنْقَط بثلاثٍ من فوقُ لتخالفَ ماقبلها من الصـورتين فى الإفراد وتخالفَهُما مع النون والياء أيضا فى التركيب ٱبتداء أو وَسَطا .

وأما الجيم فإنها تنقط بواحدة من تحت لتخالفَ الصورتين بعدها .

وأما الحاء فإنها لا تُنْقَط، ويكون الإهمال لها علامةً، وحُذَّاق الكُتَّاب يجعلون لها علامة غير النقط: وهى حاء صغيرةٌ مكان النُّقْطة من الجيم .

وأما الخاء فإنها تُنْقَط بواحدةٍ من أعلاها لتخالِفَ ماقبلها : من الجيم والحاء .

وأما الدال فإنها لا تُنقَطُ ولا تعلَّم، ويكون تركُ العلامة لها علامةً .

وأما الذال فتُنْقَط بواحدة من فوقُ فَرْقا بينها وبين أختها .

وأما الراء فإنها لاتنقَط ولا تعَلَّم، ويكون الإهمال لها علامةً .

وأما الزاى فإنها تنقَط بواحدةٍ من فوقُ فَرْقا بينها وبين الراء .

وأما السـين فإنها لا تُنْقَط، وتكون علامتُها الإهمـالَ كغيرها، وبعض الكُتَّاب ينقطها بثلاث نقطٍ من أسفلها .

وأما الشين فإنها تُنقَط بثلاث من فوقُ فَرْقا بينها و بين أختها، فإن كانت مدغمة فلا بدّ من جَرَّة فوقها؛ ثم إن كانت محقَّقة فاللائق التأسيس بنقطتين وجعل نقط ثالث من أعلاهما؛ وان كانت مدغَمة فالأولىٰ جعلُ الثلاث نقط سطرا واحدا .

وأما الصاد فإنها لا تنقط؛ نعم حُذَّاق الكُتَّاب يجعلون لها علامة كالحاء ، وهى صاد صغيرة تحتها .

وأما الضاد فإنها تنقَطُ بواحدة من أعلاها فَرْقا بينها و بين أختها .

وأما الطاء فإنها لا تُنْقَط لكن لها علامةٌ كالصاد والحاء، وهى طاء صغيرة تحتها.

وأما الظاء فإنها تنقَط بواحدة من فوقها فَرْقا بينها و بين أختها .

وأما العين فإنها لاتُنْقط، ولها علامة كالحاء ، والصاد ، والطاء، وهى عين صغيرة فى بطنها .

وأما الغين فإنها تنقَطُ بواحدة فَرْقا بينها وبين أختها .

وأما الفاء فمذهب أهل الشرق أنها تنقط بواحدة من أعلاها،ومذهب أهل الغرب أنها تنقط بواحدة من أسفلها .

وأما القاف فلا خلافَ بين أهل الخط أنها تنقَطُ من أعلاها إلا أنَّ مَنْ نقَطَ الفاء بواحدة من أعلاها نقط القاف بآثنتين من أعلاها ليحصل الفرق بينهما،ومَنْ نقط الفاء من أسفلها نقط القاف بواحدة من أعلاها .

وقد تقدّم من كلام الشيخ أثير الدين أبى حيان رحمه الله عن بعض مشايخه : أنَّ القاف إذا كتبت علىٰ صورتها الخاصة بها ينبغى أن لا تُنْقط إذ لا شبه بينهما[(١)] وذلك فى حالتى الإفراد والتطرّف أخيرا .

(١) أى بين القاف والفاء .

وأما الكاف فإنها لا تنقط، إلا أنها إذا كانت مشكولة عُلِّمت بشكلة، وإن كانت معراة رسم عليها كاف صغيرة مبسوطة لأنها ربما ٱلتبَستْ باللام .

وأما اللام فإنها لا تُنْقَط ولا تعلَّم، وتركُ العلامة لها علامةٌ .

وأما الميم فإنها لاتنقط ولا تعلَمَ أيضا لٱنفرادها بصورة .

وأما النون فإنها تنقط بواحدة من أعلاها، وكان ينبغى ٱختصاصُ النقط بحالة التركيب ٱبتداءً أو وَسَطا لٱلتباسها حينئذ بالباء، والتاء، والثاء أوائل الحروف، والياء آخر الحروف؛ بخلاف حالة الإفراد والتطرُّف فى التركيب أخيرا فإنها تختص بصورة فلا تلتبس كما أشار إليه الشيخ أثير الدين أبوحيان رحمه الله، إلا أنها غلبت فيها حالة التركيب فروعيت .

وأما الهاءُ فإنها لاتنقط بجميع أشكالها، وإن كثرت : لأنه ليس فى أشكالها مايلتبس بغيره من الحروف .

وأما الواو فإنها لا تنقَط وإن كانت فى حالة التركيب تقاربُ الفاء، وفى حالة الإفراد تقارب القاف : لأن الفاء لاتشابهها كلَّ المشابهة، ولأن القاف أكبرُ مساحةً منها .

وأما اللام ألف فإنها لاتنقط لٱنفرادها بصورة لايشابهها غيرها .

وأما الياء فإنها تنقط بنقطتين من أسفلها، وإن كانت فى حالة الإفراد والتطرُّف فى التركيب لها صورة تخصُّها : لأنها فى حالة التركيب فى الٱبتداء والتوسط تشابهُ الباء، والتاء، والثاء، والنون، فيحتاج إلىٰ بيانها بالنقط لتغليب حالة التركيب علىٰ حالة الإفراد كما فى النون، وربما نقطها بعض الكُتَّاب فى حالة الإفراد بنقطتين فى بطنها والله سبحانه وتعالىٰ أعلم .

المقصـــــد الثـانى
(فى الشكل؛وفيـــه خمس جمـــل)

الجملة الأولىٰ
(فى آشـــتقاقه ومعنـاه)

قال بعض أهل اللغة : هو مأخوذ من شَكْلِ الدابة ، لأن الحروف تُضبَط بقيد فلا يلتَبِس إعرابها كما تُضْبط الدابَّة بالشِّكال فيمنعها من الهُروب . قال أبو تمام :

تَرىٰ الأمْرَ مَعْجُوماً إذا كان مُعْجَماً * لَدَيْه ومَشْكُولا إذا كانَ مَشْكُولَا

الجملة الثانيـــة
(فى أوّل من وضع الشَّـــكْل)

وقد آختلفت الرواية فى ذلك على ثلاث مقالات ، فذهب بعضُهم إلىٰ أن المبتدئ بذلك أبو الأسود الدؤلىُّ : وذلك أنه أراد أن يعمل كتابا فى العربيَّـة يقوِّم النـاسُ به مافسد من كلامهم : إذ كان ذلك قد فَشَا فى الناس .

فقال : أرىٰ أن أبتدئ بإعراب القرءان أوّلا ، فأحضر من يُمْسك المصحَف ، وأحضر صِبْغا يخالف لون المِدَاد . وقال للذى يمسك المصحف عليه : إذا فتحتُ فاىَ فاجعل نقطةً فوق الحرف ، وإذا كسرتُ فاىَ فآجعل نقطة تحتَ الحرف ، وإذا ضممتُ فاىَ فاجعل نقطةً أمام الحرف ، فإن أتبعت شيئا من هذه الحركات غُنَّـة (يعنى تنوينا) فاجعل نقطتين . ففعل ذلك حتّٰى أتىٰ علىٰ آخر المصحف .

وذهب آخرون : إلىٰ أن المبتـدئ بذلك نصر بن عاصم الليثىّ ، وأنه الذى خَمَّسها وعَشَّرَها .

وذهب آخرون : إلىٰ أن المبتدئ بذلك يحيىٰ بن يَعْمَر .

قال الشيخ أبو عمرو الدانىّ رحمه الله : وهؤلاء الثلاثة من جِلَّة تابعى البصريين .

وأكثر العلماء علىٰ أن أبا الأسود جعل الحركات والتنوين لاغير . وأن الخليل آبن أحمد هو الذى جعل الهمزة والتشديد عن[1] الروم والإشمام .

الجملة الثالثة

(فى الترغيب فى الشكل والترهيب عنه)

وقد آختلفت مقاصد الكُتَّاب فى ذلك ، فذهب بعضهم إلىٰ الرغبة فيه ، والحث عليه : لما فيه من البيان والضَّبْط والتقييد .

قال هشام بن عبد الملك : أُشْكُلوا قرائن الآداب ، لئلا تَنِدَّ عن الصواب .

وقال علىّ بن منصور : حَلُّوا غرائِب الكَلِم بالتقييد ، وحَصِّنوها عن شُبَه التصحيف والتحريف .

ويقال : إعجام الكُتُب يمنع من آستعجامها ، وشَكْلُها يصونُها عن إشكالها ، ولله القائل :

وكأنَّ أحْرُفَ خَطِّه شَجَرُ * والشَّكْلُ فى أغْصانِهِ ثَمَرُ

وذهب بعضهم إلىٰ كراهته ، والرغبة عنه .

قال سعيد بن حميد الكاتب : لَأَنْ يُشْكِل الحرفُ علىٰ القارئ أحبُّ إلىّ من أن يُعَابَ الكاتبُ بالشكل . ونظر محمد بن عَبَّاد إلىٰ أبى عُبَيْد وهو يقيِّد البسملةَ فقال : لو عرَفْتَه ما شكلتَه . وقد جَرَّد الصحابةُ رضوان الله عليهم المصحفَ حين جمعوا القرءان من النقط والشكل وهو أجدر بهما ، فلو كان مطلوبا لما جرّدوه منه .

(١) كذا فى الأصل .

قال الشيخ أبو عمرو الدانىّ : وقد وردَتِ الكراهةُ بنقط المصاحف عن عبد الله آبن عمر، وقال بذلك جماعة من التابعين .

وآعلم أن كُتّاب الدّيْونة لا يعرّجون علىٰ النقط والشـكل بحال، وكُتّاب الإنشـاء منهم مَنْ منع ذلك محاشاة للمكتوب إليه عن نسبته للجهل بأنه لايقرأ إلا ما نُقِط أو شُكِل ، ومنهم مَنْ ندب إليه : للضبط والتقييد كما تقدّم .

والحق التفريق فى ذلك بين مايقَع فيـه اللّبْس ويتطرّق إليه التحريف لغلاقته أو غرابته وبين ماتسُهل قراءتُه لوضوحه وسهولته .

وقد رخَّص فى نَقْط المصاحف بالإعراب جماعة : منهم ربيعة بن عبد الرحمن، وآبن وهب . وصرح أصحابنـا الشافعيةُ رضى الله عنهم بأنه يُنْدب نقطُ المصحف وشكْلُه ؛ أما تجريد الصحابة رضوان الله عليهم له من ذلك فذلك حين آبتداءِ جمعه حتّى لايُدْخلوا بين دفتى المصحف شيئا سوىٰ القرءان، ولذلك كرهه مَنْ كرهه .

وأما أهـل التوقيع فى زمانـنا فإنهم يَرْغَبون عنه خشية الإظلام بالنَّقْط والشَّكْل إلا ما فيه إلباس علىٰ ماهر؛ وأهل الدَّيْونة لايرون بشىء من ذلك أصلا ويَعُـدّون ذلك من عيوب الكتابة وإن دعت الحاجة إليه؛ والله سبحانه وتعالى أعلم .

الجملة الرابعـــة

(فيما ينشأ عنـه الشكل ويترتَّبُ عليـه)

وآعلم أن الشكل جارٍ مع الإعراب كيفما جرىٰ؛ فينقسم إلىٰ السُّكون (وهو الجزم)، وإلىٰ الفتح (وهو النصب)، وإلىٰ الضم (وهو الرفع)، وإلىٰ الجرّ (وهو الخفض) .

أما السـكون فلأنه الأصـل . وأما الحركات الثلاث فقـد قيـل إنها مشاكلة للحركات الطبيعيـة : فالرفع مشاكل لحركة الفَلَك لآرتفاعها، والجرّ مشاكل لحركة

الأرض والماء لانخفاضها، والنصب مشاكل لحركة النار والهواء لتوسطها؛ ومن ثَمَّ لم يكن فى اللغة العربيـة أكثرُ من ثلاثة أحرف بعدها ساكن إلا ما كان معدولا . فسبحان من أتقن ما صنع ! .

ثم الذى عليه أكثر النُّحَاة أن الحركات الثلاثَ مأخوذة من حروف المدّ واللين وهى الألف، والواو، والياء، اعتمادا على أن الحروف قبل الحركات والثانىَ مأخوذ من الأوّل . فالفتحة مأخوذة من الألف إذ الفتحة علامة النصب فى قولك : رأيت زيدا، ولَقِيتُ عمرا، وضربت بكرا؛ والألف علامة النصب فى الأسماء المعتلة (١) المضافة كقولك : رأيت أباك، وأكرمت أخاك؛ ويكون إطلاقا للرَّوِىّ المنصوب كقولك : المذهبا، وأنت تريد المذهب، فلما أشبعت الفتحة نشأت عنها الألف؛ والكسرة مأخوذة من الياء لأنها أختها ومن مخرجها، والكسرة علامة الخفض فى قولك مررت بزيد، وأخذت عن زيد حديثا، والياء علامة الخفض أيضا فى الأسماء المعتلة (١) المضافة كقولك : مررت بأبيك وأخيك وذى مال؛ والضمة من الواو لأنها من مخرجها : من الشَّفَتَيْنِ، وهى علامة الرفع فى قولك : جاءنى زيد، وقام عمرو، وخرج بكر، والواو علامة الرفع فى الأسماء المعتلة (١) المضافة كقولك : جاءنى أخوك وأبوك وذو مال .

وذهب بعض النُّحَاةِ إلى أن هذه الحروفَ مأخوذة من الحركات الثلاث، الألف من الفتحة، والواو من الضمة، والياء من الكسرة اعتمادا على أن الحركات قبل الحروف، بدليل أن هذه الحروف تحدُث عند هذه الحركات إذا أُشْبعت، وأن العرب قد استغنت فى بعض كلامها بهذه الحركات عن هذه الحروف اكتفاء بالأصل عن الفرع : لدلالة الأصل على فرعه .

(١) أى الأسماء الخمسة أو الستة على الخلاف .

وذهب آخرون إلىٰ أن الحـروف ليست مأخوذةً من الحركات ، ولا الحركات مأخوذة من الحروف، اعتمادا علىٰ أن أحدهما لم يسبق الآخر، وصححه بعض النُّحَاةِ.

الجمــــلة الخامســـــة

(فى صور الشكل ومَحَالّ وضعه علىٰ طريقة المتقدّمين والمتأخرين)

واعلم أن المتقدّمين ...[1] ... فى غالب الصور إلىٰ النقط بلون يخالف لون الكتابة .

وقال الشيخ أبو عمرو الدانىّ رحمه الله : وأرىٰ أن أستعمل النقط لونين، الحمرة والصُّـفْرَة، فتكون الحمرة للحركات، والتنوين، والتشـديد، والتخفيف، والسكون، والوصل، والمدّ، وتكون الصفرة للهمزة خاصة .

قال : وعلىٰ ذلك مَصَاحف أهل المدينة . ثم قال : وإن استعملت الخضرة للابتـداء بألفات الوصـل علىٰ ما أحدثه أهلُ بلدنا ، فلا أرىٰ بذلك بأسا . قال : ولا أستجيز النَّقْطَ بالسواد لمـا فيه من التغيير لصورة الرسم . وقد وردت الكراهة لذلك عن عبد الله بن مسعود وعن غيره من علماء الأمة .

وأما المتأخرون فقد أحدثوا لذلك صُوَرًا مختلفة الأشكال لمناسبة تخص كل شكل منها، ومن أجل اختلاف صُوَرِها وتبايُنِ أشكالها رَخَّصوا فى رسمها بالسواد.

ويتعلق بالمقصود من ذلك سبع صور .

الأُولى

(علامة السكـــون)

والمتقدّمون يجعـلون علامة ذلك جرّةً بالحُمْـرَةِ فوق الحرف، سواء كان الحرف المسكّن همزة كما فى قولك : لم يَشَأْ، أوغيرها من الحروف كالذال من قولك : اذْهبْ.

---

(١) لعل المراد يميلون فى شكل غالب إلخ . وفى الضوء كانوا يجعلون الشكل نقطا إلخ.

أما المتأخرون فإنهم رسموا لها دائرة تشبه الميم إشارة إلىٰ الجزم إذ الميم آخر حرف من الجزم، وحذفوا عراقة الميم آستخفافا، وسمَّوْا تلك الدائرة جزمة، أخذا من الجزم الذى هو لقب السكون، ويحتمل أن يكونوا أَتَوْا بتلك الدائرة علىٰ صورة الصِّفر فى حساب الهنود ونحوهم إشارة إلىٰ خلوّ تلك المرتبة من الأعداد لأن الصفر هو الخالى، ومنه قولهم: "صِفْر اليَدَيْن" بمعنىٰ أنه فقير ليس فى يديه شىء من المال.

وحُذَّاقُ الكُتَّاب يجعلونها جيما لطيفة بغير عراقة إشارة إلىٰ الجزم.

الثانية

(علامة الفتح)

أما المتقدّمون فإنهم يجعلون علامة الفتح نُقْطَةً بالحمرة فوق الحرف. فإن أُتْبعت حركة الفتح تنوينا، جعلت نقطتين، إحداهما للحركة، والأخرىٰ للتنوين.

والمتأخرون يجعلون علامتها ألفا مضطجعة. لما تقدّم من أن الألف علامة الفتح فى الأسماء المعتلة ورسموها بأعلىٰ الحرف موافقة للتقدّمين فى ذلك، وسَمَّوْا تلك الألف المضطجعة نَصْبة أخذا من النصب، ويجعلون حالة التنوين خطّين مضطجعتين من فوقه كما جعل المتقدّمون لذلك نقطتين، وعبروا عن الخطّين بنصبتين.

قال الشيخ عماد الدّين بن العفيف رحمه الله: ويكون بينهما بقدرِ واحدة منهما.

الثالثة

(علامة الضم)

أما المتقدّمون فإنهم يجعلون علامة الضمة نقطة بالحُمْرَة وسطَ الحرف أوأمامه، فإن لحق حركةَ الضم تنوينٌ، رسموا لذلك نقطتين: إحداهما للحركة، والأخرىٰ للتنوين علىٰ ما تقدّم فى الفتح.

وأما المتأخرون فإنهم يجعلون علامة الضمة واوا صغيرة : لما تقدّم أن الواو من علامة الرفع فى الأسماء المعتلة، وسَمَّوْها رفعة لذلك، ورسموها بأعلىٰ الحرف ولم يجعلوها فى وسطه كيلا تَشِينَ الحرف، بخلاف المتقدّمين لمخالفة اللون ولطافة النقطة . فإن لحق حركَةَ الضم تنوينٌ رسموا لذلك واوا صغيرة بخَطَّة بعدها : الواوُ إشارة للضم، والخَطَّة إشارة للتنوين ، وعبروا عنهما برفعتَين . وبعضهم يجعل عوض الخطة واوا أخرىٰ مردودة الآخر علىٰ رأس الأولىٰ .

الرابعــــــة

(علامة الكسر)

والمتقدّمون يجعلون علامة الجرّة نقطة بالحُمْرَة تحت الحرف . فإن لحق حركَةَ الكسر تنوين رسموا لذلك نقطتين .

والمتأخرون جعلوا علامة الكسر شَظِيَّةً من أسفل الحرف إشارة إلىٰ الياء التى هى علامة الجرّ فى الأسماء المعتلة علىٰ مامر، وسَمَّوْا تلك الشَّظِيَّةَ خَفْضَةً، أخذًا من الخفض الذى هو لقب الكسر، ولم يخالفوا بينها وبين علامة النصب لاختلاف محلهما . فإن لحق حركَةَ الكسر تنوينٌ رسموا له خطتين من أسفله : إحداهما للحركة، والأخرىٰ للتنوين .

الخـامســـــة

(علامة التشديد)

والمتقدّمون اختلفوا : فمذهب أهل المدينة أنهم يرسُمون علامة التشديد علىٰ هذه الصورة ([1]) ولا يجعلون معها علامات الإعراب بل يجعلون علامة الشدّ مع الفتح فوق الحرف، ومع الكسر تحت الحرف، ومع الضم أمام الحرف .

(١) بياض فى الأصل والضوء .

قال الشيخ أبو عمرو الدانىّ رحمه الله : وعليه عامة أهل بلدنا . قال : ومنهم من يجعل مع ذلك نقطةً علامة للإعراب، وهو عندى حَسَن .

وعامَّة أهل الشرق علىٰ أنهم يرسُمُون علامة التشــديد صورة شين من غير عراقة علىٰ هذه الصورة (٣) كأنهم يريدون أوّل شديد، ويجعلون تلك العلامة فوق الحرف أبدا ويُعْرِبونه بالحركات . فإن كان مفتوحا جعلوا مع الشــدّة نقطة فوق الحــرف علامة الفتح، وإن كان مضموما جعلوا مع الشدّة نقطة أمام الحرف علامة الضم، وإن كان مكسورا، جعلوا مع الشدّة نقطةً تحت الحرف علامة الكسر . وعلىٰ هذا المذهب ٱستقرّ رأىُ المتأخرين أيضا؛ غير أنهم يجعلون بدل النقط الدالة علىٰ الإعراب علامات الإعراب التى ٱصطلحوا عليها من النصــبة، والرفعة، والخفضة . فيجعلون النصــبة والرفعة بأعلىٰ الشدّة، ويجعلون الخفضة بأسفل الحرف الذى عليه الشدّة . وبعضهم يجعلها أسفل الشــدّة من فوق الحــرف . ولا فرق فى ذلك بين أن يكون المشدّد من كلمة واحدة أو من كلمتين كالإدغام من كلمتين .

الســادســــة

(علامة الهمزة)

والمتقدّمون يجعلونها نقطة صــفراء ليخالفوا بها نقط الإعراب كما تقدّم فى كلامِ الشيخ أبى عمرو الدانىّ رحمه الله : ويرسُمُونها فوق الحرف أبدا، إلا أنهم يأتون معها بنقط الإعراب الدالة علىٰ السكون والحركات الثلاث بالحُمْرَةِ علىٰ ماتقــدّم . وسواء فى ذلك كانت صورة الهمزة واوا أو ياء أو ألفا؛ إذ حق الهمزة أن تلزم مكانا واحدا من السطر : لأنها حرف من حروف المعجم . والمتأخرون يجعلونها عينا بلا عراقة، وذلك لقرب مخرج الهمزة من العين، ولأنها تمتحن بها كما سيأتى .

ثم إن كانت الهمزة مصوّرة بصورة حرف من الحروف : فإن كانت الهمزة ساكنة، جعلت الهمزة من أعلىٰ الحرف مع جزمة بأعلاها . و إن كانت مفتوحة، جعلت بأعلىٰ الحرف أيضا مع نصبة بأعلاها . و إن كانت مضمومة، جعلت بأعلىٰ الحرف مع رفعة بأعلاها . و إن كانت مكسورة، جعلت بأسفل الحرف مع خفضة بأسفلها . و ربما جعلت بأعلىٰ الحرف والخفضة بأسفله .

وقد آختلف القـدماء من النحويين فى أىّ الطَّرَفين من اللام ألف هى الهمزة . فحكى عن الخليل بن أحمد رحمـه الله أنه قال : الطَّرَف الأوّل هو الهمزة، والطَّرَف الثانى هو اللام .

قال الشيخ أبو عمرو الدانىّ رحمه الله : و إلىٰ هذا ذهب عامةّ أهل النقط، وآستدلوا علىٰ صحة ذلك بأن رسم هـذه الكلمة كانت أوّلا لاما مبسوطة فى طرفها ألف علىٰ هـذه الصورة "لـــا" كنحو رسم ما أشبه ذلك مما هو علىٰ حرفين من سائر حروف المعجم مثل "يا، وها" وما أشبههما إلا أنه آستثقل رسم ذلك كذلك فى اللام ألف خاصةً لآعتدال طرفيه لمشابهة كتابة الأعاجم فحسن رسمه بالتضفير فضم أحد الطرفين إلىٰ الآخر فأيهما ضم إلىٰ صاحبه كانت الهمزة أُولىٰ ضرورةً . وتعتبر حقيقة ذلك بأن يُؤخَذ شيء من خيط ونحوه فيُضَفَّر و يخرج كل واحد من الطرفين إلىٰ جهة، ثم يقام الطرفان فيتبين من الوجهين أن الأوّل هو الثانى فى الأصل، وأن الثـانِىَ هو الأوّل لامحالة فى التضفير .

وأيضا فقـد آتفق أهل صناعة الخط من الكُتَّاب القدماء وغيرهم علىٰ أنه يُرسَم الطَّرَف الأيسر قبل الطَّرَف الأيمن، ولا يخالف ذلك إلا من جهل صناعة الرسم إذ هو بمنزلة من آبتدأ برسم الألف قبل الميم فى "ما" وشبهه مما هو علىٰ حرفين، فثبت بذلك

أن الطرف الأوّل هو الهمزة، وأن الطرف الثانى هو اللام : إذ الأوّل فى أصل القاعدة هو الثانى، والثانى هو الأوّل على مامرّ، وإنما آختلف طرفاها من أجل التضفير.

وخالف الأخفش: فزعم أن الطرف الأول هو اللام، والطرف الثانى هو الهمزة، وآستشهد لذلك بأن ما تُلفظ به أوّلا هو المرسوم أوّلا وما تُلفِّظ به آخرا هو المرسوم آخرا، ونحن إذا قرأنا لأنت ولأنه ونحوهما لفظنا باللام أوّلا ثم بالهمزة بعدها. ونازعه فى ذلك الشيخ أبو عمرو الدانىّ . والحق أن ذلك يختلف باختلاف اللام ألف على مارتبه متأخرو الكُتّاب الآن . ففى المضفورة على ماتقدّم، وفى المصوّرة بهذه الصورة "لا" بالعكس .

وإن كانت الهمزة غير مصوّرة بحرف من الحروف كالهمزة فى جزء وخَبْءٍ، جعلت العلامة فى محل الهمزة من الكلمة مع علامة الإعراب: من سكون، وفتح، وضم، وكسر . فإن عرض للهمزة مع حركة من الحركات الثلاث تنوينٌ، جعل مع الهمزة علامة التنوين: من نصبتين أو رفعتَين أو خفضتين على ما مرّ فى غير الهمزة.

قال الشيخ أبو عمرو الدانىّ رحمه الله : وتمتحن الهمزة فى موضعها من الكلام بالعين ، فحيث وقعت العين وقعت الهمزة مكانها، وسواء كانت متحركة أو ساكنة لحقها التنوين أو لم يلحقها، فتقول فى آمنوا عامنوا، وفى وءاتى المال وعاتى المال، وفى مستهزئين مستهزعين، وفى خاسئين خاسعين، وفى مبرَّءون مبرعون، وفى متكئون متكعون، وفى ماء ماع، وفى سوء سوع، وفى أولياء أولياع، وفى تَنُوء تنوع، وفى لَتَنُوء لتنوع، وفى أن تبوّءا أن تبوّعا، وفى تَبُوء تبوع، وفى مِنْ شاطِئِ من شاطع، وكذلك ما أشبهه حيث وقع فالقياس فيه مطّرد .

السابعـــــة

(علامة الصلة فى ألفـات الوصل)

أما المتقدّمون فإنهم رسموا لهـا جرّة بالحمرة فى سائر أحوالها ، وجعلوا محلها تابعا للحركة التى قبل ألف الوصل . فإن وليها فتحة كما فى قوله تعالىٰ : "تَتَّقُونَ الَّذِى" جعلت الصلة جرّة حمراء علىٰ رأس الألف علىٰ هذه الصورة (آ) وإن وليها كسرة كما فى قوله تعالىٰ : "رَبِّ ٱلعَالَمِينَ" جعلت الصلة جرّة حمراء تحت الألف علىٰ هذه الصورة (ا) وإن وليها ضمـة كما فى قوله تعالىٰ : " نَسْتَعِينُ ٱهْدِنَا " جعلت الصـلة جرّة حمراء فى وسطها علىٰ هذه الصورة(+) . فإن لحق شيئا من الحركات التنوينُ جعلت الصلة أبدا تحت الألف ، لأن التنوين مكسور للساكنين ما لم يأت بعـد الساكن الواقع بعد ألف الوصل ضمةٌ لازمة نحو قوله تعالىٰ : "فَتِيلًا ٱنْظُرْ" و"عُيُونٍ ٱدْخُلُوهَا " . قال بعضهم بضم التنوين فتجعل الجرّة علىٰ ذلك فى وسط الألف .

وأما المتأخرون [فإنهم رسموا لذلك صادا لطيفـة إشارة إلى الوصل] (١) وجعلوها بأعلىٰ الحرف دائمـا ولم يُراعُوا فى ذلك الحركاتِ ، ٱكتفاءً باللفظ .

تنبيـــــــه

قد تقدم فى ... ... (٢) الأوّل من الهجاء أن اللفظ قد يتعين فى الهجاء إلىٰ الزيادة والنقصان ، ولاشكَّ أن الشكل يتغير بتغير ذلك ، ونحن نذكر من ذلك مايختص بالهجاءِ العرفىّ دون الرسمىّ بٱعتبار الزيادة والنقص .

---

(١) ما بين الدائرتين بيض له فى الأصل وأخذناه عن "ضوء الصبح" .

(٢) بيـاض فى الأصل .

أما الزيادة، فمثل أُولئك،وأُولُو، وأُولات ونحوها .

قال الشيخ أبو عمرو الدانىّ : وسبيلك أن تجعل علامة الهمزة نقطة بالصُّفْرَةِ فى وسط ألف أولئك وأولو وأولات، وتجعلَ نقطةً بالحُمْرَةِ أمامها فى السطر لتدل علىٰ الضمة . قال : وإن شئت جعلتها فى الواو الزائدة : لأنها صورتها ، وهو قول عامّة أهل النقط . هذه طريقة المتقدّمين .

أما المتأخرون : فإنهم يجعلون علامة الهمزة علىٰ الواو وهو مخالف لما تقدّم من ٱعتبار الهمزة بالعين فإنها لو ٱمتحنت بالعين،لكان لفظها عولئك وكذلك البواقى .

وأما النقص فمثل النبـئينَ إذا كتبت بياء واحدة، وهـؤلاء، وياءادم إذا كتبتا بحذف الألف بعد الهاء فى هؤلاء والألف الثانية فى ياءادم فترسم علامة الهمزة من النقطة الصفراء وحركتها علىٰ رأْى المتقدّمين، وصورة العين علىٰ رأى المتأخرين قبل الياء الثانية فى النبيين . وتجعل ذلك علىٰ الألف الثانية فى يا آدم لأنها صورتها وعلىٰ الواو فى هؤلاء لأنها صورتها .

و وراء ماتقدّم من الشكل أمور تتعلق بالإدغام،والإظهار،والإخفاء،والإقلاب، والمدّ وغيرها : من متعلقات القراءة ليس هذا موضع ذكرها والله أعلم .

(فائدة)

قال الشيخ عماد الدين بن العفيف رحمه الله : ولابدّ من تناسب الشكل والنقط وتناسب البياضات فى ذلك للحروف .

الفصل الرابع

من الباب الثانى من المقالة الأُولىٰ

(فى الهجاء، وفيه مقصدان)

المقصد الأوّل

(فى مصطلحه الخاصّ، وهو علىٰ ضربين)

الضرب الأوّل

(المصـــطلح الرسمىّ)

وهو ما آصطلح عليه الصحابة رضوان الله عليهم فى كتابة المصحف عنـد جمع القرءان الكريم، علىٰ ما كتبه زيد بن ثابت رضى الله عنه، ويسمّى الاصطلاح السَّلَفى أيضا، ونحن نورد منه ما جرّ إليه الكلام أو وافق المصطلح العرفىّ .

الضرب الثانى

(المصـــطلح العَرُوضِىّ)

وهو ما آصطلح عليه أهل العَرُوضِ فى تقطيع الشعر، وآعتمادهم فى ذلك علىٰ مايقع فى السمع دون المعنىٰ، إذ المعتدّ به فى صنعة العَرُوض إنما هو اللفظ: لأنهم يريدون به عدد الحروف التى يقوم بها الوزن متحرّكا وساكنا فيكتبون التنوين نونا، ولا يُراعون حذفها فى الوقف، ويكتبون الحرف المدغم بحرفين، ويحذِفُون اللام وغيره ممـا يدغم فى الحرف الذى بعده: كالرحمٰن والذاهب والضارب، ويعتمدون فى الحروف علىٰ أجزاء التفعيل، فقد تتقطع الكلمة بحسب مايقع من تبيين الأجزاء كما فى قول الشاعر :

سَتُبْدِى لَكَ الأَيَّامُ مَا كُنْتَ جَاهِلًا * وَيَأْتِيكَ بِالأَخْبَارِ مَنْ لَمْ تُزَوِّدِ.

فيكتبونه على هذه الصورة :

سَتُبْدِى ، لَكَا لأَيْيَا ، مُمَا كُنْ ، تجَاهِلَنْ * وَيَأْتِى ، كَبالأَخْبَا ، رِمَلَّمْ ، تُزَوِّدِى .

المقصد الثانى

(فى المصطلح العام)

وهو ما اصطلح عليه الكُتّاب فى غير هذين الاصطلاحين ، وهو المقصود من الباب؛ وفيه جملتان :

الجملة الأولى

(فى الإفراد، والحذف، والإثبات، والإبدال، وفيه مُدْرَكان)

المُدْرَك الأوّل

(فى بيان الأصل المعتمد فى ذلك ،وما يكتب على الأصل)

واعلم أن الأصل فى الكتابة مطابقة المنطوق المفهومَ، وقد يزيدون فى وزن الكلمة [ما ليس فى وزنها (١) ليفصلوا بالزيادة بينه و بين المشبه له ، وينقصون من الكلمة] عمّا هو فى وزنها استخفافا واستغناء بما أبقى عما انتقص إذا كان فيه دليل على مايحذفون : كما أن العرب تتصرف فى الكلمة بالزيادة والنقصان ،ويحذفون ما لا يتم الكلام فى الحقيقة إلا به استخفافا و إيجازا إذا عرَف المخاطَب مايقصدون .

قال ابن قتيبة : وربّما تركوا الاشتباه على حاله ، ولم يفصلوا بين المتشابهين واكتفَوْا بما يدل عليه من متقدّم أومتأخر: كقولك للرجل الواحد : يغزوا ،وللاثنين

---

(١) سقطت هذه الجملة من الأصل و وجدناها " فى أدب الكاتب " و " فى ضوء الصبح " فأثبتناها لانها مرادة له وليستقيم الكلام .

لن يَغْزُوَا وللجميع لن يَغْزُوا بالواو والألف فى الجميع من غير تفريق بين الواحد والآثنين والجمع، و بَقَّوْه علىٰ أصله .

إذا علمت ذلك ،فالمكتوب علىٰ المصطَلَح المعروف هو علىٰ قسمين .

القسم الأوّل

(ماله صورة تخصُّه من الحروف؛ وهو علىٰ ضربين)

الضرب الأوّل

(ما هو علىٰ أصله المعتبر فيه فى ذوات الحروف وعددها بتقدير الآبتداء بها والوقوف عليها، سواء بقِيَ لفظه علىٰ حاله أم آنقلب النطق به إلىٰ حرفٍ آخر)

فيكتب لفظ "اِمَّحَىٰ" بغير نون بعد الألف، وإن كان أصله آنمحىٰ علىٰ وزن آنفعل من المحو : لأن الإدغام من كلمة واحدة؛ بخلاف ما إذا كان الإدغام من كلمتين؛ فيكتب لفظ "مِنْ مالٍ" بنون فى مِنْ منفصلةً من ميم مَالٍ و إن كانت النون الساكنة تدغم فى الميم .

و يكتب لفظ خَنْقٍ مصدر خَنَق[1] ولفظ أَنْتَ وما أشبهها بنون، و إن كانت النون مُخْفاة فى القاف من خَنْقٍ وفى التاء من أنت . وكذلك حالة التركيب نحو مِن كَافِرٍ .

و يكتب عَنْبَرٌ وما أشبهها بنون أيضا و إن كانت النون الساكنة تنقلب عند الباء ميما؛ وكذلك فى حالة التركيب نحو مِنْ بَعْد . ويكتب مثل آضربوا القوم و يغزو الرجل بواو،وكذلك كلُّ مافيه حرف مدّ حذف لساكن يليه لأنه لولا آلتقاء الساكنين لثبتت هذه الواو لفظا . ويكتب أنا بألف بعد النون و إن كانت فى وصل الكلام لا إشباع فى الفتحة لأن الوقف عليه بألف .ومن أجل ذلك كتبت ﴿لَٰكِنَّا هُوَ اللَّهُ﴾

(١) فى المصباح أن فعل خنق من باب قتل ومصدره ككتف و يسكن للتخفيف .

بألف بعد النون فى لٰكنّا إذ أصله لكِنْ أنا . ويكتب المنوّن المنصوب مثل زيدا وعمرا من قولك : رأيت زيدا وضربت عمرا بالألف لأنه يوقف عليه بالألف بخلاف المنوّن المرفوع والمجرور نحو جاء زيد ومررت بزيدٍ، إذ الوقف عليه بحذف نون التنوين وإسكان الآخر علىٰ الصحيح . وتكتب إذًا المنوّنة بالألف علىٰ رأى المـازنِىّ رحمه الله ومَنْ تابعه : لأن الوقف عليها بالألف لضَعْفها، والمبرد والأكثرون علىٰ أنها تكتب بالنون . قال الأستاذ ٱبن عُصْفُورٍ : وهو الصحيح : لأن كل نون يوقف عليها بالألف كتبت بالألف وما يوقف عليها نفسِها كما توصل كتبت بالنون وهذه يوقف عليها عنده بالنون، وأيضا فإنها إذا كتبت بالنون كانت فرقا بينها وبين إذَا الطرفية لئلا يقع الإلباس . وفصّل الفرّا فقال : إن أَلغيت كتبت بالألف، وإن أُعْملت كتبت بالنون لقوّتها . ويحكىٰ عن أبى العَبَّاس محمد بن يزيد أنه كان يقول : أشتَهِى أن أَكْوِىَ يَدَ من يكتب إذَنْ بالألف لأنها مثل أَنْ ولَنْ، ولا يدخل التنوين فى الحروف .

ويكتب نحو لَنَسْفَعًا بالألف لأن الوقف عليها بالألف ، وكذلك يكتب اِضْرِبًا زيدا ولا تَضْربًا عمرا بالألف علىٰ رأى من ٱدّعىٰ أنه الأكثر ، ووجَّهَهُ بأن النون الخفيفة تنقلب ألِفًا إذا كان ماقبلها مفتوحا فى الوقف .

وذهب بعضهم إلىٰ أنها تكتب بالنون تشبيها لنونه[1] بنون الجمع نحو اضْرِبُنْ للجمع المذكر وبه جزم الشيخ أثير الدين أبو حَيَّانَ . ووجَّهَهُ بأنه لو كتب بالألف لٱلتبس بأمر الٱثنين ونهيهما فى الخط ، وإن كنت إذا وقفتَ عليه وقفتَ بالألف فلم تُراعَ حالة الوقف فى ذلك لأن الوقف منع من ٱعتباره ما عرض فيه من كثرة الإلباس:

---

(١) أى تشبيها لنون التوكيد التى فى الفعل المسند الى المفرد بنون التوكيد التى فى الفعل المسند الى الجمع .

لأنهم لو أرادوا (علىٰ الوقف بالألف) كتابتَه بالألف، كَثُر اللَّبْس بالوقف والخط، فتجنبوا ما كثر به الإلباس . ويكتب كل آسم فى آخره ياء نحو قاضى وغازى وداعى وحادى وسارى ومُشْتَرِى ومُهْتَدِى ومُسْتَدْعِى ومُفْتَرِى فى حالتى الرفع والجر بغير ياء، كما فى قولك جاء قاضٍ ومررت بقاضٍ، وكذا فى الباقيات، وفى حالة النصب بالياء مع زيادة ألفٍ بعدها كما فى قولك : رأيتُ قاضـيًا وغازيا وداعيا وما أشبهه .

وإن كان جَمْعًا : فإن كان غير منصرف كُتِبَ فى حالتى الرفع والخفض بغـير ياء علىٰ ماتقدّم .

فيُكْتَبُ فى الرفع هؤلاء جوارٍ وغواشٍ وسَوَارٍ ودَواعٍ ، وفى الخفض مررت بجَوَارٍ وسَوَارٍ وغواشٍ ودواعٍ بغير ياء فى الحالتين .

ويكتب فى النصب بالياء إلا أنه لاتزاد الألف بعدها ، فتكتب رأيت جوارىَ وسوارىَ ودواعِىَ .

فإذا دخلت الألف واللام فى جميع هذه الأسماء، أثبتت فيها الياء سواء المنصرف وغير المنصرف، فيكتب هذا الداعى والغازى والقاضى والمستدعى وهؤلاء الجوارى والسوارى والدواعى بالياء فى الجميع .

قال آبن قتيبة : وقد يجوز حذفها، وليس بمستعمل إلا فى كتابة المصحف .

ويكتب نحو رَهْ أمرا بالرؤية، ولم يَرَهْ نفيا للرؤية، وقِهْ أمرا بالوقاية، ولم يقِهْ نفيا لذلك وما أشبهه بالهاء وإن كانت الهاء تسـقط منه حالة الدَّرْج، لأن الوقف عليها بالهاء . وكذلك قولهم : مَهْ(١) أنت، ومَجِىءَ مَهْ جئتَ : لأن الوقف علىٰ ماالآستفهامية بعد حذف ألفه بالهاء فيكتب بالهـاء ، بخلاف ما إذا وقعت ما المحذوف ألفها بعد

(١) كذا فى الضوء أيضا ولعله [مِمَّـه أتيت] .

الجار نحو حَتَّامَ و إلَامَ وعَلَامَ فإنه لاتلحقها الهاء لشدّة الاّتصال فلا تكتب بالهاء .
وتكتب تاء التأنيث فى نحو رحمة ونعمة ونقمة وقسمة وخدمة وطلحة وقمحة بالهاء لأن الوقف عليها بالهاء علىٰ الصحيح، و بعضهم يقف عليها بالتـاء، وهى لغـة قليلة فتكتب بالتاء موافقةً للوقف . وقد وقع فى رسم المُصْحَفِ الكريم مواضعُ من ذلك نحو قوله تعالىٰ: ﴿أَفَبِنِعْمَتِ اللهِ يَكْفُرُونَ﴾ كتبوا أَفَبِنِعْمَتْ بالتاء، والأكثر ماتقدّم.

قال آبن قتيبـة : وأجمع الكُتَّابُ علىٰ كتابة السَّـلامُ عليكَ و رحمت الله و بركاته فى أوّل الكتاب وآخره بالتاء. قال : فإن أضفت تاء التأنيث إلىٰ مضمر، صارت تاء فتكتب شَجَرتك وناقتك ورحمتك وما أشبهه بالتاء .

أما أخت و بنت ، وجمعُ المؤنث السالمُ مثل قائمـات وصائمـات وتائبات، وتاءُ التأنيث الساكنةُ فى آخر الفعل نحو قامتْ وقعدتْ، وما أشـبه ذلك، فإنه يكتب جميع ذلك بالتاء لأن الوقف عليها بالتاء .

قال آبن قتيبة : وهَيْهَاتَ يوقف عليها بالهاء والتاء، والإجماع علىٰ كتابتها بالتاء.
ثم اللفظ الذى يكتب علىٰ نوعين :

النـــــوع الأوّل

(أن يكون آسمـا لحرف من حروف الهجاء، وهو علىٰ وجهين)

الوجه الأوّل

(أن يكون آسما قاصرا علىٰ الحرف لم يُسَمَّ به غيره، وله حالان)

أحدهما ـ أن يقصد آسم ذلك الحرف لا مُسَمَّاه فيكتب الملفوظ به نحو جيم إذا سئل كتابته فيكتب بجيم وياء وميم .

الثـانى ـ أن يقصد مسماه لا آسمه فيجب الآقتصار فى الكتابة علىٰ أوّل حرف فى الكلمة، ويكتب بصورة ذلك الحرف مثل قٓ نٓ صٓ ، ولذلك كتبت الحروف المفتتح بهـا السور علىٰ نحو ما كتبوا حروف المعجم . وذلك لأنهم أرادوا أن يضعوا أشكالا لهـذه الحروف تتميز بها، فهى أسماءٌ مدلولاتها أشكال خَطِّية، ولو لم يضَعُوا لها هذه الأشكالَ الخطية، لم يكن للخط دلالة علىٰ المنطوق . ولو آقتصروا علىٰ كتبها علىٰ حسب النطق ولم يضـعوا لهـا أشكالا مفردة تتميز بها لم يمكن ذلك : لأن الكتابة بحسب النطق متوقفـةٌ علىٰ معرفة كل حرف حرف وشكلُ كل حرف حرف غير موضوع، فآستحال كتبها علىٰ حسب النطق . ألا ترىٰ أنك إذا قيل لك : آكتب جيم، عين، فاء، راء، فإنما تكتب هـذه الصورة "جعفر" والملفوظ بلسان الآمر بالكتابة جيم والمكتوب ج . ولو كان تصوير اللفظ بصور هجائه، لكان المكتوب "جيم" كالملفوظ علىٰ قياس غيره من الألفاظ .

ويشهد لذلك ما حكِىَ أن الخليل رحمه الله قال يوما لطلبته : كيف تنطِقون بالجيم من جعفر ؟ فقالوا جيم فقال : إنمـا نطقتم بالآسم ولم تلفِظُوا بالمسئول عنه، ثم قال : الجواب جَه لأنه المسمّٰى من الكاف (يريد جيما مفتوحة، وإنمـا أتىٰ فيها بالهاء ليمكن الوقف عليها) .

الوجه الثـانى

(أن لا يكون الآسم قاصرا علىٰ الحرف بأن يسمّٰى به غيره أيضا كما إذا سُمِّىَ رجل بقاف أو بياسين، فللكُتَّاب فيه مذهبان) :

أحدهما ـ أن تكتب صورة الحرف هكذا قٓ ويسٓ .

والثانى ـ أن يكتب الملفوظ به هكذا "قاف" و "ياسين" وهو آختيار أبى عمرو بن الحاجب رحمه الله .

النـــــوع الثـانى

(أن لا يكون اسما لحرف من حروف المعجم، وهو علىٰ وجهين أيضا)

الوجه الأول

(أن يكون له معنًى واحدٌ فقط)

فيكتب هكذا (زيد) إذا طلب كتابة زاى، ياء[1]، دال.

الوجه الثـانى

(أن يكون له أكثر من معنى واحد)

فيكتب بحسب القرينة كما إذا قيل لك: اكتب شعرا فإن دلت القرينة علىٰ أن المراد هذا اللفظ كتب هكذا (شعرا) وإلا فيكتب ماينطبق عليه الشعر إذ هو معنىٰ الشعر.

الضرب الثـانى

(ما تغير عن أصله، وهو علىٰ ثلاثة أنواع)

النـــــوع الأول

(ما تغير بالزيادة. والزيادة تقع فى الكتابة بثلاثة أحرف)

الحرف الأول

(الألف، وتزاد فى مواضــع)

(منها) تزاد بعد الميم فى مائة فتكتب علىٰ هذه الصورة (مائة) فرقا بينها وبين مِنْهُ، وإنمـا كانت الزيادة من حروف العـلة دون غيرها لأنها تكثر زيادتها، وكان حرف العـلة ألفا لأنها تشبه الهمزة، ولأن الفتحة من جنس الألف. ولم تكن الزيادة ياء، لأنه يستثقل فى الخط أن يُجْمَعَ بين حرفين مثاين فى موضـع مأمون فيه اللبس.

---

(١) عبارة الضوء فان كان له معنى (أى واحد) كتب على هذه الصورة "زيد" وهى أوضح.

ألا ترىٰ إلىٰ كتابتهم خطيئة علىٰ وزن فعيلة بياء واحدة ولو كتبت علىٰ صيغة لفظها، لوجب أن تكتب بياءين، ياء لبناء فعيلة، وياء هى صورة الهمزة . ولم تكن الزيادة واوا لآستثقال الجمع بين الياء والواو، وجُعِلَ الفرق فى مائة ولم يجعل فى منه لأن مائة آسم ومنه حرف والآسم أحمل للزيادة من الحرف، ولأن المـائة محذوفة اللام بدليل قولهم : أمْأَيت الدراهم، فجعل الفرق فى مائة بدلا من المحذوف مع كثرة الآستعمال، ثم آختلف فى المثنّى منه فقيـل لا يزاد فى مائتين لأن موجب الزيادة اللبس ولا لَبْس فى التثنية، والراجح الزيادة كما فى الإفراد : لأن التثنية لا تغير الواحد عما كان عليه .

أما فى حالة الجمع، فقد آتفـقوا علىٰ منع الزيادة فكتبوا "مئين ومئات" بغـير ألف بعد الميم : لأن جمع التكسير يتغير فيه الواحد وجمع السلامة ربما تغير فيه أيضا فغلبت .

قال الشيخ أثير الدين أبو حيان رحمه الله : وقد رأيت بخط بعض النحاة "مأة" علىٰ هذه الصورة بألف عليها نبرة الهمزة دون ياء . قال : وكثيرا ما أَكْتُبُ أنا "مئة" بغير ألف كما تكتب "فئة" لأن كَتْبَ مائة بالألف خارج عن القياس . فالذى أختاره أن تكتب بالألف دون اليـاء علىٰ وجه تحقيق الهمزة، أو باليـاء دون الألف علىٰ وجه تسهيلها .

(ومنها) تزاد بعد واو الجمع المتطرّفة فى آخر الكلمة إذا آتصلت بفعل ماض أو فعل أمر مثـل ضَرَبُوا وآضْرِبوا وما أشبههما فتكتب بألف بعد الواو . وسمّى آبن قتيبة هذه الألفَ ألفَ الفصل لأنها تفصل بين الفعل(١) كى لا تلتبس الواو فى آخر الفعل بواو العطف . فإنك لو كتبتَ أَوْرَدُوا وصـدَرُوا مثلا بغير ألف ثم آتصلت بكلام

(١) لعل الأظهر لأنها تفصل بين الفعل وما بعده من الكلام .

بعدها، ظن القارئ أنها واو العطف. ولمّـا فعلوا ذلك فى الأفعال التى تنقطع واوُها عن الحرف كالفعلين المتقدّمين، فعلوا ذلك فى الأفعال التى تتصـل واوُها بالحرف قبلها نحو كانوا و بانوا ليكون حكم هذه الواو فى جميع المواضع واحدا . أما إذا لم تقع طَرَفا فى آخر الكلام نحو ضربوهم وكَالُوهُمْ ووَزَنُوهُمْ، لم تلحق به الألف . فلو ٱتصلت واو الجمع المذكورة بفعـل مضارع نحو لن يضربوا ولن يذهبوا . فمذهب بعض البَصْرِيِّينَ أنه لا تلحقها الألف. ومذهب الأخفش لُحُوقُها كالماضى والأمر.

ولو ٱتصلت باسم نحو ضاربوهم وضاربو زيد . فمذهب البَصْرِيِّينَ أنها لا تُلْحَق بل يجعـل الاسم تلو الواو . ومذهب الكوفيين أنها تلحق فيكتبون ضـارِبُوا زيد وقاتِلُوا عمرو وهُمُوا بألف بعد الواو فى الجميع، والراجح الأوّل .

(ومنها) زادها الفرّاء فى يدعو و يغزو فى المفرد حالة الرفع خاصّةً تشبيها بواو الجمع.

وأطلق ٱبن قتيبة النقل عن بعض كُتَّاب زمانه بأنها لا تُلْحَق فى مثل ذلك : لأن العلة التى أُدخِلتْ هذه الألف لأجلها فى الجمع لا تلزم هنا : لأنك إذا كتبتَ الفعل الذى تتصل واوه به من هذا الباب مثل أنا أرجو وأنا أدعو لم تشبه واوُه واوَ العطف أيضا إلا بأن تزيل الكلمة عن معناها لأن الواو من نفس الفعل لا تفارقه إلا فى حال جزمه، والواو فى صَـدَرُوا، ووردُوا واوُ جمع مكتنف بنفسه يمكن أن يجعـل للواحد وتتوهم الواو عاطفةً لشىء عليه . قال : وقد ذهبوا مذهبا . غير أن متقدّمى الكُتَّاب لم يزالوا على إلحـاق ألف الفَصـل بهـذه الواوات كلها ليكون الحكم فى كل موضع واحدا .

قال الشيخ أثير الدين أبو حيان : وفَصَّل الكسائىّ فى حالة النصب فقال : إن لم يتصل[1] به ضمير نحو لن يدعوك، كتب بغير ألف فرقا بين الحالين .

(١) لعل الصواب [ان لم يتصل به ضمير نحو لن يدعو كتب بألف . وان ٱتصل به ضمير نحو الخ] .

(ومنها) تزاد شـذوذا بعـد الواو المبدَلة من الألف فى الرِّبٰو فتكتب بألف بعد الواو علىٰ هذه الصورة (الربوا) تنبيها علىٰ أن الأصـل أن يكتب بالألف . ووجه الشذوذ أنه من ذوات الواو فكان قياسه أن يكتب بالألف .

وقد زيدت فى مواضع من المصحف، كما فى قوله تعالى: "إِنِ ٱمْرُؤٌا هَلَكَ" تنبيها علىٰ أنه كان ينبغى أن تكون صورة الهمزة ألفا علىٰ كل حال ولا يعتدّ بالضم والكسرة إذ اللغة الأصلية فيها إنما هى فتح الراء دائما، والقياس كتابته بصورة الحركة التى قبل الهمزة، وكذلك كتبوا "لَاأَوْضَعُوا" بزيادة ألف بعد اللام ألف، وذلك مختص برسم المصحف الكريم دون غيره، فلا يقاس عليه والله أعلم .

الحرف الثـانى

(الواو ، وتزاد فى مواضع أيضـا)

(منهـا) تزاد فى عمرو بعد الراء إذا كان عَلَمًا فى حالتى الرفع والجر فرقا بينه و بين عُمَرَ . وكانت الزيادة واوا ولم تكن ياء لئـلا يلتبس بالمضاف إلىٰ ياء المتكلم، ولا ألفا لئـلا يلتبس المرفوع بالمنصوب . وجعلت الزيادة فى عمرو دون عُمَرَ، لأن عَمْرا أخفُّ من عُمَر من حيث بناؤه علىٰ فَعْل ومن حيث ٱنصرافُه . أما فى حالة النصب فلا تزاد فيه الواو ويكتب عمرو بألف وعُمَرُ لا يكتب بألف لأنه لا ينصرف، وكذلك المحلّٰى باللام كالعَمْر والمضاف كعَمْرِه والواقع قافية شعر كقول الشاعر :

إِنَّمَـا أَنْتَ فِى سُـلَيْمٍ كَواوٍ * أُلْحِقَتْ فِى الهِجَاء ظُلْمًا بِعَمْرِ

وكذلك عَمْرٌ واحد عُمُور الأسنان : وهو اللحم الذى بينها، وما هو بمعنىٰ المصـدر مثل قولهم : لَعَمْرُ الله لا تزاد فيه الواو إذ لا لَبْس . ولم يفرقوا فى الكتابة بين عُمَر العَلَم وعُمَرَ جمع عُمْرَةٍ لأنهما ليسا من جنس واحد فلا يلتبسان .

(ومنها) تزاد فى أولئك بين الألف واللام فرقا بينها وبين إليك إذ حذفوا ألف أولئك الذى بعد اللام لكثرة الآستعمال فالتبست بإليك، وكانت الواو أولى بالزيادة من الياء : لمناسبة ضمة الهمزة، ومن الألف : لآجتماع صورتى الألف وهم يحذفون الواحدة إذا آجتمعت صورتاها، وجعلت الزيادة فى أولئك دون إليك : لأن الآسم أحمل للزيادة من الحرف ولأن أولئك قد حذف منه الألف فكان أولى بالزيادة لتكون كالعوض من المحذوف .

قال آبن الحاجب : وحملوا أولى عليه مع عدم اللبس كما حملوا مائتين على مائة .

(ومنها) تزاد فى أُولِى وفى أُولُو بين الألف واللام، أما فى أُولِى فللفرق بينها وبين إلى، وأما فى أولو فبالحمل على أُولِى بالياء، صرح به الشيخ أبو عمرو بن الحاجب، وقاله الشيخ أثير الدين أبو حيان بحثا وآدّعى أنه لم يَظْفَرْ فى تعليله بنصّ . قال : وحمل التأنيثُ فى أُولَات على التذكير فى أولى .

(ومنها) تزاد فى أُوَخَىّ تصغير أَخِى بين الألف والخاء ، والتغيير يأنس بالتغيير . وجعلت الزيادة واوا لمناسبة ضمة الهمزة كما فى أولئك ونحوه . وأكثر أهل الخط لا يزيدونها لأن التصغير فرع عن التكبير وليس ببناء أصلىّ .

الحرف الثالث

(الياء المثناة تحت)

وتزاد فى مواضعَ من رسم المصحف الكريم فيكتبون قوله تعالى : ﴿بَنَيْنَاهَا بِأَيْيدٍ﴾ بياءين بين الألف والدال من قوله : "بِأَيْيدٍ". وقوله تعالى : ﴿من نَبَإِى الْمُرْسَلِينَ﴾ بياء بعد الألف من نبإ، وقوله تعالى : ﴿من مَلَإِيه﴾ و ﴿من مَلَإِيهِمْ﴾ بياء قبل الهاء فيهما . وهذا مما يجب الآنقياد إليه فى المصحف آقتداءً بالصحابة رضوان الله عليهم .

أما فى غير المصحف فيكتب بأيد بياء واحدة لأن الهمزة فيه أوّلُ كلمة فتصوَّر ألفـا كغيرها من الهَمَزات الواقعة أوّلا علىٰ ما سيأتى بيانه إن شاء الله تعـالىٰ . و يكتب من نبإ ومن ملئه ومن ملَئِهـم بغير ياء لأن الهمزة فى نبإ وملإ أخيرة بعد فتحة فتصوّر أَلِفًا كما فى نحو كلإ وخطإ، وكذلك إذا أضيف إليه الضمير .

وذهب بعضهم إلىٰ أنها تكتب فى هذا ياءً علىٰ ما يناسب حركتها سواء أضيفت نحو من كلئه أو لم تضف نحو من الكَلَئِ .

قال بعضهم : والأقيسُ أن يكتب ياء مع الضمير المتصل نحو من خطئـه لأنها صارت معه كالمتوسـطة و يكتب ألفا إذا تطرّفت نحو من خطإ اعتبارا بمـا يؤول إليه فى التخفيف والله أعلم .

النـــــوع الثـانى

(ما يغيَّر بالنقص)

والنقص يقع فى الكتابة علىٰ وجهين .

الوجه الأوّل

(ما لا يختص بحرف من الحروف، وهو المدغَمُ)

فيكتب كلُّ مشدّد من كلمة واحدة حرفا واحدا نحو شدّ ومدّ وآدّكر ومقرّ وآقشعرّ فيكتب بدال واحدة فى شـدّ ومدّ وآدّكر و راءٍ واحدة فى مقرّ وآقشـعرّ و إن كان فى اللفظ حرفان، فإن الحرف المدغم فيما بعده هو متلفظ به ساكنا مدغما، فكان قياسه أن تكتب له صورة بحسب النطق، لكنه لما أدغم ضَعُفَ بالإدغام، إذ صار النطق به و بالمدغم فيـه نطقا واحدا فآقتصر فى الكتابة علىٰ حرف واحد ولم يجعـل للأوّل صورة آختصارا . وسواء كان المدغم إدغام مثل نحو رَدَّ أومقارب نحو آطَّجع أصله

ٱضطجع . وأجروا نحو قَنَتُّ مُجرىٰ ما هو من كلمة واحدة وإن كان من كلمتين لشدّة ٱتصال الفعل بالفاعل مع كون الحرفين مثلين .

قال الشيخ أبو عمرو بن الحاجب رحمه الله : وكذلك نحو مِمَّ وعَمَّ وإلَّامَ(١) .

الوجه الثانى
(ما يختص بحرف من الحروف)

وينحصر ذلك فى خمسة أحرف :

الحرف الأوّل
(الألف ، وتحذف فى مواضع)

(منها) تحذف مع لام التعريف إذا دخلت عليها لام الجرّ، فيكتب لِلْقوم ولِلْغلام وللناس بلامين متواليتين من غير ألف ؛ بخلاف ما إذا دخلت عليها باء الجرّ فإنها لا تُحذَف، فيكتب بالقوم وبالغلام وبالناس بألف بين الباء واللام . وإن كان فى أوّل الكلمة ألف ولام من نفس الكلمة ليستا اللتين للتعريف نحو الألف واللام فى ٱلتقاء وٱلتفات وٱلتباس . ثم دخلت لام الجرّ أو باؤه ثبتت الألف، فيكتب بالتقائنا ولِٱلتفاتنا ولِٱلتباس الأمر علىّ وبٱلتباسه ، فإن أدخلتَ ألف التعريف ولامه علىٰ الألف واللام اللتين من نفس الكلمة للتعريف ولم تَصِلِ الكلمةَ بلام الجرّ وبائه لم تحذف شيئا، فيكتب الٱلتقاء والٱلتفات والٱلتباس بلامين(٢) ولامين، وكذلك إذا وصلتهما بلام الجرّ أو بائه، فيكتب بالٱلتقاء وبالٱلتفات وبالٱلتباس وللٱلتقاء وللٱلتفات وللٱلتباس .

(ومنها) تُحذَف بعد اللام الثانية من لفظ الله تعالىٰ، وبعد الميم من الرحمن إذا دخلت عليها الألف واللام، فيكتب الله بلامين بعدهما هاء علىٰ هذه الصورة "الله"

---

(١) ليس من الباب فالصواب حذفه كما وقع فى الضوء . (٢) لعله بألفين ولامين .

وإن كانت المدّة بعد اللام الثانية توجب أَلِفًا بعدها، ويكتب الرحمن بنون بعد الميم علىٰ هـذه الصورة "الرحمن" وإن كانت المدّة علىٰ الميم توجب ألفا بعدها : لأنه لا ٱلتباسَ فى هذين الآسمين ، ولكثرة الآستعمال . فلو تجرّدا عن الألف واللام كتبا بالألف كما قالوا : لَاهِ أبوك يريدون لله أبوك ، فحذفوا حرف الجرّ والألف واللام وكتبوه بالألف . وكقولك : رَحمانُ الدنيا والآخرة فيكتبونه بالألف .

(ومنها) تحذف بعد اللام من السلام فى عبد السلام وفى السلام عليكم ، فيكتبان علىٰ هذه الصورة : "عبد السَّلٰم" و"السَّلٰم عليكم" .

(ومنها) تحذف بعد اللام من ملائكة ، فتكتب علىٰ هذه الصورة : "ملٰئكة" . قال أحمد بن يحيى : لأنه لا يشبهه لفظ مثله ، ولكثرة الآستعمال .

(ومنها) تحذف بعد الميم من سموات ، فتكتب علىٰ هذه الصورة : "سمٰوات" .

قال الشـيخ أثير الدين أبو حيـان : وعلة الحذف فيه علة الحذف فى الملائكة من كثرة الآستعمال وعدم الشـبه . وأما الألف الثانية منه وهى التى بعد الواو، فإنها لا تحذف : لأنها دليل الجمع ، ولأنها لو حذفت لآجتمع فى الكلمة حذفان ، وقد كُتِبَتْ فى المصحف بحذف الألفين جميعا فيجب الآنقياد إليه فى المصحف خاصَّةً .

(ومنها) تحذف بعـد اللام فى أُولئك ، وبعد الذال من ذلك فيكتبان علىٰ هذه الصورة : "أولئك" و"ذلك" . فلو تجرّد أولاء وذا عن حرف الخطاب وهو الكافُ ، كتبا بالألف فيكتبان علىٰ هذه الصورة : "أولاء" و "ذا" .

(ومنها) تحذَف بعـد ها التنبيه إذا ٱتصلت بذا[1] التى للإشارة وكانت خالية من كاف الخطاب فى آخر الكلمة ، فتحذف من هذا وهذه وهؤلاء ، فيكتب الجميع بغير ألف ، فان ٱتصلت بٱسم الإشـارة الكاف نحو ذاك ٱمتنع الحذف ، فيكتب بألف

(١) أى وأولاء كما يؤخذ من التمثيل .

بعد الهاء علىٰ هذه الصورة "ها ذاك" ولا يضر آختلاف حرف الخطاب بالنسبة للإفراد والجمع والتذكير والتأنيث . وأما تا وتِى فى الإشارة بتـا[1] للمذكر وبتى للمؤنث، فإن الألف لاتحذف معهما إذا آتصلت بهما ها التنبيه، فيكتب هاتا وهاتى وهاتان.

وذكر أحمد بن يحيىٰ : أنها حذفت من هـأنتم وهـأنا وهـأنت أيضا، فتكتب بألف واحدة بعد الهاء فى جميع ذلك . قال : وهو القياس؛ وكان الأصل أن تكتب بألفين علىٰ هذه الصورة : ها أنتم وها أنا وها أنت؛ ثم تلى الهمزة . ودليل أن ألف ها قد حذفت من ها التنبيه فى غير آتصالها بذا وما والاها من رسم المصحف فى ثلاثة مواضع من القرءان الكريم فى النور ﴿ أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ وفى الزخرف ﴿ يٰأَيُّهَ السَّاحِرُ ﴾ وفى الرحمن ﴿ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ ﴾.

قال آبن قتيبة : ويكتب أيها الرجل وأيها الأمير بالألف وإن كان قد كتب فى القرءان الكريم بالألف وغير الألف لآختلافهم فى الوقف عليها .

(ومنها) تحذف من ثمانية عشر وثمانى نساء، بخلاف ما إذا حذفت الياء منها نحو ثمـان عشرة وعندى من النساء ثمـانٍ فإنه لا تحذف الألف، بل تكتب علىٰ هذه الصورة : "ثمان عشرة وعندى من النساء ثمان" لأنه قد حذف منه الياء فلو حذف الألف، لتوالىٰ الحذف فيكثر : فمثل قول الشاعر :

وَلَقَدْ شَرِبْتُ ثَمٰنِيًا وثَمٰنِيًا * وثَمَانَ عَشَرَةَ وَٱثْنَتَيْنِ وَأَرْبَعَا

يكتب الأوّلان بغير ألف والثالثة بالألف . وفى ثمانين وجهان : أحدهما إثبات الألف بعد الميم فيها : لأنه قد حذف منه الياء إذ الياء فى ثمانين ليست ياء ثمانية لأنها حرف الإعراب المنقلبُ عن الواو فى حالة الرفع، فلو حذفت الألف أيضـا لتوالىٰ فيه الحذف. والوجه الثانى الحذف : لأن الياء منه كأنها لم تحذف بدليل أنه قد عاقبتها

(١) كذا فى الضوء أيضا ولعله سهو أو سبق قلم فان تا وتى للؤنث كما هو واضح .

ياء أخرىٰ فهما لايجتمعان، فكأن الياء موجودة إجراء للعاقِب مجرىٰ المُعاقَب . و إذا قلت ثمانون بالواو، فحكمهُ حكم ثمانين بالياء فى جواز الوجهين .

(ومنها) تحذَف بعد اللام من ثلاث فيكتب علىٰ هذه الصورة : "ثَلٰث" سواء كانت مفردة، نحو عندى ثَلٰث من البَطِّ، أو مضافة نحو ثَلٰث نساء، أو مركبة نحو ثلث عشرة ٱمرأة، أو معطوفة نحو ثلٰث وثلاثون جارية، وحكم ثلثـة بالتاء كذلك فى جميع الصور .

وكذلك تحذف أيضا من ثلاثين وثلاثون بالياء والواو، فيكتبان علىٰ هذه الصورة : "ثلثين" و "ثلثون" .

فأما ثُلاثَ المعدولُ كما فى قوله تعالىٰ : "مَثْنىٰ وثُلاثَ" . فقال الشيخ أثير الدين أبو حيان رحمـه الله : لم أقف فيـه علىٰ نَقْل . قال : والذى أختاره أن يكتب بالألف لوجهين : أحدهما أنه لم يكثر كثرة ثلٰث، وثلثة، وثلثين، وثلثون. والثانى أنها لو حذفت لٱلتبست بثلٰثٍ الذى ليس بمعدول .

قال ٱبن قاسم رحمه الله : وقد ذكر فى " المقنع " أنه محذوف فى الرسم .

(ومنها) تحذف من ــ يا ــ التى للنداء إذا ٱتصلت بهمزة نحو ياأحمد، ياإبراهيم، ياأبا بكر، ياأبانا، فتكتب علىٰ هــذه الصورة : يٰأحمد، يٰإبرهيم، يٰأبابكر، يٰأبانا . ثم الأظهر أن المحذوف هو ألف يا لا صورة الهمزة .

وقال أحمد بن يحيىٰ : المحـذوف صورة الهمزة لا الألف من يا نعم إذا كانت الهمزة المتصلة بيا كهمزة آدم ٱمتنع الحـذف، وكتبت بألفين علىٰ هذه الصورة : ياآدم : لأنهم قد حذفوا ألفا من آدم لتوالى أَلِفَيْنِ، وحرف النداء مع المنادىٰ كالكلمة الواحدة بدليـل أنه لايجوز الفصل بينهما فلو حذفت الألف من يا لٱجتمع فيما هو كالكلمة الواحدة حذف أَلِفَيْنِ .

أما إذا لم يلِ يا همزةٌ البتةَ نحو يازيد، ويا جعفر، فالذى يستعمله الكُتّابُ فيه إثبات الألف فى يا . وفى كلام أحمد بن يحيىٰ تجويز كتابته بغير ألف أيضا، توجيها بأنهم جعلوا يا مع ما بعدها شيئا واحدا، إذ أقاموا يا مُقَامَ الألف واللام بدليل أنهم لاينادون ما فيه ألف ولام، فلا يقولون يا الرجل .

(ومنها) تحذف من الحارث إذا كان عَلَماً ودخلت عليه الألف واللام ، فيكتب علىٰ هـذه الصورة : الحٰرث . أما إذا عَرِىَ عن الألف واللام ، فإنه يثبت فيه الألف لئلا يلتبسَ بحرب بالباء المُوَحَّدَةِ إذ قد سمى به، وإنما آمتنع اللبس مع الألف واللام لأنهما إنما يدخلان من الأعلام علىٰ ما كان صفةً إذا أريد به معنىٰ التفاؤل وحَرْبٌ ليس بصفة فلم يدخلا عليه وإن كانا قد دخلا علىٰ بعض المصادر كالعَلَاء. وكذلك إذا كان حارث آسم فاعل من الحرث فإنه يكتب بالألف أيضا كما إذا عرى عن الألف واللام .

(ومنها) تحذف مما كثر آستعماله من الأعلام الزائدة علىٰ ثلاثة أحرف إذا لم يحذف منها شىء، سواء كان ذلك العلم من اللغة العربية نحو مالك، وصالح، وخالد، أو من اللغة العجمية نحو إبراهيم، وإسماعيل، وإسحاق، وهارون، وسليمان، فتكتب علىٰ هذه الصورة: مٰلك، وصٰلح، وخٰلد، وإبرٰهيم، وإسمٰعيل، وهٰرون، وسليمٰن. بخلاف ما إذا لم يكثر آستعماله كحاتم، وجابر، وحامد، وسالم، وطالوت، وجالوت، وهاروت وماروت، وهامان، وقارون، فإنها لاتحذف ألفها .

وقد حذفت فى بعض المصاحف من هاروت، وماروت، وهامان، وقارون، فكتبت علىٰ هذه الصورة: هٰروت، ومٰروت، وهٰمن، وقٰرون .

قال الشيخ أثير الدّين أبو حيان رحمه الله: وذكر بعض شيوخنا أن إثباتها فى نحو صالح، وخالد، ومالك جيدٌ .

وقال أحمد بن يحيىٰ : يجوز فيه الوجهان، وهو قضية كلام آبن قتيبة .

أما إذا كان العَـلَمُ الذى كَثُر آستعماله علىٰ ثلاثة أحرفٍ فما دونها نحو هَالة وأَوْس[1] ولام ، فإنه لا تحـذف ألفه، وكذلك إذا حذف منه شىء غير الألف نحو إسراءيل وداود، لأنهم قد حذفوا من إسراءيل صورة الهمزة، ومن داود الواو فآمتنع حذف الألف لئلا يتوالىٰ الحذف .

ويلتحق بذلك فى الإثبات مالو خيف بالحذف آلتباسه : كعامر، وعَبَّاس ، فلا تحـذف منه الألف أيضا، لأنه لو كتب بغير ألف، لآلتبس عامر بعُمَر، وعباس بعبْس .

(ومنها) تحذف آستحسانا مما كثر آستعماله ،مما فى آخره الألف والنون نحو شعبان، وعثمان وما أشبههما، فيكتبان علىٰ هذه الصورة "شعبٰن" و "عثمٰن".

قال الشيخ أثير الدّين أبو حيان رحمه الله : إلا أنهم لم يحذفوا ألفَ عِمْرَان والإثبات فى نحو شعبان حسنٌ أيضا .

قال آبن قتيبة : فأما شَيْطَان، ودِهْقَان، فإثبات الألف فيهما حسن. وكان القياس إذا دخلت عليهما الألف واللام أن يكتبا بغـير ألف، إلا أن الكُتَّاب مُجْمِعُون علىٰ تَرْك القياس فى ذلك.

(ومنها) تحذف من كل جمع علىٰ وزن مفـاعل أو وزن مفاعيل، إذا لم يحصـل بالحذف آلتباس الجمع فيه بالواحد لموافقته له فى الصورة، فحيث لا يقع اللَّبْس مثل خواتم ودوانق فى وزن مفاعل ومحاريب وتمـاثيل وشـياطين فى وزن مفاعيل

(١) كذا فى الأصل والضوء أيضا .

تحذف الألف فيكتب على هذه الصورة : خوٰتم ، ودوٰنق ، ومحٰريب ، وتمٰثيل ، وشيٰطين ، ودهٰقين . إذ المفرد منها خاتم ، ودانق ، ومحراب ، وتمثال ، وشيطان ، ودهقان ، وهى لاتشابه صور الجمع فيها . بخلاف ما إذا كان يلتبس فيه الجمع بالواحد ، مثل مساكين فى وزن مفاعيل جمع مسكين فإنه يكتب بالألف لئلا يلتبس بالواحد . فلو كان الحذف يؤدى إلى موافقته للواحد فى الصورة لكنه فى غير موضع المفرد نحو ثلاثة دراهم ، ودراهم جياد ، ودراهم معدودة ، حذفت منه الألف وكتب على هذه الصورة : ثلٰثة درٰهم ، ودرٰهم جياد ، ودرٰهم معدودة ، لأنه لايلتبس حينئذ . بخلاف عندى دراهم ونحوه فإنه لو حذفت الألف منه ، لالتبس بدرهم المفرد .

ثم الحذف فى مفاعل ومفاعيل على ما تقدم إنما هو على سبيل الجواز ، وإلا فالإثبات أجود .

وشرط بعض المغاربة فى جواز الحذف شرطا : وهو أن لاتكون الألف فاصلا بين حرفين متماثلين ، فلا تحذف الألف من نحو سكاكين ، ودكاكين ، ودنانير ، لئلا يجتمع مثلان فى الخط وهو مكروه فى الخط ككراهته فى اللفظ .

وقد كتب فى المصحف مساكين ، ومساكنهم بغير ألف على هذه الصورة مسٰكين ، ومسٰكنهم ، وإن كان اللبس موجودا .

قال الشيخ أثير الدين أبو حيان رحمه الله : وإنما كتبتا كذلك لأنهما قد قرئا بالإفراد فكتبتا على مايصلح فيهما من القراءة . كما كتبوا ﴿وَمَا يُخَادِعُونَ﴾ بغير ألف على هذه الصورة ﴿وَمَا يُخٰدِعُونَ﴾ لأنه يصلح لقراءة يَخْدَعُونَ من الثلاثى .

(ومنها) تحذف الألف الأولى مما كان فيه ألفان ، مما جمع بالألف والتاء المزيدتين نحو صالحات ، وعابدات ، وقانتات ، وذاكرات ، فتكتب على هذه الصورة "صٰلحات ، وعٰبدات ، وقٰنتات ، وذٰكرات" .

وكذلك تحذف من صفات جمع المذكر السالم نحو الصالحين، والقانتين، فيكتب علىٰ هذه الصورة : "الصّٰلحين" و"القٰنتين" وإن لم يكن فيه ألف أخرىٰ حملا علىٰ المؤنث .

وقال بعض المغاربة : إن كان مع ألف الجمع ألف أخرىٰ كالسماوات، والصالحات، فيختار حذف ألف الجمع وإبقاء الأخرىٰ . وثبت فى المصحف بحذف الألفين جميعا علىٰ هذه الصورة : "سموت، وصلحت" وكذلك سياحات، وغيَابات . وإن كان ليس فيه ألف أخرىٰ فالمختار إثبات الألف كالمسلمات ، وثبت أيضا فى المصحف محذوف الألف علىٰ هذه الصورة : مسلمت .

قال : وتحذف أيضا فى جمع المذكر السالم من الصفات المستعملة كثيرا : كالشاكرين، والصادقين، والخاسرين، والكافرين، والظالمين، وما أشبهها فى كثرة الاستعمال فتكتب علىٰ هذه الصورة "الشكرين، والصدقين، والخسرين، والكفرين، والظلمين" .

نعم إن خِيفَ اللبس فيما جمع بالألف والتاء مثل طالحات، امتنع الحذف لأنه لو حذفت الألف منه، لالتبس بطَلَحَاتٍ جمع طَلْحَةٍ. وكذلك لو خيف اللبس فيما جمع بالواو والنون، نحو حاذرين، وفارهين، وفارحين . فلو حذفت الألف منه، لالتبس بحَذِرين، وفَرِهين ، وفَرِحين، وهما مختلفان فى الدلالة، لأن فاعلا من هذا النوع مذهوب به مَذْهَب الزمان، وفَعِل يدل علىٰ المبالغة لا علىٰ الزمان، .

وكذلك لو كان مضَعَّفا مثل شَابَّات ، والعادّين ، فلا يجوز فيه حذف الألف لأنه بالإدغام نقص فى الخط إذ جعلوا الصورة للمُدْغَم والمُدْغَم فيه شكلا واحدا . ولذلك كتبوا فى المُصْحَف الضَّالّين والعادّين بالألف . وقد أجرِى مُجْرىٰ المُضَعَّف فى الإثبات مابعد ألفه همزةٌ نحو الخائنين . وقد حذفت ألفه فى بعض

المصاحف، فكتب على هذه الصورة "الخٰطئين". ويتعين الإثبات أيضا فيما هو معتل اللام مثل دانيات حملا على دانين، كما حذف من الصالحين حملا على الصالحات، ومثل الرامين لأنه قد حذف منه لام الفعل. وحمل ماجمع بالألف والتاء عليه كما حمل الصالحين على الصالحات فى حذف الألف، وإن كانت العلة فيهما مفقودة.

قال ابن قتيبة: وكذلك ماكان من ذوات الياء والواو لايجوز فيه حذف الألف نحوهم القاضُون، والرامُون، والساعُون: لأنهم حذفوا الياء لالتقاء الساكنين لمّا استثقلوا ضمةً فى الياء بعد كسرة فسكنوا ثم حذفوا الياء، فكرهوا أن يحذفوا الألف أيضا لئلا يخلُّوا بالكلمة.

(ومنها) تحذف إحدى الألفين مما اجتمع فيه ألفان مثل أادم، وأازر، وأامن، وأامين، وأاتين، وأانفا، ووراأك، وقراأة، وبراأة، وشنأان، وشبهه، فتكتب على هذه الصورة "آدم، وآزر، وآمن، وآمين، وآتين، وآنفا، ووراءك، وقراءة، وبراءة، وشنآن" فلو انفتح الأول منهما كما فى قرأا لفعل الاثنين من القراءة، كتب بألفين على هذه الصورة: (قرأا)، لئلا يلتبس بفعل الواحد، إذ المفرد تقول فيه قرأ فتكتبه بألف واحدة. وذهب قوم إلى أنه فى التثنية يكتب أيضا بألف واحدة مسندا إلى ألف الاثنين، وبه قال أحمد بن يحيى. والذى عليه المتأخرون وهو الأجود عند ابن قتيبة ما تقدّم.

(ومنها) تحذف إحدى الألفات مما اجتمع فيه ثلاث ألفات، مثل براأات جمع براءة، ومساأات جمع مساءة، فتكتب بألفين فقط على هذه الصورة: "براآت" و"مساآت" لأنها فى الجمع ثلاث أَلِفَاتٍ. فلو حذفوا اثنتين، أخلُّوا بالكلمة.

(ومنها) تحذف من أوّل الكلمة فى الاستفهام فى اسم، أوفعل، نحو أاللهُ أَذِنَ لَكُمْ؟ أالسِّحْرُ إِنَّ الله سَيُبْطِلُهُ؟ أالذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الأنثيين؟ أاصطفى البَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ؟

ألرجل فى الدار؟ أاسمك زيد أم عمرو؟ فتكتب بألف واحدة علىٰ هذه الصورة: آللهُ؟ آلسِّحْرُ؟ آلذَّكَرَيْنِ؟ آلرجل؟ آسمك؟ آلآن؟ .

ثم مذهب أحمد بن يحييٰ، وعليه جرىٰ ابن مالكٍ رحمه الله: أنه لافرق بين المكسورة، والمضمومة. والذى ذهب إليه المغاربة أنها تكتب بألفين، إحداهما ألف الوصل، والأخرىٰ همزة الاستفهام .

قال الشيخ أبو عمرو بن الحاجب رحمه الله: وجاز فى نحو ألرجل الأمران، ورسمت فى المصحف بألف واحدة نحو آلذكرين، آلآن .

(ومنها) تحذف من ما الاستفهامية إذا دخل عليها حرف من حروف الجرّ، نحو عَمَّ تسأل؟ وفِيمَ تُفَكِّر؟ وِممَّ فَرقْتَ؟ ولِمَ تكَلَّمتَ؟ وبِمَ عَلِمْتَ؟ وحَتَّامَ تَغْضَبُ؟ وعَلَامَ تَدْأَبُ؟ فتكتب كلها بغير ألف فى آخرها فرقا بينها وبين ما الموصولة، ويصير حرف الجرّ كأنه عوض من الألف المحذوفة. وكان الحذف من الاستفهامية دون الموصولة لأن آخرها منتهىٰ الاسم، والأطراف محلُّ التغيير. بخلاف الموصولة: لأنها متوسطة من حيث إنها تحتاج إلىٰ صلة .

وحكىٰ الكوفيون ثبوتها فى الاستفهامية أيضا، والله أعلم .

تذنيب

تحذف الهمزة المصوّرة بصورة الألف فى أربعة مواضع :

الأوّل ــ تحذف بعد البـاء من بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ، فتكتب بغير ألف علىٰ هذه الصورة: "بسم". والقياس إثباتها كما تكتب بأيها بالألف لكنها حذفت لكثرة الاستعمال، أما فى غير بسم الله الرحمن الرحيم، فظاهر كلام ابن مالك أنها لاتحذف، فتثبت فى باسم ربك، وفى باسم الله، مفردا .

وقال بعضهم : إن كان مضافا إلىٰ لفظ الله تعالىٰ وليس متعلَّقُ الباء ملفوظا به، حذفت و إلا فلا ، فتثبت فى بٱسم ربك لأنه غير مضاف إلىٰ لفظ الله تعالىٰ، وفى نحو قولك تبركت بٱسم الله : لأن متعلقه ملفوظ به .

وقال الفرّاء فى قوله تعالىٰ : ﴿ بِسْمِ اللهِ مُجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا ﴾ إن شئتَ أثبتَّ و إن شئت حذفتَ ، فمَنْ أثبت قال : ليست مبتدأ بها ، وليس معها الرحمن الرحيم ؛ ومَنْ حذف ، قال : كان معها الرحمن الرحيم فى الأصل ، فحذفت فى الٱستعمال . فإن أضفتَ الٱسم إلىٰ الرحمن أو القاهر ونحوه ، فقال الكسائىّ : تحذف ، وقال الفرّاء : لايجوز أن تحذف إلا مع الله لأنها كثرت معه ، فإذا عَدَوْتَ ذلك أثبت الألف .

الثانى — تحذف بين الفاء والواو ، وبين همزة هى فاء الفعل من وزن الكلمة ، مثل قولك فَأْت وأْت : لأنهم لوأثبتوا لها صورة الألف ، لكان ذلك جمعا بين ألفين : إحداهما صورة همزة الوصل ، والأخرىٰ صورة الهمزة التى هى فاء الفعل ، مع أن الواو والفاء شديدتا الٱتصال بما بعدهما لا يوقف عليهما دونه ، وهم لم يجمعوا بين ألفين فى سائر هجائهم إلا علىٰ خلاف فى المتطرّفة كما مر ، لأن الأطراف محلّ التغييرات والزيادة ، فلذلك حذفوها فى نحو فأذن ، وأْتُمن فلان ، وعليه كتبوا ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ ﴾ فلو كانت الهمزة بين غير الفاء والواو و بين الهمزة التى هى فاء الفعل ثبتت ، نحو ٱئتو و ﴿ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ ﴾ . ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَنْ لِّى ﴾ وكذلك لو كانت ٱبتداء والهمزة فاء الفعل ، نحو ٱئْذن لى ، ٱؤْتمن فلان ، ثبتت أيضا ؛ أو ليست فاء ، نحو ثم ٱضرب ، وٱضرب ، فاضرب . وكذلك فى ﴿ وأْتُوا البيوت ﴾ .

الثالث — تحذف فى ٱبن وٱبنة مما وقع فيه ٱبن مفردا صفةً بين عَلَمين ، غير مفصول ، فيكتب نحو جاء فلان بن فلان ، أوفلانة بنة فلان بغير ألف فى ٱبن وٱبنة . ولا فرق فى ذلك بين أن يكون العَلَمَان ٱسمين ، نحو هـذا أحمد بن عُمَر ، أو كُنيْتين ،

نحو هـذا أبو بكر بن أبي عبد الله، أو لقبين، نحو هذا نَبْت بن بطة، أو آسما وكنيةً، نحو هـذا زيد بن أبى قُحَافَةَ، أو لقبا وآسما، نحو هـذا أنفُ الناقة بن زيد، أو كنية ولقبا، نحو هذا أبو الحٰرث بن نَبْت، أو لقبا وكنية، نحو هذا بدر الدين بن أبى بكر.

فهذه سبع صور: تسقط فيها الألف من آبن ولا تسقط فيما عداها، فلو قلتَ هذا زيد آبنك، وآبن أخيك، وآبن عمك، ونحو ذلك مما ليس له صيغة بين علمين(١)، أثبتَّ فيـه الألفَ. وكذلك إذا كان خبرا كقولك: أظنّ زيدًا آبنَ عمرو، وكأنّ بكرا آبنُ خالد، وإن زيدا آبنُ عمرو، فتثبت الألف فى الجميع. ومنه فى القرءان الكريم: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ اللهِ وَقَالَتِ النَّصَارَىٰ الْمَسِيحُ ٱبْنُ اللهِ﴾ كتبتا فى المصحف بالألف. فلو ثنيت الآبن، ألحقتَ فيـه الألف صـفة كان أو خبرا، فتكتب قال عبدالله: وزيدٌ آبنا محمد كذا وكذا، وأظنّ عبد الله وزيدا آبنى محمد فعَلَا كذا بالألف. وكذلك إذا ذكرتَ آبنًا بغير آسم، فتكتبُ: جاء آبن عبـد الله بالألف أيضا. وحكم آبنة مؤنثا فى جميع ما ذكر حكم الآبن، تقول: جاءت هندُ بْنةُ قيس، فتحذف الألف.

وشرط الأستاذ أبو الحسن بن عُصْفُورٍ أن يكون مذكرا فلا تسقط من آبنة.

ونقل أحمد بن يحيىٰ عن أصحاب الكسائىّ: أنه متىٰ كان منسوبا إلىٰ آسم أبيـه أو أمه أو كنية أبيه أو أمّه وكان نعتا، حذفوا الألف فلم يُجزه فى غير الآسم والكنية فى الأب والأم. قال: وأما الكسائىّ فقال: إذا أضفت إلىٰ آسم أبيه أو كنية أبيه، وكانت الكنية معروفا بها كما يعرف بآسمه، جاز الحذف، لأن القياس عنده الإثبات، والحذف آستعمال، فإذا عدى الآستعمال، رُجِعَ إلىٰ الأصل.

وحكىٰ آبن جنى عن متأخرى الكُتَّاب: أنهم لا يحذفون الألف مع الكنية، تقدّمت أو تأخرت. قال: وهو مردود عند العلماء علىٰ قياس مذاهبهم.

---

(١) فى الضوء [مما ليس بين علمين] وهى أوضح. [ولعلَ الأصل مما ليس صفة ... ...].

والألف تحـذف من الخط فى كل موضـع يحذف منـه التنوين وهو حُذِفَ مع الكُنىٰ .

الرابع ـ تحذف من كل مُعَرّف بالألف واللام إذا دخلت عليـه لامُ الآبتداء، نحو ﴿ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولىٰ ﴾ أو لامُ الجرّ، نحو للدّار أَلِفُ ساكن غيرك؛ وقياسها الإثبـات كما أثبتوها فى لَآبنك قائم، ولِأبيك مال؛ وسبب حذفها آلتباسها بلا النافية .

وذهب بعضهم : إلىٰ أنها لاتحذف مع لام الآبتـداء فرقا بينها وبين الجارّة. ولم يحذفوها من نحو مررت بالرجل والله أعلم .

الحرف الثـانى

(اللام، وتحذف فى مواضع)

(منها) تحذف من الذى للزومها، فكأنها ليست منفصلة، وكذلك تحذف من جمعه وهو الذين لأنه يشـبه مفرده فى لزوم البناء، ولفظ الواحد كأنه باق فيه؛ ولم يحذفوه من المثنّى كما فى قوله تعالىٰ : ﴿ رَبَّنَا أَرِنَا اللَّذَيْنِ أَضَلَّانَا ﴾ فكتبوه بلامين فرقًا بينه وبين الجمع. وإنمـا آختصت التثنية بالإثبات، لأنها أسبق من الجمع، واللبس إنمـا حصل بالجمع .

(ومنها) تحذف من الَّتى للزومها كما تقـدّم، ومن تثنيتها وهى الَّتَان، وجمعها : وهى الَّاتى لأنهما لايلتبسان، بخلاف تثنية الذى وحروفه .

وقال أحمد بن يحيىٰ : كتبوا اللاتى (الّتى) واللائى (الّئى) وأسقطوا لاما من أولها وألفا من آخرها . قال : وهـذا للآسـتعمال لأنه يقل فى الكلام مثله، ويدل عليه ما قبله وما بعده، ولو كتب علىٰ لفظه كان أولىٰ .

قال الشيخ أثير الدين أبوحيّان رحمه الله: والذى عهدناه من الكُتَّاب أنه لاتحذف الألف لئلا يلتبس بالمفرد .

(ومنها) تحذف من الليل والليلة علىٰ أجود الوجهين ، فيكتبان بلام واحدة علىٰ هذه الصورة : "الَّيل والَّيْلة" : لأنّ فيه آتباع المصحف ، وأجاز بعضهم كتابته بلامين . قال أبو حيّان : وهو القياس .

(ومنها) تحذف من ... ...[1] ونحوه ، ممـا دخل عليه لام الجرّ فيكتب بلامين وإن كان فى اللفظ ثلاث لامات .

(ومنها) قال أحمد بن يحيىٰ : يكتب الَّطيف بلام واحدة لأنه قد عُرِف فحذف ، وهذا بخلاف اللَّهْو ، واللَّعِب ، واللُّعْبَة ، واللاعبين ، واللَّغو ، واللُّؤلُؤ ، واللّاتِ ، واللهم ، والَّلهَب واللوّامة ، فإنها لاتحذف منها اللام .

قال آبن قتيبة : وكل آسم كان أوّلُه لامًا ثم أدخلت عليـه لام التعريف ، كتبته بلامين ، نحو اللهم ، واللبن ، واللحم ، واللجام ، وما أشبه ذلك . وإن كانوا قد آختلفوا فى الليل والليلة لموافقة المصحف كما تقدّم .

الحرف الثـالث

(النون ، وتحذف فى مواضع)

(منهـا) تحذف مِنْ عَنْ إذا وصلت بِمَنْ أو بِمـا ، فتكتب عَمَّن وعَمَّا وعَمّ .

(ومنها) تحذف مِنْ مِنْ الجارّة إذا وُصِلَتْ بِمَنْ أو ما ، فتكتب مِمَّن ومِمَّـا .

(ومنها) تحذف مِنْ إنْ إذا وُصِلَتْ بلَمْ ، فتكتب إلَّمْ .

(ومنها) تحذف من أنْ المفتوحة إذا وُصِلَتْ بلا ، فتكتب أَلَّا .

---

(١) بياض بالأصل ولعله من اللَّعِب ونحوه الخ .

الحرف الرابع
(الواو، وتحذف فى مواضع)

(منها) تحذف لأمْنِ اللبس، مثل ما كتبوا من قوله تعالىٰ : ﴿ يَدْعُ الدَّاعِ ﴾. ﴿ وَيَمْحُ اللهُ الْبَاطِلَ ﴾ بغير واو فى يدعو و يمحو، لأن ذكر الدّاع فى الأوّل، وذكر الله تعالىٰ فى الثانى يمنع أن يكون الفاعلُ جماعةً فلا يحصل اللبس، بخلاف قولك لاتضربوا الرجل : فإنه لو حذف لٱلتبس الجمع فيه بالواحد.

(ومنها) تحذف مما توالىٰ فيه واوان فى كلمة واحدة، مثل داوود، وطاووس، ورؤوس، ويَسْتَوُون، ويَلْوُون، وأْوُوا إلىٰ الكَهْفِ، ويُسوُّوا، وتَبَوَّؤُوا، وجَاؤُوا، وبَاؤُوا، وأسَاؤُوا، ويَؤُودُه، ويَؤُوسٌ، و، فادرؤوا، ومُبَرَّؤُون، فيكتب بواو واحدة.

وكتب بعضهم طاوُوس ونحوه بواوين علىٰ الأصل، والقياس الٱقتصار علىٰ واو واحدة كراهة ٱجتماع المثلين .

وٱستثنىٰ ٱبن عُصْفُورٍ من ذلك موضعًا، وهو أن لايؤدّى إلىٰ اللبس، نحو قؤول وصؤول علىٰ وزن فَعُول فإنه يلتبس بقَوْلٍ وَصَوْلٍ، وٱختاره أحمد بن يحيىٰ .

(ومنها) تحذف مما توالىٰ فيه ثلاث واوات فى كلمتين ككلمة ، مثل ليسوءوا، وينوءون، فتكتب ليسوءوا، وينوءون، بواوين فقط، ويكتب لَوَّوْا، وٱجْتَوَوْا، وٱلْتَوَوْا، بواوين، لأنه لو حذفت إحدىٰ الواوين لٱلتبس الجمع بالمفرد.

ووقع فى المصحف كتابة يَسْتَوُونَ، ويَلْوُونَ، بواو واحدة، وذلك لأن فى يستوون ونحوه ٱجتمع واوان وضمة، فناسب الحذف، وفى لوَّوْا رُءُوسَهُمْ، ونحوه ٱنفتح ماقبل الواو فناسب الإثبات .

(ومنها) تحذف للجزم كما فى قولك لم يَغْدُ فتحذف الواو علامةً للجزم، والله سبحانه وتعالىٰ أعلم .

الحرف الخامس

(الياء، وتحذف فى مواضع)

(منها) للجزم كما فى قولك : لم يَقْضِ، فتحذف الياء من آخره علامةً للجزم .

(ومنها) تحذف لمراعاة الفواصل، نحو قوله تعالىٰ : "وَاللَّيْـلِ إِذَا يَسْرِ" بغير ياء فى آخرها لمراعاة ماقبله من قوله "والْفَجْرِ" .

(ومنها) تحذف فيما توالىٰ فيه ياءان أو ثلاثة، فتَكْتُبُ النَّبِيِّينَ، وخَاسِـئِينَ، وخَاطِـئِينَ، وإِسْرَائِيل، وما أشبه ذلك بياءين فقط [1]، وإن كان فى اللفظ ثلاث ياءات .

(ومنها) تحذف لأمن اللبس، فتَكْتُبُ قارءين جمع قارئ بياء واحدة، فرقا بينها وبين قَارِئَيْنِ تثنية قارئ فإنها تكتب بياءين .

(ومنها) تحذف مدّة ضمير [2] الغائب مثل قولك : ضربه، فتكتبه بغير واو، وإن كنت تلفظ به لأنك إذا وقفت حذفتها ووقفت علىٰ الهـاء ساكنة ، وكذلك مدّة ضمـير الغائبين، مثـل قولك : ضربهمُ فى لغة من وصل الميم، وكذلك حذفوها إذا وليت الكاف، نحو ضربكُمُ زيد ولكُمُ فى لغـة من وصل الميم بواو وبيـاء، لأنه إذا وقف حذف الصلة والله أعلم .

النوع الثالث

(ما يُغـيَّر بالبـدل)

والحروف التى يدخلها البدل ثلاثة أحرف : الألف، والواو، والياء، والألف والياء أكثرهما تعاقبا .

فتنوب الياء عن الألف فى ثلاثة محالّ :

---

(١) لعل فى العبارة سقطا والأصل فيكتب بياء فقط وان كان فى اللفظ ياءين وبياءين فقط وان كان الخ .

(٢) تعلق هذا بالحرف الرابع أكثر منه بالخامس .

المحل الأوّل

(الاسم، وهو ثلاثة أحوال)

الحال الأول — أن تكون الألف فيه رابعة فصاعدا، نحو المِعْزىٰ، والمُسْتَدْعىٰ، والحُبْلىٰ، والمَرْضىٰ، والمَلْهىٰ، والمَدْعىٰ، والمُشْترىٰ، ومِقْلىٰ، ومَثْنىٰ، وكذلك أَعْمىٰ، وأعْشىٰ، وأظْمىٰ، وأقْنىٰ، وأدْنىٰ، وأعْلىٰ، ومُعَافىٰ، ومُنَادىٰ، وما أشبه ذلك، فتكتب الألف فى جميع ذلك ياءً سواء كان منقلبا عن واو أو منقلبا عن ياء، لأنك إذا ثنيته ثنيته بالياء، ومن ثم كتبت ياويلتىٰ، وياحسرتىٰ، ويا أسفىٰ، بالياء إشعارا بأنها مما تمال أو تقلبها عند التثنية ياء، إلا فيما قبلها ياء نحو الدُّنْيا، والعُلْيا، والقُصْيا، وهُدْيا، ومَعْيَا، ومَحْيَا، وعام حَيًّا ورُؤْيَا، وسُقْيَا، فإنك لا تكتب الألف فيها ياءً كراهة أن تجتمع ياءان فى الخط. نعم يغتفر ذلك فى نحو يحيىٰ وريّى عَلَمين: للفرق بينْ يحيىٰ علما وبينه فعلا وبين ريّى علما وبينه وصفا، وكان البدل فى العلَم دون الوصف والفعل لأن الفعل والصفة أثقل.

قال ٱبن قتيبة: وأحسبهم ٱتبعوا فى يحيىٰ رسم المصحف.

فلو كان مهموزا، نحو مستقرأ ومستنبئا، أو قبل آخره ياء نحو خَطَايَا[1]، وزَوَايَا، ورَكَايَا، والحَوَايَا، والحيا، وما أشبهه كتب بالألف.

الحال الثانى — أن تكون الألف فيه ثالثةً، فإن كانت مبدلة عن ياء، نحو فتىٰ، ورحىٰ، وسوىٰ، والهُدىٰ، والمَدىٰ للغاية، والهوىٰ لهوىٰ النفس، ونَدىٰ الأرض، ونَدىٰ الجُود، وحَفىٰ الدابة، والكرىٰ النوم، والقَذىٰ، والأَذىٰ، والخَنىٰ: فُحْشُ القول، والضَّنىٰ: المرض، والرَّدىٰ: الهلاك، والطَّوىٰ: الجوع، والأَسىٰ: الحُزْن، والعَمىٰ: فى القلب والعين، والجَنىٰ: جَنى الثمرة، والصَّدىٰ: العطشُ، والشَّرىٰ: فى الجسد، والضَّوىٰ:

(١) كذا فى الضوء أيضا وليس مما نحن فيه.

الهُزَال، والثَّرىٰ : التراب النَّـدِىّ، والجَوىٰ : داء فى الجوف، والسُّرىٰ : [سَـيْرُ] الليل، والسَّلىٰ : سَلىٰ الناقة، ومِنًى : المكان المعروف، والمَدىٰ الغاية، والصَّدىٰ آسم طائر يقـال إنه ذكر البوم، والنَّسىٰ : عرق فى الفَخِذ، وطُوًى : وَادٍ، والوَغىٰ : الحـربُ، والوَحىٰ : العَجَلُ، والوَرىٰ : الخَلْقُ، والذَّرىٰ : الناحيـة وأنا فى ذَرىٰ فلان، والمِعىٰ واحد الأمعاء، والحِجىٰ والنُّهىٰ العَقْلُ، والحَشىٰ واحد الأحشـاء، وما أشبه ذلك كتب بالياء .

وإن كانت منقلبة عن واو، نحو عصـا ، ومَنَا للقَدْر، ورَجَا لجانب البئر، والقَنَا فى الأنف، والرِّما والقَرَا للظهر، والعَشا فى العين، والقَفَا : قَفَا الإنسان، والصَّغَا : ميلُك للرجل، ووَطَا جمع وطاة، و[لُهًا جمع] لهاة، والفَلَا جمع فلاة، كتب بالألف .

وتفترق الواو من الياء فيه بطرق أقربها التثنية تقول فى الأوّل فتيان ، ورحيان، وسِويان .

قال آبن قتيبة : فلو ورد عليك آسم قد ثُنِّى بالواو والياء عَمِلْتَ علىٰ الأكثر الأعم . وذلك نحو رَحًى، فإن من العرب من يقول رحوت الرَّحاء، ومنهم من يقول رحَيت، قال : وكَتْبها بالياء أحبُّ إلىّ لأنها اللغة العالية .

وكذلك الرِّضا من العرب من يقول فى تثنيته رضيان ، ومنهم من يقول رضوان، قال : وكتابته بالألف أحب إلىّ : لأن الواو فيه أكثر، وهو من الرضوان. وكذلك الحكم فى متىٰ، لأنها لو سُمِّى بها وثُنِّى، لقلتَ متيان، فيعلم أنه من ذوات الياء ــ وتقول فى الثانى : عَصَوَان ومَنَوَان ورَجَوَان، فيعلم أنه من ذوات الواو. فاذا أشكل عليك شيء فلم تَعلَمْ أهو من ذوات الواو [أو من ذوات اليـاء] (٢) ؟ نحو خَسًا بالخاء المعجمة والسين المهملة، كتبته بالألف لأنه هو الأصل .

---

(١) تقدم فهو مكرر . (٢) الزيادة عن ضوء الصبح .

ومنهم من يكتب الباب كلّه بالألف علىٰ الأصل وهو أسهل للكُتّاب. وعلىٰ تقدير كَتْبِها بالياء فلو كان منوّنا فالمختار عنـدهم أنها تكتب بالياء أيضا، وهو قياس المبرّد وقياس المـازنىّ أن يكتب بألف إذ هى ألف التنوين عنده فى جميع الأحوال .

وقاس سيبويه المنصوبَ(١) بالألف لأنه للتنوين فقط .

قال ٱبن قتيبة : وتعتبر المصادر بأن يرجع فيها إلىٰ المؤنث، فما كان فى المؤنث بالياء كَتَبْتَه باليـاء، نحو العمىٰ، والظّمىٰ، لأنك تقول عَمْيَاء وظَمْيَاء، وما كان المؤنث فيـه بالواو كتبته بالألف، نحو العَشَا فى العين، والعَثَا وهو كثرة شـعر الوجه، والقَنـا فى الأنف، لأنك تقول عَشْواء، وقَنْواء، وعَثْواء .

قال : وكل جمع ليس بين جمعـه و بين واحده فى الهجاء إلا الهاء من المقصور، نحو الحصىٰ، والقَطَا، والنّوىٰ، فـما كان جمعه بالواو كتبته بالألف، وما كان جمعه بالياء كتبته بالياء .

وكتبت لَدىٰ بالياء لٱنقلابها ياء فى لَدَيْكَ .

وأما كِلَا، فالصحيح من مذهب البصريين أنها تكتب بالألف، لأن ألفه عن واو. ومن زعم أنهـا عن ياء كالمِعىٰ، كَتَبَهَا بالياء . وأجاز الكوفيون كتبها بالياء وهو خطأ علىٰ مذهبهم لأن الألف عندهم للتثنية، وألف التثنية لايجوز أن تكتب ياء لئلا يلتبس المرفوع بغيره. وقياس كلتا عند البَصْريين أن تكتب ياء، وشذ كتابتها بالألف .

قال ٱبن قتيبـــة : والذى أستَحِبُّه أن تُكْتَبَ كِلَا وكِلْتَا فى حال الرفع بالألف، وفى حالتى الجرّ والنصب بالياء . فإذا قلت : أتانى كِلَا الرجلين أو كِلْتَا المرأتين، كتبته بالألف . وإذا قلت : رأيت كلى الرجلين أو كلتى المرأتين كتبتـه بالياء، لأن العرب قد فرقت بينهما فى اللفظ(٢) فقالوا : رأيت الرجلين كليهما، ومررت بالرجلين كليهما، ومررت بالمرأتين كلتيهما . وقالوا : جاءنى الرجلان كلاهما، والمرأتان كلتاهما .

(١) لعله المنصوب فقط فقال يكتب بالألف الخ . (٢) أى مع المكنى كما هى عبارة ٱبن قتيبة .

وتترىٰ إن لم تنون، فألفها للتأنيث و إن نونت فهى للإلحاق، وقياسها أن تكتب باليـاء . ومن زعم أنه فَعْل، فألفه بدل التنوين كألف صبرا، فهو قياسه .

ووقع فى كلام ٱبن البادس أن تترىٰ فى الخط بياء، وهو خلاف المعروف .

تنبيـــــــه

لو ٱتصل الٱسم الذى يكتب بالياء بضمير متصل، نحو رَحَاك، وقَفَاك، ومَلْهَاك، ومَرْعَاك، فقيل يكتب بالياء كحال عدم ٱتصالها، فيكتب علىٰ هذه الصورة: رحيٰك، وقفيٰك، وملْهيٰك، ومَرْعيٰك .

قال الشيخ أثير الدين أبوحَيّان رحمه‌الله : وٱختيار أصحابنا فيه بالألف إذا ٱتصل به ضمير خفض أوضمير نصب، سواء كان ثلاثيا أم أزيد، إلا إحدىٰ خاصةً فإنها تكتب بالياء حال ٱتصالها بضمير الخفض، نحو من إحديٰهما كحالها دون الٱتصال، وٱختلفوا إذا ٱتصلت بتاء تأنيث تنقلب هاء فى الوقف ؛ فذهب البَصْريون إلىٰ كتابتها ألفا، نحو الحصاة، وٱختار الكوفيون كتابتها بالياء نحو الحصيٰة .

الحال الثالث ــ أن تكون الألف فيه ثانية، نحو ما وذا إذا كانا ٱسمين، فيكتب بالألف علىٰ صورة النطق به .

المحل الثـانى

(الفعل، وله حالان)

الحـال الأوّل ــ أن تكون الألف فيه رابعةً فصاعدًا، نحو أعْطىٰ، وٱسْتَعْلىٰ، وتَدَاعىٰ، وتعادىٰ، وٱسْتَدْنىٰ، وما أشبهه فتكتبه كلّه بالياء إلا أن يكون مهموزا، نحو أخطأ، وٱنبأ، وتخاطأ، وٱستنبأ، فإنه يكتب بالألف . وكذلك إذا كان قبل آخره ياءٌ، نحو ٱستحيا، وتحايا، وأعيا، وتعايا، وٱستعيا، وما أشبهه فإنك تكتبه بالألف .

ووقع فى بعض المصاحف ﴿ نَخْشىٰ أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ ﴾ بالألف فى آخر نخشىٰ ، وفى بعض المصاحف بالياء .

الحال الثانى – أن تكون الألف ثالثةً ، فتردّه إلىٰ نفسك ، فإن ظهرتْ فيه الواو فٱكتبه بالألف ، نحو قولك : عدا ، ودعا ، ومحا ، وغزا ، وسلا ، وعلا من العلو ، لأنك تقول : عدوت ، ودَعَوْتُ ، ومحوت ، وغزوت ، وسلوت ، وعلوت . وشذ زكىٰ ، فكتب بالياء وإن كان من ذوات الواو ، لأنه من زكىٰ يزكو ، إلا أن العرب يُميلون الأفعالَ ذوات الواو . وإن ظهرت فيه الياء فٱكتبه بالياء ، نحو قولك : قضىٰ ، ومشىٰ ، وسعىٰ ، وعسىٰ ، لأنك تقول : قضيت ، ومشيت ، وسعيت ، وعسيت ، ويجوز كتابته بالألف أيضا .

تنبيـــــه

لو ٱتصل بالفعل ضمير متصل ، نحو رماه ، وجزاه ، ورعاه ، فقيل يكتب علىٰ حاله بالياء ، فيكتب علىٰ هذه الصورة : رمىٰه ، وجزىٰه ، ورعىٰه ، والصحيح كتابته بالألف .

قال ٱبن قتيبة : وكل ما لحقته الزيادة من الفعل لم تنظر إلىٰ أصله ، وكتبته كله بالياء ، فتكتب أَغْزىٰ فلان فلانا ، وأدنىٰ فلان فلانا ، وألهىٰ فلان فلانا بالياء . وهو من غزوت ، ودنوت ، ولهوت ، لأنك تقول فيه : أغزيت ، وأدنيت ، وألهيت . وكذلك تكتب يُغْزىٰ ، ويُدْنىٰ ، ويُلْهىٰ ، علىٰ البناء لما لم يسم فاعله بالياء ، لأنك تقول فى تثنيته : يُغْزَيان ، ويُدْنيَانِ ، ويُدْعَيَانِ .

المحـــــل الثـالث

(بعض الحروف)

وٱعلم أن الحرف الذى فى آخره ألف فى اللفظ إنما يكتب أَلِفاً علىٰ صورة لفظه ، نحو ما ، ولا ، وألا ، وما أشبهها ، وٱستثنَوْا من ذلك أربع صور فكتبوها بالياء .

إحداها ـ بَلَىٰ ، قال بعض النحاة لإمالتها : وقال سيبويه : لأنه إذا سمى بها وثنيت قيل بَلَيَانِ كما يقال فى متىٰ مَتَيانِ .

الثانية ـ إلىٰ ، وكُتبت بالياء لأنها تُرَدّ إلىٰ الياء فى قولهم إليك .

الثالثة ـ علىٰ ، وكتبت بالياء لأنها تُرَدُّ إلىٰ الياء أيضا فى قولهم عليك .

قال ٱبن قتيبة : وكان القياس فيها وفى إلىٰ أن تكتبا بالألف لعدم جواز الإمالة فيهما .

الرابعة ـ حتّىٰ ، وكتبت بالياء حملا علىٰ إلىٰ لكونهما بمعنىٰ الآنتهاء والغاية ، ولأنه قد روى فيها الإمالة عن بعض العرب فروعى حكمها .

تنبيـــــــه

لو وليتْ ما الآستفهامية حتّىٰ ، أو إلىٰ ، أو علىٰ ، كُتِبْنَ بالألف علىٰ هذه الصورة : حَتَّام ، و إلام ، وعَلَامَ ، لأنها شديدة الآتصال بما الآستفهامية بدليل أن ما بعدها لا يوقف عليه إلا بذكرها معه ، فكأنّ الألف وقعت وَسَطًا فصارت كحال ما كتب بالياء إذا آتصل بضمير خفض أو ضمير نصب ، فإنه يكتب بالألف .

قال الشيخ أبو عمرو بن الحاجب رحمه الله : فإن وُصل فى حَتَّامَ و إلىٰ الهاء الحائرة ، فلك أن تجريها علىٰ الآتصال ولا تَعْتَدَّ بها ، ولك أن تعتدّ بها وترجعَ الألف فى حتّىٰ ، و إلىٰ ، وعلىٰ ، إلىٰ أصلها ، فتكتب بالياء يعنى علىٰ هـذه الصورة حتّىٰ مه ، و إلىٰ مه ، وعلىٰ مه .

(فائدة)

قد يُكْتَبُ بالياء ما هو من ذوات الألف للمجاورة كما فى قوله تعالىٰ : ﴿والضُّحىٰ وَاللَّيْلِ إذا سَجىٰ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلىٰ﴾ فإن الضُّحىٰ ونحوه قياسه عند البصريين

أن يكتب بالألف لأنه من ذوات الواو، ولكنه كتب بالياء لمجاورة سجىٰ، وسجىٰ وإن كان من ذوات الواو أيضا ، كتب بالياء لمجاورة قَلىٰ الذى هو من ذوات الياء، فسجىٰ مجاور، والضحىٰ مجاور المجاور .

وأما الواو فقد نابت عن الألف فى مواضعَ من رسم المصحف الكريم : وهىَ الصلاة، والزكاة، والحياة، والنجاة، ومِشْكَاة، ومَنَاة، فتكتب علىٰ هذه الصورة : الصلوٰة، والزكوٰة، والحيوٰة، والنجوٰة، ومنوٰة، ومِشْكوٰة . فمنهم من كتبها كذلك فى غير المصحف أيضا اتباعا للسَّلَف فى ذلك، ومنهم من كتبها بالألف وهو القياس، ووجه بأن رسم المصحف متبع فى القرءان خاصةً. ولا يكتب شىء من نظائر ذلك إلا بالألف . كالقناة، والقطاة، اقتصارا علىٰ ما ورد به الرسم السلفىّ .

قال ابن قتيبة : وقال بعض أهل الإعراب : إنهم كتبوا هذه الكلمات بالواو علىٰ لغات الأعراب، وكانوا يَميلون فى اللفظ بها إلىٰ الواو شيئا . وقيل بل كتبت علىٰ الأصل، إذ الأصل فيها واو، لأنك إذا جمعت قلت : صلوات، وزكوات، وحيوات، وإنما قلبت أَلِفًا، لما انفتحت وانفتح ماقبلها .

قال : ولولا اعتياد الناس لذلك فى هذه الأحرف الثلاثة : أى الصلاة، والزكاة، والحياة، لكان من أحب الأشياء إلىّ أن تكتب كلها بالألف . وجمعوا فى الربا بين العوض والعوض منه، فكتبوه بواو وألف بعدها علىٰ هذه الصورة : الربوا .
وفى بعض المصاحف ﴿وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رِبًا﴾ بألف بغير واو، وما سواه فلا خلاف فيه .

تنبيــــــــه

لو اتصل بشىء مما أبدلت ألفه واوا ضمير، نحو صلاتهم، وزكاتهم، وحياتك، ونجاته، ومِشْكَاته، ورباه، كتبت بالألف دون الياء [(1)]، والله أعلم .

---

(١) كذا فى الضوء أيضا . ولعل صوابه دون الواو .

القســـم الثانى

(ما ليس له صــورة تخصـــه)

وهو الهمزة، إذ تقع علىٰ الألف والواو والياء، وعلىٰ غير صورة ، ولها ثلاثة أحوال.

الحـال الأوّل

(أنـ تكون فى أوّل الكلمة)

فتكتب ألفا بأىّ حركة تحرّكت : من فتحة، مثل أحمد، وأيوب، وأحد ؛ أو ضمة : نحو أُخذ، وأُ كْرِمَ، وأُوحِىَ، وأولئك ؛ أو كسرة : نحو إبراهيم، و إسمعيل، و إسحق، و إثْمِد، و إبِل، و إذ، و إذا، و إلىٰ، و إلّا، و إمَّا، سواء فى ذلك همزة القطع مثل أَكْرَمَ، وهمزة الوصل مثل ٱتخذ، والهمزة الأصلية مثل ٱمرئٍ، والهمزة الزائدة مثل إشاح. وذلك لأن الهمزة المبتدأة لا تخفف أصلا من حيث إن التخفيف يقرّبها من الساكن، والساكن لا يقع أوّلا ، فجعلت لذلك علىٰ صورة واحدة . وٱختصت الألف بذلك دون اليـاء والواو حيث شاركت الهمزةَ فى المخرج ، وفارقت أختيها فى الخِفّـة ، ولا فرق فى ذلك بين أن تكون الهمزة مُبْتَـدَأَةً كما فى الصور المذكورة ، أو تقدّمها لفظ آخر، نحو ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ ﴾ و فَبِأَىّ، و أفأنت، و بأنه، وكأنه ، وكأين، و بإيمان، ولإيلاف، ولَبإمام، وسأترك، ولأُقَطِّعن، ومررت بأحمد، وجئتُ لِأُكْرِمَك، وٱكتحلتُ بالإثمد، إلا فيما شذَّ من ذلك، نحو هؤلاء، وٱبنؤُمَّ، ولئن، ولِئَلّا، و يومئذ، وحينئذ، وما أشبهها، فإنه كان القياس أن تكتب الهمزة فيها ألفا لأنها وقعت أوّلا، لكنهم خالفوا فكتبوا همزة هؤلاء، وٱبْنَؤمّ بالواو، و إن كانت فى الحقيقـة مبتدأة بدليل أن ها حرف تنبيه وهو منفصل عن ٱسم الإشارة . وكذلك ٱبنُ ٱسم أضيف إلىٰ الأم، لكنهم شـبهوها بهمزة لؤُم، فكتبوها بالواو، و راعَوْا فى ذلك كثرة لزوم

هاء الإشارة، وعدم انفكاك ابنؤم الواقع فى القرءان، فكأنها صارت همزة متوسطة .
وكتبوا همزة لئن ، ولئلا ، وحينئذ ، و يومئذ ، وما أشبهها ياء و إن كانت أوّل كلمة وكان القياس أن تكتب بالألف . أما لئن ، فلأن أصلها لإنْ بلام ألف ونون . وأما لِئَلَّا ، فلأن أصلها لِأَنْ ، بلام ألف ونون منفصلة من لا ، بدليل أنهم إذا لم يجيئوا بعدها بلا ، كتبوها لِأَنْ ، نحو جئتَ لأن تقرأ ، لكنهم جعلوا اللام مع أنْ كالشىء الواحد . وكذلك حينئذ ، و يومئذ ، فإن الأصل أن يفصل الظرف المضاف للجملة التى بقِىَ منها إذٍ المنوّنة تنوينَ العِوَض وأن يكتَبَ بالألف ، لكن جعل الظرف مع إذٍ كالشىء الواحد ، فوصل بإذ ، وجعلت صورة الألف ياءً كما جعلوها فى يَئِس .
وكذلك الحكم فى كل ظرف أضيف إلىٰ ماذكر ، سواء المفرد : كالأمثلة المذكورة ، والجمع نحو أزْمَانَئِذٍ . وسيأتى الكلام علىٰ ما يتعلق من ذلك فى الفصل والوصل إن شاء الله تعالىٰ .

الحال الثانى

(أن تكون متوسطة ، ولها حالتان)

الأولىٰ — أن تكون ساكنة ، فلا يكون ما قبلها إلا متحرّكا وتكتب بحركة ما قبلها . فإن كان ما قبلها مفتوحا ، كتبت أَلِفًا نحو رأس ، وكأس ، و بأس ، و يأس ، وضأن ، وشأن ، ودأب ، وتَأْمُرُ ، وتَأْكُلُ . و إن كان ما قبلها مضموما ، كتبت واوًا ، نحو مؤْمن ، ونؤْمن ، وتُؤْوى ، وتُؤْتى ، ومؤتى ، و يؤفك ، وما أشبهها . و إن كان ما قبلها مكسورا ، كتبت ياء ، نحو بئر ، وذئب ، و بئس ، وأنبِئْهم ، ونبئنا ، وجئت ، وجئنا ، وشئت ، وشئنا ، ولَمُلِئْتَ ، وما أشبهها .

الثانية — أن تكون الهمزة متحركة ، والنظر فيها باعتبارين .

الأعتبار الأوّل ـ أن يكون ماقبلها ساكنا، وحينئذ فلا يخلو : إما أن يكون حرفا من حروف العلة (وهى الألف والواو والياء) أوحرفا صحيحا . فإن كان الساكن الذى قبلها حرفَ علة نُظِرَ : إن كان حرف العلة ألفا، فإن كانت حركة الهمزة فتحةً، فلا تثبت للهمزة صورة نحو ساءل ، وأبناءنا ، وأبناءكم، ونساءنا، ونساءكم، وجاءنا، وجاءكم، (وساءل، فَاعَلَ من السؤال) وما أشبهه . وإن كانت ضمة تثبت لها صورة الواو، نحو التَّسَاؤُلُ، وآباؤكم، وأبناؤكم، وأولياؤكم، وبآبَائنا[1]، وشبه ذلك؛ وإن كان حرف العلة واوا أو ياء : فإما أن تكونا زائدتين للمدّ، أوتكون الياء للتصغير أوأصليتين أوملحقتين بالأصل . فإن كانتا زائدتين للمدّ نحو خطيئة، ومقروءة، وهنيئا، مريئا، أو ياءَ تصغيرٍ نحو أُفَيْئس تصغير أَفْؤُس جمع فاسٍ، فلاصورة للهمزة . وإن كانتا أصليتين نحوسوْءة، وهيئة، أوملحقتين بالأصل نحو جيئل (وهو الضَّبُعُ)، وحَوْءَبَة (وهو الدلو العظيم)، والحَوْءَبُ (آسم موضع)، والسَّمَوْءَل (آسم رجل) ، فإنك تحذفها وتنقل حركتها إلىٰ الساكن قبلها فتقول : سوَة، وهية، وجيل، وحوبة، وحَوب وسَمول . ولا صورة للهمزة حينئذ فى تحقيقها ولا فى حذفها . وإن كان الساكن الذى قبلها حرفا صحيحا، نحو المرْأَة، والكَمْأَة، ويسْأَم، ويُسْئِمُ، ويَلْؤُمُ ونحو ذلك، فتنقل حركة الهمزة إلىٰ الساكن قبلها وتحـذف الهمزة . والأحسن الأقيس أن لا تثبت لهـا صورة فى الخط لافى التحقيق ولا فى الحذف والنقل .

ومنهم من يجعل صورتهـا الألفَ علىٰ كل حال، فيكتبها علىٰ هذه الصورة : المرأة والكَمْأة، ويسأم، ويسإم، ويلأُم، وهو أقل آستعمالا . وقد كتب منه حرف فى القرءان بالألف، وهو قوله تعالىٰ : " يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبائِكُمْ " .

---

(١) كذا فى الأصل، وليس هذا موضعها كما هو ظاهر .

ومنهم من يجعل صورتها علىٰ حسب حركتها، فيكتب المرأة، والكمأة، ويَسْأَمُ، بالألف، ويكتب يُسْئِمُ بالياء، ويكتب يَلْؤُمُ بالواو . وآستثنىٰ بعضهم من ذلك ما إذا كان بعدها حرف علة، نحو سَؤُول، ومَشْئُوم، فلم يجعل لها صورة أصلا، وإذا كان مثل رءوس يكتب بواو واحدة فلا صورة لها . وكذلك الموءودة فى قوله تعالىٰ : ﴿وَإِذَا الْمَوءودَةُ سُئِلَتْ﴾ علىٰ ما كتبت فى المصحف بواو واحدة لا يجعل لها صورة .

الآعتبار الثانى ـ أن يكون ماقبلها متحرّكا فينظر : إن كانت مفتوحة مفتوحا ماقبلها، كتبت ألفا نحو سَأَلَ، ورَأَيْتُ، ورَأَوْكَ، وبدأكم، وأَنْشَأَكم، وقرأه، ولِيَقْرَأَهُ، وشبه ذلك . إلا إن كان بعدها ألف فلا صورة لها، نحو مآل ومآب . وذهب بعضهم إلىٰ أنها تصوّر ألفا فتكتب بألفين . وإن كانت مفتوحة مكسورا ما قبلها نحو خاطئة، وناشئة ولَيُبَطِّئَنَّ، ومَوْطِئًا، وخَاسِئًا، ويُنْشِئُكُمْ، وشَانِئَكَ، صوّرت بمجانس ماقبلها (وهو الكسرة) فتصوّر ياء . وإن كانت مفتوحة، مضموما ما قبلها نحو الفُؤَاد، والسؤال، ويُؤَدِّه إليك، ويؤلف، ومُؤَجَّلا، ومُؤَذِّنٌ، وهُزُؤًا، وشبهه، صَوّرتها بمجانس ماقبلها . وإن كانت مضمومة، مضموما ماقبلها، نحو نُؤُم، كَصُبُرٍ جمع صبور، أومضمومة، مفتوحا ما قبلها نحو لَؤُم، كتبت بالواو فى الحالتين، إلا إن كان بعدها فى الصورتين واو[1]، نحو رءوس، ونَئُوم، وإن كانت مضمومة، مكسورا ماقبلها نحو يَسْتَهْزِءُونَ، وأُنْبِئُكم، ولايُنَبِّئُكَ، وسَنُقْرِئُكَ، كتبت بواو علىٰ مذهب سيبويه، وياء وواو بعدها[2] علىٰ مذهب الأخفش .

---

(١) أى فلا صورة لها . (٢) هذا خاص بنحو يستهزءون و يقرءون .

الحـال الثـالث

(أن تكون الهمزة آخرا، ولهـا حالتان أيضا)

الأولىٰ

(أن يكون ماقبلها ساكنا، والنظر فيها باعتبارين)

الآعتبـار الأوّل ـ أن يكون ما قبلها صحيحا، فتحذف الهمزة وتلقى حركتها علىٰ ما قبلها ولاصورة لها فى الخط، نحو جزء، وخبء، ودفء، والمرء، وملء. سواء فى ذلك حالة الرفع والنصب والجرّ. وقيل: إن كان ما قبـل السا كن مفتوحا، فلا صورة لهـا. وإن كان مضموما، فصورتها الواو، وإن كان مكسورا، فصورتها الياء مطلقا. وقيل: إن كان مضموما أومكسورا فعلىٰ حسب حركة الهمزة، فيكتب الجزء، والدفء، بالواو فى الرفع وبالألف فى النصب وبالياء فى الجرّ. وإن كان شيء من ذلك منصوبا منوّنا فيكتب بألف واحدة، هى البدل من التنوين. وقيل: يكتب بألفين، إحداهما صورة الهمزة، والأخرىٰ صورة البدل من التنوين.

الآعتبار الثانى ـ أن يكون ماقبلها معتلا، فينظر: إن كان حرف العلة زائدا للمدّ، فلا صورة لها نحو نبيء، ووضوء، وسمـاء، والسُّوء والمسيء، وقرّاء، وشاء، ويشاء، والمـاء، وجاء،[1] إلا إن كان منوّنا منصوبا فيَكْتبُهُ البَصْريون بألفين، والكوفيون وبعض البَصْريين بواحدة، وهذا إذا كان حرف العلة ألفا نحو سماء: الألف الواحدة حرف العلة، والأخرىٰ البدل من التنوين. فإن آتصل ماقبله ألف بضمير مخاطب أو غائب، فتصوّر الهمزة واوا رفعا، نحو هذا سمـاؤك، وياءً جرّا نحو نظرت إلىٰ سمائك، وألفا واحدة هى ألف المدّ نَصْبـاً، نحو رأيت سماءك. أما إذا كان حرف

(١) هذه الألفاظ الأربعة ليس فيها مدزائد ولعله مصحف وأصله [وبناء ونساء والمساء وخباء الخ]. فليحرر.

العلة ياء أو واوا نحو رأيت وضوءا، فيكتب بألف واحدة. وإن كان حرف العلة غير زائد للمدّ، فلا صورة للهمزة فى الخط .

الحالة الثانية

(أن يكون ما قبل الهمزة متحركا)

فتكتب صورة الهمزة على حسب الحركة قبلها. فإن كانت الحركة فتحة، رسمت ألفا، نحو بَدَأَ، وأَنْشَأَ "ومِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ" والمَلأُ، ويُسْتَهْزَأُ، على البناء للمفعول، ويُنْشَأُ كذلك، ورأيت آمْرَأً وما أشبهه. وإن كانت كسرة رسمت ياء، نحو قُرِئَ، وآستُهْزِئَ، ولكل آمْرِئٍ، ومن شَاطِئٍ، ويَسْتَهْزِئُ، على البناء للفاعل، وبرئ ومررت بامرئ. وإن كانت ضمة، رسمت واوا، نحو آمْرُؤ، واللؤلؤ، وما أشبه ذلك، إلا فى مثل النبأ إذا كان منصوبا منوّنا فقيل : يكتب بألفين نحو سمعت نبأا ، وقيل : بواحدة وهو الأَوْلى . وإن آتصل بها ضمير، فعلى حسب الحركة قبلها كحالها إذا لم يتصل بها ضمير. وقيل: إن كان ماقبلها مفتوحا، فبألف نحو لن يقرأ، إلا أن تكون هى مضمومة فبواو، إن قلنا بالتسهيل بين الهمزة والواو، وبالياء إن قلنا بإبدالها ياء، وقيل إن آنضم ما قبلها أو آنكسر، فكما قبل الآتصال بالضمير، فتجعل صورتها على حسب الحركة قبلها. وإن آنفتح ماقبلها وآنفتحت، فبالألف نحو لن يقرأ، وكذلك إذا آنفتح ماقبلها وسكنت نحو لم يقرأ، ولم يُنَبَّأْ، وآقرأ، وإن نشأ وما أشبهه. وإن آنفتح ما قبلها وآنضمت، فبالواو نحو يقرؤ . وقيل بالواو والألف كما كتبوا فى المصحف ﴿قُلْ مَا يَعْبَؤُا﴾ و ﴿نَبَؤُا الْخَصْمِ﴾ و ﴿يَبْدَؤُا الْخَلْقَ﴾ ﴿أَوَمَنْ يُنَشَّؤُا﴾ بواو وألف فى الجميع . أو آنكسرت، فبالياء نحو من المقرئ، وقيل بها وبألف كما كتبوا فى المصحف ﴿مِن نَّبَإِى الْمُرْسَلِينَ﴾ بألف وياء .

تنبيــــــــه

قد تقدّم فى الحذف أن همزة الوصل تحذف فى بعض مواضعَ وتثبت فيما عداها. فحيث ثبتت، كتبت بحسب حالها إذا ٱبتدئ بها. فإن كانت يبتدأ بها مضمومة، كتب مايليها واوا إن كانت همزة أو واوا مبدلة منهـا، نحو اؤْتُمِنَ فلان، وقلت لك اؤمر فلانا بكذا؛ وإن كانت يبتـدأ بها مكسورة، كتب ما يليها ياء إن كانت همزة أو ياء مبـدلة منها، نحو ٱئذن لى يازيد، ائت القوم، ائت عليهم كذلك وإن كان النطق بها واوا بضم ما قبلها نحو ﴿وَمِنْهُم مَّنْ يَقُولُ ٱئْذَنْ لِى﴾ تكتبه ياءً علىٰ الهمزة فى الٱبتـداء بها؛ ويستثنىٰ فاء اِفعل من نحوِ يَوْجل مثـل يَوْسن فإنها تكتب واوا بعد الواو والفاء كما فى قولك فٱوجل، وٱوجل. يكتبان بإثبات ألف الوصل، والواو بعدها ولم يكتبوها علىٰ ٱبتداء الهمزة. أما بعد غير الواو والفاء، فإنها تكتب بحسب الأبتداء بها نحو قلت لهـا ٱيجلى، أو ثم ٱيجلى، وقلت لكم ٱيجلوا، فانك تلفظ به واوا وتكتبه ياء للانفصال؛ وإن كانت قبلها كسرة كانت ياء لفظا وخطا، نحو قلت لَكِ ٱيجلى، وكذلك إذا ٱبتدئ بهمزة الوصل نحو ٱيجلى ياهند.

وٱعلم أنه إذا وقعت همزة ٱستفهام وبعدها همزة قطع صوّرت همزة القطع بعدها بمجانس حركتها. فإن كانت الحركة فتحة كتبت ألفا، نحو أأسجد وإن كانت الحركة ضمـة كتبت واوا نحو أؤُنْزِل وإن كانت الحركة كسرة كتبت ياء نحو أَئِنَّـكَ لأنها إذا خُفِّفت بالبدل كان إبدال المفتوحة ألفا، وإبدال المضمومة واوا، وإبدال المكسورة ياء. وقد تحـذف المفتوحة خطا فتكتب بألف واحدة، نحو أسجـد كما فى رسم المصحف.

وٱختلف فى الساقطة من الهمزتين والحالة هذه: فقيل الثانية، وهو قول أحمد ٱبن يحيىٰ: وقيل الأولىٰ وهو قول الكسائىّ.

فلو كانت ثلاث ألفات فى اللفظ نحو قوله تعالىٰ : ﴿ أآلِهَتُنَا خَيْرٌ ﴾ فقال أحمد ابن يحيىٰ : تكتب بواحدة .

وآختلف فى الثابتة ، فذهب الفراء وثعلب وآبن كيسان إلىٰ أنها الآستفهامية لأنها حرف معنًى . وحكىٰ الفراء عن الكسائى : أنها الأصلية وحكاه آبن السيد عن غير الكسائى وحُكى عنه أنها ألف الجمع .

وقد تكتب غير المفتوحة ألفا نحو قوله أإنّك ،لأن الألف هى الأصل، والهمزة حرف زائد لمعنًى كالواو والفاء فلا يعتدّ به، لكنه قليل، والله أعلم .

الجملة الثانية

(فى حالة التركيب والفصل والوصل)

وآعلم أن الأصل فصل الكلمة من الكلمة ،لأن كل كلمة تدل علىٰ معنًى غير معنىٰ الكلمة الأخرىٰ، فكما أن المعنيين متميزان فكذلك اللفظ المعبِّر عنهما يكون متميزا . وكذلك الخط النائب عن اللفظ يكون متميزا بفصله عن غيره . ويستثنىٰ من ذلك مواضعُ كتبت علىٰ خلاف الأصل .

(منها) أن تكون الكلمتان كشىء واحد، وذلك فى أربعة مواضعَ .

الموضع الأول ــ أن تكون الكلمتان قد رُكِّبتا تركيبَ مزج ،مثل بعلبك : ليدل علىٰ أن التركيب الذى يعتبر[1] فيه وصل الكلمة بالأخرىٰ هو تركيب المزج ،وهو أن يتحد مدلول اللفظين . بخلاف ما إذا رُكبتا تركيبَ إسناد نحو زيد قائم ،أو تركيبَ إضافة نحو غلامُ زيدٍ ،أو تركيبَ بناءٍ لم يتحد فيه مدلول اللفظين نحو خمسة عشرَ، وصباحَ مساءَ، وبينَ بينَ، وحَيْصَ بَيْصَ، فإن هذا كله يكتب مفصولا لا تخالط فيه كلمة بأخرىٰ .

---

(١) لعله يغتفر .

الموضع الثانى ـ أن تكون إحدىٰ الكلمتين لا يبتدأ بها فى اللفظ ، نحو الضمائر البارزة المتصلة ، ونون التوكيد ، وعلامة التأنيث والتثنية والجمع فى لغة أكلونى البراغيث ، وغير ذلك مما لا يمكن أن يبتدأ به ، فكل هذا يكتب متصلا وإن كان من كلمتين .

الموضع الثـالث ـ أن تكون إحدىٰ الكلمتين لا يوقف عليها ، وذلك ما كان نحو باء الجر ، وفاء العطف ، ولام التأكيد ، وفاء الجزاء ، فإن هـذه الحروف لا يوقف عليها ، فلما آمتزجت فى اللفظ آمتزجت فى الخط فتكتب متصـلة وإن كانت فى الحقيقة كلمتين .

الموضع الرابع ـ أن تكون الكلمة مع الأخرىٰ كشىء واحد فى حال مّا فاستصحب لها الآتصال غالبا : مثل بعلبك ، إذا أعرب إعراب المضاف والمضاف إليه ، فإن هـذا الإعراب يقتضى أن تفصل إحدىٰ الكلمتين من الأخرىٰ ، لأن الإعراب قد فصلهما . أما إذا أعرب إعراب مالا ينصرف فلا يصح فيه الفصل أصلا ، لأنّ اللفظ الثانى منتهىٰ الآسم ، فهو مفرد فى المعنىٰ وفى اللفظ .

وكتبوا لئلّا مهموزةً وغير مهموزة بالياء (وكان القياس أن تكتب بالألف) كما تكتب لأنْ إذا كانت اللام مكسورة بالألف فكذلك إذا زيدت عليها لا ، إلا أن الناس آتبعوا رسم المصحف ، وكذلك لَئِنْ فعلت كذا تكتبه بالياء آتباعا للمصحف ، وإن كان القياس أن يكتب بالألف . وسيأتى الكلام علىٰ وصل لا بإن فيما بعد إن شاء الله تعالىٰ .

(ومنها) توصل مِنْ الجارّة وهى المكسورة الميم بما بعدها بعد حذف النون منها علىٰ ما تقدّم فى موضعين :

الموضع الأوّل ـ توصـل بِمَن المفتوحة الميم مطلقا ، سواء كانت موصولة نحو أخذت الدرهم مِمَّنْ أخذتَه منه ، أو موصوفة كما فى المثال المذكور فإنها فيه تحتمل

المعنيين جميعا، أو آستفهامية نحو مِمَّنْ أنت ؟ أوشرطية نحو مِمَّن تأخُذْ درهما آخُذْ منه، و إنما وصلت بها لأجل آشتباههما خطا إذ لو كتبتا مِنْ مَنْ لكانتا مشتبهتين فى الصورة فأُدغمت نون مِنْ فى ميم مَنْ ونُزِّلت منزلة المدغم فى الكلمة الواحدة، فلم يجعل له صورة بل حذف مع كتبه متصلا ، وقد تقدّم الكلام على ذلك فى الحذف . هذا هو المشهور الراجح .

وقال الأستاذ بن عصفور: إن كانت مَنْ آستفهاميةً، كتبت مفصولة على قياس ماهو من المدغمات على حرفين .

الموضع الثانى ـ توصل بعد حذف النون أيضا بما ، إذا كانت موصولة نحو عجبتُ مما عجبتَ منه، أو آستفهامية نحو مِمَّ هذا الثوب؟ أو زائدة كما فى قوله تعالى: ﴿مِمَّا خَطَايَاهُمْ أُغْرِقُوا﴾ . أما إذا كانت شرطية نحو مِنْ ماتأخُذْ آخُذْ، أوموصوفة نحو أكلتُ من ما أكلتَ منه، فإن القياس يقتضى أن تكون مفصولة .

وقال الأستاذ أبو الحسن بن عصفور : إذا كانت ما غير آستفهامية، كتبت مِنْ معها، وقضيته أنها لاتكتب متصلة إلا فى حالة الآستفهام فقط، وتكتب منفصلة فيما عداها .

قال الشيخ أثير الدين أبو حيّان رحمه الله : والأوّل أصح لأنّ علة الوصل فى مِمَّن مفقودة فى مما، وهى آلتباس اللفظين خطا .

(ومنها) توصل عن بما بعدها بعد حذف النون منها على ما تقدّم، فى موضعين .

الموضع الأوّل ـ توصل بمَنْ الموصولة غالبا ، نحو رَوَيْتُ عَمَّنْ رَويتَ عنه ، ويجوز فصلها، فتفصل عن مِنْ مَنْ وتثبت النون فى عن ، وأما مَنْ غيرُ الموصولة ، فالقياس فصلها، فتكتب فى الآستفهام عن من تسأل؟ وفى الشرط ، عن مَنْ ترض أرضَ عنه، فتفصل عَنْ مِنْ مَنْ على ما مر .

وزعم ٱبن قتيبة أن عَنْ مَنْ تكتب موصولة بكل حال، سـواء الموصولة وغيرها كما تكتب عمّ وعما موصولة من أجل الإدغام. وزعم غيره أنه لا يؤثر الإدغام فى ذلك لأنهما كلمتان إلا فى نحو عما قليل لزيادتها .

الموضع الثانى — توصل بمـا الٱستفهامية، كما فى قوله تعالىٰ ﴿ عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ﴾ وتحذف الألف من ما علىٰ ماتقدّم فى الحذف .

(ومنها) توصل مَعَ بما إذا كانت زائدة، وتقطع إذا كانت موصولة، قاله ٱبن قتيبة .

(ومنها) توصل فى بمَنْ فى موضعين :

الموضع الأول — توصل بمَنْ الٱسـتفهامية دائمـا نحو قولك : فيمَنْ تفكر ؟ ولكن لاتحذف اليـاء منها كما حذفت النون من عَنْ ومن، إذ لا إدغام هنا .

الموضع الثانى — توصل بما إذا كانت موصولة فى الغالب نحو فكّرْتُ فيما فكّرت فيه، ولا تسقط الياء علىٰ مامر . ويجوز فى هذه الحالة فصلها، فتفصل "فى" عن "ما". وتكتب علىٰ هذه الصورة "فى ما" . وكذلك توصل بما إذا كانت ٱستفهامية نحو قوله تعالىٰ : ﴿فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا﴾ ولا تحذف ياؤها كما تقدّم .

أما مع إذا ٱتصلت بمـا أو بمن، فإنها تكتب منفصلة . قاله ٱبن قتيبة .

قال بعض النحاة: أظنّ سبب ذلك قلة الٱستعمال، وإلا فما الفرق بين مع وبين فى . قال : وقد يمكن أن يفرق بينهما فى الٱسمية، فإن فى لا تكون إلا حرفا، ومع إن تحركت كانت ٱسمـا، وإن سكنت، نخلاف والأصح الٱسمية، وأيضا فإنها تنفصل ممـا بعدها .

(ومنها) توصل الحروف النواصبُ للاسم، الروافعُ للخبر، إذا دخلت علىٰ ما الزائدةِ نحو إنما وكأنما وليتما . فتكتب إنَّ وكأنَّ ولَيْتَ متصلات بما، نحو إنما فعلت كذا، وإنمـا كلمتُ أخاك، وإنمـا أنا أخوك، وكأنمـا وجْهُه قمر، وليتما هذا الشيءُ لى،

ونحو ذلك . فإن كانت ما موصولة، كتبت مفصولة نحو إنَّ ما قلتَ لَحَقٌّ ، وكأنّ ما حَدَّثْت صحيحٌ، وليت ما لَكَ لى . علىٰ أنه قد جاء فى القرءان كثير من ذلك متصلا . وزعم بعضهم أنه لم يأت فى القرءان مفصولا إلا قوله تعالىٰ فى الأنعام : ﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ﴾. وقد كتبوا فى المصحف : ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ﴾ فى الطور وغيره متصلا ،وكذلك: ﴿إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ﴾. مع رفع كيد ونصبه،وإن كانت ما موصولة فى الموضعين .

(ومنها) توصل قَلّ بما إذا دخلت عليها نحو قَلَّمَا أتيتك مائة مرة .

(ومنها) توصل إن الشرطية بلا إذا دخلت عليها بعد حذف النون نحو : ﴿إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ﴾ .

(ومنها) توصل إن الشرطية بما إذا جاءت بعدها بعد حذف النون نحو : ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً﴾ . وإنما حذفت النون فى هذه وماقبلها لإدغامها كما فى مما وعما ونحوه .

(ومنها) توصل أين بما نحو : ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ﴾. لأن ما إذا دخلت علىٰ أين صارت جازمة إذ تقول : أين تكون أكون ، فترفع النون، فإذا دخلت عليها ما، قلت : أينما تَكُنْ أَكُنْ بجزمت، فصارت أين وما كأنها كلمة واحدة. فإن كانت ما موصولة، فصلت نحو أين ما ٱشتريتَ تريد أين الذى ٱشتريتَ.

ولم يصلوا متىٰ بما بل كتبوها منفصلة عنها، إذ لو وصلت للزم قلب الياء ألفا كما فى حتام فتكتب مَتَامَ فيتعذر إدراكها .

(ومنها) توصل حيث أيضا بما نحو : ﴿وَحَيْثُمَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾. كما تقدّم فى أين .

(ومنها) توصل كل بمـا المصدرية، إذا دخلت عليها، نحو كُلَّمَا جئتَنى أحسنتُ إليك . فإن كانت نكرة منعوتة كتبت مفصولة نحو كلُّ ماتفعلُ حسنٌ، وكلُّ ما كان منك حسنٌ .

قال ٱبن قتيبة : وكلُّ مَنْ مقطوعة علىٰ كل حال ومكان .

(ومنها) توصل هلْ بِلَا، وتحذف إحدىٰ اللامين علىٰ هذه الصورة (هَلَّا فعلت) وتقطعها من بل، فتكتب (بَلْ لاتفعل) .

قال ٱبن قتيبة : والفرق بينهما أنَّ لا إذا دخلت علىٰ هل تغير معناها، فكأنها معها كلمة واحدة، وإذا دخلت علىٰ بل لم تغير المعنىٰ تقول : بل تفعل، وبل لاتفعل، كما تقول : كى تفعل، وكى لاتفعل .

(ومنها) توصل بين بمـا الزائدة، نحو بينما أنا جالس، وبينما أنا أمشى .

(ومنها) توصل أىُّ بما إذا كانت ما زائدةً كما فى قوله تعالىٰ حكاية عن موسىٰ عليه السلام : ﴿أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ﴾ وكما تقول : أيَّمـا الرجلين لقيتَ فأكرم . فإن كانت ماموصولة قطعت فتكتب أىُّ ماتراه أوفقُ، أىُّ ماعندك أفضلُ، مقطوعةً .

(ومنها) يوصل يوم وحين بإذٍ من قولك يومئذ وحينئذ، وكان القياس الفصل، علىٰ ما تقدّم فى الهمزة .

(ومنها) توصل لَئِنْ ولِئَلَّا وإن كان كل منهما كلمتين . إذ الأصل لَإنْ ولِأنْ لا وقد تقدّم بيان كتابتهما بالياء دون الألف، لكونهم جعلوه مع مابعده كالشىء الواحد .

(ومنها) توصل أَنْ المفتوحة بلا إذا دخلت عليها بعد حذف النون علىٰ أحد الأقوال فتكتب علىٰ هذه الصورة (أَلَّا) . (والثانى)، تفصل منها وتثبت النون، فتكتب علىٰ

هذه الصورة : (أن لايقوم) . و(الثالث)، يُفَصَّل بين أن تكون مخفَّفة عن الثقيلة، فتكتب مفصولة نحو علمت أن لا يقومُ زيدٌ، وعلمت أنْ لا ضرر عندك ، التقدير أنه لا يقوم وأنه لا ضرر عنـدك ولذلك ثبتت فى قوله تعالىٰ : ﴿وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللهِ إِلَّا إِلَيْهِ﴾ أو ناصبة للفعل فتقدّر كَتْبَها متصلة علىٰ اللفظ وتحذفها فى الخط، نحو يعجبنى ألَّا تقوم وهو قول الأخفش وٱبن قتيبة وٱختيار ٱبن السيد . (والرابع)، التفصـيل بين أن تدغم بِغُنَّةٍ، فتكتب منفصلة أو بغير غُنَّةٍ فينوَى الاتصال وتحذف خطا . ويروىٰ عن الخليل، وٱستحسنه بعض الشيوخ : وقد وقع فى القرءان مواضع متصلة ومواضع منفصلة فيجب ٱتباعها ٱقتـداء بالسلف . وقد وقع فى المصحف وصل مواضعَ القياسُ فصلُها ، فيجب وصلها فى المصحف ٱتباعا لرسمه ، وتوصل فى غيره فى الغالب أو فى بعض الأحوال .

(ومنها) وصلت بئس بمـا فى موضعين :

أحدهما ـ ﴿بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ﴾ فى البقرة .

والثانى ـ ﴿بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنْ بَعْدِى﴾ فى الأعراف .

(ومنها) وصلت نعم بمـا للادغام . وحكىٰ ٱبن قتيبة فيه الفصل والوصل .

(ومنها) وصلت إن بلم مع حذف النون للإدغام فى قوله تعالىٰ : ﴿فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ﴾ فى هُودٍ، بخلاف التى فى القَصَص فإنها كتبت مفصولة بإثبات النون .

(ومنها) وصلت أن بلَنْ مع حذف النون للإدغام فى سـورة الكهف فى قوله : ﴿أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا﴾ .

(ومنها) وصلت أَمْ بمَنْ فى نحو قوله تعالىٰ : ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ﴾ .

قال محمد بن عيسىٰ: كل مافى القرءان من ذكر أم فهو موصول إلا أربعة مواضع

فى النساء : ﴿ أَم مَّنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴾ . وفى التوبة : ﴿ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ ﴾ .
وفى الصَّافَّات : ﴿ أَم مَّنْ خَلَقْنَا ﴾ . وفى فُصِّلَتْ : ﴿ أَم مَّنْ يَأْتِي آمِنًا ﴾ .

(ومنهـا) وصلت كى بلا فى نحو كَيْلَا ولِكَيْلَا فى أربعـة مواضعَ فى المصحف ، ﴿ لِكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَىٰ مَافَاتَكُمْ ﴾ فى آل عمران . و ﴿ لِكَيْلَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا ﴾ فى الحج و ﴿ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ ﴾ فى الأحزاب . و ﴿ لِكَيْلَا تَأْسَوْا ﴾ فى الحـديد وما عداها فهو مقطوع كما فى أوّل الأحزاب .

ووجه ٱبن قتيبة المقطوع بأنك تقول : أتيتك كى تفعل وكى لا تفعل ، كما تقول : حتّى تفعل وحتّى لاتفعل فيختلف المعنىٰ بالنفى والإثبات فيه .

الفصل الخـامس

من البـاب الثـانى من المقـالة الأولىٰ

(فيما يُكْتَب بالظاء ، مع بيان ما يقع الاشتباهُ فيه ممـا يُكْتَب بالضاد)

وإنمـا خصت الظاءُ بالذكر دُونَ الضاد لقلَّة وقوع الظاء وكثرة وقوع الضـاد ؛ وخُصَّ ما يكتب بالظـاء بالذكر دُونَ ما يُكتَب بالذال المعجمة ، لأن الدال والذال فى صُورة الكِتَابة واحد ، فلا يظهَر خَطَأ الـكاتب فيـه ، بخلاف الظاء والضاد : فإن شكْلَهما مختلف فيظهَر خطأ الكاتب وعُوَارُه فيه ؛ فلذلك وقعتِ العِناية بالتنبيه علىٰ ما يكتب بالظاء دُونَ ما يكتَب بالذال المعجَمة .

وقد أورَدْتُه علىٰ حروف المعجَم ليقربَ تناوُلُه .

حرف الألف

فيه ــ أظلَّه الشىء : إذا غَشِيَهُ ؛ أما أضَلَّه من الضَّلال إذا ضَلَّ دابتَه إذا نَدَّتْ ، فبالضـاد .

حرف البـاء

فيه ـ بَهَظه الأمرُ : إذا أتعبه . وفيه ، البَظْر : وهو اللَّحمة المتدلِّية من فَرْج المرأة ، التى تُقْطَع بالخِتَان .

حرف التاء المثناة فوق

فيه ـ التَّقْرِيظُ : وهو المدح ، والتلمُّظ : وهو تحريك الشفتين بعد الأكل لابتلاع ما حَصَل بين الأَسنان .

حرف الجيم

فيه ـ الجَوَّاظ : وهو الجافى المتكبِّر ، أو الأَكُول ، والجُحُوظ : وهو نُتوُّ العين ونُدُورها ، ومنه أبو عُثْمان الجاحظُ ، وجَحْظَة البرمَكِيُّ .

حرف الحاء المهملة

فيه ـ الحِفْظ : وهو ضِدُّ النِّسيان ، والحَفِيظة : وهى المَوْجِدَة ، والحَظُّ : وهو الغِنىٰ والنصيب . ومنه قوله تعالىٰ : ﴿ إِنَّهُ لَذُوا حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ . وقوله : ﴿ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنْثَيَيْنِ ﴾ . أما الحَضُّ بمعنىٰ الحث فإنه بالضاد . ومنه قوله تعالىٰ : ﴿ ولا يَحُضُّ علىٰ طَعَامِ المِسْكِينِ ﴾ . والحُظْوة : وهى الرفعة ، والحَظْر : وهو المنع . ومنه قوله تعالىٰ : ﴿ كُلًّا نُمِدُّ هٰؤُلاءِ وهٰؤُلاءِ مِنْ عَطاءِ رَبِّكَ وما كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُوراً ﴾ . وقوله : ﴿ كَهَشِيمِ المُحْتَظِرِ ﴾ . وفى معناه الحَظِير : وهو المحوّط من قصب ونحوه . أَمَّا الحُضُور خلافُ الغَيْبة فإنه بالضاد ، والحَنْظَل : وهو النَّباتُ المُرُّ المعروف .

حرف الشين المعجمة

فيه ـ الشَّظِيَّة : وهى القِطْعة من الشىء ، والشِّظَاظ : وهى عِيدانٌ لِطَاف يُجْمَع بها العِدْلان ، والشَّظَف : وهو خُشُونة العيش ، والشُّوَاظ : وهو لَهَب النـار . ومنه

قوله تعالىٰ : ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِنْ نارٍ ونُحَاسٌ﴾ . والشَّيْظَمُ : وهوالفَرَس الطويل الظهر، والشَّنَاظِى : وهى أطراف الجبال .

حرف الظاء المعجمة

فيه ـ الظَّنُّ : بمعنىٰ التخمين والشَّكِّ، والظِّنَّة : وهى التُّهْمَة . أما الضَّنُّ بمعنىٰ البخل فإنه بالضاد، وعلىٰ المعنيين قرئ قوله تعـالىٰ : ﴿ وَمَا هُوَ عَلَىٰ الغَيْبِ بضَنِينٍ ﴾ بالضاد والظاء : لاتِّجاه المعنيين فى النبيّ صلى الله عليه وسلم إذ ليس ببَخِيل ولا متَّهَم؛ وفيه ظَلَّ يفعل كذا : إذا فعله نهارا . ومنه قوله تعالىٰ : ﴿ فظَلُّوا فِيـهِ يَعْرُجُونَ ﴾ . وقولُه : ﴿ فظَلْتُمْ تفَكَّهُونَ ﴾ . وقوله : ﴿ وانْظُرْ إلىٰ إلٰهِكَ الَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عاكِفًا ﴾ .

أما ضَلَّ من الضلال : خلاف الهدىٰ، وضَلَّ الشيءُ : إذا ضاع، فبالضاد . وفيه الظِّلُّ : خلاف الحَرِّ حيثما وقع وما يُشْـتقُّ منه ، والظُّلْم وما يَتَشـعَّب منه ، والظَّلام وما يتفرّع منه ، والظَّلْمُ (بفتح الظاء) وهو ماء الأسنان ، والظَّلِيمُ : وهو ذَكَر النَّعام ، والظَّبْيُ : واحدُ الظِّباء ، والظَّبْيـة الأنثىٰ منه ، والظَّبْية : حَيَاءُ النـاقة ، والظُّبَة : وهو حدُّ السيف ، والظَّرْف : وهو الوِعاء الحَسَن ، والظَّعْن : وهو السَّفَر . ومنـه قوله تعالىٰ : ﴿يَوْمَ ظَعْنِكُمْ ويَوْمَ إقَامَتِكُمْ﴾ . والظِّرَاب : وهى الهِضاب . أما الضِّرابُ مصدر ضاربتُه فإنه بالضاد ، والظَّعينةُ : وهى المرأة ، والظِّلْف : وهو للبقر والغنَم كالحافر للخيل ، والظَّلَف : وهو نزاهة النفس ، والظُّفُر : واحدُ الأظفار ، والظَّفَر : وهو النصر . أما ضَفْر الشَّعر ونحوه فبالضاد ، والظِّئْر : وهى المُرْضِـعة ، والظَّهْر : وهو العُضْو المعروف . أما الضَّـهْر : وهو صخرة فى الجبـل يخالف لونُهـا لونَه فإنه بالضاد ، والظَّهِير : وهوالمُعِين ، والظَّهِيرة : وهى وَسَط النهار ، والظَّمأ : وهو العَطَش ، والظِّرار جمع ظِرٍّ : وهو الغليظ من الأرض . أما الضَّرير : بمعنىٰ الأعمىٰ فبالضاد ،

والظَّرِبَان : وهى دُوَيْبَّةٌ منتنة الريح، والظَّلَعُ : وهو الغَمْز يقال ناقة ظالع إذا غمزت فى المشى. أما الضِّلَع واحد الأضلاع فإنه يكتب بالضاد، ومنه قولهم فرسٌ ضَلِيع .

حرف العين المهملة

فيه ــ العَظْم : وهو معروف، والعَظَمة : وهى الكبرياء وما تصرَّف منها، وعَظَّه الدهر وعَظَّته الحرب . أما العَضّ بالأسنان فبالضاد، والعَظْل (١) : وهو الشدّة، ومنه تَعاظُلُ الجراد والكلاب فى السِّفاد. أما العَضْل بمعنى المنع فإنه بالضاد ، ومنه قوله تعالى : ﴿فلا تَعْضُلُوهُنَّ أن يَنْكِحْنَ أزْواجَهُنَّ﴾ . وكذلك قولهم : أعضَلَ الأمرُ إذا صَعُب . ومنه الداء العُضَال، وسوق عُكَاظ : وهو سُــوق كان يقام للعرب فى الجاهلية وأصل العَكْظِ الحَبْس .

حرف الغين المعجمة

فيه ــ الغَيْظ بمعنى الحَنَق وما تفرَّع عنه، أما غاض الماءُ بمعنى غار والغَيْضَة وهى مَنْبِتُ الشجر فى المــاء فبالضاد، والغِلَظ وما تصرف منه .

حرف الفــاء

فيه ــ الفَظَاظة : وهى القسوة ومنه قوله تعالى : ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ القَلْبِ﴾. أما آنْفِضاض الجمع فبالضاد، ومنه قوله تعالى : ﴿لآنْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ . وكذلك آفْتِضاض البكر والكِتَاب، والفَظِيع : وهو الشنيع، وفاظَ الرجُل إذا مات. أما فَيْض الإناء والدمع بمعنى السَّيَلان، فبالضاد، ومن ثَمَّ جاز أن يكتب فاظَتْ نفسُه بالظاء على معنى ماتت نفسه ويجوز أن يكتب بالضاد على معنى سالَتْ نفسه .

---

(١) كذا فى الضوء أيضا بالظاء المشالة . وفى اللسان فى مادة (ع ض ل) ... [وأصل العضل المنع والشدة] أى بالضاد الساقطة ولم يذكره بهذا المعنى فى مادة (ع ظ ل) .

حرف القـاف

فيه ـ القَيْظ وهو صميم الحرّ وما تصَرَّف منه . أما القَيْض الذى هو القشر الأعلىٰ من البيض فبالضاد ، وكذلك قَيَّضَ الله له كذا أى أتاحه له ، والقَرَظ : وهو ثمرة شجرة السَّنْط التى يدبَغُ بها الجلد. أما القَرْض بمعنىٰ القطع فبالضاد، ومنه قَرْض المال.

حرف الكاف

فيه ـ الكَظْم : وهو كَتْم الحُزْن، والكَظُّ : وهو شدّة الحرب ، وكاظِمَةُ : وهو ٱسم مكان بالبحرَيْن .

حرف اللام

فيه ـ لَظَى : ٱسمُ جهنَّمَ، واللَّظُّ : وهو اللزوم . ومنـه "أَلِظُّوا بيـاذا الجَلَالِ والإكرام" أى ٱلزموا هـذا الأسم فى الدعاء والمناجاة به، واللَّحْظ : وهو النظر بمُؤْخِرِ العين، واللَّمَظ : وهو بياضُ الجَحْفلة السُّفْلىٰ من الفرس، ومنه قيل فرس ألْمَظُ، واللَّفْظ : وهو معروف وما تصرف من جميع ذلك .

حرف النون

فيه ـ النَّظْم وما تصرف منه، والنَّظَر بالعين وما تصرف منه، والنَّظِير وهو المثل . أما النَّضَارة بمعنىٰ البَهْجة فبالضاد، ومنه قوله تعالىٰ : ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ﴾. ومنه ٱشتقاق بنى النَّضِير وفى معناه النُّضَارُ ٱسمُ الذهب، والنَّظَافة : وهى خلاف القَذَارة.

حرف الواو

فيه ـ الوَظِيف : مافوقَ الرُّسْغ من ذوات الحافِر، والوَظِيفةُ، وأصلها الطعام الراتِب ثم ٱستُعمِلت فيما هو أعَمُّ من ذلك .

حرف اليـاء

اليَقَظَة : وهى خلاف النوم .

المقالة الثانية

فى المسالك والممالك؛ (وفيها أربعة ابواب)

الباب الأوّل

فى ذكر الأرض على سبيل الإجمال

وفيه ثلاثة فصول

الفصل الأوّل

(فى معرفة شكل الأرض، وإحاطة البحر بها، وبيان جِهَاتها الأربع، وما ٱشتملت عليه من الأقاليم الطبيعية، وبيان مَوْقِع الأقاليم العُرْفية من الأقاليم الطبيعية، وذكر حدودها الجامعةِ لها، ومعرفة طريق ٱستخراج جهة كل بلد؛ وفيه طَرَفان) .

الطَّرَف الأوّل

(فى شكل الأض، وإحاطة البحر بها)

أما شكل الأرض فقد تقرّر فى علم الهيئة أن الأرض كُرِيَّة الشَّكْل والماء مُحِيط بها من جميع جهاتها إلا ما ٱقتضته العِنَاية الإلٰهيَّة من كشف أعلاها لوقوع العِمارة فيه؛ وقيل هى مُسَطَّحة الشَّكْل؛ وقيل كالتُّرْس؛ وقيل كالطَّبْل. والتحقيق الأوّل؛ وبكل حال فالماء محيط بها من جميع جهاتها كما تقدّم .

قال فى "تقويم البُلْدان": وأحواله[1] معلومة فى بعض المواضع دون بعض، فمن المعلوم الحالِ الجانبُ الغربىُّ ويسمّى بحر أُوقِيانُوسَ (بهمزة مضمومة بعدها واو ساكنةٌ ثم قاف مكسورة ثم ياء مثناة تحتُ مفتوحةٌ ثم ألف بعدها نون ثم واو ثم سين مهملة).

(١) هذه الفقرة تناسب الكلام على البحار وقد ذكرها هناك .

ثم للأرض أربع جهات :

الأولىٰ ـ المَشْرِق، سميت بذلك لشُرُوق الشمس منها، ويقال لها الشَّرْق أيضا .

الثانية ـ المَغْرِب، سميت بذلك لغروب الشمس فيها، ويقال لها الغَرْب أيضا .

الثالثة ـ الشَّمَالَ (بفتح الشين) وهى التى إذا ٱستقبلتَ المَشْرِق كانت علىٰ شِمَالك ويقال لها الشام أيضا، لأن الشـام كانت فى جهة الشَّمال عن بلاد المغرب فسميت الجهة به، وأهل مصر يسـمون هذه الجهةَ البَحْرِيَّة : لكونها جهة البحر الرومىّ، أوتسميةً لها بٱسم الريح التى تهب منها فقد سبق أنهم يسـمُّون الرِّيح التى تَهُبُّ من الشمال البحريةَ : لأنها يسار بها فى البحر كيف كان .

الرابعة ـ الجَنُوب (بفتح الجيم) وهى التى إذا ٱستقبلت المَشْرِق كانت علىٰ جانبك الأيمن ولم يُسَمَّ بالأيمن كما سُمِّى مقابلُه بالشَّمال، لأنه لمـا ذكر الشَّمال لم يبق إلا الجانبُ الأيمن فٱستُغْنِىَ عن ذكره، وأهل مصر يسمون هذه الجهة القبلية : لوقوعها فى جهة قِبْلتهم ولذلك يبدَءُون بها فى التحديد، وإن كان الأصل الٱبتداءَ بالمشرق : لأن منه مبدأ حركة الفَلَك .

ثم كُرَة الأرض يقسـمُها خطٌّ فى وسَطها بنصـفين : نصفٍ جنوبِىٍّ، ونصف شَمَالىّ، ويسمّى هذا الخط خط الٱستواء لٱستواء الليل والنهار عنده فى جميع فصول السنة، ويقاطعه خطٌّ آخرُ يقسِمُها بنصفين : نصفٍ شرقىّ ونصف غربىّ، وتصير الأرضُ به أربعـةَ أرباع، ويسمى هذا الخط خطَّ نصف النهار لمسامتة الشمس له فى نصف النهار، وكلٌّ من هـذين الخطين مقسوم بمِائة وثمـانين درجةً، كل درجة ستون دقيقةً . وسيأتى تقدير ذلك بالأميال والفراسخ والمراحل والبُرُد فى الكلام علىٰ بُعْد ما بين البُلْدان فيما بعدُ إن شاء الله تعالىٰ .

وٱعلم أن كُلَّ مابَعُد عن أقصى العِمارة فى المغرِب إلى جهة المَشْرِق يعبَّر عنه عند علماء الهيئة والمِيقات بالطُّول ؛ وقد ٱختلف فى ٱبتداء ذلك : فالقُدَماء ٱبتدءُوه من جزائر بالبحر المحيط تُعْرَف بالخالدات ، يأتى الكلام عليها فى جملة جزائر البحر المحيط ، والمحقِّقون على ٱبتداء ذلك من ساحل البحر المحيط الغَرْبىّ الذى هو أقصى العمارة الآنَ ، وبينهما عَشْرُ دَرَج ، ونهايةُ العمارة فى المشرق موضعٌ يقال له كُنْدُر ، ومنتصفُ مابين الأبتداء والنهاية الشرقية يسمّى قُبَّة أرين ، ويعبَّر عنه بقبة الأرض ؛ وهى على بعد رُبْع الدَّوْر من المبدإ الغربىّ ، ويختلف الحال فيه بٱختلاف الأبتداء من الجزائر الخالدات أومن الساحل . ومابَعُد عن خط الأستواء المقدّم ذكره يعبَّر عنه بالعَرْض ؛ فإن كان فى جهة الجنوب فالعَرْض جنوبىٌّ ، وإن كان فى جهة الشَّمال فالعَرْض شَمَالىّ . ويعتبرَ الطُّول والعرض فى الأمكنة من البُلْدان وغيرها بالدَّرَج والدقائق على ما سيأتى بيانه فيما بعدُ إن شاء الله تعالى .

ثم النِّصف الجنوبىُّ من الأرض لاعِمَارة فيه إلافيما قارب خَطَّ الأستواء فى بعض بلاد الزِّنْج والحبشة ، وما والى ذلك مما لايزيد عَرْضُه على ثلاث دَرَج فيما أورده السلطان عماد الدين صاحب حماه فى "تقويم البُلْدان" أوستَّ عشْرَةَ درجةً وخمسٍ وعشرين دقيقة فيما ذكره إسحاق الحارثىّ وغيره . وأكثر المعمور إنما هو فى النصف الشَّمالىّ ؛ والعمارة فيه فيما بين خط الأستواء إلى نهاية ستٍّ وستين درجةً ونصف درجة فى العَرْض ؛ وماوراء ذلك إلى نهاية الشَّمال خرابٌ لاعمارةَ فيه ، وغالب العمارة واقع بينما يجاوز عَرْضُه عشَرَ درج إلى حدود الخمسين درجةً ، وما وراء ذلك فى جهة الجنوب إلى خط الأستواء ، وفى جهة الشَّمال إلى حدّ العمارة غالبهُ جبال وقِفَار ؛ وغالبُ العمارة فى الطُّول من ساحل البحر المحيط الغربىِّ إلى تسعين درجة فما دُونَها .

الطَّـــرَف الثــانى

(فيما آشتملت عليه الأرضُ من الأقاليم الطبيعية)

قد قَسَّم الحكماءُ المعمورَ إلىٰ سبعة أقاليم ممتدّة من المغرب إلىٰ المشرق فى عُرُوض قليلة تتشابهُ أحوال البقاع فى كل إقليم منها، ثم آختلفوا فى ترتيبها بحسَب العرض، فقوم جعلوا آبتداء الأوّل منها خطَّ الآسـتواء، وآخِرَ السابع منتهىٰ العمارة فى الشَّمال وهو ستٌّ وستون درجة علىٰ ماتقدّم .

قال فى "تقويم البُلْدان": والذى عليه المحقِّقون أن آبتداء الإقليم الأوّل حيثُ العَرض آثنتا عشرةَ درجة وثلثا درجة، وما وراء ذلك إلىٰ خط الآستواء خارج عن الإقليم الأوّل فى جهـة الجنوب، وآخر الإقليم السابع حيثُ العرضُ خمسون درجة وثلث درجة، وما وراء ذلك إلىٰ نهاية العُمْران فى الشَّمال خارجٌ عن الإقليم السابع إلىٰ الشمال فيكون من العمران مالم يدخل فى الأقاليم السبعة، وعليه وقع الترتيب فى هذا الكتاب .

الإقليم الأوّل ــ مبـدؤه حيثُ العرض آثنتا عَشْرةَ درجةً وثلثا درجة كما هو مذهب المحققين علىٰ ماتقـدّم، ووَسَطه حيث العرض ستَّ عشرةَ درجة ونصفُ وثمن درجة، وآخره حيث العرض عشرون درجة وربعُ وثمنُ درجة، فتكون سعته سبع درجات وثلثى درجة وثمن درجة .

الإقليم الثانى ــ مبدؤه حيث العرض عشرون درجة وربعُ وثمن درجةٍ، ووسَـطُه حيث العرض أربع وعشرون درجة وثلثـا درجة، وآخره حيثُ العرض سـبعٌ وعشرون درجة ونصفُ درجة؛ فتكون سَـعَتُه بالتقريب سـبع دَرَج وثلاثَ دقائق .

الإقليم الثالث – مبدؤه حيث العرضُ سبعٌ وعشرون درجة ونصفُ درجة؛ ووسَطُه حيث العرض ثلاثون درجة وثلثا درجة؛ وآخره حيث العرض ثلاث وثلاثون درجة ونصف وثمن درجة(١) بالتقريب .

الإقليم الرابع – مبدؤه حيث العرض ثلاث وثلاثون درجة ونصفُ وثمن درجة؛ ووسطه حيث العرضُ ست وثلاثون درجة وخمسُ وسدسُ درجةٍ؛ وآخره حيث العرضُ تسع وثلاثون درجة إلا عُشْرا؛ فتكون سعتُه خمسَ دَرَج وسبعَ عشرةَ دقيقةً بالتقريب .

الإقليم الخامس – مبدؤه حيث العرضُ تسع وثلاثون درجة؛ ووسطه حيث العرضُ إحدى وأربعون درجةً وربعُ درجة؛ وآخره حيث العرضُ ثلاث وأربعون درجة وربعُ وثمنُ درجةٍ؛ فتكون سَعَتُه أربعَ درجات وربعَ وثمنَ وعُشْرَ درجةٍ بالتقريب .

الإقليم السادس – مبدؤُه حيث العرض ثلاث وأربعون درجة وربعُ وثمنُ درجة؛ ووسطه حيث العرض خمس وأربعون درجة وعُشْرُ درجة؛ وآخره حيث العرض سبع وأربعون درجة وخمسُ درجة؛ فتكون سَعتُه ثلاثَ درجات ونصف وثمنَ وخُمسَ درجة .

الإقليم السابع – مبدؤه حيث العرضُ سبع وأربعون درجة وخمسُ درجة؛ ووسطه حيث العرض ثمانٌ وأربعون درجة ونصفُ وربعُ وثمنُ درجة؛ وآخره حيث العرضُ خمسون درجةً وثلثُ درجة؛ فتكون سعته ثلاثَ درجات وثمانَ دقائق .

(١) فتكون سعته ست درجات وثمن درجة [ولعل هذه الفذلكة سقطت من قلم الناسخ وقد ذكرت فى الضوء وتقويم البُلْدان] .

وأما أطوال هذه الأقاليم فإنها تختلف فى الطُّول والقِصَر بٱعتبار القُرْب من خط الٱستواء والبعدِ عنـه ؛ فكلَّما قرُب الإقليم من خط الٱستواء كان أكثر طُولا من الذى يليـه : ضرورةَ أن أوسع الكُرَة وسَطُها وما بعده من الجانبين يقصُر شيئا فشيئا .

فطول الإقليم الأوّل ـ من ٱبتدائه من ساحل البحر المحيط الغربىّ إلى ساحل البحر المحيط الشرقىّ فيما ذكره فى "تقويم البُلْدان" مائةٌ وٱثنتان وسبعون درجةً وسَبْعٌ وعشرون دقيقة .

وطول الإقليم الثانى ـ مائة وأربع وستون درجة وعشرون دقيقةً .

وطول الإقليم الثالث ـ مائة وأربع وخمسون درجة وخمسون دقيقة .

وطول الإقليم الرابع ـ مائة وأربع وأربعون درجة وسبع عشرَة دقيقة .

وطول الإقليم الخامس ـ مائة وخمس وثلاثون درجة وٱثنتان وعشرون دقيقة .

وطول الإقليم السادس ـ مائة وستٌّ وعشرون درجة وسبع وعشرون دقيقة .

وطول الإقليم السابع ـ مائة وتسعَ عشرة درجة وثلاث وعشرون دقيقة .

الفصل الثـانى

من الباب الأوّل من المقالة الثانية

(فى البحار التى يتكرر ذكرها بذكر البُلْدان فى التعريف بها والسَّفَر إليها، وفيه طرفان)

الطـــــرف الأوّل

(فى البحر المحيط)

وهو المستدير بالقَدْر المكشوف من الأرض . وأحوالُه معلومة فى بعض المواضع دون بعض .

فمن المعلوم الحـالِ منه الجانبُ الغربىُّ، ويسمّى بحر أُوقيانُوس، وفيـه الجزائر الخالدات المتقدّم ذكرها فى الكلام علىٰ الأطوال.

ويأخذ فى الآمتداد من سواحل بلاد المغرب الأقصىٰ من زُقَاق سَبْتَةَ الذى بين الأندَلُس وبَرِّ العُدْوة إلىٰ جهة الجنوب حتّى يتجاوز صحراء لَمْتُونة : وهى بادية البربر بين طَرَف بلاد المغرب من الجَنُوب وبين طرف بلاد السودان من الشَّمال، ثم يمتدّ جَنُوبا علىٰ أرضٍ خرابٍ غير مسكونة ولا مسلوكة حتّى يتجاوز خط الآستواء المتقدّم ذكره إلىٰ الجنوب .

قال الشريف الإدريسى : وماؤه هناك ثخين غليظ شديد الملوحة، لا يعيش فيه حيوان، ولا يسْلُك فيه مركب.

ثم يعطِف إلىٰ جهة الشرق وراءَ جبـال القُمْر التى منها منابع نيل مصر الآتى ذكْرُها، فيصير البحر المذكور جنوبيا عن الأرض، ويمتدّ شرقا علىٰ أراض خراب وراء بلاد الزنج، ثم يمتدّ شرقا وشمالا حتّى يتصل ببحر الصين والهند، ثم يأخذ مشرِّقا حتّى يسامت نهـاية الأرض الشرقية المكشوفة، وهناك بلاد الصين؛ ثم ينعطف

فى شرق الصين إلىٰ جهة الشَّمال ويصير فى جهة الشرق عن الأرض، ويمتدّ شمالا علىٰ شرقى بلاد الصين حتّى يتجاوز حدَّ الصين ، ويسامت سدّ يأجوج ومأجوج ، ثم ينعطف ويستدير علىٰ أرضٍ غير معلومة الأحوال؛ ويمتدّ مغرِّبا ويصير فى جهة الشمال عن الأرض، ويسامت بلاد الروس ويتجاوزها؛ ثم ينعطف غربا وجنوبا ويستدير علىٰ الأرض ويصير فى جهة الغرب منها، ويمتدّ علىٰ سواحل أمم مختلفة من الكُفَّار حتّى يُسامتَ بلاد رُومية من غربها ، ثم يمتد جنوبا ويتجاوز بلاد رومية ويسامت البلاد التى بينها وبين الأندلس ، ويتجاوزها إلىٰ سواحل الأندلس؛ ويمتدّ علىٰ غربِىّ الأَندَلُس جنوبا حتّى يجاوزه وينتهى إلىٰ زُقاق سَبْتة الذى وقعت البداءة منه .

الطَّـــرَف الثانى

(فى البحار المنبثَّة فى أقطار الأرض، ونواحى الممالك، وما بها من الجزائر المشهورة)

وهى علىٰ ضربين :

الضرب الأوّل

(الخارج من البحر المحيط وما يتصل به)

والمشهور منه ثلاثة أبحر .

البحر الأوّل

(الخارج من البحر المحيط الغربىّ إلىٰ جهة الشرق)

وهو (بحر الروم) وأضيف إلىٰ الروم لسكنىٰ أممهم عليـه من شَمَالِيِّه، ويعبر عنه بالبحر الرومىّ أيضا، وقد يعـبَّر عنه بالبحر الشامىّ : لوقوع سواحل الشام عليه من شرقيه، ومَخْرَجُه من المحيط من بحر أُوقِيانُوس المتقدّم ذكره بين الأندلس وبَرِّ العُدْوة

من بلاد المغرب، ويُسمّى هناك بحرَ الزُّقاق، وربما قيل زُقَاق سَبْتَة ـ لمجاورته لها علىٰ ما سيأتى؛ وهو هناك فى غاية الضيق.

قال الشريف الإدريسىّ: والثابت فى الكتب القديمة أن سَعَته عشرةُ أميال ولكنه آتسع بعد ذلك.

قال آبن سعيد: وهو فى زماننا ثمانيةَ عشرَ ميلا.

قال فى "الروض المعطار" ويذكر أنه كان عليه قنطرة عظيمة بين الأندلس وساحل طَنْجة من برالعُدْوة، مبنيَّةٌ بالحجارة، لايُعلم لها نظير فى معمور الأرض، يمرّ عليها الناس والدوابُّ من جانب إلىٰ جانب، وأن البحر قبل الفتح الإسلامىّ بمائة سنة طمىٰ فأغرق القنطرةَ؛ وربما ظهرتْ لأهل المراكب تحت الماء. قال: والناس يقولون إنه لابُدَّ من ظهورها قبل فَنَاء الدنيا.

ويبتدئ هذا البحر من أول بحر الزُّقاق المقدّم ذكرُه، ويمتدّ علىٰ (سواحل الغرب) إلىٰ حدود الديار المِصْريَّة فيمرّ علىٰ مدينة (طَنْجَةَ) حيث الطول ثمانُ درج، والعرض خمس وثلاثون درجةً ونصفٌ؛ ثم يَعْطِف جنوبا وشرقا إلىٰ مدينة (سَلَا).

ثم يمتدُّ شَرقا وشَمالا إلىٰ مدينة (سَبْتَة) ويمتدّ كذلك حتّىٰ يسامت مدينة (فاس) قاعدة الغرب الأقصىٰ علىٰ بُعْد منه؛ ثم يمتدّ إلىٰ حدود مدينة (تِلِمْسَان) قاعدة الغرب الأوسط؛ثم يأخذ شرقا بَمْيلة إلىٰ الشمال حتّىٰ يصير عند (الجزائر) فُرْضة بِجَايَةَ، ويمرّ حتّىٰ يسامت (بجايَة).

ثم يمتدُّ حتى يجاوز مدينة (مَرْسىٰ الخرز) الذى به مَغَاص المَرْجان شرقىَّ قُسَنْطينَةَ: آخرِ مملكة بِجَايَةَ من الشرق، ثم يتجاوز مملكة بجايةَ إلىٰ أول حدود أفريقية، ويمرّ فى سمت وسط المشرق حتّىٰ يقابل مدينة (تُونُس) قاعدة أفريقية من شماليها، ويدخل منه خور إلىٰ تُونُس المذكورة.

ثم يمتدّ بعد أن يتجاوز تُونُس نحوَ تسعين ميلا شرقا نَصًّا، ثم يَعْطِف جنوبا حتّى يصير له دخلة كبيرة فى الجنوب؛ وفى فَمِ هذه الدخلة حيث يعطف البحر عن الشرق إلىٰ الجنوب جزيرة (قَوْصَرَة) مقابلة لجزيرة صقلية .

ثم يمتدّ فى الجنوب إلىٰ قريب من مدينة (سُوسَة)؛ ثم يشرق إلىٰ سُوسَةَ المذكورة ثم يأخذ شرقا وجنوبا إلىٰ مدينة (المَهْدِيَّة)؛ ثم يمرّ شرقا وجنوبا حتّى يتجاوز مدينة (صَفَاقُس)، ويمتدّ حتّى يجاوز جزيرة (جِرْبَة)؛ ثم يعطف شمالا ويصير للبر الجنوبى دخلةٌ فى البحر، ويمتـدّ شرقا وشَمَالا حتّى يبلغ مدينة (أَطْرابُلُس) : وهى آخر مدنِ أفريقيَةَ؛ ثم يمتدّ شرقا حتّى يجاوز حدود أفريقية عند طول إحدىٰ وأربعين درجة، ثم يمتـدّ شَمَـالا علىٰ سواحل (بَرقَة) الآتى ذكرها فى جملة نواحى الديار المصرية إلىٰ (طَلْميثا) ثم ينعطف إلىٰ جهة الشمال، ويكون للبر فى البحر دخلةٌ إلىٰ (رأس أوثان): وهو جبل داخل فى البحر، ثم يشرق من رأس أوثان إلىٰ (رأس تُبْنىٰ) : وهو جبل فى البحر قبـالة رأس أوثان من جهة الشرق، ثم يعطف إلىٰ الجنوب ويمتدّ جنوبا حتّى يسامت (عقبـة بَرْقة) : وهى أوّل حدود الديار المصرية ، علىٰ ما يأتى ذكره فى تحديدها .

ثم يمتدّ علىٰ سواحل مصر، ويمرّ شرقا وجنوبا إلىٰ مدينة (الإسكندرية) من قواعد الديار المصرية .

ثم يأخذ شرقا إلىٰ عند مَصَبِّ فِرْقة النيل الشرقية، ويأخذ مشرّقا إلىٰ (رشيد)[1] ثم إلىٰ (الفَرَما) ثم إلىٰ (العَرِيش) ثم إلىٰ (رَفَح): وهى منزلة فى طَرَف رمل الديار المصرية

(١) بياض فى الأصل . وفى الضوء [رشـيد عند مصب فرقة النيــل الغربية ، ويمتدّ كذلك إلىٰ مدينة دمياط ، عند مصب فرقة النيل الشرقية ، ويأخذ شرقا إلىٰ الطينة ثم إلىٰ الفرما ... ... الخ] .

من جهة الشام علىٰ مرحلة من غَزَّةَ، حيث الطُّول نحو ستٍّ وخمسين درجة ونصفٍ والعرضُ آثنتان وثلاثون درجة؛ ومن هنا ينقطع تشريقه .

ثم ينعطف ويأخذ شَمَالا علىٰ (سواحل الشام) الآتى ذكرها فى الكلام علىٰ المملكة الشامية فيمتدّ إلىٰ مدينة (غَزَّة)، ثم إلىٰ (عَسْقَلان)، ثم إلىٰ (يَافَا) مِيناء الرملة من أعمال الصَّفْقة الساحلية من دمشق، ثم إلىٰ (قَيْسارِيَّة). (بفتح القاف) وهى مدينة خراب تعدّ من جُنْد فلسطين، كانت من أمَّهات المُدُن، ثم إلىٰ (عَثْلِيث) من أعمال صَفْد، ثم إلىٰ (عَكَّا) من أعمالها، ثم إلىٰ (صُور) من أعمالها، ثم إلىٰ (بيْرُوت) من أعمال الصفقة الشمالية من دمشق، ثم إلىٰ (جُبَيل): وهى مدينة قديمة خراب، ثم إلىٰ (أَنَفَة) : من أعمال طرابلس، ثم إلىٰ مدينة (طرابلس)، ثم إلىٰ (أَنْطَرْطُوس) من أعمالها، ثم إلىٰ (بُلُنْيَاس)(١) من أعمالها، ثم إلىٰ (جَبَلَة) من أعمالها، ثم إلىٰ (اللَّاذِقِيَّة) من أعمالها، ثم إلىٰ (السُّوَيْدية) ميناء أَنْطاكِيَةَ من أعمال حَلَب، ثم يأخذ البحر غربا بشمال إلىٰ (أَيَاس)، مدينة الفتوحات الجاهانية ، ثم إلىٰ (المَصِّيصة) ثم إلىٰ (أَذَنَة) ثم إلىٰ (طَرَسوس) ثم يمتدّ شَمَالا بغَرْب حتى يجاوز حدود بلاد الأرمن؛ ويمتدّ علىٰ سواحل بلاد الروم التى هى الآن بيد التركمان الآتى ذكرها فى مكاتبات ملوكهم إلىٰ (الكُرْك). (بضم الكاف وسكون الراء المهملة) وهى بلدة بساحل بلاد المسلمين هى الآن بيد صاحب قبرس؛ ثم يمرّ شَمَالا إلىٰ (العَلَايَا)، ويقابلها من البر الآخر (دِمياط) من سواحل الديار المصرية تقريبا؛ ثم يمرّ إلىٰ (أَنْطالِيَة)، ثم إلىٰ (بَلَاط)، ثم إلىٰ (طنفزلو)، ثم إلىٰ (اياس لوق)، ثم إلىٰ (مَغْنيسيا)، ثم إلىٰ مدينة (ابزو): وهى بلدة علىٰ فم الخليج القسطنطينى من الشرق، وبها يعرف الخليج فيقال فم ابزو، ويقابلها من البر الآخر غربىَّ مدينة الإسكندرية، فيما بينها وبين بَرْقة؛ ثم يجاوز الخليج المذكور ويمتدّ مغرّبا بمَيْلة إلىٰ الجنوب علىٰ سواحل الروم والفرنجة، فيمرّ علىٰ بلاد المرا : وهى مملكة أوّلها فم الخليج القسطنطينى

(١) قال فى معجم البلدان [بضمتين وسكون النون] . وفى القاموس [بِلِنْيَاس كسِرِطراط] فلعل فيه لغتين .

المتقدّم ذكره من جانبه الغربىّ . كانت فى الأيام النـاصرية آبن قلاوون مشتركة بين صاحب القسطنطينية وبين طائفـة الكيتلان من الفرنج ، وقد فتحها الآن آبن عثمان وآستملكها من الروم .

ثم يأخذ بين الغرب والجنوب حتى يجاوز بلاد (الملفجوط) وهم جنس من الروم لهم لسان ينفردون به . ويقابلها من البر الآخر شرقىُّ بَرْقَةَ ، ثم يمتـدّ فى الغرب إلىٰ بلاد اقليرنس ، ثم إلىٰ بلاد البـاسليسة : وهى آمرأة ملكت هـذه البلاد بعد السبعمائة فعُرِفَتْ بها .

ويقابلها من البر الآخر أوساط بَرْقة . وبآخر هذه المملكة من جهةِ الغرب (جَوْن البنادقة) وهو خليج يخرج من بحر الروم هـذا ، ويمتدّ غربا بشَمَالٍ حتّٰى يصير طَرَفُه غربىَّ رومية ، وعلىٰ طرفه مدينة (البُنْدُقية) ومن فمه إلىٰ منتهاه نحو سبعمائة ميل ، ثم يجاوز فم الخور المذكور إلىٰ مملكة بولية ، وأوّلها فم خور البنادقة من الجانب الغربىّ .

ويقابلها من البحر الآخر (طَلْمِيثا) فُرْضة بَرْقة المتقدّمة الذكر ، ثم يمتدّ فى الغرب إلىٰ بلاد (قلفريه) من جملة مملكة بوليه المتقدّمة الذكر .

ويقابلها من البر الآخر بلاد أطْرابُلُس من بلاد إفريقية ، ثم يمتدّ إلىٰ ساحل (رومِيه) ، المدينة المعظمة المشهورة .

ويقابلها من البر الآخر شرقىُّ تُونُس من إفريقية . ثم ينقطع تغريبه ويأخذ جَنُوبا حتّٰى يجاوز سواحل بلاد رومية المذكورة إلىٰ بلاد التُّسْقان : وهم جنس من الفرنج وبلادهم معروفة بنبات الزَّعْفران .

ويقابلها من البر الآخر مدينة تُونُس : قاعدة أفريقية المتقدّمة الذكر ، ويمتـدّ فى الجنوب إلىٰ بلاد (بيزه) وهى بلدة علىٰ الركن الشمالىّ من جزيرة الأندَلُس إليهـا ينسب الفرنج البيازنة والحديدُ البيزانىّ .

ويقابلها من البر الآخر (مَرْسى الخَرَز) آخر مملكة بِجَاية من الشرق على ما تقدّم ذكره. ثم يمتـــدّ إلى بلاد (جَنَوة) الآتى ذكرها فى الكلام على البلاد الشمالية ، ثم يأخذ غربا إلى جبل البُرت : وهو الجبل الفاصل بين جزيرة الأندلس وبين الأرض الكبيرة ذات الأمم المختلفة، ثم ينقطع تغريبه ويعطف مشرّقا ويدخل الركن الشرقىّ من الأندلس فيه، ويمتدّ فى الشرق، ويستدير على الركن المذكور، ثم يعطف غربا ويمتدّ على (سواحل الأندلس) إلى مدينة (بَرْشَلُونه) ثم إلى مدينة (طَرْطُوشه) .

قال فى "الروض المعطار" : ويقابلها من البر الآخر مدينة بجاية .

قال فى "تقويم البلدان" : وعرض البحر بينهما ثلاثة مجار، ثم يمتدّ كذلك بين الغرب والجنوب إلى مدينة بَلَنْسية، ثم يعطف غربا إلى دانِيَة، ثم يمتـدّ غربا بجنوب إلى مدينة مالقَةَ ثم يمرّ إلى الجزيرة : وهى مقابلة لساحل سَبْتة وطَنْجة حيث وقع الابتداء.

وسيأتى الكلام على ضبط ما لم يُضبط من البلاد على ساحل هذا البحر بالحروف مع ذكر صفاتها عند التعرّض لذكرها فى الكتاب فى مواضعها إن شاء الله تعالى .

وطول هذا البحر من البحر المحيط إلى ساحل الشام فيما يُذكَر ألفُ فرسخ ومائة وسبعون فرسخا، وغاية عَرْضه فى بعض الأماكن ستمائة ميل .

وأما ما يتصل بالبحر الرومىّ المتقدّم الذكر فبحر نِيطِش (بنون مكسورة وياء مثناة تحت ساكنة وطاء مهملة مكسورة وشين معجمة فى الآخر). وهو المعروف فى زماننا ببحر القِرِم : لتركب بلاد القِرِم على ساحله، ويعرف أيضا بالبحر الأرمنىّ : لتركب بعض بلاد أرمِينِيَةَ على بعض سواحله ، وربما قيل فيه البحر الأسودُ : وهو متصل ببحر الروم المذكور من شماليّه، ويتركب عليه من آخره (بحر مانيطِش) بزيادة لفظ "ما" فى أوّله وباقى الضبط على ما تقدّم وهو المعروف فى زماننا ببحر الأَزَق : لتركب بلاد الأَزَق على ساحله الشرقىّ وليس وراءه بحر متصلٌ به : ولذلك يُعبر عنه بعضهم ببحيرة ما نيطش وهو

يصبُّ فى بحر نيطش، وبحر نيطش يصب فى بحر الروم؛ ولذلك تُسرع المراكبُ فى سيرها من القِرِم إلىٰ بحر الروم، وتبطئ فى سيرها من بحر الروم إلى القِرِم لآستقبالها جَرَيان المـاء .

وأوّل بحر نيطش المذكور ممـا يلى بحر الروم . (الخليج القسطنطينى) المتقدّم ذكره فى تحديد بحر الروم : وهو خليج ضيق للغاية بحيث يرىٰ الإنسانـ صاحبه من البر الآخر .

قال آبن سعيد : وطول هذا الخليج نحو خمسين ميلا .

وذكر فى "تقويم البُلْدان" عن بعض المسافرين أن طوله سبعون ميلا وآتصاله بالبحر الرومىّ من جانبه الشمالىّ ، ويمتدّ شمالا علىٰ (سواحل بلاد الروم) من البر الشرقىّ منه إلىٰ (قلعة الجرون) وهى قلعة خراب علىٰ ساحل هذا الخليج مقابِلَ القسطنطينية ويمتدّ من الجرون شمالا بميلةٍ يسيرة إلىٰ الشرق إلىٰ مدينة كربى علىٰ خليج القسطنطينية علىٰ القرب من الجرون المذكورة ؛ ثم يمتـدّ شرقا بشَمَالٍ إلىٰ مدينة (كتروا) ، وهى آخر مدن القسطنطينية التى علىٰ هذا الساحل ، ثم يمتدّ إلىٰ مدينة (كِينولِى) وهى بلدة علىٰ الخليج القُسْطنطينىّ ، ثم يأخذ بين الشَّمَال والغرب ، ويكون للبر دخلة فى البحر إلىٰ جهة الغرب ، وعلىٰ طَرَف هذه الدّخلة فرضة (سنوب) من سواحل الروم الآتى ذكرها فى مكاتبات ملوك الكفر ، ثم يأخذ فى الآتساع إلىٰ مدينة (سامسون) ، وهى بلدة من سواحل بلاد الروم ، ثم يأخذ مُشَرِّقاً إلىٰ مدينة (طرابزون) ، وهى فُرْضَةٌ للروم بهذا الساحل ، ثم يمتد شَمَالًا بميلة إلىٰ مدينة (سُخُوم) ، وهى مدينة علىٰ ثلاثة أيام عن طرابزون شرقا بِشَمَالٍ ، وبينها وبين بلاد الكَرَج يوم واحد ، ويقال إنها من بلاد الكَرَج ؛ ثم يمتدّ شرقا بشمال إلىٰ مدينة (أَبْخَاس) ، وهى مدينة فى جبل علىٰ ساحل البحر علىٰ القرب من سُخُوم ؛ ثم يتضايق البحر مُغرِّبًا ويضيق من البر الآخر حتّى يتقارب البرّان ويصير

الماء بينهما مثل الخليج، وهو مصب بحر مَا نِيطِش فى بحر نِيطِش، وعلىٰ جانب هذا الخليج مدينة (الطامَانِ) من سواحل الروم: وهى حدّ بلاد الروم، من مملكة بركة المشتملة علىٰ القِرِم، ودَشْت القَبْجَاقِ، والسراى، وخُوَارِزْم علىٰ ما سيأتى بيانه فى مكاتبات القانات؛ ثم يأخذ فى الاتساع شرقا وشَمالا وغربا ويصير كالبركة، ويمتدّ علىٰ سواحل الأَزَقِ الآتى ذكرها فى مكاتبات حاكمها إلىٰ مدينة الشقراقِ، وهى أوّل بلاد الأَزَقِ، ومنها ينتهى تشريقه؛ ثم يَعْطِفُ إلىٰ الشَّمال ويأخذ إلىٰ مدينة (الأَزَقِ)، ثم يستديرُ من الأزقِ حتّى يصير إلىٰ الغرب، وينتهى إلىٰ الخليج الذى بين بحر نيطِش وبحر مانيطِش المتقدّم ذكره.

وهناك مدينة الكِرْش من بلاد الأَزَقِ مقابل مدينة الطَّامَانِ المتقدّمة الذكر من البر الآخر، ثم يمرّ جَنُوبا ويمتدّ علىٰ سواحِل القِرم الآتية الذكر فى مكاتبة حاكمها، فيمرّ إلىٰ مدينة (الكَفَا) فرضة القِرِم.

ويقابلها من البر الآخر مدينة طرابزون المتقدّمة الذكر؛ ثم يمتدّ كذلك إلىٰ مدينة صُوداقَ: وهى فُرْضة ببلاد القِرِم أيضا.

ويقابلها من البر الآخر مدينة سامسون المتقدّمة الذكر، ثم يأخذ فى الانضمام جنوبا ويعطف مشرقا بحيث يكون للبر دخلة فى البحر، ويمتدّ علىٰ سواحل بلاد البلغار إلىٰ مدينة صَارِى كِرمان من بلاذ البلغار، وبينها وبين صُلْغَات مدينة القِرِم خمسة أيام.

ويقابلها من البر الآخر مدينة سَنُوب المتقدّمة الذكر، ثم يأخذ فى الاتساع غربا بميلة إلىٰ الجنوب ويمتدّ كذلك إلىٰ مدينة أقْجا كِرمَان من بلاد البلغار، ثم يأخذ جنوبا ويمتدّ علىٰ (سواحل بلاد القُسْطَنْطِينِيَّة) إلىٰ بلدة صَقْجى، وعندها يصب نهر طُنَا (بطاء مهملة مضمومة بعدها نون وألف). وهو نهر عظيم بقدر مجموع دِجْلَةَ والفُرَات، ثم

يتضايق و يأخذ شرقا حتّى ينتهى إلىٰ أوّل الخليج القُسْطَنْطِنِىّ المتقدّم ذكره، ثم يأخذ جنوبا و يتقارب البرّانِ و يمتدّ كذلك إلىٰ مقابل مدينة كربى المتقدّمة الذكر، ثم يمتدّ كذلك إلىٰ مدينة (القُسْطَنْطِينيَّة) قاعدة ملك الروم الآتى ذكرها فى مكاتبة مَلِكها .

و يقابلها من البر الآخر قلعة الجرون المتقدّمة الذكر، ثم يمتدّ حتّى يصبّ فى بحر الروم حيث وقع الابتداء. وسيأتى الكلام علىٰ ضبط مالم يضبط من البلاد التى علىٰ ساحل هذا البحر المتقدّمة الذكر مع ذكر صفاتها عند الكلام علىٰ مكاتبات ملوكها وحُكّامها إن شاء الله تعالىٰ .

و ببحر نيطش المتقدّم ذكره علىٰ القرب من الخليج القُسْطَنْطِينىّ جزيرة (مَرْمَرا) الآتى ذكرها عند الكلام علىٰ مكاتبة مَلِكها فى جملة ملوك الكفر إن شاء الله .

البحر الثـانى

(الخارج من المحيط الشرقىّ إلىٰ جهة الغرب)

وهو بحر يخرج عند أقصىٰ بلاد الصِّينِ الشرقية الجنوبية مما يلى خط الاستواء حيث لا عرض، وقيل : علىٰ عرض ثلاث عشرة درجة فى الجنوب، و يمتدّ غربا بشَمال علىٰ (سواحل بلاد الصِّينِ) الجنوبية، ثم علىٰ المفاوز التى بين الصِّينِ والهِنْد حتّى ينتهىَ إلىٰ (جبال قامرُون) الفاصلة بين الصِّينِ والهِنْد .

قال ابن سعيد : ومدينة الملك بها فى شرقيها، ثم يجاوز (جبال قامرون) المذكورة و يمتدّ علىٰ سواحل بلاد (الهند) من الجنوب، ويمرّ علىٰ (سُفَالة الهند) وهى سُوفَارة، و يمتدّ حتّى ينتهىَ إلىٰ آخر الهند، ثم يمتدّ علىٰ مفازة السِّنْد الفاصلة بينه و بين البحر، و يمرّ حتّى ينتهىَ إلىٰ فم بحر فارس الخارج من هـذا البحر إلىٰ جهة الشَّمال علىٰ ما سيأتى ذكره إن شاء الله تعالىٰ .

ويجاوزه إلىٰ بلاد اليَمَن فيمرّ علىٰ (ساحل مَهْرَة) : أوّل بلاد اليمن، ويمتدّ من شَماليّها علىٰ سواحل اليَمَن من جنوبيه حتّى ينتهىَ إلىٰ مدينة (عَدَن) فُرْضَةِ اليمن، ثم يمرّ من عَدَن إلىٰ الشَّمال بميلة إلىٰ الغرب نحو مجرا حتّى ينتهىَ إلىٰ (باب المَنْدَب) وهو فُرْضَةٌ بين جبلين، ويخرج منه ويمتدّ غربا بميلة إلىٰ الشَّمال آثنى عشر ميلاً، ثم يعطف شَمالا ويمتدّ علىٰ سواحل اليَمَن الغربية إلىٰ (عَلاَفقَة) فرضة مدينة (زَبِيد)، ثم يمتدّ شَمالا أيضا إلىٰ مدينة (حَلْى) من أطراف اليَمَن من جهة الحجاز، وهى المعروفة بحَلْيِ آبن يعقوبَ ثم يمتدّ شَمالا علىٰ (ساحل الحجاز) إلىٰ (جُدَّة)، فرضةٌ علىٰ بحر القُلْزُمِ، ثم يمتدّ شمالا إلىٰ (الجُحْفَةِ) ميقاتِ الإحرام لأهل مصر، ثم يمتدّ شمالا بميلة إلىٰ الغرب حتّى يتصلَ بساحل (يَنْبُعَ)، ثم يأخذ بين الغرب والشَّمال حتّى يجاوز (مَدْيَنَ) الآتى ذكرها فى كُوَرِ مصر القديمة، ويمتدّ شَمالا بجنوب حتّى يقارب (أَيْلَةَ) الآتى ذكرها فى كُوَر مصر القديمة أيضا، ثم يعطف إلىٰ الجنوب حتّى يجاوز أَيْلَةَ المذكورة إلىٰ مكان يعرف (برأس أبى محمد) ويكون للبر دخلة فى البحر فى جهة الجنوب، ثم يعطف شَمالا حتّى ينتهىَ إلىٰ فُرْضَةِ (الطُّور) : وهى مكانُ حَطٍّ وإقلاعٍ لمراكب الدّيار المصرية، وما يصل إليها من اليَمَن وغيرها، ويمرّ فى الشَّمال حتّى يصل إلىٰ فُرْضَةِ (السُّوَيْس) : وهى مكانُ حَطٍّ وإقلاعٍ للديار المصرية أيضا، وعنده ينتهى بر العرب ببحر القلزم ويبتدئ بر العجم.

وهناك يقرب هذا البحر من بحر الروم علىٰ ما تقدّم ذكره فى الكلام علىٰ أصل هذا البحر.

ثم من السُّوَيْس يعطف إلىٰ الجنوب علىٰ ساحل مصر، ويمتدّ موازيا لبلاد الصعيد حتّى ينتهى إلىٰ مدينة (القُلْزُم) التى ينسب إليها هذا البحر الآتى ذكرها فى الكلام علىٰ كُوَرِ مصر القديمة، ويقابلها من بَرّ الحجاز أَيْلَةُ، ثم يأخذ عن القُلْزُم جنوبا بميلة إلىٰ الشرق حتّى يسامتَ فُرْضَةَ الطُّورِ المتقدّم ذكرها، وتصير فرضة الطُّور بين أَيْلَةَ

والقُلْزُمِ غربىَّ الدخلة المتقدّم ذكرها ؛ ثم يمتدّ كذلك حتّى ينتهى إلىٰ (القُصَيْرِ) ، فُرْضَة قُوص ؛ ثم يتسع فى جهتى الجنوب والشرق حتّى يكون آتّساعه تسعين مِيلًا ، وتسمّى تلك القطعة المتسعة بِرْكَة الغرنْدُلِ : وهى التى أغرق الله تعالىٰ فيها فرعون ؛ ثم يأخذ جنوبا بميلة يسيرة إلى الغرب إلىٰ (عَيْذابَ) ، فُرْضَةُ قُوص أيضا . ويقابلها من برّ الحجاز جُدَّةُ فُرْضَةُ مكة المشرَّفة ؛ ثم يمتدّ فى سمت الجنوب علىٰ (سواحل بلاد السودان) حتّى يصير عند (سَوَاكِنَ) من بلاد البجاة ؛ ثم يمتدّ كذلك حتّى يحيط (بجزيرة دَهْلَكَ) وهى جزيرة قريبة من ساحل هـذا البحر الغربىّ ، وأهلها من الحَبَشَـةِ المسلمين . ويقابلها من البر الآخر جنوبىُّ حَلْيِ آبن يعقوبَ من بلاد اليَمَن ، ويمتـدّ حتّى يصل إلىٰ رأس (جبل المَنْدَب) المتقدّم ذكره .

وهناك يضيق البحر حتّى يرىٰ الرجل صاحبه من البر الآخر .

ويقال : إنه بقدر رميتى سَهْم ؛ وتُرىٰ جبـال عَدَنَ من جبال المَنْدَبِ فى وقت الصحو ، ثم يتجاوز باب المَنْدَب ويأخذ شرقا وجنوبا ، ويتسع قليلا قليلا ويمرّ علىٰ بقية سواحل الحبشة حتّى يمرّ بمدينة (زَيْلَعَ) من بلاد الحبشة المسلمين .

ويقابلها عَدَن من برّ اليَمَن ، وهى عن عَدَن فى الغرب بميلة إلىٰ الجنوب ، ثم يمرّ إلىٰ مدينة مَقْدِشُو(١) ، ثم يمتدّ كذلك حتّى ينتهىَ إلىٰ (خليج بَرْبَرَا) الخارج من بحر الهند فى جانبه الجنوبىّ علىٰ ما سيأتى ذكره إن شاء الله تعالىٰ .

ويتجاوز فم هذا الخليج ويمتدّ علىٰ (سواحل بلاد الزِّنْج) حتّى ينتهىَ إلىٰ آخرها ؛ ثم يمتدّ علىٰ (سواحل بلاد الواق واق) علىٰ أماكنَ مجهولة حتّى ينتهى إلىٰ مبدئه من البحر المحيط الشرقىّ . علىٰ أنه فى تقويم البُلْدان لم يتعرّض لساحل هـذا البحر الجنوبىّ فيما هو شرقىّ باب المَنْدَبِ لعدم تحققه .

---

(١) فى تقويم البُلْدان [بكسر الدال] وفى معجم البلدان [بفتح الدال] فهما لغتان .

وآعلم أن هـذا البحر يسمّى فى كل مكان باسم ما يسامته من البُلْدان ، أو بآسم بعض البُلْدان التى عليه . فيسمّى فيما يقابل بلاد الصِّين بحرَ الصِّين ، وفيما يقابل بلاد الهِنْد إلىٰ ماجاورها إلىٰ بلاد اليمن شرقىّ باب المَنْدَبِ بحرَ الهند، وفيما دون باب المندب إلىٰ غايته فى الشمال والغرب بحرَ القُلْزُمِ نسبةً إلىٰ مدينة القُلْزُمِ المتقدّمة الذكر فى ساحل الديار المصرية .

قال فى "تقويم البُلْدان": وطول هذا البحر من طَرَف بلاد الصِّين الشرقىّ إلىٰ القُلْزُم ألفان وسبعمائة وثمانية وأربعون فرسخا بالتقريب ،ومقتضىٰ كلام آبن الأثير فى "عجائب المخلوقات" أن طوله أربعة آلاف وتسعمائة وستة وستون فرسخا وثلثان : فإنه قد ذكر أن طول بحر الصين والهند إلىٰ باب المَنْدَبِ أربعة آلاف وخمسمائة فرسخ ،ثم ذكر أن طول بحر القُلْزُمِ ألف وأربعمائة مِيلٍ ، وهى أربعمائة وستة وستون فرسخا وثلثان وبين الكلامين بَوْنٌ .

وكلام صاحب تقويم البُلْدان أقرب إلىٰ الصواب . فإنه آستخرجه من تضريب الدَّرَج وآستخراج أميالها وفراسخها . وبآخر بحر القُلْزُمِ من الذراع الآخذ إلىٰ جهة السُّوَيْس علىٰ مِيلٍ من مدينة القُلْزُمِ موضع يعرف (بذَنَب التِّمْسَاح) يتقارب بحر القلزمِ وبحر الروم فيما بينه وبين الفَرَما حتى يكون بينهما نحو سبعين مِيلا فيما ذكره ابن سعيد .

قال فى "الروض المِعطار": وكان بعض الملوك قد حفره ليوصل مابين القلزمِ وبحر الروم فلم يتأت له ذلك لآرتفاع القلزم وآنخفاض بحر الروم ،والله تعالىٰ قد جعل بينهما حاجزا كما ذكر تعالىٰ فى كتابه . قال : ولما لم يتأت له ذلك آحتفر خليجا آخر مما يلى بلاد تِنِّيسَ ودِمْياط وجرىٰ الماء فيه من بحر الروم إلىٰ موضع يعرف بقيعان (؟) .

فكانت المراكب تدخل من بحر الروم إلىٰ هذه القرية، وتدخل من بحر القُلْزُمِ إلىٰ ذَنَب التمساح فيقرب ما فى كل بحر إلىٰ الآخر، ثم ٱرتدم ذلك علىٰ طول الدّهر.

وقد ذكر ٱبن سعيد أن عمرو بن العاص كان قد أراد أن يخرق بينهما من عند ذَنَب التمساح المتقدّم ذكره فنهاه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه. وقال: إذَنْ يَتَخَطَّفُ الرومُ الحُجّاجَ.

وذكر صاحب "الروض المِعْطَار" أن الرشيد همّ أن يوصل ما بين هذين البحرين من أصل مَصَبّ النيل من بحر بلاد الحبشة وأقاصى صعيد مصر فلم يتأت له قسمة ماء النيل، فرام ذلك مما يلى بلاد الفَرَمَا فقال له يحيىٰ بن خالد: إن تَمَّ هذا تُتَخَطَّف الناسُ من المسجد الحرام ومكة، وٱحتجّ عليه بمنع عمر بن الخطاب عمرو بن العاص من ذلك، فأمسك عنه.

ويتفرّع من البحر الهندىّ بحران عظيمان مشهوران، وهما (بحر فارس، والخليج البربرىّ).

فأما بحر فارس، فهو بحر ينبعث من بحر الهند المتقدّم ذكره من شماليّه، ويمتدّ شَمَالا بميلة إلىٰ الغرب غربىّ (مفازة السِّنْدِ) الفاصلة بينه وبين بحر الهند، ثم علىٰ غربىّ بلاد السند، ثم علىٰ أرض (مُكْرَانَ) من نواحى الهند، ويخرج منه من آخر مُكْرَانَ خَوْرٌ يمتدّ شرقا وجنوبا علىٰ ساحل مُكْرَانَ والسِّنْدِ حتّى يصير السند غربيّه، ثم ينعطف آخره علىٰ (ساحل بلاد كِرْمَانَ) من شماليها حتّى يعودَ إلىٰ أصل بحر فارس، فيمتدّ شمالا حتّى ينتهىَ إلىٰ مدينة (هُرْمُوز) وينتهى إلىٰ آخر كِرْمَانَ فيخرج منه خَوْر يمتـدّ علىٰ ساحل كِرْمَانَ من شماليّها، ثم يرجع من آخره علىٰ ساحل بلاد فارس من جنوبيها حتى يتصلَ بأصل بحر فارس، ويمتدّ شَمَالا ثم يعطف ويمتـدّ مغرّبا إلىٰ (حصن ٱبن عُمَارَةَ) من بلاد فارس، وقيل من بلاد كِرْمَانَ، وهو اليوم خراب؛

ثم يمتدّ مغرّبا فى جبال منقطعة ومفاوزَ إلىٰ مدينة (سِيْرَافَ)؛ ثم يمتدّ كذلك إلىٰ (سِيفِ البحر) بكسر السين : وهو ساحل من سواحل فارس، فيه مزارع وقرى مجتمعة؛ ثم يمتدّ إلىٰ (جُنَّابَةَ) من بلاد فارس ، ثم يمتدّ إلىٰ (سِينِيزَ) من بلاد فارس ، وقيل من الأهواز ثم يمتدّ إلىٰ مدينة (مَهْرُوبَانَ) من سواحل خوزستان، وقيل من سواحل فارس، وهى فُرْضَةُ (أَرَّجَانَ) وما والاها، ثم يمتدّ مغرّبا بميلة يسيرة نحو الشَّمال إلىٰ مدينة (عَبَّادَانَ) من أواخر بلاد العِراقِ من الشرق علىٰ القرب من البَصْرَةِ عند مَصَبِّ دِجْلَةَ فى هذا البحر؛ ثم ينعطف و يمتدّ جَنُوبا إلىٰ (كَاظِمَةَ) وهى جَوْنٌ علىٰ ساحل البحرين مما يلى البصرة علىٰ مسيرة يومين منها؛ ثم يمتدّ إلىٰ (القَطِيف) من بلاد البَحْرَيْنِ ثم يمتدّ كذلك إلىٰ مدينة (عُمَانَ) فُرْضَةُ بلاد البحرين، و إليها تنتهى مراكب السند والهند والزَّنْج، ويخرج علىٰ القرب منها عن يمين المُقْلِعِ من ساحلها فى جهة الغرب بحرٌ ببلاد (الشِّحْرِ) من اليَمَن أيضا، و إليها ينسب العَنْبَر الشِّحْرِىُّ الطَّيِّبُ كما تقدّم ذكره فى النوع الخامس فيما يحتاج إليــه من نفيس الطيب؛ ثم يمرّ علىٰ سواحل (مَهْرَةَ) من شرقىّ بلاد اليمن حتّى ينتهى إلىٰ مبْدَئه من بحر الهند .

قال فى "تقويم البُلْدان": و بفم هذا البحر ثلاثة أجبُلٍ يخشاها المسافرون، يقال لأحدها كُسَيْر، والثانى عُوَيْر، والثالث ليس فيه خَيْر .

قال ابن الأثير فى "عجائب المخلوقات": وطول هذا البحر أربعمائة فرسخ وأربعون فرسخا، وعُمْقُه ثمـانون باعا .

وأما الخليج البَرْبَرِىّ، فهو ينبعث من بحر الهنــد المتقدّم ذكره فى جنوبىّ جبل المَنْــدَبِ المتقدّم الذكر، ويمتــدّ فى جنوبىّ بلاد الحبشة، ويأخذ غربا حتّى ينتهى إلىٰ مدينة بَرْبَرَا (بباءين موحدتين مفتوحتين وراءين مهملتين الأولىٰ منهما ساكنة)

وهى قاعدة الزَّغَاوَةِ من السُّودَان، حيث الطولُ ثمـان وستون درجةً والعرضُ ست درج ونصف .

قال فى "تقويم البُلْدان": وطوله من المشرق إلىٰ المغرب نحو خمسمائة مِيلٍ .

قال الشريف الإدريسىّ : وموجه كالجبال الشـواهق ولكنه لا ينكسر. قال: يركب فيه إلىٰ جزيرة قنبلو ويقال قنبلة، وهى جزيرة للزَّنْج فى هذا البحر .

قال فى "القانون": وطولها آثنتان وخمسون درجة، وعرضها فى الجنوب ثلاث درج .

قال الإدريسىّ : وأهلها مسلمون .

البحر الثـالث

(الخارج من المحيط الشمالىّ، المعروف ببحر بَرْدِيلَ)

(بفتح الباء الموحدة وسكون الراء المهملة وكسر الدال المهملة وسكون الياء المثناة تحت ولام فى الآخر) .

قال آبن سعيد : ويقال له بحر برطانية أيضا، وهو بحر يخرج من شَمالىّ الأَنْدَلُس ويأخذ شرقا إلىٰ خلف جبـل الأبواب الفاصـل بين الأَنْدَلُس والأرض الكبيرة ، ويقرب طرفه الشرقىّ حتّٰى يبقىٰ بينـه وبين بحر الروم المتقدّم ذكره أربعون مِيلًا ، وهناك مدينة (بَرْدِيلَ) التى يضاف البحر إليها .

الضـرب الثـانى

(من البحار المنبثة فى أقطار الأرض ما ليس له آتصال بالبحر المحيط)

وهو بحر الخَزَرِ (بفتح الخاء والزاى المعجمتين، وراء مهملة فى الآخر) .

ويسمّى بحر جُرْجَانَ لوقوع مدينة جُرْجَانَ علىٰ ساحله ، وبحرَ طَبَرِسْتَانَ لوقوع ناحية طَبَرِسْتَانَ علىٰ ساحله أيضا ، وهذا البحر بحر مِلْحٌ منفرد عن البحار لا ٱتصال له بغيره البتة .

قال ٱبن حوقل : وهو مظلم القعر، ويقال إنه متصل ببحر نِيطِش من تحت الأرض .

قال المسعوديّ : وهو غلط لا أصل له ، ولم أدر من أين أخذه قائله أَمِنْ طريق الحِس، أم من طريق الٱستدلال والقياس .

قال الشريف الإدريسيّ : وهو مدوّر الشكل إلىٰ الطُّول ، وقيل مثلث الشكل كالقِلْع ، وعلىٰ ساحله الجنوبيّ بلاد الجيل والدَّيْلَم ، وعلىٰ جانبه الشرقيّ بلاد جُرْجَانَ والمفـازةُ التى بين جُرْجَانَ وخُوَارِزْم ، وعلىٰ جانبه الشَّمالىّ بلاد التُّرْك والخَزَر وجبال سِيَاهْكُوهْ ، وعلىٰ جانبه الغربىّ بلاد إيلاقَ وجبال الفتيق ، وٱبتداؤه من جهة الغرب عند مدينة (باب الحديد) المعروف بباب الأبواب من بلاد أَرَّانَ ، حيث الطول ست وستون درجة ، والعرض نحو إحدىٰ وأربعين درجة علىٰ القرب من دَرْبَنْد شِرْوَانَ ، ثم يمتدّ جنوبا من باب الحديد أحدا وخمسين فرسخا ، وهنالك مصب نهر الكُرّ فيه ، ثم يمتدّ مشرقا بانحراف إلىٰ الجنوب ستة عشر فرسخا ، فيمر علىٰ أراضى مُوقان من عمل أَرْدَبِيل من أَذَرْبِيجَانَ ، ثم يمتدّ جنوبا وشرقا حتّى تبلغ غايته فى الجنوب حيث العرض سبع وثلاثون درجة قبالة مدينة (آمل) قصبة طَبَرِسْتَانَ ؛ ثم ينعطف ويمتدّ شرقا حتّى يجاوز بلاد الجيل إلىٰ مدينة آبَسْكُونَ ، وهى فُرْضَةُ جُرْجَانَ ؛ ثم يمتدّ إلىٰ نهايته فى الشرق حيث الطول ثمانون درجةً ، والعرض نحو أربعين عند مدينة جُرْجانَ ، وهى فى الشرق منه قريبة من ساحله ؛ ثم ينعطف ويمتدّ شمالا وغربا حتّى يبلغ نهايته فى الشمال حيث العرضُ نحو خمسين درجة ، والطولُ تسع وسبعون

درجة، وفى شمـاليّه وغربيّه يصبّ نهر إتِل(١) الذى عليه مدينة السراى قاعدة مملكة أزبك الآتى ذكرها فى مكاتبة قانهم إن شاء الله تعالىٰ .

قال فى "تقويم البُلْدان" : وليس فى هذا البحر جزيرة مسكونة .

الفصـــل الثـالث

من البـاب الأوّل من المقـالة الثـانية

(فى كيفية آستخراج جهات البُلْدان والأبعاد الواقعة بينها ،وفيه طَرَفان)

الطرف الأوّل

(فى كيفية آسـتخراج جهات البُلْدان)

إذا كنتَ فى بلد وأردتَ أن تعرف جهة بلد آخر عن البلد الذى أنت فيه ، فالذى أطلقه كثير من المُصَنِّفين أنك تعرف طول البلد الذى أنت فيه وعرضَه ، وطولَ البلد الآخر وعرضَه ، وتقابل بين الطولين وبين العرضين فإن كان ذلك البلد أعرضَ من بلدك مع مساواته له فى الطول ، فهو عنك فى جهة الجنوب . وإن كان أطولَ من بلدك مع مساواته له فى العرض ، فهو عنك فى جهة الشرق . وإن كان أقلّ طولا مع مساواته فى العرض ، فهو عنك فى جهة الغرب . وإن كان أطولَ وأعرضَ من بلدك ، فهو عنك بين الشرق والشّمال . وإن كان أقلّ طولا وعرضا ، فهو عنك بين المغرب والجنوب . وإن كان أقلّ طولا وأكثرَ عرضا ، فهو عنك بين الجنوب والشّمال . وإن كان أكثر طولا وأقل عرضا ، فهو عنك بين الشرق والجنوب .

والذى ذكره المحققون من علمـاء الهيئـة أن البلد إذا كان أطولَ من بلدك مع مساواته له فى العرض ، يكون عنك فى جهة الشرق بميلة إلىٰ الشّمال . وإذا كان أقلّ

(١) فى معجم البلدان بالمثناة الفوقية [بوزن إبل] .

طولا مع مساواته له فى العرض ، يكون فى جهة الغرب بميلة إلىٰ الشَّمال أيضـا . وإذا كان أقلَّ طولا وعرضا، يكون بين المغرب والجنوب علىٰ ماتقدّم، إلا أن يقلّ الفصل بينهما بأن يكون أقل من درجة ، فإنه يحتمل أن يكون كذلك وأن يكون علىٰ وسط المغرب . وإذا كان أقلَّ طولا وأكثر عرضا، فإنه يكون بين المشرق والمغرب علىٰ ماتقدّم، إلا أن يقل الفصل بينهما فيحتمل أن يكون كذلك وأن يكون علىٰ وسط المشرق .

الطرف الثـانى

(فى معرفة الأبعاد الواقعة بين البُلْدان)

قد تقـدّم أن الأطوالَ والعُرُوضَ فى الأمكنة والبُلْدان تعتبر بالدَّرَج والدّقائق، وأن الدّرجة مقسومة بسـتين دقيقة، ثم الذى حققه القدماء كَبَطْلَيْمُوسَ صاحبِ المَجَسْطِى وغيره تقدير الدّرجة بستة وستين ميلاً وثلثَىْ ميل، وبه أخذ أكثر المتأخرين، وعليه العمل . وما وقع لأصحاب الرَّصَدِ المَأْمُونِىّ مما يخالف ذلك بنقص عشر درج ممـا لا تعويل عليه .

وقد نقل علاء الدّين بن الشاطر من المتأخرين فى "زيجه" عن القدماء أنهم قدّروا الدرجة بالتقريب بعشرين فرسخا ، وبستين مِيلاً، وبمائتى ألفٍ وأربعين ألف ذراع، وبخمسة بُرُدٍ، وبمسير يومين .

وقدّر الشافعىّ رضى الله عنه ذلك بسير يومين بالأيام المعتدلة دون لياليهما، وقدّر السير بالسير المعتدل؛ وتقدير الدرجة كما بين الفُسْطَاطِ ودِمْيَاطَ، فإنّ عَرْضَ دِمْيَاطَ يزيد علىٰ عرض الفُسْطَاطِ بدرجة وكسر يسير علىٰ ما سيأتى ذكره .

فاذا أردت أن تعرف كم بين البلد الذى أنت فيه وبين بلد آخر علىٰ الخط المستقيم، فلك حالتان :

الحالة الأولى ــ أن يكون ذلك البلد علىٰ سَمْتِ بلدك الذى أنت فيه فى الطول أوالعرض، فآنظركم درجة بينهما بالزيادة والنقص فاضربه فى ست وستين، وهو ماالكل درجة من الأميال، فما خرج من الضرب فهو بُعْـد ما بينهما من الأميال علىٰ الخط المستقيم، فآعتبره بما شئتَ من المراحل والفراسخ والبُرِد علىٰ ما تقدّم بيانه .

الحالة الثانية ــ أن لايكون ذلك البلد علىٰ سَمْت بلدك الذىأنت فيه. فطريقك أن تقابل بين عَرْض بلدك وطوله، وبين عرض البلد الآخر وطوله، وتنظركم فَضْلُ ما بين الطولين وبين العرضين، وهو ما يزيده أحد الطولين أو أحدالعرضين علىٰ الآخر فتضرب كلًّا من فَضْل الطولين وفضل العرضين فى مثله، وتجمع الحاصل من الضربين فما كان خذ جَذْرَهُ، وهو القدر الذى إذا ضربتَه فى مثله حصل عنه ذلك العدد، فما بلغ فهو مقـدار ما بين بلدك والبلد الآخر من الدّرج، فآضربه فى ست وستين وثُلُثين علىٰ ما تقدّم، فما بلغ فهو أميال . فآعتبره بما شئت من المراحل والفراسخ والبُرُدِ علىٰ ما تقدّم .

مثال ذلك ــ أن الفُسْطَاطَ طوله خمس وخمسون درجة، وعرضه ثلاثون درجة ودِمَشْقَ طولُها ستون درجة، وعرضها ثلاث وثلاثوندرجة ونصفُ درجة، ففضل ما بين طوليهما خمس درج، وفضل ما بين عرضيهما ثلاث دَرَج ونصف درجة، فتضرب فضل ما بين الطولين : وهو خمس درج فىمثله يبلغ خمسا وعشرين، وتضرب فضل ما بين العرضين، وهو ثلاث ونصف فى مثله يبلغ آثنى عشر وربعا، فتجمع ما حصل من الضَّرْبَين، وهو خمس وعشرون وآثنا عشر وربع يكون سبعا وثلاثين وربعا نخذ جَذْرَها يكن ستا ونصفَ سُدُسٍ تقريبا، وهو مابين الفُسْطَاطِ ودِمَشْقَ من الدَّرَج، فاضربه فى ست وستين وثُلُثين، وهى ما للدّرجة الواحدة من الأميال يكن أربعمائة وخمسةَ أميال وثلثَ سدسِ مِيلٍ، فإذا آعتبرت كل أربعة

وعشرين مِيلًا بمرحلة علىٰ ما تقدّم، كانت سبع عشرة مرحلةً تقريبا، وهو القدر الذى بين الفُسْطَاطِ ودِمَشْقَ علىٰ الخط المستقيم .

أما الطرق المسلوكة إلىٰ البُلْدان علىٰ التعاريج بسبب البحار والجبال والأودية وغيرها، فإنها تقتضى الزيادة علىٰ ذلك .

وقد ذكر أبو الرَّيْحان البيرونىّ فى كتابه "القانون": أن زيادة التعريج علىٰ الآستواء يكون بقدر الخُمُس تقريبا. فإذا كان بين البلدين أربعون مِيلًا علىٰ الخط المستقيم كانت بحسب سير السائر خمسين مِيلًا .

قلت : وفيه نظر لطول بعض التعاريج علىٰ بعض فى الزيادة بالبحار والجبال عن الخط المستقيم علىٰ ما هو مشاهد فى الأسفار .

اللهم إلا أن يريد الغالب كما تقدّم بين الفُسْطَاطِ ودِمَشْقَ، فقد مرّ أن بينهما علىٰ الخط المستقيم سبع عشرة مرحلة بالتقريب، فإذا أضيف إليها مثلُ خمسها، وهو ثلاثة وخمسان، كانت عشرين مرحلة، وهو القدر المعتاد فى سيرها بالسير المعتدل .

وآعلم أن أطوال البُلْدان وعُرُوضَها قد وقع فى الكتب المصنفة فيها ككتاب "الأطوال" المنسوب للفُرْس . و"رسم المَعْمُورِ" المترجم للمأمون من اللغة اليونانية . و" الزيجات " وغير ذلك آختلاف كثير وتباين فاحش . وممن صرح بذكر ذلك أبو الريحان البيرونىّ فى كتابه "القانون" فقال عند ذكرها : ولم يتهيأ لى تصحيح جميعها، وقد صححتُ ما أمكن منها .

قال فى "تقويم البُلْدان": إلا أن معرفة ذلك بالتقريب خير من الجهل بالكلية .

البـاب الثـانى
من المقـالة الثـانيـــــــة

(فى ذكر الخلافة ومَنْ وليها من الخلفاء، ومَقَرّاتهم فى القديم والحديث، وما آنطوت عليه الخلافة من الممالك فى القديم، وما كانت عليه من الترتيب، وما هى عليه الآن، وفيه فصلان)

الفصـل الأوّل

فى ذكر الخلافة ومن وليهـا من الخلفاء : من خلفاء بنى أُمَيَّـة بالشام، وخلفاء بنى العبّاس بالعراق، وخلفاء الفَاطِمِيِّينَ بمصر، وخلفاء بنى أُمَيَّة بالأَنْدَلُس .

أما الخلافة، فسيأتى فى المقالة الخامسة فى الكلام على الولايات أن المراد بها خلافة النبىّ صلى الله عليه وسلم بعده فى أمته . ولذلك كان يقال لأبى بكر الصِّدِّيق رضى الله عنه : خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأن الراجح أنه لا يجوز أن يقال فى الخليفة خليفة الله إلى تمام القول فيما سيأتى ذكره هناك، إن شاء الله تعالى .

وأما مَنْ وليها من الخلفاء، فعلى أربع طبقات .

الطبقة الأولى

(الخلفاء من الصحابة رضوان الله عليهم)

وأوّلهم «أبو بكر الصدّيق رضى الله عنه»؛ بويع بالخلافة فى اليوم الذى مات فيه النبىّ صلى الله عليه وسلم ! على ما سيأتى ذكره فى الكلام على البيعات من المقـالة الخامسة إن شاء الله تعالى .

وبقى حتّى تُوُفِّىَ لتسع ليال بَقِينَ من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة من الهجرة ودفن مع النبىّ صلى الله عليه وسلم ! فى حُجْرة عائشة رضى الله عنها

وبويع بعده «عمر بن الخطاب رضى الله عنه» فى اليوم الذى مات فيه أبو بكر رضى الله عنه بعد أن عَهِدَ له بالخلافة ، وتُوُفِّى يوم السبت سلْخَ ذى الحجة الحرام سنة ثلاث وعشرين بطعنة أبى لُؤْلُؤَةَ : غلامِ المغيرة بن شعبة ، ودفن مع النبىّ صلى الله عليه وسلم وأبى بكر رضى الله عنه

وفى أيامه فتحت الأمصار ففتحت دِمَشْقُ علىٰ يد خالد بن الوليد وأبى عُبَيدة آبن الجَرَّاح ، وتبعها فى الفتح سائرُ بلاد الشام ، ففتحت بَيْسَانُ ، وطَبَرِيَّةُ ، وقَيْسَارِيَّة ، وفِلَسْطِينُ ، وعَسْقَلَانُ ، وبَعْلَبَكُّ ، وحِمْصُ ، وحَلَبُ ، وقِنَّسْرِينُ ، وأَنْطَاكِيَةُ ، وسار إلىٰ بيت المَقْدِس فى خلال ذلك ، ففتحه صُلْحًا .

وفُتِح من بلاد الجزيرة الفراتية الرَّقَّةُ ، وحَرَّانُ ، والمَوْصِلُ ، ونَصِيبِينُ ، وآمِدُ والرُّها .

وفُتِح من العراق القَادِسِيَّةُ ، والمَدَائنُ ، علىٰ يد سعد بن أبى وَقَّاصٍ ، وزال مُلْكُ الفُرْس ، وآنهزم مَلِكُهم يَزْدِجِرْدُ إلىٰ فَرْغَانَةَ من بلاد التُّرْك .

وفتحت أيضا كُوَرُ دِجْلَةَ ، والأُبُلَّةِ ، علىٰ يد عُتْبَةَ بن غَزْوَانَ .

وفتحت كُوَرُ الأَهْوَازِ علىٰ يد أبى موسىٰ الأشعرىّ .

وفتحت نَهَاوَنْدُ ، وإصْطَخْرُ ، وأَصْبَهَانُ ، وتُسْتُرُ ، والسُّوسُ ، وأَذْرَبِيجَانُ ، وبعض أعمال خُرَاسَانَ .

وفتحت مِصْرُ ، والإسْكَنْدَرِيَّةُ ، وأَنْطَابُلُسُ ، وهى بَرْقَةُ ، وطَرَابُلُسُ الغرب ، علىٰ يد عمرو بن العاص .

وبويع بالخلافة بعده «عثمان بن عَفَّانَ رضى الله عنه» لثلاث بقين من المحرّم سنة أربع وعشرين ، وقتل بالمدينة لثمانَ عشرةَ ليلة خلت من ذى الحجة سنة خمس وثلاثين ، وقيل يوم الأضحىٰ ، وقيل غير ذلك .

وبويع بالخلافة بعده ﴿عليّ كرم الله وجهه﴾ يوم قَتْل عثمان ، وقتل لسبعَ عشرةَ ليلة خلت من رمضان سنة أربعين من الهجرة بالعراق ، ودفن بالنَّجَف علىٰ الصحيح المشهور .

وبويع بالخلافة لابنه ﴿الحسن﴾ بالكوفة من العراق يوم قتل أبيه ، وسلم الأمر لمعاوية لخمس بقين من ربيع الأوّل سنة إحدىٰ وأربعين ، وقيل فى ربيع الآخر ، وقيل فى جمادىٰ الأولىٰ ، ولحق بالمدينة فأقام بها إلىٰ أن تُوفِّى بها فى ربيع الأوّل سنة تسع وأربعين ، وقيل ست وخمسين .

الطبقـــة الثـانية
(خلفاء بنى أمية)

أوّلهم ﴿مُعَاوِيَةُ بن أبى سُفْيَانَ﴾ كان أميرا علىٰ الشام فى خلافة عمر بن الخَطَّاب رضى الله عنه ، واستمرَّ بها إلىٰ أن سلم الحسنُ إليه الأمرَ ، فاستقلَّ بالخلافة وبقِىَ حتّىٰ توفى بدِمَشْقَ مستهلَّ رجب الفرد سنة ستين من الهجرة ، وقيل فى النصف من رجب ، وهو أوّل من رتب أمور الملك فى الإسلام .

وقام بالأمر بعده ابنه ﴿يَزِيدُ﴾ بالعهد من أبيه ؛ وبويع له بعد وفاته فى رجب سنة ستين ، وتوفى لأربع عشرة ليلة خلت من ربيع الأوّل سنة أربع وستين .

وقام بالأمر بعده ابنه ﴿مُعَاوِيَةُ﴾ وبويع له بالخلافة فى النصف من شهر ربيع الآخر سنة أربع وستين ، فأقام بالخلافة أربعين يوما ، وقيل ثلاثة أشهر ، وقيل عشرين يوما .

وقام بالأمر بعده ﴿مَرْوَانُ بن الحَكَم﴾ ؛ وبويع له بالخلافة بالجابِيَة فى رجب سنة أربع وستين ، ثم جُدّدت له البَيْعَةُ فى ذى القَعْدَةِ من السنة المذكورة ، وتُوُفِّىَ بالطاعون بدِمَشْقَ فى شهر رمضان سنة خمس وستين .

وقام بالأمر بعده آبنه ﴿عبد الملك﴾ بالعهد من أبيه، وبويع له بالخلافة فى الثالث من شهر رمضان المذكور، وتوفّى بِدِمَشْقَ منتصف شوّال سنة ست وثمانين .

وقام بالأمر بعده آبنه ﴿الوليد﴾ بالعهد من أبيه؛ وبويع له بالخلافة يوم موت أبيه، وتوفى بِدِمَشْقَ فى منتصف جمادىٰ الآخرة سنة ست وتسعين .

وقام بالأمر بعده أخوه ﴿سليمان بن عبد الملك﴾؛ وبويع له يوم موت أخيه الوليد، وكان أبوه قد عهد أن يكون هو الخليفة بعد أخيه الوليد، وتوفى بِدَابِقَ لعشر خلون من صفرَ سنة تسع وتسعين .

وقام بالأمر بعده آبن عمه ﴿عمر بن عبد العزيز﴾ بعهده له؛ وبويع له بالخلافة يوم موته، وتُوُفِّى بِخُنَاصِرَةَ لخمس وقيل لستٍّ بقين من رجب سنة إحدىٰ ومائة .

وقام بالأمر بعده ﴿يزيد بن عبد الملك بن مَرْوان﴾ بعهد من أخيه سليمان أن يكون له الأمر من بعد عمر بن عبد العزيز، وقيل بعهد من أبيه أن يكون له الأمر بعد أخيه سليمان، ولكنه سلم لآبن عمه عُمَر؛ وبويع له يوم موت عمر، وتوفى بِجَوْلاَنَ لخمس بقين من شعبان سنة خمس ومائة .

وقام بالأمر بعده أخوه ﴿هشام بن عبد الملك﴾ بعهد من أخيه يَزِيدَ؛ بويع له بالخلافة فى يوم موته، وتوفى بالرُّصَافَةِ لِستٍّ خلون من ربيع الأوّل سنة خمس وعشرين ومائة .

وقام بالأمر بعده ﴿الوليد بن يَزيدَ بن عبد الملك﴾؛ بويع له بالخلافة لثلاث خلون من ربيع الآخر سنة خمس وعشرين ومائة، وقتل لليلتين بقيتا من جمادىٰ الآخرة سنة ست وعشرين[1] .

(١) أى فكانت خلافته سنة واحدة وشهرين .

وقام بالأمر بعــده آبنه ﴿يزيد﴾ المعروف بالناقص ؛ سمى بذلك لنقصــه الجنْدَ ما كان زادهم يَزِيدُ، بويع له بالخلافة يوم قَتْلِ الوليد، وتوفى بدِمَشْق لعشر بقين من ذى الحجة من السنة المذكورة .

وقام بالأمر بعــده أخوه ﴿إبراهيم بن الوليد﴾ ؛ بويع له بالخلافة بعد وفاة أخيه فى ذى الحجة المذكور، فمكث أربعة أشهر، وقيل أربعين يوما ثم خلع نفسه .

وقام بالأمر بعــده ﴿مَرْوان بن محمد بن مروان بن الحكم الجعــدىّ﴾ بتسليم إبراهيم بن الوليد الأمرَ إليه ؛ وفى أيامه ظهرت دعوة بنى العبّاس، وقصدته جيوشهم فهرب إلىٰ مصر، فأُدْرِك وقتل بقرية يقال لها بُوصِير من الفَيُّومِ، و بزواله زالت دولة بنى أُمَيَّةَ .

الطبقـــة الثـالثة

(خلفاء بنى العَبّاسِ بالعِــرَاق)

وأوّل من قام بالأمر منهم بعــد خلفاء بنى أُمَيَّــةَ ﴿السَّــفَّاحُ﴾ وهو أبو العبّاس عبد الله بن محمد بن علىّ بن عبد الله بن العباس : عم النبىّ صلى الله عليه وسلم ؛ بويع له بالخلافة بالكوفة لثلاث عشرة ليلة خلت من ربيع الآخر سنة آثنتين وثلاثين ومائة، وتوفى بالأنبار لثلاث عشرة خلت من ذى الحجة سنة ست وثلاثين ومائة .

وقام بالأمر بعــده أخوه ﴿المنصور﴾ أبو جعفر عبد الله ؛ بويع له بالخلافة يوم موت أخيه السَّفَّاحِ، وتوفى بطريق مكة وهو محرم بالحج سنة ثمانٍ وخمسين ومائة، ودفن بالحَجُونِ .

وقام بالأمر بعده آبنه ﴿المَهْدِىّ﴾ أبو عبد الله محمد ؛ بويع له بالخلافة يوم مات أبوه بطريق مكة وهو يومئذ ببغداد، وتوفى بماسَبَذانَ فى المحرّم سنة تسع وستين ومائة .

وقام بالأمر بعده آبنه ﴿الهادى﴾ أبو محمد موسىٰ ؛ بويع له بعد أبيه يوم موته وهو غائب(١)، فسار إلىٰ بغداد ودخلها بعد عشرين يوما، وتوفى لأربع عشرة ليلة خلت من ربيع الأوّل سنة سبعين ومائة .

---

(١) وكان مقيما بجرجان يحارب أهل طبرستان بعسكر أبيه .

وقام بالأمر بعده (الرشيد) أبو محمد هرون بن المَهْدىّ؛ بويع له بالخلافة ليلة مات أخوه الهادى، وتوفى ليلة السبت لثلاث خلون من جمادى الآخرة سنة ثلاث وتسعين ومائة .

وقام بالأمر بعده ٱبنه (الأمين) أبو عبد الله محمد، ويقال أبو موسى، ويقال أبو العبّاس، بالعهد من أبيه هرون الرشيد؛ وبويع له صبيحة الليلة التى توفى فيها أبوه الرشيد، وقتل لخمس بقين من المحرّم سنة ثمان وتسعين ومائة .

ثم قام بالأمر بعده أخوه (المأمون) أبو العبّاس، ويقال أبو جعفر عبد الله، بالعهد له من أبيه الرشيد أن يكون له الأمر بعد أخيه الأمين؛ وبويع له بالخلافة يوم قتل أخيه الأمين ببغداد وهو غائب؛ وبويع له البيعة العامة لخمس بقين من المحرّم سنة ثمان وتسعين ومائة، وتوفى بأرض الروم لليلة بقيت من رجب، وقيل لثمان خلون منه سنة ثمانى عشرة ومائتين، ودفن بطَرَسُوس .

وقام بالأمر بعده أخوه (المعتصم بالله) أبو إسحاق محمد بن هرون الرشيد؛ بويع له بالخلافة يوم موت أخيه المأمون وهو يومئذ بطَرَسُوس، فسار إلى بغداد، فدخلها مستهلَّ رمضان سنة ثمانى عشرة ومائتين، وتوفى بسَامَرّا لثمانى عشرة ليلة مضت من ربيع الأوّل سنة سبع وعشرين ومائتين .

وقام بالأمر بعده ٱبنه (الواثق بالله) أبو جعفر هرون؛ بويع له بالخلافة يوم موت أبيه، وتُوُفِّى بِسُرَّمَنْ رَأَى لِستٍّ بقين من ذى الحجة سنة ٱثنتين وثلاثين ومائتين .

وقام بالأمر بعده أخوه (المتوكل على الله) أبو الفضل جعفر؛ بويع له بالخلافة يوم موت أخيه الواثق، وقتل لثلاث خلون من شوّال سنة سبع وأربعين ومائتين .

وقام بالأمر بعده ٱبنه ﴿المستنصر بالله﴾ أبو جعفر محمد؛ بويع له بالخلافة صبيحة قتل أبيـه المتوكل، وتوفى بسَامَرّا لثلاث خلون من ربيع الآخر، وقيل لخمس خلون من ربيع الأوّل سنة ثمان وأربعين ومائتين .

وقام بالأمر بعده ﴿المسـتعين بالله﴾ أبو العباس أحمد بن المعتصم بالله المتقدّم ذكره؛ بويع له بالخلافة فى اليوم الثانى من موت المستنصر، وخلع نفسه لأربع خلون من ربيع الآخر ســنة ثمـان وأربعين ومائتين، وجهّز إلىٰ واسط، فقتــل بها فى آخر رمضان من السنة المذكورة .

وقام بالأمر بعــده ﴿المُعتَزّ بالله﴾ أبو عبد الله محمد، وقيل أبو الزبير ٱبن المتوكل علىٰ الله المتقدّم ذكره؛ بويع له ببغداد حين خلع المستعينُ نفسَه، وبايعه المستعين فيمن بايع، وخلع لثلاث بقين من رجب سنة خمس وخمسين ومائتين، ثم قتل بعد ذلك .

وقام بالأمر بعــده ﴿المهتدى بالله﴾ أبو عبــد الله ، ويقال أبو جعفر محمد بن الواثق بالله المتقدّم ذكره؛ بويع له بالخلافة بعد ليلتين من خلع المعتز بالله، وقتل لأربع عشرة ليلة خلت من رجب ســنة ست وخمســين ومائتين؛ وكانـــ يقــال هو فى بنى العبّاس مثل عمر بن عبد العزيز فى بنى أُمَيَّةَ .

وقام بالأمر بعــده ﴿المعتمد علىٰ الله﴾ أبو العباس ، ويقال أبو جعفر أحمد بن جعفر المتوكل المتقدّم ذكره؛ بويع له بالخلافة يوم قتل المهتدى بالله، وتوفى لإحدىٰ عشرة ليلة بقيت من رجب سنة تسع وسبعين ومائتين .

وقام بالأمر بعده ﴿المعتضد بالله﴾ أبو العباس أحمد بن الموفق، طلحة بن جعفر المتوكل؛ بويع له بالخلافة يوم قتل المعتمد علىٰ الله، وتوفى ببغداد لسبع وقيل لثمـان بقين من شهر ربيع الآخر سنة تسع وثمـانين ومائتين .

وقام بالأمر بعده آبنه (المكتفى بالله) أبو محمد علىّ؛ بويع له بالخلافة يوم موت أبيــه المعتضد وهو غائب بالرَّقَّة، وكتب إليه بذلك فأخذ البيعة على من عنده وسار إلى بغداد، فدخلها لثمان خلون من جمادى الأولى من سنته، وتوفى ببغــداد لثلاث عشرة ليلة، وقيل لثنتى عشرة ليلة خلت من ذى القعدة سنة خمس وتسعين ومائتين.

وقام بالأمر بعــده أخوه (المقتــدر بالله) أبو الفضــل جعفر بن المعتضد بالله المتقدّم ذكره، وخُلِـع لعشر بَقِين من ربيع الأوّل سنة ست وتسعين ومائتين.

وبويع (المرتضى بالله) أبو محمد عبد الله بن المعتز، فأقام يوما وليلة ثم آضطرب عليه الأمر فآختفى، وعاد الأمر إلى المقتدر فظفِر بابن المعتز فصادره، ثم أُخرج من دار السلطان ميِّتاً لليلتين خلَتَا من ربيع الآخر من السنة المذكورة، ثم خَلَع المقتدرُ بالله نفسَه؛ وبويع بالخلافة أخوه القاهر بالله أبو منصور محمد بن المعتضد فأقام يومين، ثم عاد الأمر إلى المقتــدر بالله وبقى حتّى قُتِل لثلاث خلون من شوّال سنة عشرين وثلثمائة.

وقام بالأمر بعــده أخوه (القاهر بالله) المتقدّم ذكره، لليلتين بقيتا من شوّال ســنة عشرين وثلثمائة، ثم خلع وسُمِلت عيناه لِستٍّ خلون من جمادى الأولى ســنة آثنتين وعشرين وثلثمائة.

وقام بالأمر بعده آبن أخيه (الراضى بالله) أبو العباس أحمد بن المقتدر بالله المتقدّم ذكره، وتوفى لستَّ عشرةَ ليلة خلت من ربيع الأوّل سنة تسع وعشرين وثلثمائة.

وقام بالأمر بعده أخوه (المتقى بالله) أبو إسحاق إبراهيم بن المقتدر بالله المتقدّم ذكره؛ بويع له بالخلافة لعشر بقين من ربيع الأوّل ســنة تسع وعشرين وثلثمائة، وخُلِـع وسُمِلت عيناه لعشر بقين من صفر سنة ثلاث وثلاثين وثلثمائة.

وقام بالأمر بعده ٱبن عمه ﴿المستكفى بالله﴾ أبوالقاسم(١) عبد الله بن المكتفى بالله المتقـدّم ذكره؛ بويع له بالخلافة يوم خلع المتقى بالله بمشـاركته(٢) له، ثم خلع وسملت عيناه فى جمادىٰ الآخرة سنة أربع وثلاثين وثلثمائة .

وقام بالأمر بعده ٱبن عمه ﴿المطيع لله﴾ أبو القاسم، ويقال أبو العباس الفضل ٱبن المقتـدر بالله المتقدّم ذكره؛ بويع له بالخلافة يوم خلع المستكفى، وخلع نفسه منها للعجز بالمرض فى الثالث عشر من ذى القعدة سنة ثلاث وستين وثلثمائة .

وولى الخلافة بعده ٱبنـه ﴿الطائع لله﴾ أبو بكر عبد الكريم؛ بويع له بالخلافة يوم خَلْع أبيـه المطيع لله، وقُبِضَ عليه لاثنتى عشرة ليلة بقيت من شعبان سـنة إحدىٰ وثمانين وثلثمائة، فخلع نفسه .

وقام بالأمر بعـده ﴿القادر بالله﴾ أبو العباس أحمد بن إسحاق؛ بويع له بالخلافة يوم خلع الطائع، وكان غائبا بالبطائح فأُحْضِر، وجدّدت له البيعة ببغداد فى شهر رمضان من السنة المذكورة، وتوفى حادى عشر ذى الحجة سنة ٱثنتين وعشرين وأربعمائة .

وقام بالأمر بعده ٱبنه ﴿القائم بأمر الله﴾ أبو جعفر عبد الله، بالعهد من أبيه، وجدّدت له البيعة بعد موت أبيه، توفى ثالث عشر شعبان سنة سبع وستين وأربعمائة .

وقام بالأمر بعده ٱبن ٱبنه ﴿المقتدى بأمر الله﴾ عبد الله [بن] ذخيرة الدّين محمد ابن القائم بأمر الله المتقدّم ذكره، وتوفى فجأة فى الخامس والعشرين من المحرم سـنة سبع وثمانين وأربعمائة .

وقام بالأمر بعده ٱبنه ﴿المستظهر بالله﴾ أبو العباس أحمد؛ بويع له بالخلافة بعد وفاة أبيه، وتوفى سادسَ عشر ربيع الآخر سنة ٱثنتَىْ عشرة وخمسمائة .

(١) كذا فى العقد أيضا وفى حياة الحيوان [أبو العباس] .
(٢) ليست هذه الكلمة فى العقد ولا فى حياة الحيوان وهى قليلة الجدوىٰ كما ترىٰ .

وقام بالأمر بعده ٱبنه «المسترشد بالله» أبو منصور الفضل ؛ بويع له بالخلافة بعد وفاة أبيــه المستظهر، وقتل فى قتال الباطنية سابعَ عشر ذى القعدة سـنة تسع وعشرين وخمسمائة .

وقام بالأمر بعـده ٱبنه «الراشـد بالله» أبو جعفر المنصور، بالعهد من أبيــه ؛ وجدّدت له البيعة يوم قتله ، وخلع فى منتصف ذى القعدة سنة ثلاثين وخمسمائة .

وقام بالأمر بعـده «المقتفى لأمر الله» أبو عبد الله محمد بن المستظهر المتقدّم ذكره ؛ بويع له بالخلافة يوم خلع الراشـد بالله ، وتوفى ثانى ربيع الأوّل سـنة خمس وخمسين وخمسمائة .

وقام بالأمر بعده ٱبنــه «المستنجد بالله» أبو المُظَفَّرِ يوسف ؛ بويع له بالخلافة يوم وفاة أبيه المقتفى ، وتوفى تاسع ربيع الآخر سنة ست وستين وخمسمائة .

وقام بالأمر بعـده ٱبنه «المستضىء بالله» أبو محمد الحســن ؛ بويع له بالخلافة يوم وفاة أبيــه المستنجد من أقاربه بَيْعَةً خاصة ، وفى عشره[1] بَيْعَةً عامة ، وتوفى ثانى ذى القعدة سنة خمس وسبعين وخمسمائة .

وقام بالأمر بعده ٱبنــه «الناصر لدين الله» أبو العباس أحمد ؛ بويع له بالخلافة يوم موت أبيه المستضىء ، وتوفى أوّل شوّال سنة ٱثنتين وعشرين وستمائة .

وقام بالأمر بعده ٱبنــه «الظاهر بأمر الله» أبو نصر محمد ؛ بويع له بالخلافة يوم موت أبيــه الناصر ، وتوفى رابع عشر رجب سنة ثلاث وعشرين وستمائة .

وقام بالأمر بعده ٱبنــه «المستنصر بالله» أبو جعفر المنصور ؛ بويع له بالخلافة يوم موت أبيه الظاهر ، وتوفى لعشر خلون من جمادى الأولى سنة أربعين وستمائة .

وقام بالأمر بعده ٱبنــه «المستعصم بالله» أبو أحمد عبـد الله ؛ بويع له بالخلافة يوم موت أبيــه المستنصر بالله ، وقتله هُولَاكُو مَلِكُ التَّتَارِ فى العشرين من المحرّم سنة

(١) أى عاشر ربيع الآخر التالى للبيعة الخاصة الواقعة فى التاسع .

ست وخمســين وستمائة . وبقتله آنقرضت الخلافة العباسية من بغداد، وهو الثامن والثلاثون من خلفاء بنى العباس ببغداد إذا عدّت خلافة آبن المعتز، وحسبت خلافة القاهر أوّلا وثانيـا خلافةً واحدة .

الطبقة الرابعـــة

(خلفاء بنى العبّاس بالديار المصرية من بَقَايا بنى العبّاس)

وأوّل من قام بأمر الخلافة بها «المستنصر بالله» أبو القاسم أحمد بن الظاهر بالله أبى نصر محمد المتقــدّم ذكره . وذلك أنه لمـا قتل التتر المستعصم المتقــدّم ذكره، وبقيت الخلافة شاغرةً نحوا من ثلاث سنين ونصف ثم قَدِمَ جماعة من عرب الحجاز إلىٰ مصر فى رجب ســنة تسع وخمسين وستمائة أيامَ الظاهر بيبرس، ومعهم المستنصر المذكور، وذكروا أنه خرج من دار الخلافة ببغداد لمّـا ملكها التَّتَرُ، فعقد الملك الظاهر له مجلسا حضره جماعة من العلماء، منهــم الشيخ عز الدّين بن عبد السلام شيخ الشافعية، وقاضى القضاة تاجُ الدين ابن بنت الأعز الشافعى، وهو يومئذ قاضى الديار المصرية بمفرده، وشهد أولئك العرب بنسبه، ثم شهد جماعة من الشهود علىٰ شهادتهم بحكم الآستفاضة، وأثبت آبن بنت الأعز نسبَه، ثم بايعه الملك الظاهر بالخلافة وأهلُ الحلّ والعقد، وآهتم الملك الظاهر بأمره، وآستخدم له عسكرا عظيما، وتوجه الملك الظاهر إلىٰ الشام وهو صحبته فجهّزه من هناك بعسكره إلىٰ بغداد طمعا أن يســتولى عليها وينتزعها من التَّـتـار، فخرج إليه التتار قبل أن يصل بغداد فقتلوه، وقتلوا غالب عسكره فى العشر الأوّل من المحرّم سنة ستين وستمائة . فكانت خلافته دون السنة، وهو أوّل خليفة لقب بلقب خليفة قبله، وكانوا قبل ذلك يلقبون بألقاب مرتَجَلَة .

وقام بالأمر بعده ﴿الحاكم بأمر الله﴾ أبوالعباس أحمد بن حسين بن أبى بكر ٱبن الأمير أبى على القبّى ٱبن الأمير حسن بن الراشد بالله أبى جعفر المنصور المتقدّم ذكره فى الخلفاء ببغداد . قدِمَ مصر سنة تسع وخمسين وستمائة ، وهو ٱبن خمسَ عشرةَ سنة فى سلطنة الظاهر بيبرس ، وقيل إن الظاهر بعث من أحضره إليه من بغداد ، وجلس له مجلسا عاما أثبتَ فيه نسبَه ، وبايعه بالخلافة فى سنة ست وستين وستمائة ، وأشركه معه فى الدعاء فى الخطبة علىٰ المنابر ، إلا أنه منعه التصرفَ والدّخول والخروج . ولم يزل كذلك إلىٰ أن ولِيَ السلطنة الملكُ الأشرف خليل بن المنصور قلاوون ، فأسكنه بالكبش بخط الجامع الطولونى ، فكان يخطب أيام الجمعة فى جامع القلعة ويصلى ، ولم يطلق تصرفه إلىٰ أن تسلطن المنصور لاچين ، فأباح له التصرف حيث شاء وأركبه معه فى الميادين ، وتوفى فى شهور سنة إحدىٰ وسبعمائة .

وقام بالأمر بعده ٱبنه ﴿المستكفى بالله﴾ أبو الربيع سليمان بالعهد من أبيه الحاكم ، وبويع له بالخلافة يوم موت أبيه ، وٱستقرّ علىٰ ما كان عليه أبوه من الركوب والنزول وركوب الميادين مع السلطان إلىٰ أن أعيد السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون إلىٰ السلطنة المرّة الثانية بعد خلع الملك المظفر بيبرس الجاشنكير فى شهور سنة تسع وسبعمائة ، فحصل عند السلطان منه وحشة ، فجهزه إلىٰ قُوصٍ ليقيم بها ، وبقى بقُوص حتّى توفى فى سنة أربعين وسبعمائة .

وولى الخلافة بعده ٱبنه ﴿المستعصم بالله﴾ أبو العباس أحمد بعهد من أبيه المستكفى بأربعين شاهدا بمدينة قوص ، ودعى له علىٰ المنابر فى العشر الأخير من شوّال سنة أربعين وسبعمائة .

ثم خلعه الناصر محمد بن قلاوون ، وبايع بالخلافة ﴿الواثق بالله﴾ أبا إسحاق إبراهيم ٱبن الحاكم بأمر الله المتقدّم ذكره ، وأمر بأن يدعىٰ له علىٰ المنابر ، وتحمل له راية الخلافة ،

فجرىٰ الأمر علىٰ ذلك. وكان قد همّ بمبايعته بعـد موت المستكفى فلم يتم له . فلما توفى الملك الناصر فى العشرين من ذى الحجة سـنة إحدىٰ وأربعين وسـبعمائة، أعيد المستعصم بالله أحمد المتقـدّم ذكره إلىٰ الخلافة بعـد خلع الواثق إبراهيم، وبقى حتّى توفى رابعَ شعبان سنة ثمان وأربعين وسبعمائة .

ثم ولى الخلافة بعده أخوه ﴿المعتضد بالله﴾ أبو الفتح أبو بكر بن المستكفى بالله أبى الربيع سليمان سابع عشر شعبان سنة ثمان وأربعين وسبعمائة ، وتوفى عاشر جمادىٰ الأولىٰ سنة ثلاث وستين وسبعمائة .

وولى الخلافة بعده ٱبنـه ﴿المتوكل علىٰ الله﴾ أبو عبد الله محمد بن المعتضد بالله المتقـدّم ذكره بالعهد من أبيه المعتضد، وٱستقرّ له الأمر بعد وفاة أبيه يوم الخميس ثانى عشر جمادىٰ الأولىٰ سـنة ثلاث وستين وسبعمائة، وبقى حتّى خلعه الأمير أَيْبَكْ أتابكُ العساكر فى سلطنة الملك المنصور علىّ بن الأشرف شعبان بن حسين .

وولى الخلافة مكانه ﴿المستعصم بالله﴾ أبو يحيىٰ زكريا بن الواثق إبراهيم المتقدّم ذكره ، فأقام فى الخلافة دون ثلاثة أشهر . ثم أعيد المتوكل علىٰ الله محمدبن أبى بكر إلىٰ الخلافة ثانيا فى أواخر المحرّم أو أوائل صفر سـنة تسع وسبعين وسبعمائة، وٱستمرّ حتّى قبض عليـه الظاهر برقوق وٱعتقله بقلعة الجَبَل فى مستَهَلّ شهر رجب سـنة خمس وثمانين وسبعمائة .

وولّى الخلافة مكانه ﴿الواثق بالله﴾ أبوحفص عمر بن الواثق بالله إبراهيم المتقدّم ذكره، فبقى حتّى توفى فى العشر الأول من شوّال سنة ثمـان وثمـانين وسبعمائة، فأعاد الظاهر برقوق المستعصم بالله زكريا المتقدّم ذكره ثانيا إلىٰ الخلافة، والمتوكل علىٰ الله فى الٱعتقال والناس لا يَرَوْنَ فى كل ذلك الخليفةَ غيره .

ثم عنّ للملك الظاهر برقوق بعد ذلك فأطلق المتوكل على الله من الاعتقال، وأكرمه وأحسن إليه فى ثانى جمادى الأولى سنة إحدى وتسعين وسبعمائة، وبقى فى الخلافة حتى توفى سابع عشرى شهر رجب الفرد سنة ثمان وثمانمائة .

وولى الخلافة بعده ابنه «أبو الفضل العباس ولُقِّبَ المستعينَ بالله» وبقى فى الخلافة على سَنَنِ من تقدّمه من الخلفاء العبّاسيين بالدّيار المصرية من قصور أمره على العهد إلى السلطان والدعاء له على المنابر قبل السلطان إلى أن قبض على الناصر فرج بن برقوق بالشام فى الثانى عشر من ربيع الأول من سنة خمس عشرة وثمانمائة، فاستقلّ بالأمر واستبدّ به، وأجمع له أمر الخلافة: من ضرب اسمه على السِّكَّةِ فى الدّنانير والدّراهم والدّعاء له على المنابر بمفرده، والعلامة على التقاليد والتواقيع والمكاتبات وغيرها، وفوّض أمر تدبير دولته للأمير "شيخ" وكُتب له تفويضٌ فى ورق، عرضُه ذراعٌ ونصفٌ بذراع البز، يزيد عما كان يكتب فيه للسلاطين نصف ذراع بقلم مختصر الطومار .

وكان المتولى لأمر كتابته المقرّ الشمسىّ محمد العمرى عين أعيان كُتَّاب الدّست الشريف بالأبواب الشريفة السلطانية، ونائب كاتب السر . وسيأتى ذلك فى الكلام على التواقيع فى المقالة الخامسة إن شاء الله تعالى .

وأما مقرّات الخلفاء، فهى أربع مقرّات :

المقرة الأُولى

(المدينة النبوية على ساكنها أفضل الصلاة والسلام والتحية والإكرام)

كانت مقرّة الخلفاء الراشدين إلى حين انقراضهم، وذلك أن مبدأ النبوّة كان بمكة ثم هَاجَر النبىُّ صلّى الله عليه وسلم إلى المدينة، وأقام بها حتّى تُوُفِّىَ[1] فى الثالث عشر من ربيع الأوّل سنة إحدى عشرةَ من الهجرة .

---

(١) المشهور أن وفاته يوم الاثنين الثانى عشر الخ ولكن فى العقد "لثلاث عشرة خلت من ربيع الأوّل" ولعل المؤلف اعتمده .

ثم كان بعده فى الخلافة أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علىّ، ثم الحسن إلىٰ حين سَلَّمَ الأمر لمعاوية، وإنما كان مُقام علىّ والحسن بالعراق زمن القتال بينهما وبين معاوية .

المقرّة الثانيـــــة

(الشـــأم)

وهى دار خلفاء بنى أُمَيَّة إلىٰ حين ٱنقراضهم

قد تقــدّم أن معاوية كان أميرا علىٰ الشأم قبــل الخلافة، ثم ٱستقل بالأمر حين سَــلَّم إليه الحسنُ، وبقى فى الشأم هو ومَنْ بَعْدَهُ إلىٰ حين ٱنقراض خلافتهم، فقتل مَرْوَانُ بن محمــد علىٰ ماتقدّم ذكره . وكانت دارُ إقامتهــم دِمشق، وإن نزلوا غيرها فليس لإقامة .

المقرّة الثـالثـــــة

(العِـــراق)

وهى دار خلفاء بنى العبّاس

وكان أوّل مبايعة السَّفَّاحِ به بالكوفة علىٰ ماتقدّم، ثم بنىٰ بعد ذلك بالأنْبَارِ مدينةً وسماها الهـاشمية ونزلها . فلما ولى أخوه أبو جعفر المنصورُ الخلافَةَ بعده بنىٰ بَغْدَادَ وسكنها وصارت منزلا لخلفاء بنى العبّاس بعده إلىٰ حين ٱنقراض الخلافة منها بقتل التتر المستعصمَ آخرَ خلفائهم بهـا .

المقرّة الرابعـــــة

(الديار المصرية)

وهى دار الخلافة الآن

وقد تقدّم سبب ٱنتقال الخلافة إليها بعد ٱنقراضها من بغداد فى الكلام علىٰ من ولى الخلافة من الخلفاء، فأغنىٰ عن إعادته هنا .

وقد تقدّم أن الحاكم بأمر الله ثانىَ خلفائهم بمصر أسكنه الأشرفُ خليل بن قلاوون بالكبش بخُط الجامع الطُّولُونىّ . أما الآن فاستقرّت دار الخلافة بخُطّ المشهد النفيسىّ بين مصر والقاهرة، ولا أخلىٰ الله هذه المملكة من آثار النبوّة .

الفصـــل الثــانى

من الباب الثــانى من المقالة الثــانية

(فيما ٱنطوت عليه الخلافة من الممــالك فى القديم، وما كانت عليه من الترتيب ، وما هى عليه الآن)

أما ما ٱنطوت عليه من الممــالك، فاعلم أن النبىّ صلى الله عليه وسلم قد فتح مكة وما حول المدينــة من القرىٰ كخَيبر ونحوها .

وفتح خالد بُصْرىٰ من الشأم فى خلافة أبى بكر رضى الله عنه، وهى أوّل فتح فُتِح بالشأم، ثم كانت الفتوح الكثيرة فى خلافة عمر رضى الله عنــه، ففتح بلادَ الشأم، وكُوَر دِجْلَة والأُبُلَّةِ، وكُوَرَ الأهْوَازِ، وإصْطَخْر، وأَصْبَهَان، والسُّوس، وأَذْرَبِيجان، والرَّىّ، وجُرْجَان، وقَزْوِين، وزَنْجان، وبعض أعمال خُرَاسَان، وكذلك فتحت مِصْرُ، وبَرْقَةُ، وطَرَابُلُس الغرب .

ثم فتح فى خلافة عثمان رضى الله عنــه : كَرْمَانُ، وسِجِسْتَان، ونَيْسَابُورُ، وفَارِسُ، وطَبَرَسْتَان، وهَرَاةُ، وبقية أعمال خُرَاسَانَ. وفتحت أَرْمِينِيَةُ، وحَرَّانُ، وكذلك فتحت أفْرِيقِيةُ، والأَنْدَلُس، وسدّ الإسلامُ مابين المشرق والمغرب، وكانت الأموال تُجْبىٰ من هذه الأقطار النائية والأمصار الشاسعة، فتحمل إلىٰ الخليفة، وتوضع فى بيت المال بعد تكفية الجيوش وما يجب صرفه من بيت المــال . ولم يزل الأمر علىٰ ذلك إلىٰ أثناء خلافة بنى العباس، ماعدا الأَنْدَلُس فإن بقايا خلفاء بنى أمية ٱستولَوْا عليه

حتّٰى يقال : إن الرشـيد كان يستلقى علىٰ ظهره وينظر إلى السحابة مارّة ويقول : "آذهبي إلىٰ حيث شئتِ يأتِينِي خَرَاجُكِ" ثم آضـطرب أمر الخلافة بعـد ذلك وتقاصر شأنها وآستبدّ أكثر أهل الأعمال بعَمَله من خلافة الراضى علىٰ ماسيأتى ذكره فى الكلام علىٰ ترتيب الخلافة فيما بعد إن شاء الله تعالىٰ .

وأما ترتيب الخلافة : فله حالتان ،

الحـالة الأُولىٰ

(ما كان عليه الحال فى الزمن القـــديم)

اِعلم أن الخلافة لآبتداء الأمر كانت جارية علىٰ ما أُلِفَ من سيرة النبيّ صلى الله عليه وسلم ! : من خُشونة العيش، والقُرْب من الناس، وآطّراح الخُيَـلاء وأحوال الملوك، مع ما افتتح الله تعـالىٰ علىٰ خلفاء السلف من الأقاليم، وجبى إليهم من الأموال التى لم يفُزْ عظماء الملوك بجزء من أجزائها . ونَاهيكَ أنهم فتحوا عِدّةً من الممالك العظيمة التى كانت يضرب بها المثَلُ فى عظَم قدرها، وآرتفاع شأن ملوكها، من ممالك المشرق والمغرب . حتّٰى ذكر عظماء الملوك عند بعض السلف فقال : "إنما المَلكُ الذى يأكل الشـعير ويَعُسُّ علىٰ رجليه بالليل ماشيا وقد فُتِحَتْ له مشارقُ الأرض ومغاربُها" يريد عمر بن الخطاب رضى الله عنه . ولم يزل الأمرُ علىٰ ذلك إلىٰ أن سـلَّمَ الحسنُ رضى الله عنـه الأمرَ لِمُعَاوِيَةَ ؛ وإلىٰ ذلك الإشـارة بقوله صلى الله عليه وسلم ! "الخِلَافَةُ فى أُمَّتِي ثلاثُونَ سنةً ثم مُلْكٌ بعد ذلك" فكان آخر الثلاثين خلافةَ الحسن .

فلما سلَّم الحسن رضى الله عنه لمعاوية بعد وقوع الآختلاف وتَبَايُنِ الآراء، آقتضى الحال فى زمانه إقامةَ شِعَارِ الملك، وإظهارَ أُبَّهَةِ الخِلَافة، فأخذ فى ترتيب أمور الخلافة علىٰ نظام الملك لمـا فى ذلك من إرهاب العدو وإخافتـه . بل كان ذلك شأنَه وهو

أمير بالشأم قبل أن يلى الخلافة. حتّى حكىٰ صاحب "العِقْد" وغيرُه أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه قَدِمَ الشأم فى خلافته وهو راكب علىٰ حمار، ومعه عبد الرحمن بن عوف، ومعاويةُ أميرٌ علىٰ الشام، فخرج معاوية لملاقاته فى مَوْكب عظيم، فلقيه فى طريقه فى خِفٍّ من القوم فلم يشعُرْ به وتعدّاه طالبا له؛ ثم عُرِّفَ ذلك فيما بعد، فرجع وسلَّم علىٰ أمير المؤمنين عمر، ومشىٰ إلىٰ جانبه، فلم يلتفت إليه وطال به ذلك، فقال له عبد الرحمن بن عوف: أتعبْتَ الرجل يا أمير المؤمنين، فالتفت إليه حينئذ، وقال: أنت صاحب المَوْكب الآنَ مع ما بلغنى من وقوف ذوى الحاجات ببابك ؟ — فقال: يا أمير المؤمنين: إنا بأرضٍ يكثر فيها جواسيسُ العدو فأحتاجُ أن أُظْهِر لهم من أُبَّهَةِ المُلْك والسلطان ما يَزَعُهُمْ، فإن أمرتنى به، ٱئتمرت؛ وإن نهيتَنى عنه، ٱنتهيت — فقال: إن كان ما قلتَ حَقًّا، فإنه لَرَأْىُ أديبٍ! وإن كان غيرَ حق، فإنه لَخُدْعة أريب. لا آمُرُك ولا أَنْهاك — فقال عبد الرحمن: لَحَسَنٌ يا أمير المؤمنين! ما صَدَرَ به هذا الفتىٰ عما أَوْرَدْتَه فيه — فقال: لِحُسْنِ مَصَادِرِه وموارده جَشَّمْنَاهُ ما جشمناه.

فلما صارت الخلافة إليه، زاد فى حسن الترتيب وإظهار الأُبَّهَة، وأخذ الخلفاء بعده فى مضاعفة ذلك والاحتفال به حتّى أمست الخلافة فى أغنىٰ ما يكون من ترتيب الملك، وفاقت فى ذلك الأَكَاسِرَةَ والقياصرة. بل ٱضْمَحَلَّ فى جانب الخلافة سائر الممالك العظام، وٱنطوىٰ فى ضمنها ممالك المشارق والمغارب، خصوصا فى أوائل الدّولة العباسية فى زمن الرشيد ومَنْ والاه.

حتّى يحكىٰ أن صاحب عَمُّورِيَّة من ملوك الروم كانت عنده شريفةٌ مأسورةٌ فى خلافة المُعْتَصِم فعذّبها، فصاحت وَا مُعْتَصِماه! فقال لها: لا يأتى المعتصم لخلاصك إلا علىٰ أبْلَقَ. فبلغ ذلك المعتصم، فنادىٰ فى عسكره بركوب الخيل البُلْقِ، وخرج

وفى مقدّمة عسكره أربعـةُ آلاف أبلق، وأتىٰ عَمُّورِيَّةَ فحاصرها وخلص الشريفة، وقال : ٱشهدى لى عند جدّك المصطفىٰ صلى الله عليه وسلم أنى جئت لخلاصِك، وفى مقدّمة عسكرى أربعة آلافِ أَبْلَقَ .

وقد حكىٰ ٱبن الأثير فى تاريخه : أنه لمـا وصلت رُسُل ملك الروم إلىٰ بغداد فى سنة خمس وثلثمائة فى خلافة المقتدر، رُتِّبَ من العسكر فى دار الخلافة مائة وستون ألفا ما بين راكب وراجل، ووقف بين يدى الخليفة سبعُمائة حاجب، وسبعة آلاف خادم خَصِيٍّ : أربعـة آلاف بِيض وثلاثة آلاف سُود، ووقف الغِلْمـان الحُجَرِيَّةُ الذين هم بمثابة مماليك الطباق الآن بالباب، بتمام الزينة والمناطق المُحَلَّاةِ، وزينت دار الخلافة بأنواع الأسلحة، وغرائب الزينـة، وغُشِّيت جُدْرَانُها بالستور، وفرشت أرضها بالبُسُطِ، وكان عدّة البسط ٱثنين وعشرين ألف بساط، وعدّة الستور المعلقة ثمـانيةً وثلاثين ألف ستر، منها ٱثنا عشر ألف ستر من الديباج المُذْهَبِ، وكان من جملة الزينة شجرة من الذهب والفضة بأغصانها وأوراقها، وطيورُ الذهب والفضة علىٰ أغصانها، وأعضاؤُها تتمـايل بحركات موضوعة، والطيور تُصَفِّرُ بحركات مرتبة، وألقيت المراكب والدبادب فى دِجْلَةَ بأحسن زينـة . وكان هنـاك مائة سَبُع مع مائة سَبَّاعٍ، إلىٰ غير ذلك من الاحوال الملوكية التى يطول شرحها .

هذا مع تقهقر الخلافة وٱنحطاط رتبتها يومئذ . ولم تزل الخلافة قائمةً علىٰ ترتيبٍ واحد فى النفقة والجرايات والمطابخ وإقامة العساكر إلىٰ آخر أيام الراضى بالله .

فلما ولى المُتَّقِى لله، تقاصر أمرُ الخلافة وتناقص، وقَنِـع الخلفاء من الخلافة بالدعاء علىٰ المنابر وضَرْبِ ٱسمهم علىٰ الدنانير والدراهم، وربما خطب الواحد منهم بنفسه، ومع ذلك فكان الخليفة هو الذى يولّى أربابَ الوظائف من القُضاة وغيرهم، وتكتب عنه العهود والتقاليد وغيرها لا يشاركه فى ذلك سُلْطَان .

وأما شعار الخلافة :

فمنها ــ الخَاتَمُ : والأصل فيه ماثبت فى الصحيح "أن النبىّ صلّى الله عليه وسلم ! قيل له : إن الملوك لا يَقْرءُون كتابا غير مختوم فآتّخذ خَاتَمًا من وَرِقٍ، وجعل نَقْشَهُ محمدٌ رسول الله " فلما تُوُفِّىَ رسول الله صلى الله عليه وسلم، لبسه أبو بكر بعده ثم لبسه عمر بعد أبى بكر، ثم لبسه عثمانُ بعد عمرَ، فوقع منه فى بئر فلم يُقْدَرْ عليه .

وآتخذ الخلفاء بعد ذلك خواتيمَ ، لكل خَاتَم نقشٌ يخصه، وبقى الأمر علىٰ ذلك إلىٰ آنقراض الخلافة من بَغْدَادَ .

(ومنها) البُرْدة : وهى بردة النبىِّ صلّى الله عليه وسلم التى كان الخليفة يلبسها فى المواكب .

قال آبن الأثير : وهى شَمْلَةٌ مُخَطَّطة ، وقيل كِسَاءٌ أسودُ مربَّع فيه صِغَرٌ، وقد آختلف فى وصولها إلىٰ الخلفاء .

فحكىٰ المَاوَرْدِىُّ فى الأحكام السلطانية عن أبان بن تغلب أن النبىّ صلّى الله عليه وسلم كان وَهَبها لكعب بن زُهَيْرٍ حين آمتدحه بقصيدته التى أوّلها : "بَانَتْ سُعَادُ" فآشتراها منه معاوية. والذى ذكره غيره أن كعبا لم يسمح ببيعها لمعاوية، وقال: لم أكن لأوثِر بثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدا . فلما مات كعب آشتراها معاويةُ من ورثته بعشرة آلاف درهم .

وحكى المَاوَرْدِىّ أيضا عن حَمْزَةَ بن ربيعة أن هذه البردة كان النبىّ صلّى الله عليه وسلم أعطاها لأهل أَيْلَةَ أمانًا لهم ، فأخذها منهم عبد الله بن خالد بن أبى أوفىٰ وهو عامل عليهم من قِبَلِ مَرْوانَ بن محمد آخرِ خلفاء بنى أُمَيَّةَ وبعث بها إليه ، وكانت فى خِزَانته حتّى أُخِذت بعد قتله . وقيل آشتراها أبو العبَّاس السفَّاحُ: أوّلُ خلفاء بنى العبّاس بثلثمائة دينار .

(ومنها) القَضِيب : وهو عود كان النبيّ صلّى الله عليه وسلم يأخذه بيده .

قال المـاوردىّ : وهو من تركة النبيّ صلّى الله عليه وسلم التى هى صدقة .

قلت : وكان القضيب والبردةُ المتقـدّما الذكر عند خلفاء بنى العبّاس ببغدادَ إلىٰ أن ٱنتزعهما السلطان سنجر السَّلْجُوقِىّ من المسترشد بالله، ثم أعادهما الىٰ المقتفى عند ولايته فى سنة خمس وثلاثين وخمسمائة . والذى يظهر أنها بقيت عندهم إلىٰ ٱنقضاء الخلافة من بغداد سنة ست وخمسين وستمائة فإن مقدار ما بينهما مائةٌ وإحدىٰ وعشرون سنة، وهى مدّة قريبة بالنسبة إلىٰ ماتقدّم من مدّتهما .

(ومنها) ثياب الخلافة : وقد ذكر السلطان عماد الدّين صاحب حماه فى تاريخه فى الكلام علىٰ ترجمة الملك السعيد إسماعيل أحد ملوك بنى أيوبَ باليَمَنِ أنه كان به هَوَجٌ، فٱدّعىٰ أنه من بنى أمية ولبس ثياب الخلافة، ثم قال : وكان طول الكم يومئذ عشرين شِبْرًا، فيحتمل أنه أراد زمن بنى أمية، وأنه أراد زمن بنى أيوب .

(ومنها) اللون فى الأعلام والخِلَع ونحوها .

وكان شعار بنى أُميـة من الألوان الخُضْرَة، فقد حكىٰ صاحب حماة عن الملك السعيد إسمـاعيل المتقدّم ذكره : أنه حين ٱدّعىٰ الخلافة وأنه من بنى أُمَيَّـةَ لبس الخُضْرَةَ، وهذا صريح فى أنه شِعَارُهم .

أما بنـو العباس فشـعارهم السَّوَادُ، وقد ٱختلف فى سبب ٱختيارهم السَّوَادَ، فذكر القاضى المَـاوَرْدِىّ فى كتابه "الحاوى الكبير" فى الفقه : أن السبب فى ذلك أن النبيّ صـلّى الله عليه وسلم فى يوم حُنَيْنٍ ويومِ الفَتْحِ عقد لعمه العبّاس رضى الله عنه رايةً سوداء .

وحكىٰ أبو هلال العسكرىّ فى كتابه "الأوائل" : أن سبب ذلك أن مَرْوَانَ ٱبن محمد آخِرَ خلفـاء بنى أُمَيَّةَ حين أراد قتل إبراهيم بن محمد العبّاسىّ : أولِ القائمين من بنى العبَّاس بطلب الخلافة قال لشيعته : لايَهُولنكم قتـلى،فإذا تمكنتم من أمركم فاستخلفوا عليكم أبا العبَّاس يعنى السَّـفَّاحَ ؛ فلمـا قتله مَرْوان، لبس شيعتُه عليـه السَّوادَ، فلزمهم ذلك وصار شِعَارًا لهم .

ومن غريب ماوقع مما يتعلق بذلك ما حكاه ٱبن سعيد فى "المغرب" أن الظافر الفاطمىّ أحدَ خلفاء مصر لمـا قتله وزيره عباس،بعث نساءُ الخليفة شعورَهن طىَّ الكُتُب إلىٰ الصالح طلائع بن رزيك ، وهو يومئذ والٍ بمنية بنى خَصِيبٍ[1] ، فحضر إليهـم وقد رفع تلك الشـعور علىٰ الرماح ، وأقام الرايات السود إظهارا للحرب علىٰ الظافر، ودخل القاهرة علىٰ ذلك ، فكان ذلك من الفأل العجيب ، وهو أن مصر ٱنتقلت إلىٰ بنى العباس بعد خمس عشرة سنة، ورفعت راياتهم السُّود بها .

⁂

وأما توليـة الملوك عن الخلفاء، فكان الحـال فيه مختلفا بٱعتبار السلطان بحضرة الخلافة وغيره. فإن كان الذى يوليه الخليفةُ هو السلطانَ الذى بحضرة الخلافة،كبنى بُوَيه و بنى سلجوق وغيرهم ، فقد حكىٰ ٱبن الأثير وغيره أن الســلطان طغرلبك بن ميكائيل السَّلجُوقىّ لمـا تقلد السلطنة عن "القائم بأمر الله" فى ســنة تسع وأربعين وأربعمائة،جلس له الخليفة علىٰ كرسىٍّ ٱرتفاعُه عن الأرض نحو سبعة أذْرُعٍ، وعليه البُرْدَةُ، ودخل عليــه طغرلبك فى جماعةٍ ، وأعيانُ بغداد حاضرون، فقَبَّل طغرلبك الأرضَ و يَدَ الخليفــة، ثم جلس علىٰ كرسىٍّ نُصِب له ،ثم قال رئيسُ الرؤســاء وزيرُ الخليفة عن لسان الخليفة : "إن أمير المؤمنين قد ولَّاك جميعَ ماولَّاه الله تعـالىٰ من

(١) معجم البلدان [منية أبى الخصيب] .

بلاده، وردَّ إليك أمرَ عباده، فاتق الله فيما ولّاك، وآعرف نعمته عليك" ثم خُلِعَ علىٰ طغرلبك سبعُ جبات سود بزيق واحد، وعمامة سوداء، وطُوّق بطوق من ذهب، وسُوّر بسِوَارَيْن من ذهب، وأُعْطِى سيفا بغلاف من ذهب، ولقبه الخليفة، وقرئ عهده عليه فقبل الأرض ويدَ الخليفة ثانيا وآنصرف ؛ وقد جُهِّز له فرس من إصْطَبْلَاتِ الخليفة بمَرْكَب من ذهب مقندس فركب وآنصرف إلىٰ داره، وبعث إلىٰ الخليفة خمسين ألفَ دينار، وخمسين مملوكا من الترك بخيولهم وسلاحهم مع ثياب وغيرها . ولعل هذا كان ترتيبهم فى لبس جميع ملوك الحضرة .

– وإن كان الذى يوليه الخليفة من ملوك النواحى البعيدة عن حضرة الخليفة كملوك مصر إذ ذاك ونحوهم، جهز له التشريف من بغداد صحبة رسول من جهة الخليفة، وهو جُبّة أطلس أسود بطراز مُذْهَبٍ وطوق من ذهب يجعل فى عنقه، وسِوَارَانِ من ذهب يجعلان فى يديه، وسيفٌ قِرَابُهُ مُلَبَّسٌ بالذهب، وفرس بمركب من ذهب، وعَلَمٌ أسودُ مكتوب عليه بالبياض آسم الخليفة ينشر علىٰ رأسه ، كما كان يبعث إلىٰ السلطان صلاح الدّين يوسف بن أيوب ثم أخيه العادل . فإذا وصل ذلك إلىٰ سلطان تلك الناحية، لبس الخِلْعَةَ والعمامة، وتقلد السيف وركبُ الفرس وسار فى موكبه حتّىٰ يصل إلىٰ محل ملكه . وربما جهز مع خلعة السلطان خِلَعٌ أخرىٰ لولده أو وزيره أو أحدٍ من أقاربه بحسب ما يقتضيه الحال حينئذ .

وآخر من وصلت إليه الخِلْعةُ والطوق والتقليد من ملوك بنى أيوب من بغداد الناصرُ يوسف بن العزيز بن السلطان صلاح الدين عن المستعصم فى سنة خمس وخمسين وستمائة .

وأما الوظائف المعتبرة عندهم ، فعلىٰ ضربين :

الضرب الأوّل

(وظائف أرباب السيوف ، وهى عدّة وظائف)

(منها) الوزارة فى بعض الأوقات دون بعض .

وقد ذكر القُضَاعىّ وغيره أن أوّل من لُقِّب بالوزارة فى الإسلام ، أبو سلمة ، حفص بن سليمان الخلال وزير أبى العبَّاس السَّفَّاح أوّل خلفاء بنى العبّاس ، ولم يكن ذلك قبله ، ثم جرىٰ الأمر علىٰ ذلك فى ٱتخاذ الخلفاء الوزراءَ إلىٰ ٱنقراض الخلافة ببغداد بقتل التتار المستعصمَ فى سنة ست وخمسين وستمائة ، ووزيره يومئذ مؤيد الدين بن العلقمىّ ، وقتله هولاكو ملك التتار بعد قتل المستعصم لممالأته علىٰ المستعصم مع التتار ، وهو آخر وزراء الخلافة ببغداد .

(ومنها) الحِجَابة : وكان موضوعها عندهم حفظَ باب الخليفة والٱستئذانَ للداخلين عليه ، لا التَّصدّى للحكم فى المَظَالم كما هو الآن .

وقد ذكر القضاعىّ فى " تاريخ الخلائف " ما يقتضى أن الخلفاء لم تزل تتخذ الحُجَّابَ من لَدُنِ الصِّدِّيق رضى الله عنه فَمَنْ بعده ، خلا الحسنَ بن علىّ فإنه لم يكن له حاجب .

(ومنها) وِلَاية المَظَالم : وموضوعها قَوْدُ المتظالمين إلىٰ التناصف بالرَّهْبة ، وزَجْر المتنازعين عن التجاحُد بالهيبة . كما قاله المَاوَرْدِىُّ فى " الأحكام السلطانية " وهى شبيهة بالجوبية الآن فى هذا المعنىٰ ، وكانت عندهم من أعلىٰ الوظائف وأرفعها رتبة لايتولّاها إلا ذوُو الأقدار الجليلة ، والأخطار الحفيلة .

(ومنها) النِّقَابةُ علىٰ ذوى الأنساب : كالطالبيين والعباسيين ومَنْ فى معناهم ، كما فى نِقَابة الأشراف الآن بالديار المصرية وأعمالها ، وكانت لديهم من وظائف

أرباب السيوف، ولذلك آستُصْحِبَ هذا المعنىٰ فى نقيب الأشراف الآن، فيكتب فى ألقابه الأميرىُّ، وإن كان من أرباب الأقلام علىٰ ما سيأتى ذلك فى كتابة توقيعه إن شاء الله تعالىٰ .

الضرب الثـانى

(وظائف أرباب الأقلام، وهى نوعان، دينية وديوانية)

فأما الديوانية ـ فأجلُّها الوِزَارَةُ إذا كان الوزير صاحب قَلَم . وقد مر القول فى آبتداء وزارة الخلفاء وآنتهائها فى الكلام علىٰ وزارة أرباب السيوف فى الضرب الأوّل .

وأما الدينية ـ (فمنها) القَضَاء، وكانت ولاية القضاء عن الخليفة تارةً تكون عامَّة لبغداد وأعمالها ، وتارة قاصرةً علىٰ بغداد أو أحد جانبيها .

(ومنها) الحِسْبَةُ وأمرها معروف .

(ومنها) ولاية الأوقاف والنظر عليها .

(ومنها) الولاية علىٰ المساجد والنظر فى أمر الصلاة .

ومن الوظائف الخارجة عن حضرة الخلافة لأرباب السيوف الإمارةُ علىٰ الجهاد، والإمارةُ علىٰ الحج، وغيرهما .

ومن الوظائف الخارجة عن الحضرة لأرباب الأقلام ولايةُ قضاء النواحى ، والحسبةُ بها إلىٰ غير ذلك من ولايات زعماء الذمة وغيرهم .

الحـالة الثانيـــة

ما صار إليه الأمر بعد آنتقال الخلافة إلىٰ الديار المصرية عند آستيلاء التتار علىٰ بغـداد لمـا بايع الملك الظاهر بيبرس البندقدارىّ فى سـنة تسع وخمسـين وستمائة

"المستنصر بن الظاهر" أوّل الخلفاء بمصر على ما تقدّم ذكره وكتب له عهد عنه بالسلطنة من إنشاء القاضى محيى الدّين بن عبد الظاهر، وعمل له السلطان الدّهاليز وآلات الخلافة ورتب له الجمدارية، وآستخدم له عسكرا عظيما وجهزه إلى بغداد للآستيلاء عليها فقتله التتار على ما تقدّم .

ثم لما بايع الظاهر أيضا الإمامَ "الحاكم بأمر الله" ثانىَ خلفائهم أيضا فى سنة تسع وخمسين وستمائة على ما تقدم ذكره، بقى مدة، ثم أشركه معه فى الدّعاء فى الخطبة على المنابر فى سنة ست وستين وستمائة، إلا أنه منعه من التصرف والدخول والخروج. ولم يزل كذلك إلى أن ولى السلطنةَ الملكُ الأشرفُ "خليل بن المنصور قلاوون" فأطلق سبيله، وأسكنه فى الكبش على القرب من الجامع الطُّولُونِىّ ،وكان يخطب أيام الجمع بجامع القلعة إلى أن ولى السلطنة الملكُ المنصورُ حُسَام الدّين لاچين، فأباح له التصرف والركوب إلى حيث شاء ؛ وبقى الأمر على ذلك إلى أن ولى الخلافةَ "المستعصم بالله" أبو العباس أحمد بن المستكفى بالله أبى الربيع سليمان المرّة الثانية بعد موت الملك الناصر محمد بن قلاوون، ففوّض إليه السلطان نظر المشهد النفيسىّ، وآستقرّ بأيدى الخلفاء إلى الآن .

والذى آستقرّ عليه حال الخلفاء بالديار المصرية أن الخليفة يفوّض الأمور العامة إلى السلطان، ويُكْتبُ له عنه عهدٌ بالسلطنة ويدعى له قبل السلطان على المنابر إلا فى مصلّى السلطان خاصة فى جامع مصلاه بقلعة الجبل المحروسة، ويستبدّ السلطان بما عدا ذلك : من الولاية والعزل وإقطاع الإقطاعات حتّى للخليفة نفسه، ويستأثر بالكتابة فى جميع ذلك .

قلت : ولم يزل الأمر على ذلك إلى أن قُبِض على السلطان الملك الناصر فرج آبن الظاهر برقوق بالشأم فى أوائل سنة خمس عشرة وثمانمائة على ما تقدّم ذكره،

فاستقل الإمام "المستعينُ بالله" خليفة العصر بأمر الخلافة : من الكتابة على العهود ومناشـير الإقطاعات، والتقاليد، والتواقيع، والمكاتبات وغيرها، وأُفرد بالدعاء على المنابر، وضرب آسمه على الدنانير والدراهم والطرر على ما تقـدّم ذكره فى الكلام على ترتيب الخلفاء، وهيئتِه فى لبسه عند ركوبه بالمدينة فى المواكب أو غيرها .

فعمامته مدوّرة لطيفة عليهـا رَفْرَفٌ من خَلْفه تقـدير نصف ذراع فى ثلث ذراع مرسل من أعلى عمامته إلى أسفلها ، وفوق ثيابه كامليةٌ ضـيقة الكُمِّ مُفَرَّجَةُ الذيل من خلف وتحتها قباء ضيق الكُمِّ .

أما تمليده السلطان السلطنة، فالذى رأيته فى بعض التواريخ فى عهد الإمام الحاكم بأمر الله أبى العباس : أحمد بن أبى الربيع سليمان، إلى السلطان الملك المنصور أبى بكر بن الملك الناصر محمد بن قلاوون بعد مبايعة الحاكم المذكور عند موت أبيه فى سنة آثنتين وأربعين وسبعمائة : أنه طلع القضاةُ والأمراء إلى القلعة وآجتمعوا بدار العدل، وجلس الخليفة على الدرجة الثالثة من التخت، وعليه خِلْعَةٌ خضراء، وعلى رأسه طرحة سوداء مرقومة بالبياض، وخرج السلطان من القصر إلى الإيوان من باب السرّ على العادة، فقام له الخليفة والقضاة والأمراء، وجاء السلطان فجلس على الدرجة الأولى من التخت دون الخليفة، ثم قام الخليفة فقرأ : ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ﴾ إلى آخر الآية، وأوصى السلطانَ بالرفق بالرعية، وإقامة الحق، وإظهار شعائر الإسلام ونُصْرة الدِّين ؛ ثم قال : "فوضت إليك جميع أمر المسلمين، وقلدتك ما تقلدته من أمور الدين" . ثم قرأ : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَـايِعُونَكَ إِنَّمَـا يُبَايِعُونَ اللهَ﴾ إلى آخر الآية ، ثم أُتِىَ الخليفـةُ بخِلْعَةٍ سوداءَ وعمـامة سـوداء مرقومة الطرف بالبياض ، فألبسها السلطانَ وقلّده سـيفَه، ثم أُتِى بالعهد المكتوب عن الخليفة للسلطان فقرأه القاضى علاءُ الدين بن فضل الله كاتب السر إلى آخره . فلما فرغ من قراءته، تناوله الخليفة

فكتب عليه ماصورته ـ فوّضت إليه ذلك ـ وكتب ـ أحمد بن عم محمد صلّى الله عليه وسلم ـ وكتب القضاة الأربعة شهادتهم بالتولية، ثم أُتِى بالسماط علىٰ العادة .

وأخبرنى مَنْ حضر تقليد السلطان الملك الناصر فرج بن الظاهر برقوق عن الإمام المتوكل علىٰ الله أبى الفتح : محمد المشار إليه فيما تقدّم : أنه حضر الخليفة وشيخ الإسلام سراجُ الدين البلقينىّ، والقضاة الأربعة وأهل العلم، وأمراء الدولة إلىٰ مَقْعَد بالإصْطَبْلَات السلطانية يعرف بالحرّاقة، وجلس الخليفة فى صدر المكان علىٰ مَقْعَد مفروش له، ثم أتىٰ السلطان وهو يومئذ حَدَثٌ، فجلس بين يديه، وسأله شيخ الإسلام عن بلوغه الحُلُمَ فأجاب بالبلوغ ، فخطب الخليفة خطبةً، ثم خاطب السلطان بتفويض الأمر إليه علىٰ نحو ما تقدّم ذكره ، ثم أُتِىَ الخليفةُ بخِلْعَةٍ سوداء وعمامة سوداء مرقومة فوقها طرحة سوداء مرقومة، ثم جلس الخليفة فى مكانه الذى كان جالسا فيه، ونُصِبَ للسلطان كرسىٌّ إلىٰ جانب مقعد الخليفة فجلس عليه، وجلس الأمراء والقضاة حوله علىٰ قدر منازلهم، وقد آستقرت جائزة تقليد السلطنة للخليفة ألف دينار مع قماش سكندرىّ .

أما حضوره بمجلس السلطان فى عامة الأيام، عند حضوره إلىٰ السلطان لسلام أو مُهِمٍّ أو غير ذلك، فقد أخبرنى بعض جماعة الخليفة أن الإمام المتوكلَ المتقدّمَ ذكرُه كان إذا حضر إلىٰ مجلس السلطان الظاهر، قام له ، وربما مشىٰ إليه خطوات وجلس علىٰ طَرَف المَقْعَد وأجلس الخليفة إلىٰ جانبه .

الباب الثالث

من المقالة الثانية

(فى ذكر مملكة الدّيار المصرية ومضافاتها، وفيه ثلاثة فصول)

الفصل الأوّل

(فى مملكة الدّيار المصرية ومضافاتها، وفيه طرفان)

الطرف الأوّل

(فى الدّيار المصرية، وفيه آثنا عشر مقصدا)

المقصد الأوّل

(فى فضلها ومحاسنها)

أما فضلها فقد ورد فى الكتاب والسنة ما يشهد لها بالفضيلة، ويقضى لها بالفخر قال تعالىٰ: ﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾ يريد بالقوم بنى إسرائيل، وبالأرض أرض مصر؛ ووصفها بالبركة إما بمعنىٰ الفضل كما فى قوله تعالىٰ: ﴿سُبْحَانَ الَّذِى أَسْرىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلىٰ الْمَسْجِدِ الْأَقْصىٰ الَّذِى بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾. وإما من الخصب وسعة الرزق بدليل قوله تعالىٰ مخبرا عن قوم فرعون: ﴿فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ﴾. وقال جل وعز: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلىٰ مُوسىٰ وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّآ لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً﴾ فأمر بالعبادة فى بيوتها إشارة إلىٰ شرف أرضها ورفعة قدرها.

وقد ذكر الله تعالىٰ آسمها فى غير موضع من كتابه العزيز فى ضمن قِصَص الأنبياء عليهم السلام . فقال تعالىٰ إخبارا عن يوسف عليه السلام : ﴿وَقَالَ الَّذِى اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ﴾ وفى موضع آخر . ﴿وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللهُ آمِنِينَ﴾ وقال حكاية عن فرعون لعنه الله : ﴿أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي﴾ وفى معناه قوله تعالىٰ خطابا لبنى إسرائيل : ﴿اهْبِطُوا مِصْرَ فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ﴾ علىٰ قراءة الحسن والأعمش مصر غير مصروف.

قال القضاعىّ : وكذلك قراءة من قرأ ﴿اهْبِطُوا مِصْرًا﴾ مصروفا بناء علىٰ أن مصر مذكر سمى به مذكرا فلم يمنع الصرف فيه، والتصريح بذكرها دون غيرها من الأقاليم دليل الشرف والفضل .

وقد ورد أن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال : "إِنَّكُمْ سَتَفْتَحُونَ بِلَادًا يُذْكَرُ فيها القِيراطُ فآستوْصُوا بأهلها خيرًا فإن لأهلها نَسَبًا وصِهرًا" أراد بالنسب هاجَرَ أم إسماعيل عليه السلام ، وكان بعض ملوك مصر قد وهبها لزوجته سَارَّةَ . وأراد بالصِّهر ماريةَ أمَّ إبراهيم : ولَدِ النبيّ صلى الله عليه وسلم، كان المُقَوْقِسُ قد أهداها للنبيّ صلى الله عليه وسلم فى جملة هديته .

ويروىٰ أن النبيّ صلّى الله عليه وسلم قال : "إذا فتحَ اللهُ عليكم مِصْرَ فآتّخِذوا بها جُنْدا كثيفا، فذاك خير جند الأرض، قيل : ولم ذاك يارسول الله ؟ قال : لأنهم فى رِبَاطٍ إلىٰ يوم القيامة" .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه : أن رسول الله صلّى الله عليه وسلم قال : "مِصْرُ أطيبُ الأرَضينَ ترابا وعَجَمُها أكرم العَجَم نِصَابا" .

ويقال فى التوراة : "مِصْرُ خزائنُ الله، فَمَنْ أرادها بسوء قَصَمه الله".

وقال عمرو بن العاص رضى الله عنه ولايةُ مِصْرَ جامعةً تعدِل الخلافة .

ومن كلام كعب الأحبار "مصرُ بلد معافىً من الفتن ، فمن أرادها بسوء كبه الله علىٰ وَجْهه " .

ووصفها الكِنْدِىّ فقال : جَبَلُها مُقَدس ، ونيلها مبارَك ، وبها الطُّور الذى كلَّم الله تعالىٰ عليه موسىٰ عليه السلام .

قال كعب الأحبار : كلم الله تعـالىٰ موسىٰ من الطور إلىٰ طُوًى وفى التوراة وادٍ مقدّس أفيح ، يريد وادى موسىٰ عليه السلام .

ودخلها جماعة من الأنبياء عليهم الســلام ، منهم إبراهيم ، و يعقوب ، و يوسف ، و إخوته عليهم السلام .

ونقل فى "الروض المعطار" عن الجاحظ أن عيسىٰ بْن مريم عليه السلام ولد بها بكُورةِ أَهْناسَ الآتى ذكرها فى كُوَرِ مصر المقدّســة ، وأن نخلة مريم كانت بأهناس قائمــة إلىٰ زمانه . وذكر أيضا أن موسىٰ عليه الســلام وُلِدَ بها بمدينــة أسْكَر شرقىّ النيــل ، وهى الآن قرية من الأعمــال الإطفيحية الآتى ذكرها فى أعمــال الدّيار المصرية .

وبها سجن يوسفَ عليه الســلام بمدينة بُوصير الخراب من الأعمــال الجيزية علىٰ القرب من البَدْرَشِين .

قال القُضَاعىّ : أجمع أهــل المعرفة من أهل مِصْرَ علىٰ صحة هــذا المكان ، وأن الوَحْىَ كان ينزل عليه به ، وسطحه معروف بإجابة الدّعاء .

سأل كافور الإخشيدىّ الإمامَ أبا بكر بن الحدّاد الفقيــه الشافعىّ عن موضع يستجاب فيه الدّعاء ، فأشار عليه بالدّعاء علىٰ سطح هذا السجن .

قال القضاعىّ : وعلىٰ القرب منه مسجد موسىٰ عليه السلام ، وهو مسجد مبارك .

وبسفح المُقَطَّم بالقرافة الصغرىٰ قبرُ (يَهُوذَا ورُوبِيل) من إخوة يوسف عليه السلام.

وقد روى أنه دخلها من الصحابة رضوان الله عليهم ما يزيد علىٰ مائة رجل، ودُفِن بقرافتها جماعة منهم فيما ذكره ٱبن عبد الحكم عن ٱبن لَهِيعَةَ خمسةُ نفروهم : عمرو بن العاص، وعبد الله بن حُذَافَةَ، وأبو بَصْرة الغفاريّ، وعُقْبَةُ بن عامر الجُهَنيّ، وعبد الله بن الحٰرث الزبيديّ، وهو آخرهم موتًا .

قال القُضَاعيّ : وذكر غير ٱبن لَهِيعَةَ أن مَسْلَمَةَ بن مُخَلَّدٍ الأنصاريّ أيضا مات بها، وهو أميرها .

**

أما محاسنها، فلا شك أن مصر مع ما ٱشتملت عليه من الفضائل، وحُفَّتْ به من المآثر أعظمُ الأقاليم خَطَرًا، وأجلُّها قَدْرًا، وأفخمها مملكة، وأطيبُها تُرْبَةً، وأخفُّها ماء، وأخْصَبُها زَرْعًا، وأحسنُها ثِمَارًا، وأعْدَلُها هواءً، وألطفها ساكِنًا .

ولذلك ترىٰ الناس يرحلون إليها، وُفُودا، ويَفِدُون عليها من كل ناحية، وقلَّ أن يخرج منها مَنْ دخلها، أو يرحلَ عنها من وَلَجَهَا، مع ما ٱشتملت عليه من حسن المَنْظَرِ، وبهجة الرَّوْنَقِ لا سيما فى زمن الربيع، وما يبدُو بها من الزروع التى تملأ العينَ وَسَامَةً وحُسْنًا، وتروقُ صورةً ومعنًى .

قال المسعوديّ : وصف الحكماءُ مِصْرَ فقالوا : ثلاثة أشهر لؤلؤةٌ بيضاء، وثلاثة أشهر مِسْكَةٌ سوداء، وثلاثة أشهر زُمُرُّدَةٌ خضراء، وثلاثة أشهر سَبِيكَةٌ حَمْراء .

فاللؤلؤة البيضاء، زمانَ النيل، والمِسْكَةُ السوداء زمانَ نُضُوب الماء عن أرضها والزُّمُرُّدَةُ الخضراء زمانَ طلوع زرعها، والسَّبِيكَةُ الحمراء زمانَ هَيْج الزرع وٱكْتِهاله .

وقد قيل : لو ضُرِب بينها وبين غيرها من البلاد سورٌ، لغَنِي أهلها بها عما سواها ولما ٱحتاجوا إلىٰ غيرها من البلاد . وناهيك ما أخبر الله تعالىٰ به عن فرعون مع

عتوّه وتجبّره وآدّعائه الربوبيةَ بآفتخاره بملكها بقوله : ﴿أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ .

قال آبن الأثير فى "عجائب المخلوقات" : وهى إقليم العجائب، ومعْـدن الغرائب؛ كان أهلها أهلَ مُلْك عظيم، وعز قديم؛ وإقليمها أحسنَ الأقاليم مَنْظَرًا، وأوسعها خيرا؛ وفيها من الكنوز العظيمة ما لا يدخله الإحصـاء . حتّى يقـال إنه ما فيها موضع إلا وفيه كنز .

قلت : أما ما ذكره أحمد بن يعقوبَ الكاتب فى كتابه فى "المَسَالِكِ والممـالك" من ذمّه مصر بقوله : هى بين بحر رَطْبٍ عَفِنٍ كثير البُخَارات الرديئة، يولد الأدْوَاءَ ويُفْسِد الغِذَاءَ، وبين جَبَل وبَرِّيَّابس صلْدٍ، لشدّة يبسه لا تنبت فيه خَضْراء، ولا تنفجر فيه عين ماء، فكلامُ مُتَعَصِّبٍ خرق الإجمـاع، وأتى من سخيف القول بمـا تنْفر عنه القلوب وتُمُجّه الأسمـاع؛ وكفى به نقيصة أَنْ ذَمَّ النيلَ الذى شهد العقلُ والنقل بتفضيله، وغَضّ من المُقَطَّم الذى وردت الآثار بتشريفه .

المقصـــــد الثـانى

(فى ذكر خواصها وعجائبها، وما بها من الآثار القديمة)

أما خواصُّها، فمن أعظمها خَطَرًا مَعْـدِنُ الزُّمُرُّدِ الذى لا نظير له فى سائر أقطار الأرض، وهو فى مَغَارةٍ فى جبل على ثمـانية أيام من مدينة قُوص، يوجَدُ عروقا خُضْرًا فى تطابيق حَجَرٍ أبيضَ، وأفضـله الذُّبابىُّ، وهو أقل من القليل، بل لا يكاد يوجد .

ولم يزل هـذا المعدن يستخرج منه الزُّمُرُّدُ إلى أثناء الدولة الناصرية "محمد بن قلاوون" فأهمل أمره وترك .

قال فى "مسالك الأبصار" : وجميع ملوك الأرض وأهلُ الآفاق تستمدّ منه، وقد مرّ القول عليه فى جملة الأحجار الملوكية فى أواخر المقالة الأولى .

وأعظم خطرا منه وأرفع شأنا البَلَسَانُ الذى تسميه العامّة البَلْسَم، وهو نبات يزرع ببُقْعة مخصوصة بأرض المَطَرِيَّةِ من ضواحى القاهرة على القرب من عَيْن شَمْسٍ، ويسقى من بئر مخصوصة هناك، يقال إن المسيح عليه السلام اغتسل بها حين قدمت به أُمُّه إلى مصر، والنصارى تزعم أنه حفرها بعَقِبِهِ وهو طِفْلٌ، حين وضعته أُمُّه هناك .

ومن خاصتها أن البَلَسان لا يعيش إلا بمائها ولا يوجد فى بقعة من بقاع الأرض غير هذه البقعة .

قال ابن الأثير فى "عجائب المخلوقات" : وطول هذه الأرض مِيلٌ فى مِيلٍ، وشأنه أنه يُفْصد فى شهر كيهك من شهور القِبْط، ويجمع ما يسيل من دُهْنِه ويصفى ويطبخ ويحمل إلى خِزَانة السلطان، ثم ينقل منه قَدْر معلوم إلى قلاع الشام والبيمارستان ليستعمل فى بعض الأدوية؛ وملوك النصارى من الحَبَشة والروم والفرنج يستهدُونه من صاحب مصر ويهادونه بسببه، لما يعتقدونه فيه من أثر المسيح عليه السلام فى البئر، وله عليهم بذلك اليَدُ الطُّولى والمِنَّةُ العظمى، لا يساويه عندهم ذهب ولا جوهر .

قال فى "مسالك الأبصار" : والنصارى كافَّةً تعتقد فيه ماتعتقد، وترى أنه لا يتم تنصُّر نَصْرَانِىّ حتّى يوضع شىء من هذا الدهن فى ماء المعمودية عند تغطيسه فيها .

وبها معدن النَّطْرُون، وهو منها فى مكانين .

أحدهما — بِرْكة النَّطْرون التى بالجبل الغربىّ غربىّ عمل البحيرة الآتى ذكره

فى جملة أعمالهــا المســتقرّة ، وهى من أعظم المعادن وأكثرها مُتَحَصِّلًا علىٰ حَقَارة النطرون وقلة ثمنه .

قال فى "التعريف" : لا يعرف فى الدنيا بركة صغيرة يُستَغَلُّ منها نظيرها، فإنها نحو مائة فَدّانٍ تغل نحو مائة ألف دينار .

والثـانى ـ مكان بالخَطّارة من الشرقية ، ولا يبلغ فى الجَوْدَةِ مبلغ البركة الأولىٰ ، ولا يبلغ فى المُتَحَصِّلِ قريبا من ذلك .

وبها أيضا مَعْدن الشبِّ علىٰ القرب من أُسْوان، وهو من المعادن الكثيرة المتحصِّل أيضا إلىٰ غير ذلك من الخواصّ .

وبها معدن النِّفْطِ علىٰ ساحل بحر القُلْزُمِ ، يسيل دهنه من أعلىٰ جَبَلٍ قليلا قليلا وينزل إلىٰ أسفله فيتحصل فى دِبارٍ قد وضعها له الأوّلون، وتأتى العرب فتحمله إلىٰ خزائن السلاح السلطانية .

⁂

وأما عجائبها، فكثيرة .

(منها) جبل الطير شرقىّ النيل مقابل مُنْيَةِ بنى خَصِيبٍ فيه صَدْع يأتى إليه جنس البواقير من الطير، وهو المعروف بالبَحّ فى يوم من السـنة فيضعون مناقيرهم فى ذلك الصدع واحدا بعد واحد حتى يتعلق منها واحد فى ذلك الصدع فيتركونه ويذهبون .

قال ٱبن الأثير فى "عجائب المخلوقات" : قال أبو بكر الموصلىّ : سمعت من أعيان تلك البلاد أنه إذا كان العام مخصبا ، يُقْبَض علىٰ طائرين، وإن كان متوسطا، يقبض علىٰ طائر واحد، وإن كان جَدْبًا، لم يقبض علىٰ شىء .

(ومنها) مكان بالجبل الشرقىّ عن النيل، علىٰ القرب من أَنْصِنا به تلال رمل إذا صُعِد إلىٰ أعلاها وكسح الرمل إلىٰ أسافلها سمعت له أصوات كالرعد، يسـمع من البر الغربىّ من النيل .

وقد أخبرنى بعض أهل تلك البلاد أنه إذا كان الذى صَعِد علىٰ ذلك المكان جُنُباً أو كانوا جماعة فيهم جنب، لم يسمع شىء من تلك الأصوات لو كسح الرمل .

(ومنها) مكان بالجبل المذكور علىٰ القرب من إخْمِيمَ به تِلَالُ رمل إذا كسحها الإنسان من أعلىٰ إلىٰ أسفل، عادت إلىٰ ما كانت عليه وآرتفع الرمل من أسفلها إلىٰ أعلاها.

قال فى "الروض المعطار" : وعلىٰ النيل جبل يراه أهل تلك الناحية مَنْ آنتضى سيفَهُ وأولجه فيه وقبض علىٰ مَقْبِضه بيديه جميعا، آضطرب السيفُ فى يديه وآرتعد فلا يقدِر علىٰ إمساكه ولو كان أشدّ الناس، وإذا حُدّ بحجارة هذا الجبل سِكِّينٌ أو سيف لا يؤثر فيه حديد أبدا، وجذب الإبر والمَسَالّ أشدّ جذبا من المِغْناطيس، ولا يبطل فعلها بالثوم كما يبطل المغناطيس، أما الحجر نفسه فإنه لا يجذب .

قال القُضَاعِىّ : وبجبل زماخير الساحرة يقال إن فيه خِلْقَةً من الجبل ظاهرةً مشرفةً علىٰ النيل لا يصل إليها أحد يلوح فيها خط مخلوق "باسمك اللهم". وعلىٰ القرب من الطُّور عين ماء فى أَجَمَةِ رملٍ ينبُعُ الماء من وسطها فَوَراتٍ لطيفةً وينبسط ماؤها حولها نحو الذراع، ثم يغوص فى الرمل فلا يظهر له أثر، ولا يعرف أحد إلىٰ أين يذهب، وهى علىٰ ذلك مدىٰ الدهور والأيام لا ينقطع نبعها، ولا يجتمع ماؤها فى مكان يدركه البصر، وعجائبها أكثر من أن تذكر .

المقصد الثالث

(فى ذكر نيلها ومبدئه وآنتهائه، وزيادته ونَقْصِه، وما تنتهى إليه زيادته، وما تصل إليه فى النقص قاعدتُه)

أما آبتداؤه وآنتهاؤه، فاعلم أن آبتداءه من أوّل الخراب الذى هو جنوبىّ خط الآستواء المقدّم ذكره، ولذلك عَسُرَ الوقوف علىٰ حقيقة خبره .

وقد ذكر الحكماء أنه ينحدر من جبل القمر، إما (بفتح القاف والميم كما هو المشهور، وإما بضم القاف وسكون الميم) كما نقله فى "تقويم البُلْدَان" عن ضبط ياقوت فى "المشترك" وآبن سعيد فى "معجمه".

قال فى "رسم المعمور" وطَرَفه الغَرْبىّ عند طول . . . . (١) ونصف وعرض إحدىٰ عشرة ونصف فى الجنوب، وطرفه الشرقىّ حيث الطول إحدىٰ وستون درجةً ونصف والعرض بحاله . قال فى الرسم : ولونه أحمر . وذكر الطوسىّ أنهم شاهدوه علىٰ بُعْدٍ، ولونه أبيض لما غلب عليه من الثلج . وآعترضه فى "تقويم البُلْدان" بأن عرض إحدىٰ عشرة فى غاية الحرارة لا سِيَّما فى الجنوب لحضيض الشمس .

قال بطليموس : والنيل ينحدر من الجبل المذكور من عشرة مَسِيلات، بين كل مسيلين منها درجة فى الطول المقدّم بيانه، والغربىّ منها، وهو الأوّل عند طلوع ثمان وأربعين درجة، والثانى عند طلوع تسع وأربعين، وعلىٰ ذلك حتّى يكون العاشر منها عند طلوع سبع وخمسين، كل مَسِيل منها نهر، ثم تجتمع العشرة وتصب فى بطيحتين كلُّ خمسةٍ منها تصب فى بَطِيحة، ثم يخرج من كل واحدة من البطيحتين أربعة أنهار، ثم تتفرّع إلىٰ ستة أنهار، وتسير الستة فى جهة الشمال حتّى تصب فى بحيرة مدوّرة عند خط الآستواء تعرف ببحيرة كورى، فيفترق النيل منها ثلاث فِرَق . ففرقة تأخذ شرقا وتذهب إلىٰ مَقْدَشو من بلاد الحبشة المسلمين علىٰ ساحل البحر الهندىّ مقابل بلاد اليمن . وفرقة تأخذ غربا وتذهب إلىٰ التُّكْرُور وغانةَ من مملكة مالى من بلاد السُّودان، وتمرّ حتّى تصب فى البحر المحيط الغربىّ عند جزيرة أوليل وتسمّى نيل السودان .

---

(١) بياض فى الأصل .

وفرقة تأخذ شَمَالًا ـ وهى نيل مصر ـ فيمرّ فى الشّمال علىٰ بلاد زَغَاوَة، وهى أوّل مايلقىٰ من بلاد السودان .

ثم يمرّ علىٰ بلاد النُّوبة حتّى ينتهى إلىٰ مدينتها دُنْقُلَةَ الآتى ذكرها فى الكلام علىٰ ممالك السُّودان .

ثم يمرّ شَمَالا بميلة إلىٰ الغرب إلىٰ طول إحدىٰ وخمسين، وعرض سبع عشرة علىٰ حاله .

ثم يمرّ مغرّبا بميلة قليلة إلىٰ الشّمال إلىٰ طول آثنتين وثلاثين، وعرض تسع عشرة .

ثم يرجع مُشَرِّقًا إلىٰ طول إحدىٰ وخمسين .

ثم يمرّ فى الشمال إلىٰ الجَنَادِلِ : وهو الجبل الذى ينحدر عليه النيل بين منتهىٰ مراكب النُّوبة فى آنحدارها ومراكب مصر فى صُعُودها ، حيث الطول ست وخمسون درجة، والعرضُ آثنتان وعشرون درجة .

ثم يمرّ شَمَالا إلىٰ مدينة أُسْوان الآتى ذكرها فى أعمال الدّيار المصرية علىٰ القرب من الجنادل المقدّمة الذكر .

ويمرّ شَمَالا بميلة إلىٰ الغرب إلىٰ طول ثلاث وخمسين، وعرض أربع وعشرين .

ثم يُشَرِّقُ إلىٰ طول خمس وخمسين .

ثم يأخذ فى الشمال حتّى ينتهىَ إلىٰ مدينة الفُسْطَاط الآتى ذكرها فى قواعد مصر المستقرّة .

ويمتدّ فى جهة الشّمال أيضا حتّى يصير بالقرب من قرية تسمّى شَطَّنَوْف[1] من قرىٰ مصر، من عمل مُنُوف فيفترق بفرقتين : فرقة شرقية وفرقة غربية . فأما الفرقة الشرقيـة، فتمرّ فى الشّمال حتّى تأتى علىٰ قرية تسمّى المنصورة من عمل المُرْتاحية،

(١) كذا ضبطه ياقوت بالعبارة . وقال فى القاموس " شَطَنُوف كَحَلَزُون " .

فتتشعب شُعْبتين وتمرّ الغربية منهما، وهى العظمىٰ إلىٰ دمياط من شرقيّها، وتصب فى بحر الروم حيث الطول ثلاث وخمسون درجة وخمسون دقيقة، والعرض إحدىٰ وثلاثون وخمس وعشرون دقيقة؛ وتمرّ الشرقية منهما علىٰ أُشْمُوم طَنَاح، من غربيها حتّى تجاوز بلاد المَنْزِلَة، وتصب فى بحيرة شرقىّ دِمْياط حتّى بحيرة تِنِّيس حيث الطول أربع وخمسون درجة وثلاثون دقيقة .

وأما الفرقة الغربية، فتمرّ من شَطَّنُوف المقدّم ذكرها حتّى تأتى بالقرب من قرية تسمى بأبى نُشَّابَة من عمل البحيرة، فتتشعب شعبتين، الغربية منهما، وهى العظمىٰ تأخذ شمالا بين عمل البحيرة من شرقيها وبين جزيرة بنى نصر من غربيها، والشرقية تأخذ شمالا أيضا بين جزيرة بنى نصر من شرقيها، وبين عمل الغربية من غربيها . ويسمّى هـذا البحر بحر أَبيار، ويمرّ حتّى يلتقى مع الفرقة الغربية عند قرية تسمّى الفَرَسْتَق من الغربية بالقرب من مدينة أَبْيـار المنسوب إليها البحر المقدّم ذكره، ويصـير شعبة واحدة ويمرّ حتّى يصب فى البحر الرومىّ غربىّ قرية تسمّى رشيد حيث الطول ثلاث وخمسون، والعرض إحدىٰ وثلاثون .

ومن هذه الفرقة يتفرّع خليج صغير يدخل إلىٰ بُحَيرة نَسْتَرُوه(١) الآتى ذكرها فى جملة البحيرات، ويتفرّع من كل فرقة من هـذه الفرق وما يليها من أعلىٰ النيل خُلْجانٌ يأتى ذكر المشهور منها فيما بعدُ إن شاء الله تعالىٰ .

وأما زيادته ونقصـه، فقد ٱختلف فى مَدَد زيادته : فنقل المسعودىّ عن العرب أنه يستـمدّ من الأنهـار والعيون . ولذلك تنيض الأنهـار والعيون عنـد زيادته . وإذا غاض زادت؛ ويؤيده ما روىٰ القضاعىّ بسـنده إلىٰ عبد الله بن عمرو بن العـاص أنه قال : "إنّ نيل مصر سـيدُ الأنهار، سخر الله له كلّ نهر بين

(١) كذا ضبطها المؤلف فيما يأتى وألحق بها الهاء، وكذلك ياقوت إلا أنه حذف منها الهاء : نَسْتَرُو.

المشرق والمغرب أن يُمِدّه، فأمدّته الأنهار بمائها، وفجّر الله له الأرض عيونا فانتهى جريُه إلى ما أراد الله، فأوحى الله إلى كل منها أن يرجع إلى عُنْصُره" .

ويقال عن أهل الهند زيادته ونقصه بالسيول، ويعرف ذلك بتوالى الأنواء وكثرة الأمطار، ورُكُود السحاب .

وقالت القِبْطُ : زيادته من عيون فى شاطئه رآها مَنْ سافر ولَحِق بأعاليه، ويؤيده مارواه القضاعى بسنده إلى يزيد بن أبى حبيب "أن معاوية بنَ أبى سفيان رضى الله عنه قال لكعب الأحبار : أسألك بالله! هل تجد لهذا النيل فى كتاب الله عز وجل خبرا؟ قال : إى والله ! إن الله عز وجل يُوحِى إليه فى كل عام مرتين، يوحى إليه عند خروجه، فيقول : إن الله يأمرك أن تجرىَ، فيجرى ما كتب الله له، ثم يُوحى إليه بعد ذلك، فيقول : يانيلُ إن الله يأمرك أن تنزلَ، فينزل". ولا شك أن جميع الأقوال المتقدّمة فرع لهذا القول، وهو أصل لجميعها .

وبكل حال فإنه يبدأ بالزيادة فى الخامس من بؤُونه من شهور القِبْط . وفى ليلة الثانى عشر منه يوزن الطِّينُ، ويعتبر به زيادة النيل بما أجرى الله تعالى العادة به، بأن يوزن من الطين الجافّ الذى يعلوه ماء النيل زنة ستة عشر درهما على التحرير، ويرفع فى ورقة أونحوها ويوضع فى صُنْدُوقٍ أو غير ذلك، ثم يوزن عند طلوع الشمس، فمهما زاد اعتبرت زيادته كل حبة خروب بزيادة ذراع على الستة عشر درهما .

وفى السادس والعشرين منه يُؤخذ قاع البحر وتقاس عليه قاعدة المقياس التى تبنى عليها الزيادة .

وفى السابع والعشرين ينادى عليه بالزيادة، ويحسب كل ذراع ثمانية وعشرين أصبعا إلى أن يكمل اثنى عشر ذراعا، فيحسب كل ذراع أربعا وعشرين أصبعا، فإذا وفّى ستة عشر ذراعا، وهو المعبر عنه بماء السلطان، كسر خليج القاهرة،

وهو يوم مشهود ، ومَوْسِمٌ معدود؛ ليس له نظير فى الدّنيا ؛ وفيه تكتب البشارات بوفاء النيل إلىٰ سائر أقطار المملكة، وتسير بها البُرُدُ، ويكون وفاؤه فى الغالب فى مسرىٰ من شهور القِبْطِ، وفيها جُلُّ زيادته .

وفى النيروز، وهو أوّل يوم من توت يكثر قطع الخُلْجَانِ والتُّرَع عليه ، وربما آضطرب لذلك ثم عاد .

وفى عيد الصليب ، وهو السابع عشر من توت المذكور يقطع عليه غالب بقية التُّرع .

وقد حكىٰ القُضَاعِىّ عن آبن عفير وغيره عن القِبْطِ المتقدّمين أنه إذا كان الماء فى آثنى عشر يوما من مسرىٰ آثنى عشر ذراعا ، فهى سَنَةُ ماء ، وإلا فالماء ناقص، وإذا تَمَّ الماء ستة عشر ذراعا قبل النوروز فالماء يتم ، ثم غالب وفائه يكون فى النصف الأوّل من مسرىٰ ، وربما وفّىٰ فى النصف الثانى منها ، وقد يتأخر عن ذلك .

وفى الثامن من بابه يكون نهاية زيادته .

ورأيت فى "تاريخ النيل" أنه تأخر وفاؤه فى سنة ثمان وسبعمائة إلىٰ تاسع عشر بابه فوفّىٰ ستة عشر ذراعا، وزاد أصبعين بعد ذلك فى يومين : كل يوم أصبع بعد أن آستسقىٰ الناس أربع مرات، وهذا مما لم نسمع بمثله فى دهر من الدّهور .

وقد جَرَتْ عادتُه أنه من حين آبتداءِ النداءِ بزيادته فى السابع والعشرين من بئونه إلىٰ آخر أبيب تكون زيادته خفيفة ما بين أصبعين فما حولها إلىٰ نحو العشرة، وربما زاد علىٰ ذلك . فإذا دخلتْ مسرىٰ، آشتدّت زيادته وقويت، فيزيد العشرة فما فوقها، وربما زاد دون ذلك . وأعظم ما تكون زيادته علىٰ القرب من الوفاء حتّىٰ ربما بلغ سبعين أصبعا .

ومن العجيب أنه يزيد فى يوم الوفاء سبعين أُصْبُعًا مثلا، ثم يزيد فى صبيحة يوم الوفاء أصبعين فما حولها، ويتم علىٰ ذلك . وله فى آخر بابه زيادة قليـلة يعبر عنها بصَبَةِ بابه لما يَنْصَبُّ إلىٰ النيل من ماء الأملاق .

وقد ذكر عبـد الرحمن بن عبد الله بن الحَكَم وغيره أنه لما فتح المسلمون مصر أتىٰ أهلُها إلىٰ عمرو بن العاص حين دخل شهر بـؤونه، فقالوا : أيُّها الأمير إن لِنيلنا هذا سُنَّةً لايجرى إلا بها، وهو أنه إذا كان آثنا عشر من هذا الشهر عمدنا إلىٰ جاريةٍ بِكْرٍ من أبويها فأرضيناهما فيها، وزيناها بأفضل الزينة، وألقيناها فيـه . فقال : هـذا مما لا يكون فى الإسلام، فأقاموا أبيب ومسرىٰ وهو لايزيد قليلا ولا كثيرا . فلما رأىٰ عمرو ذلك كتب إلىٰ أمير المؤمنين عُمَرَ بن الخطاب رضى الله عنه يعرّفه ذلك ، فكتب إليـه أن أصبت ، وكتب رُقْعَـةً إلىٰ النيل فيها "من عَبْدِ الله عمرَ أميرِ المؤمنين إلىٰ نيل مصر .

أما بعدُ، فإن كنتَ تجرى من قِبَلِكَ، فلا تَجْرِ ؛ وإن كان الله الواحدُ القهَّارُ الذى يُجْرِيكَ، فنسأل الله أن يُجْرِيَكَ" .

وبعث بها إليه ، فألقاها فى النيل ، وقد تهيأ أهل مصر للخروج منهـا ، فأصبحوا يوم الصليب، وقد بلغ فى ذلك اليوم ستة عشر ذراعا .

ويروىٰ أنه وقع مثـل ذلك فى زمن موسىٰ عليه السـلام ، وهو أنّ موسىٰ عليه السلام دعا علىٰ آل فِرْعَوْنَ، فحبس الله عنهم النيل حتّٰى أرادوا الجَلَاء، فَرَغِبوا إلىٰ موسىٰ فدعا لهم بإجراء النيل رجاء أن يؤمنوا، فأصبحوا وقد أجراه الله فى تلك الليلة ستة عشر ذراعا .

ورأيت فى "تاريخ النيل" المتقدّم ذكره : أنه فى زمن المستنصر أَحَدِ خلفاء الفاطميين

بمصر مكث النيــل سنتين لم يطْلُع ،وطلع فى السنة الثالثة وأقام إلىٰ الخامسة لم ينزل ، ثم نزل فى وقتــه ونَضَب المـاء عن الأرض ، فلم يوجد من يزرعها لقــلة النــاس ؛ ثم طلع فى السنة السادسة وأقام حتّٰى فرغت السابعة ، ولم يبق إلا صُبَابة من الناس ، ولم يبق فى الأقاليم مايمشى علىٰ أربع غير حمار يركبه الخليفة المستنصر ،وأنه وفّٰى ست عشرة ذراعا[1] فى ليلة واحدة بعــد أن كان يخاض من بَرّ إلىٰ بَرّ ؛ وأقل ما آنتهىٰ إليه قاع النيل فى النقص ذراع واحد وعشرة أصابع ، ووقع ذلك من سنة الهجرة وإلىٰ آخر الثمانمـائة مرتين فقط : المرّة الأولىٰ ــ فى سنة خمس وستين ومائة من الهجرة . وبلغ النيل فيها أربع عشرة ذراعا وأربعة عشر أصبعا . والمرّة الثانية ــ فى سنة خمس وثمـانين وأربعمائة . وبلغ فيها سبع عشرة ذراعا وخمسة أصابع .

وقد وقع مثــل ذلك فى زمانـنــا ، فى سنة ست وثمــانمــائة . وأغيىٰ ما آنتهىٰ إليــه القاعُ فى الزيادة ممــا رأيتُه مسطورا إلىٰ آخر ســنة خمس وعشرين وسبعمائة تسعة أذرع . وسمعت بعض الناس يقول إنه فى ســنة خمس وستين وسبعمائة كان القاع آثنتى عشرة ذراعا .

وأقل ما بلغ النقص فى نهاية الزيادة آثنا عشر ذراعا وأصــبعان . وذلك فى سنة أربع وعشرين وأربعمائة ،وأغيىٰ ما كان ينتهى إليه فى الزمن المتقدّم ثمانية عشر ذراعا حتّٰى تعجب النــاس من نيل بلغ تسع عشرة ذراعا فى زمن عمر بن عبد العزيز ، ثم آنتهىٰ فى المــائة السابعة إلىٰ أن صار يجاوز العشرين فى بعض الأحيان .

ومن العجيب أنه فى ســنة تسع وســبعين وثلثمائة كان القــاع علىٰ تسع أذرع ، ولم يُوفِ بل بلغ خمس عشرة ذراعا وخمس أصابع ؛ وفى سنين كثيرة كان القاع فيها

(١) الذراع والاصبع يذكران و يؤنثان وقد جريا فى كلامه تارة بالتذكير وتارة بالتأنيث وكل صحيح .

دون الذراعين ، وجاوز الوفاء إلى ثمانى عشرة ذراعا فما دونها . ولا عبرة بقول المسعودى فى "مروج الذهب" إن أقل مايكون القاع ثلاثة أذرع ، وإنه فى مثل تلك السنة يكون متقاصرا . فقد تقدم ما يخالف ذلك ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَايَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾ .

قلت : وقد جرت عادة صاحب المقياس، أنه يعتبر قياسه زمن الزيادة فى كل يوم وقت العصر، ثم ينادى عليه من الغد بتلك الزيادة أصابعَ من غير تصريح بذرع إلا أنه يكتب فى كل يوم رقاعا لأعيان الدولة من أرباب السيوف والأقلام ، كأرباب الوظائف من الأمراء، وقضاة القضاة من المذاهب الأربعة، وكاتب السرّ، وناظر الخاصّ، وناظر الجيش، والمحتسب، ومَنْ فى معناهم؛ فيذكر زيادته فى ذلك اليوم من الشهر العربى وموافقه من القِبْطِى من الأصابع وما صار إليه من الأذرع ويذكر بعد ذلك ما كانت زيادته فى العام الماضى فى ذلك اليوم من الأصابع وما صار إليه من الأذرع والبعادة بينهما بزيادة أو نقص، ولا يُطْلِع على ذلك عوامّ الناس ورَعَاعهم؛ فإذا وفى ستة عشر ذراعا صرح فى المناداة فى كل يوم بما زاد من الأصابع، وما صار إليه من الأذرع، ويصير ذلك مشاعا عند كل أحد .

وأما مقاييسه ، فقد ذكر إبراهيم بن وصيف شاه فى كتاب "العجائب" أن أوّل من وضع مقياسا للنيل (خصليم) السابع من ملوك مصر بعد الطوفان : صنع بركة لطيفة وركب عليها صورتى عُقَابٍ من نُحَاسٍ : ذكر وأنثى، يجتمع عندها كهنتهم وعلماؤهم فى يوم مخصوص من السنة، ويتكلمون بكلام فيصَفِّر أحد العقابين . فإن صفر الذكر آستبشروا بزيادة النيل . وإن صفَّرت الأنثى آستشعروا عدم زيادته فهيَّئُوا ما يحتاجون إليه من الطعام لتلك السنة .

قال المسعودى : وقد سمعتُ جماعة من أهل الخبرة يقولون : إن يوسفَ عليه السلام حين بنىٰ الأهرام اتخذ مقياسا لمعرفة زيادة النيل ونقصانه .

قال القضاعىّ : وذلك بمدينة مَنْف ، وقيل : إن النيل كان يقاس بأرض يقال لهـا علوة إلىٰ أن بنى مقياس مَنف ، وان القِبْط كانت تقيس عليه إلىٰ أن بطل .

قلت : وموضع المقياس بمَنف إلىٰ الآن معروف علىٰ القرب من الأهراء اليوسفية من جهة البلدة المعروفة بالبَدْرَشين ، وقيل كانوا يقيسونه بالرصاصة .

قال المسعودىّ : ووَضعت دَلُوكة العجوز ملكة مصر بعد فرعون مقياسا بأَنْصِنَا صغير الأذرع ، ووضعت مقياسا آخر بإخْمِيمَ ، ووضعت الرُّومُ مقياسا بقَصْرِ الشَّمع .

قال القضاعىّ : وكان المقياس قبل الفتح بقَيْسارية الأكسية بالفُسْطَاطِ إلىٰ أن ابتنىٰ المسلمون أبنيتهم بين الحصن والبحر ، ثم جاء الإسلام وفتحت مصر والمقياس بمَنف .

كان النيل يقاس بمنف ويدخل القيّاس إلىٰ الفسطاط فينادى به ، ثم بنىٰ عمرو بن العاص مقياسا باسوان ، ثم بنىٰ مقياسا بدَنْدَرَة ، ثم بنىٰ فى أيام معاوية مقياسا بأَنْصِنَا .

فلما ولى عبد العزيز بن مَرْوَانَ مصر ، بنىٰ مقياسا صغير الاذرع بحُلْوَانَ من ضواحى الفُسْطَاطِ ، ثم لما ولى أسامَةُ بن زيد التَّنُوخىّ بنىٰ مقياسا فى جزيرة الصِّنَاعة المعروفة الآن بالرَّوْضَةِ بأمر سليمان بن عبد الملك : أحد خلفاء بنى أُميَّة سنة سبع وتسعين من الهجرة ، وهو أكبرها ذَرْعا ، ثم بنىٰ المأمون[1] مقياسا أسفل الأرض بالجزيرة المذكورة فى سنة سبع وأربعين ومائتين فى ولاية يزيد بن عبد الملك[2] علىٰ مصر ، وهو المعمول عليه إلىٰ زماننا هذا .

---

(١) صوابه المتوكل كما هى عبارة المقريزى و ياقوت .

(٢) صوابه يزيد بن عبد الله التركى كما فى المقريزى .

وكانت النصارىٰ تتولّى قياسه فعزلهم المتوكل عنه ورَتَّب فيه أبا الرّداد عبدَ الله بن عبد السلام بن أبى الرّداد المؤدّب، وكان رجلا صالحا، فآستقرّ قياسه فى بَنِيهِ إلىٰ الآن؛ ثم أصلحه أحمد بن طولون فى سنة تسع وخمسين ومائتين .

ثم كل ذراع يعتبر بثمانية وعشرين أصبعا إلىٰ تمام آثنتى عشرة ذراعا، ثم يكون كل ذراع أربعةً وعشرين أصبعا ، فلما أرادوا وضعه علىٰ ستة عشر ذراعا ، وزعوا الذراعين الزائدين، وهما ثمانية وأربعون أصبعا علىٰ آثنى عشر ذراعا لكل ذراع منها أربعة أصابع ، فصار كل ذراع ثمانية وعشرين أصبعا ، وبقى الزائد علىٰ ذلك كل ذراع أربعة وعشرون أصبعا .

قال القضاعى : وكان سبب ذلك فيما ذكره الحسين[1] بن محمد بن عبد المنعم فى رسالة له أن المسلمين لما فتحوا مصر عرض علىٰ عمر بن الخطاب رضى الله عنه ما يلقاه أهلها من الغلاء عند وقوف النيل فى حدّ لمقياس لهم فضلا عن تقاصره ، ويدعوهم ذلك إلىٰ الآحتكار، والآحتكار يدعوهم إلىٰ زيادة الأسعار ، فكتب عمر إلىٰ عمرو آبن العاص يسأله عن حقيقة ذلك، فأجابه : إنى وجدت ما تروىٰ به مصر حتّى لا يَقْحَط أهلها أربع عشرة ذراعا، والحدّ الذى يروىٰ منه سائرها حتّى يفْضُل عن حاجتهم ويبقىٰ عندهم قوت سنة أخرىٰ ست عشرة ذراعا، والنهايتان المخوفتان فى الزيادة والنقصان : فى الظما والآستبحار، آثنتا عشرة ذراعا فى النقصان وثمانى عشرة ذراعا فى الزيادة . فآستشار عمر رضى الله عنه علىّ بن أبى طالب كرم الله وجهه فى ذلك ، فأشار بأن يكتب إليه أن يبنى مقياسا ، وأن يَفُضّ ذراعين علىٰ آثنتى عشرة ذراعا، ويبقى مابعدهما علىٰ الأصل .

(١) فى الخطط للقريزى " الحسن " .

قال القضاعىّ : وفى هذا نظر فى وقتنا لزيادة فساد الأنهار، وآنتقاض الأحوال، وشاهد ذلك أن المقاييس القديمة الصعيدية من أوّلهـا إلىٰ آخرها أربعـة وعشرون أصبعا كل ذراع بغير زيادة علىٰ ذلك .

قال المسعودىّ : فإذا تم النيل خمس عشرة ذراعا، ودخل فى ست عشرة، كان فيه صلاح لبعض الناس ولا يُسْتَسْقىٰ فيه، وكان فيـه نقص من خراج السلطان . وإذا آنتهت الزيادة إلىٰ سـتة عشر ذراعا، ففيـه تمـام خراج السـلطان وأخصبَ الناسُ، وفيه ظمأ ربع البلد، وهو ضارّ للبهائم لعدم المرعىٰ .

قال : وأتم الزيادات العامة النـافعة للبلد كله سبع عشرة ذراعا ، وذلك كفَافُها ورَىُّ جميع أرضها . وإذا زاد علىٰ السبع عشرة ذراعا وبلغ ثمـانى عشرة، آستبحر من مصر الربع، وفى ذلك ضرر لبعض الضِّياع . قال : وذلك أكثر الزيادات .

قلت : هـذا ما كان عليه الحال فى زمانه وما قبله وكان الحال جاريا علىٰ ماذكره فى غالب السنين إلىٰ ما بعد السبعمائة .

أما فى زماننا، فقد عَلَتِ الأرض ممـا يرسب عليها من الطين المحمول مع المـاء فى كل سـنة وضَعُفت الجسور، وصار النيـل بحكمة الله تعـالىٰ إلىٰ ثلاثة أقسام : متقاصرة وهى ست عشرة ذراعا فمـا حولهـا، ومتوسطة وهى سبع عشرة ذراعا إلىٰ ثمـان عشرة ذراعا فمـا حولهـا، وعالية وهى مافوق الثمـان عشرة، وربمـا زادت علىٰ العشرين .

المقصـــد الرابع فى ذكر خُلْجَانها،

(وخلجانها القديمة ستة خُلُجٍ)

الخليج الأوّل

(المَنْهىٰ)

وهو الخليج الذى حفره "يوسف الصدّيق عليه السلام" ومَخْرَجه بالقرب من دَرْوَة سَرَبَام، من عمل الأُشْمُونينِ الآتى ذكرها، وهى المعروفة بِدَرْوَةِ الشَّرِيف، ويأخذ شَمالا إلىٰ مدينة البهنسىٰ، ثم إلىٰ قرية اللَّاهُون من عمل البهنسىٰ، ويمرّ فى الجبل حتّى يجاوزه إلىٰ إقليم الفَيُّوم، ويمرّ بمدينته وينبثُّ فى نواحيه .

وهذا النهر من غرائب أنهار الدنيا تجِفُّ فُوَّهته فى أيام نقص النيل، وباقيه يجرى فى موضع ويجف فى آخر إلىٰ إقليم الفَيُّوم، فيجرى شتاءً وصيفًا من أعين تتفجر منه ولا يحتاج إلىٰ حفرٍ قطُّ .

ويقال: إن "يوسفَ عليه السلام" حفره بالوَحْىِ ومياهه منقسمة علىٰ ٱستحقاق مقدّرٍ، كما فى دِمَشْقَ من البلاد الشامية .

قال فى "الروض المعطار" : وكانت مَقَاسِمُه بحجر اللَّاهُون علىٰ القرب من القرية المنسوبة إليه المتقدّمة الذكر . قال : وهو من عجائب الدّنيا، وهو شاذَرْوان بين قبتين من أحكم صنعة، مُدَرّج علىٰ ستين درجة، فيها فوارات فى أعلاها وفى وسطها وفى أسفلها، يسقى الأعلىٰ الأرضَ العُلْيَا، والأوسطُ الأرضَ الوُسْطىٰ، والأسفل الأرضَ السُّفْلىٰ بوزن وقدر معلوم .

قال : ويقال إن يوسف عليه السلام عمله بالوحى، وإن مَلِكَ مِصْرَ يومئذ لما عاينه قال هذا من مَلَكُوت السماء .

ويقال إنه عمل من الفِضّــة والنُّحاس والرخام . قلت : قد ذهبت معالم هذا اللاهون وبقى بعض بنائه ونُقِلت المقاسم إلىٰ مكان آخر بالفيوم تسقى الآن الأراضى علىٰ حكمها .

ومن غرائب أمره أن به التمـاسيحَ التى لا تحصىٰ كثرةً ، ولم يشتهر فى زمن من الأزمان أنها آذتْ أحدا قطُّ .

الخليج الثـانى

(خليج القاهرة الذى يكسر سدّه يومَ وفاء النيل)

حفره عمرو بن العاص وهو أمير مصر، فى خلافة أمير المؤمنين عمر رضى الله عنه .

قال القضاعىّ : أمر بحفره عام الرَّمادة فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه وساقه إلىٰ بحر القُلْزُم، فلم يتم عليـه الحول حتّى جرَتْ فيـه السفن وحمل فيها الزاد والأطعمة إلىٰ مكَّةَ والمدينةِ، ونفع الله بذلك أهلَ الحجاز .

وذكر الكِنْدىّ فى كتاب " الجند العربى " أن حفره كان سنة ثلاث وعشرين من الهجرة، وفرغ منه فى سـتة أشهر ، وجرت فيـه السفن ووصلت إلىٰ الحجـاز فى الشهر السابع .

قال الكِنْدىّ : ولم يزل يحمل فيه الطعام حتّى حَمَلَ فيه عمر بن عبد العزيز ، ثم أضاعتـه الوُلاة فترك وغلب عليـه الرمل ، وصار منتهاه إلىٰ ذنَب التِّمساح من ناحية الطُّور والقُلْزُم .

وذكر ابن قديد : أن أبا جعفر المنصور أمر بسدّه حين خرج عليه محمد بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن علىّ بن أبى طالب ليقطع عنه الطعام .

ولم يكن عليه قنطرة إلى أن بنى عليه عبد العزيز بن مَرْوَانَ قنطرة فى سنة تسع ...[1]
وقد ذكر المسعودىّ فى " مروج الذهب " أنه آنقطع جريان هذا الخليج[2] عن الإسكندرية إلى سنة آثنتين وثلاثين وثلثمائة لردم جميعها وصار شرب أهلها من الآبار .

قال آبن عبد الظاهر : وليس لها أثر فى هذا الزمان . قال : وإنما بنى السلطان الملك الصالح أيوب آبن الملك الكامل محمد بن العادل أبى بكر بن أيوب هاتين القنطرتين الموجودتين الآن على بستان الخشاب وباب الخرق ، يعنى قنطرة السدّ وقنطرة باب الخرق فى سنة نيف وأربعين وستمائة .

وذكر فى موضع آخر من خِطَطه أن القنطرة التى عليه خارجَ باب القنطرة بناها القائد جوهر سنة ستين وثلثمائة ، وقنطرة اللؤلؤة — وهى التى كانت بالقرب من مَيْدان القمح ، وبعضها باق إلى الآن — من بناء الفاطميين أيضا ، واللؤلؤة التى تنسب هذه القنطرة إليها مَنْظَرة على برّ الخليج القبلىّ ، بناها الظاهر لإعزاز دين الله الفاطمىّ ، كانت مستنزها لخلفاء الفاطميين ينزلون فيها فى أيام النيل ويقيمون بها إلى آخر النيل .

قلت : أما باقى القناطر التى على هذا الخليج : كقنطرة عمر شاه ، وقنطرة سنقر ، وقنطرة أمير حسين ، فكلها مستحدَثة فى الدولة التركية ، وغالبها فى الدولة الناصرية محمد بن قلاوون .

قال آبن أبى المنصور فى " تاريخه " : وأول من رتب حفره على الناس المأمونُ آبن البطائحىّ ، وكذلك البساتين فى دولة الأفضل ، وجعل عليه واليا بمفرده .

---

(١) لعاله تسع وستين فان آبتداء ولايته لمصر فى خمس وستين .

(٢) هذه الفقرة غير مناسبة هنا وقد ذكرها قريبا بلفظها فى الكلام على خليج الاسكندرية فتنبه .

الخليج الثـالث
(خليج السَّـــرْدُوس)

ويقال السَّرْدُوسىّ بزيادة ياء فى آخره، وهو الذى حفره هامانُ لفرعون .

قال ابن الأثير فى "عجائب المخلوقات" : ويقـال : إنه لمـا حفره سأله أهل البلاد أن يجريه إليهم علىٰ أن يجعلوا له علىٰ ذلك مالا ، فتحصل له من ذلك مائة ألف دينار فحملها إلىٰ فرعون، فقال : ويحك ! إنه ينبغى للسـيد أن يعطف علىٰ عبيده ولا ينظر إلىٰ مافى أيديهم، وأمر بردّ المـال إلىٰ أربابه .

قال : وكان هـذا الخليج أحد نزهات الدنيا يُسار فيه يوما بين بساتينَ مشتبكة وأشجار مُلْتفَّةٍ وفواكه دانية . قلت : أما الآن فقـد ذهب ذلك ، وبطل الخليج وعوّض عنه بحر أبى المنجا الآتى ذكره .

الخليج الرابع
(خليج الإسكندرية)

وهو خليج مخرجه من الفرقة الغربية من النيل عنـد قرية تسمّى العَطْفَ تُقَابِلُ فُوَّة، مدينةِ المزاحمتين، ويميل غربا حتّى يتصل بجُدْران الإسكندرية، وتدخل منه قناةٌ تحت الأرض إلىٰ داخلها ، ويتشعب منها شُعَبٌ كثيرة تدخل دُورَها، وتخرج من دار إلىٰ أخرىٰ، ويخالط آبارها فيحلو ماؤها وتملأ منها صهاريجها حينئذ فتمكث من السنة إلىٰ السنة .

وكانت فُوَّهَةُ هذا الخليج فيما تقدّم جنوبىّ فُوَّهته الآن عندقرية تسمّى الظاهرية من عمل البُحيْرةِ ، وكان يمرّ علىٰ دَمَنْهور مدينـة البحيرة ، ثم نقل إلىٰ مكانه الآن، ويقال إن أرضه فى القديم كانت مفروشة بالبلاط .

قال فى "تقويم البُلْدان" : وهو من أحسن المنتزهات لأنه مخضرّ الجانبين بالبساتين، وفيه يقول ظافر الحدّاد الشاعر السكندرىّ :

وعَشِــيَّةٍ أهدَتْ لِعَيْنِكَ مَنْظَرًا * جَاءَ السُّرُورُ بِهِ لقَلْبِــكَ وَافِدَا
رَوْضٌ كَمُخْضَرِّ العِذَارِ وجَدْوَلٌ * نَقَشَتْ عَلَيْــهِ يَدُ الشَّمَالِ مَبَارِدَا
والنَّخْلُ كالغِيدِ الحِسَانِ تَزَيَّنَتْ * ولَبِسْنَ مِنْ أَثْمَارِهِنَّ قَلَائِدَا

وقد ذكر المسعودىّ فى "مروج الذهب" : أنه ٱنقطع جَرَيان هـذا الخليج عن الإسكندرية إلىٰ سنة ٱثنتين وثلاثين وثلثمائة لردم جميعها، وصار شرب أهلها من الآبار .

الخليج الخامس

(خليج منجا)

ويقال إن الذى حفره بَرْصا : أحد ملوك مصر بعد الطوفان .

الخليج السادس

(خليج دِمْياط)

ولم أقف علىٰ تفاصيل أحواله .

أما بحر أبى المنجا، فإنه وإن عظم شأنه مستحدَث حفره الأفضل بن أمير الجيوش وزير المستعلى بالله الفاطمىّ .

قال ٱبن أبى المنصور فى "تاريخه" : وكان سبب حفره أن البلاد الشرقية كانت جارية فى ديوان الخلافة، وكان معظمها لا يروىٰ فى أكثر السنين ولا يصل الماء إليها إلا من خليج السَّرْدوس المتقدّم ذكره أو من غيره من الأماكن البعيدة .

وكان يشارف العمل يهودىٌّ آسمه أبو المنجا فرغب أهل البلاد إليه فى فتح ترعة يصل الماء منها إليهم فى آبتدائه فرفع الأمر إلىٰ الأفضل، فركب فى النيل فى آبتدائه فى مركب ورمىٰ بحُزَمٍ من البُوصِ فى النيل وجعل يتبعها بمركبه إلىٰ أن رماها النيل إلىٰ فَم ذلك البحر فحفر من هناك ، وآبتدأ حفره يوم الثلاثاء السادس من شعبان سنة ست وخمسمائة، وأقام الحفر فيه سنتين وغُرِمَ فيه مال كثير . وكان فى كل سنة تظهر فائدته ، ويتضاعف آرتفاع البلاد التى تحته ، وغلب عليه إضافته إلىٰ أبى المنجا لتكلمه فيه . فلما عرض علىٰ الأفضل ما صرف عليه آستعظمه وقال غَرِمنا عليه هذا المال العظيم والآسم لأبى المنجا ، فسماه البحر الأفضلىّ فلم يتم له ذلك ولم يعرف إلا بأبى المنجا ، ثم سطى بأبى المنجا المذكور بعد ذلك ونُفِى إلىٰ الإسكندرية . ولما ولى المأمون بن البطائحى الوزارة تحدّث معه الأمراء فى أن يتخذ لفتحه يوما كفتح خليج القاهرة، فآبتنىٰ عند سدّه منظرة متسعة ينزل فيها عند فتحه .

قلت : وكانت فيه معدّية يعدّى فيها بين قليوب و بيسوس، وكان يحصل للناس بها مشقة عظيمة لكثرة المارّين، فعمر عليها الظاهر بيبرس رحمه الله قنطرةً عظيمة بحجر صَلْد، من غرائب البناء، تمرّ عليها الناس والدّواب، فحصل للناس بها الآرتفاق العظيم، وهى باقية علىٰ جِدَّتِها إلىٰ زماننا .

وكان سدّه يقطع فى عيد الصليب فى سابع عشر توت ، ثم آستقرّ الحال علىٰ أن يقطع يوم النَّوْروز فى أول يوم من توت حرصا علىٰ رىّ البلاد .

وأما بقية خُلُجِ الدّيار المصرية المستحدثة وتُرَعها بالوجهين : القبلىّ والبحرىّ، فأكثر من أن تحصر، ولكل منها زمن معروف يقطع فيه .

المقصـــــــد الخامس

(فى ذكر بُحَيرات الديار المصرية ، وهى أربع بحيرات)

الأولىٰ منها ــ بُحَيْرَةُ الفَيُّوم ، ويُعَبَّر عنهـا بالبِرْكة ، وهى بُحيرةٌ حُلْوَةٌ بالقرب من الفيوم بين الشمال والغرب عنه ، علىٰ نحونصف يوم ، يصب فيها فضلات مائه المنصب إليه من خليجه المَنْهىٰ المتقدّم ذكره ، وليس لها مَصْرِفٌ تنصرف إليه لإحاطة الجبل بها ، ولذلك غلبت علىٰ كثير من قرىٰ الفَيُّوم وعلا ماؤها علىٰ أرضها .

قال فى "تقويم البُلْدان" : وطولهـا شرقا بغرب نحو يوم ، وبها أسمـاك كثيرة تحصل من صيدها جملةٌ كثيرةٌ من المـال ، وبها من آجام القَصَب والطَّرْفاء والبَرْدىّ ما يتحصل منه المـال الكثير .

الثـانية ــ بحيرة بُوقِيرَ (بضم الباء المُوَحَّدَة وسكون الواو وكسر القاف وسكون الياء المثناة تحتُ وراء مهملة فى الآخر) وهى بُحَيْرَةُ ماء مِلْحٍ يخرج من البحر الرومىّ بين الإسكندرية ورشيد ، ولهـا خليج صغير مشتق من خليج الإسكندرية المتقدّم ذكره ، يأتيها ماء النيل منه عند زيادته ؛ وبها من صيد السمك ما يتحصل منه المـال الكثير ، وفيهـا من أنواع الطير كلُّ غريب ، وبجوانبها المَلَّاحَاتُ الكثيرة التى يحمل منها المِلْحُ إلىٰ بلاد الفرنج وغيرها .

قلت : وقد وقع للسلطان عمـاد الدّين صاحب حماة رحمه الله وَهَمٌ بجعل هذه البحيرة هى بحيرة نَسْتَرُوه الآتى ذكرها ، علىٰ أن هــذه البحيرة قد انقطع مَدَدها من البحر الملح فى زماننـا بواسطة غَلَبَةِ الرمل علىٰ أَشْتُونها الموصــل إليها المـاء من بحر الروم فجَفَّت وصارت سبخة طويلة عريضة ، ومات ما كان يصاد منها من السمك البُورِىّ ، وما يتحصل منها من المِلْحِ المنعقد بسواحلها ، وعاد علىٰ الإسكندرية

بواسطة ذلك ضرر كبير لأنه كان الغالب علىٰ أهلها أكل السمك ويحصل لهم بالملح رفق كبير .

الثـالثة ـ بُحَيْرَة نَسْتَرُوه (بفتح النون وسكون السـين المهملة وفتح التاء المثناة فوقُ وضم الراء المهـملة وسكون الواو وهاء فى الآخر) وهى بحـيرة ماء مِلْح أيضـا بالقرب من البَرَلُّس فى آخر بلاد الأعمـال الغربية الآتى ذكرها، متسـعة الأرجاء إذا توسطها المركب لا تُرىٰ جوانبها لعظمها، لبعد مركزها عن البر، وبالقرب منها قرية تسمّٰى نَسْـتَرُوْه ، وهى التى تضاف إليها، وداخلها قرية أخرىٰ تسمّٰى سِنْجار لا زرع فيهـما ولا نفع ، وليس بهما غير صـيد السمك ، وهى الغاية القُصْوىٰ فيما يتحصل من المـال .

قال صاحب حماة : يبلغ متحصل صيد سمكها فى كل سنة فوق عشرين ألف دينار مصرية، وليس يساويها بحيرة من البحيرات فى ذلك .

قلت : وأخبرنى بعض مباشريهـا أنها فى زماننا قد تميز متحصلها عن ذلك نحو مثله للآجتهاد فى الصيد، وكثرة الضبط وآرتفاع السعر .

الرابعـــة ـ بحيرة تِنِّيس قال السمعانىّ (بكسر التاء المثناة فوق والنون المشدّدة المكسورة ثم ياء مثناة تحت وسين مهملة فى الآخر) وهى بُحَيْرَةٌ متصلة بالبحر الرومىّ أيضا بآخر عمل الدّقهلية والمُرْتاحية الآتى ذكره، وفيها مصبُّ بحر أُشْمُومَ المنفرق من الفرقة الشرقية من النيل، ولذلك يعذب ماؤها فى أيام زيادة النيل،وبوسطها تِنِّيسُ الآتى ذكرها فى الكلام علىٰ الكُوَرِ القديمة .

قال صاحب "الروض المعطار" : طمىٰ عليها البحر قبل الفتح الإسلامىّ بمـائة سنة فغرّقها وصارت بحيرة ، ويتصل بهذه البحيرة من جهة الغرب "بحيرة دمياط" وهما فى الحقيقة كالبحيرة الواحدة .

المقصـــد السادس
(فى ذكر جبالهـا)

اِعلم أن وادىَ مِصْرَ يكتنفه جبلان شرقا وغربا ، يبتدئان من الجنادل المتقدّمة الذكر فوق أُسْوان آخِذَيْن فى جهة الشَّمال علىٰ تقارب بينهـما بحيث يُرىٰ كل منهما من الآخر والنيل مارّ بين جَنَبَتيهما .

فأما الشرقىّ منهما فيمرّ بين النيل وبحر القُلْزُم المتقدّم الذكر حتّٰى يجاوز الفُسْطَاطَ فينعطف ويأخذ شرقا حتّٰى يأتىَ علىٰ آخر بحر القُلْزُم من الشَّمال، يرتفع فى موضع وينخفض فى آخر، وفى أوائل هـذا الجبل من جهة الجنوب علىٰ القرب من مدينة قُوصَ (مَعْـدِن الزُّمُرُّدِ) المتقدّم ذكره فى خواص الدّيار المصرية، فى مغارة طويلة فى قطعة جبل عالية، تسمّٰى قرشنده ليس هناك أعلىٰ منها، وعلىٰ القرب من ذلك (مقطع الرُّخامِ) الملوّن من الأبيض والسُّمّاقىّ وسائر الألوان المستحسنة التى لا تساوىٰ حُسْناً .

ويسمّٰى الجبل المطلّ منه علىٰ النيـل مقابل المراغات من عمل إخميم . (جبـل الساحرة) وأظنه جبـل زماخير الساحرة المتقدّمة الذكر فى عجائب الدّيار المصرية .

ويسمّٰى الجبـل المطل منه علىٰ النيل مقابل مدينة مَنْفَلُوط (جبل أبى فيدة) بفاء وياء مثناة تحت .

ويسمّٰى الجبل المطل منـه علىٰ النيل مقابل منية بنى خصيب من الأُشْمُونين . (جبل الطيلمون) ، ويعرف الآن بجبل الطَّير، وقد تقـدّم ذكره فى جملة عجـائب الديار المصرية .

ويسمّٰى ماسامت الفُسْطَاط والقرافة منه (المُقَطَّم) وربمـا أُطِلقَ المُقَطَّم علىٰ جميع المُقَطَّم[1]، وقد اختلف فى سبب تسميته بذلك ، فقيـل سمى باسم مُقَطَّم الكاهن كان مقيما فيه لعمل الكِيمياَ .

(١) لعله علىٰ جميع الجبل .

وقال أبو عبد الله اليمنى : سمى بالمُقَطَّمِ بن مصر بن بيصر، وكان عبدا صالحا آنفرد فيه لعبادة الله تعالىٰ .

وذكر الكِنْدِىّ فى كتاب "فضائل مصر" مايوافق ذلك : وهو أن عمرو بن العاص رضى الله عنــه سار فى سفح المُقَطَّم ومعه المُقَوْقِسُ ، فقال له عمرو : مابالُ جبلكم هذا أقرعَ ليس عليــه نبات كجبال الشام ؟ فلو شققنا فى أسفله نهرا من النيل وغرسناه نخلا ـ فقال المقوقس : وجدنا فى الكتب أنه كان أكثر البلاد أشجارا ونبتـا وفاكهة، وكان ينزله المُقَطَّمُ بن مصر بن بيصر بن حام بن نوح عليه السلام، فلمـا كانت الليلة التى كلم الله تعالىٰ فيها موسىٰ عليــه السلام ، أوحىٰ الله تعالىٰ إلىٰ الجبـال : إنى مكلِّمٌ نبيا من أنبيائى علىٰ جبل منكِ فسمَتِ الجبال كلُّها وتشامخت إلا جبلَ بيت المقدس فإنه هبط وتصاغر، فأوحىٰ الله تعالىٰ إليهِ : لِمَ فعلت ذلك؟ وهو به أخبر، فقال : إعظاما وإجلالا لك يارب! فأمر الله تعالىٰ الجبال أن يحيُّوه كل جبل ممـا عليه من النبت ، فجاد له المُقَطَّمُ بكل ما عليه من النبت حتىٰ بقِىَ كما ترىٰ، فأوحىٰ الله تعالىٰ إليه إنى معوّضك علىٰ فعلك بشجر الجنة أوغَرْس الجنة .

وأنكر القضاعىّ وغيره أن يكون لمصر ولد آسمه المقطم، وجعلوه مأخوذا من القطم وهو القطع، لكونه منقطع الشجر والنبات .

قال آبن الأثير فى "عجائب المخلوقات" : وفيه كنوز عظيمة ، وهيا كلُ كثيرة ، وعجائبُ غريبـة . وللملوك مصر فيه من الجواهر والذهب والفضة والأوانى ، والآلات النفيسة، والتماثيل العجيبة، وتراب الصنعة ما يخرج عن حدّ الإحصاء .

قال فى "الروض المعطار" وإذا دُبِّرَتْ تُرْبَتُه حصـل منها ذهب صالح .

ويلى المُقَطَّم من جهة الشَّمال (اليَحَاميمُ)، وهى الجبال المتفرّقة المطلة علىٰ القاهرة من جانبها الشرقى وجَبَّانَتِهَا .

قال القضاعىّ : وقيل لها اليَحَامِيمُ لاختلاف ألوانها، واليَحْمُوم فى كلام العرب الأسْوَدُ المظلمُ، ولعله يريد الجبل الأحمر وما والاه .

وفى شرقىّ المُقَطَّم علىٰ بحرالقُلْزُم (طُورُسِينَا) الذى كلَّم الله تعالىٰ موسىٰ عليه السلام عليه، وهو جبل مرتفع للغاية، داخل فى البحر .

قال الأزهرى : وسمى الطُّورَ بطُور بن إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليهما السلام.

قال ابن الأثير فى "عجائب المخلوقات" : ومن خاصَّته أنه كيفما كُسِرَ، ظهر فيه صورة شجر العليق،وقد بُنِىَ هناك دَيْرٌ بأعلىٰ الجبل، وغرس بواديه بَسَاتِينُ وأشجارٌ .

*
* *

وأما الغربىّ منهما ، فإنه يبتدئ من الجنادل أيضا و يمرّ فى الشَّمال فيما بين بلاد الصعيد والصحراء، ثم فيما بين بلاد الصعيد والْوَاحَاتِ ، ثم فيما بين بلاد الصعيد والفَيُّوم حتّى ينتهىَ إلىٰ مقابل الفُسْطَاطِ . وهناك موقع الهَرَمَيْنِ العظيمين المقدّم ذكرهما علىٰ القرب من بُوصِير،ثم ينعطف و يأخذ غربا بشَمالٍ فيما بين بلاد ريف الوجه البحرىّ والبَرِّيَّة حتّى يجاوز بِرْكة النَّطْرُون،ويمضى إلىٰ قريب من الإسكندرية .

ويسمّى فيما سامت الواحات (جبل جالوت) نسبة إلىٰ جالوت البربرى .

ويتصل به من جنوبىّ الْوَاحَاتِ (جبل اللَّازوَرْد) قيل إن به معدن لازورد، وانه امتنع استخراجه لانقطاع العمارة هناك .

المقصـــــد السابع

(فى ذكر زروعها، ورياحينها، وفواكهها، وأصناف المطعوم بها)

أما زروعها فيزرع فيها من أنواع الحبوب المُقْتاتة وغيرها كالْبُرّ والشعير والذُّرَة والأُرْز، والبَاقِلّى ، والحِمَّص، والعَدَس، والبِسلا ، والجُلْبان، واللُّوبِيَا، والسِمْسِم ، والقُرْطُم ، والخَشْخَاش، والخِرْوَع ، والسَّلْجَم ، وبِزر الكَتَّان، والبِرْسِيم ، وغير ذلك .

وبها قصب السُّكَّرِ فى غاية الكثرة، والبِطِّيخُ ، والقِثَّـاءُ على ٱختـلاف أنواعها، والمُلُوخِيا، والقُلْقَاسُ ، واللِّفْتُ ، والبَاذنْجَان ، والدُّبَّاء، والهِلْيَوْنُ، والقُنَّبِيطُ ، وأنواع البقول المختلفة ، كالثُّومِ ، والبصَلِ ، والكُرَّاثِ ، والفُجْلِ وغيرها ؛ وعامة زرع حبوبها على النيل عنـد نزوله عن أرضها من أثناء بَابَه من شهور القِبْطِ إلى أثناء طُوبَه منها بحسب ما يقتضـيه حال الزرع . وربما زرع فيها على السواقى والدّواليب ؛ وأكثر ما يكون ذلك فى بلاد الصَّـعِيدِ خصوصا فى سنين الجَدْب ؛ ويُزْرَع فى الفيوم فى غير زمن النيل على نهره المنهى المتقـدّم ذكره فى جملة الأنهار . ولا زرع فيها على المطر إلا القليل النادر بأطراف البحيرة ممـا لا عبرة به على قلة المطر بها بل فقده بصعيدها .

وأما رَيَاحِينُها ، ففيها الآسُ ، والوَرْدُ ، والبَنَفْسَجُ ، والنَّرْجِسُ ، والياسَمِينُ ، والنَّسْرِينُ ، والبَانُ ، واللَّيْنُوفَرُ ، وأزهار المحمضات ، والرَّيْحَانُ الفَارِسىّ على ٱختلاف أنواعه ، والمنثور فيها بقلة ، وإنمـا كثر بالإسكندرية ، إلى غير ذلك من بقايا الأنواع التى يشق ٱستيعابها .

وأما فواكهها ، ففيها الرُّطَبُ ، والعِنَبُ ، والتِّينُ ، والرُّمَّانُ ، والخَوْخُ ، والمِشْمِشُ ، والقَرَاصِيَا ، والبَرْقُوقُ ، والتُّفَّاحُ ، والكُمَّثْرَى ، والسَّـفَرْجَلُ بِقِلَّةٍ ، واللَّوْزُ الأخضر ، والنَّبِقُ ، والتُّوتُ ، والفِرْصَادُ ، والمَوْزُ . ولا يوجد فيها الجوْزُ ، والفُسْتُقُ ، والبُنْدُقُ ، والإجَّاصُ إلا مجلوباً بعـد جفافه . وإن زرع بأرضها شىء من ذلك ، لم يُفْلح ؛ والزيتون فيها بِقِلَّةٍ ، ولا يستخرج منه زيت البتة وإنمـا يؤكل مِلْحًا .

وفيهـا من المحمضات الأُتْرُجُّ ، والحُمَّـاضُ ، والكباد ، والنَّارَنْجُ ، واللَّيْمُونُ ، على ٱختلاف أنواعها .

وأما أصناف المطعوم ففيها ما يستطاب من الأَلْبَانِ، والأَجْبَانِ، والعَسَلِ، الذى لا يُساوىٰ حُسْنا ، ولا يشبهه غيره من سائر الأعسال، والسُّكَّرِ الكثير من المُكَرَّرِ والتبع، والوسط ، والنبات . ومنها يجلب إلىٰ أكثر البلاد . قال فى "مسالك الأبصار" : وقد نُسِى به ما كان يذكر من سُكَّر الأهواز .

وبها من أنواع الحلوىٰ والأشربة المتخذ ذلك من السُّكَّر والأشربة(؟) الفائقة مالا يوجد فى غيرها من الأقاليم .

وبها من لحم الضأن ، والبقر ، والمعز ، ما لا يعادله غيره فى قُطْرٍ من الأقطار لطافةً ولَذَّةً .

قلت : ومن محاسنها أن فاكهتها لايدوم نوع منها فى جميع السنة فَيُمَلّ ، بل يأتى كل نوع منها فى وقت دون وقت ، فتتشوف النفوس إلىٰ طلبه ، ويكون لقدومه بهجة . ولا يعترض ذلك بدوام أُكل الجنة ، فإن الجنة أُكلها لا يملُّ بخلاف مآكل الدنيا . ولأهل الرفاهيَة بذلك فرحةٌ ، وتتغالىٰ فيه فى ٱبتدائه مع أنه يجتمع فى الحين الواحد من الفواكه والرياحين مالا يحتاج معه فى زمنه إلىٰ غيره .

قال المهذب بن مماتى فى "قوانين الدواوين" : بعثتُ غلاما لى ليُحْضِر من فَكَّاهِى القاهرة ما وجد بها من أنواع الفاكهة والرياحين ، فأحضر لى منها الوَرْدَ ، والنَّرْجِسَ ، والبَنَفْسَجَ ، والياسَمِينَ ، والمَنْثُورَ ، والمَرْسِينَ ، والرَّيْحَانَ ، والطَّلْحَ ، والبَلَحَ ، والجُمَّارَ ، والخِيَارَ ، والبِطِّيخَ الأخضرَ ، والبَاقِلَّى ، والتُّفَّاح ، والفَقُّوسَ ، والأُتْرُنْج ، والنَّارَنْجَ ، والأشْبَاه ، واللَّيْمونَ ، والتَّمْرَهِنْدى الأخضر ، والعِنَبَ ، والحِصْرِمَ .

وقال بعض الجوّالين فى الآفاق : طفت أكثَرَ المعمور من الأرض فلم أر مثل ما بمصر من ماء طوبه ، ولَبَنِ أمشير ، ونَخْرُوبِ برمهات ، ووَرْدِ برموده ، ونَبِق بشنس ، وتينِ بؤونة ، وعَسَلِ أبيب ، وعِنَبِ مسرىٰ ، ورُطَبِ توت ، ورُمَّانِ بابه ، ومَوْزِ هتور ، وسَمَك كيهك .

المقصـــد الثامن
(فى ذكر مواشيها، ووحوشها، وطيورها)

أما مَوَاشِيها، ففيها الإبل المستجادة، والبقر العظيمات القدود، والأغنام المستطابة اللحوم، والخيول المُسَوَّمَةُ، والبغال النفيسة، والحُمُرُ الفارهة ممـا ليس له نظير فى إقليم من الأقاليم، ولا مصرٍ من الأمصار.

وأما وُحُوشُها، ففى براريِّها الغِزْلَانُ، والنَّعامُ، والأَرَانِبُ، والثَّعالب، والضِّبَاعُ، والذِّئَابُ، وغير ذلك، ويجاب إلىٰ سلطانها الفِيَلَةُ، والزَّرَافَاتُ، وغيرها من الوحوش من البلاد القاصية، والسِّـبَاعُ من بلاد الشام من مملكته لتكون فى إصطبلاته زينةً لمملكته.

وأما طيورهـا ففيها من الطيور الدَّواجن فى البيوت الدَّجَاجُ، والإوزُّ، والحَمَامُ؛ ومن الطيور البَرِّيَّةِ الصَّقْرُ، والعُقَابُ، والنَّسْرُ، والكُرْكِىّ، واللَّغْلَغُ، والإوزُّ التُّركىّ، والمرزم، والبَجَعُ، والبَلَشُون، والحُبْرُجُ، والحَجَلُ، والكَرَوَانُ، والسُّمَانىٰ، والبُلْبُلُ، وسائر أنواع العصافير، والأنواع المختلفة من طيور المـاء. ويجلب إلىٰ سلطانهـا سائر أنواع الجوارح الصائدة علىٰ آختلاف أجنـاسها من أقاصى البُـلْدان، ويقع التغالى فى أثمـانها للغاية القصوىٰ علىٰ ما يأتى ذكره فى الكلام علىٰ أوصافها إن شاء الله تعالىٰ.

المقصـــد التـاسع
(فى ذكر حدودها)

قد آضطربت عبارات المُصَنِّفِينَ فى المسالك والممـالك فى تحديدها، والذى عليه الجمهور أن حدّها الشَّمالىّ، وهو المعبر عنه عنـد المصريين بالبحرىّ يبتدئ ممـا بين الزعقة ورَفَح عنـد حدّها من الشام والبحر شمـاله، ويمتـدّ غربا علىٰ ساحل البحر

المذكور حيث الشجرتان عند الشجرة التى يعلق فيها العوامّ الخِرَق وتقول هذه مفاتيح الرمل، عند الكُثُب المجنبة عن البحر الرومىّ، إلىٰ رَفَح ثم إلىٰ العريش آخذا علىٰ الجِفَار، إلىٰ الفَرَما، إلىٰ الطينة، إلىٰ دِمْياط، إلىٰ ساحل رشيد، إلىٰ الإسكندرية، وهى آخر العمارة بهذا الحدّ. ثم يأخذ علىٰ اللينونة، علىٰ العميدين، إلىٰ بَرْقَة، إلىٰ العَقَبة الفاصلة بين الديار المصرية وإفْرِيقِيَّةَ علىٰ ما تقدّم ذكره فى الكلام علىٰ سواحل البحر الرومىّ .

وحدّها الغربىّ يبتدئ من ساحل البحر الرومىّ حيث العَقَبة، ويمتدّ جنوبا، وأرض إفْرِيقِيَّةَ غربيه، علىٰ ظاهر الفَيُّومِ والْوَاحَاتِ حتّٰى يقع علىٰ صحراء الحبشة علىٰ ثمان مراحل من أُسْوان .

وحدّها الجَنُوبىّ وهو المعبر عنه عند المصريين بالقِبْلىّ، يبتدئ من آخر هذا الحدّ بصحراء الحبشة ويمتدّ شرقا، وبلاد الروم من بلاد البَرّيّة جنوبيّه حتّٰى يأتى إلىٰ أسوان، ثم يمتدّ من أسوان شرقا حتّٰى ينتهى إلىٰ بحر القُلْزُمِ مقابل أسوان علىٰ خمس عشرة مرحلة منها .

وحدّها الشرقى يبتدئ من آخر هذا الحدّ ويمتدّ شمالا وبحرُ القُلْزُمِ شرقيُّه إلىٰ عَيْذَابَ إلىٰ القُصَيرِ إلىٰ القُلْزُمِ إلىٰ السُّوَيْس، ثم يأخذ شرقا عن بركة الغُرُنْدُل التى أغرق الله تعالىٰ فيها فرعون من بحر القُلْزُمِ إلىٰ تِيهِ بنى إسرائيل؛ ثم يعطف شمالا ويمرّ علىٰ أطراف الشام حتّٰى ينحطّ علىٰ ما بين الزعقة ورَفَحٍ ساحل البحر الرومىّ حيث وقعت البداءة .

وعلىٰ هذا التحديد جرىٰ السلطان عماد الدين صاحب حماة فى "تقويم البُلْدان" والمقرّ الشهابىّ بن فضل الله فى "التعريف" إلا أنه فى "تقويم البُلْدان" جعل ٱبتداء الحدّ الشمالىّ نفس رَفَحٍ، ونهاية الحدّ الغربىّ حدود بلاد النُّوبة؛ وفى "التعريف"

جعل ٱبتداءَ الحدّ الشمالى ما بين الزعقة ورَفَح، ونهاية الحدّ الغربى صحراءَ بلاد الحبشة علىٰ ما تقدّم فى التحديد، والأمر فى ذلك قريب .

وخالف فى ذلك القُضَاعىّ فجعل ٱبتداء الحدّ الشَّمالىّ من العَريش ، وليس فيه بُعْـدٌ عن رَفَحَ بل فى الآثار ما يدل عليه . كما سـيأتى فى موضعه إن شاء الله تعالىٰ، وجعل الحدّ الجَنُوبىّ يقطع بحر القُلْزُمِ و ينتهى إلىٰساحل الحجاز بالحَوْراء: أحدِ منازل طريق الحجـاز من مصر، والحدّ الشرقىّ يمتدّ علىٰ ساحل البحر الشرقىّ إلىٰ مَدْيَنَ، إلىٰ أَيْلَةَ، إلىٰ تِيهِ بنى إسرائيـل، إلىٰ العَرِيش . فأدخل بحر القُلْزُمِ من حدّ الحَوْراءِ إلىٰ نهايته فى الشَّمال، وما علىٰ ساحله من برّ الحجاز مما يسامت العَرِيشَ كأَيْلَةَ ومَدْيَنَ ونحوها فى أرض مصر .

قلت : وفيـه نظر، والظاهر ما تقـدّم لأن البر الشرقىّ من القُلْزُمِ معدود من ساحل الحجاز من جمـلة جزيرة العرب، وهى ناحية علىٰ ٱنفرادها؛ وكأن الذى حمل القُضَاعىّ علىٰ ذلك مسامتة هذا الساحل لحدّها بساحل البحر الرومىّ علىٰ ما تقدّم .

وٱعلم أن جميع المحـدّدين لهـا و إن ٱختلفت عباراتهـم فى ٱبتـداء الحدّ الشَّمالى الفاصل بينها و بين الشام، هـل هو من العريش أو من رَفَحٍ أو بين الزعقة ورَفَحٍ ؟ متفقون علىٰ أن ٱبتداء الحدّ حيث الشجرتان ، وكأنهـما شجرتان قديمتان حدّد فى الأصل بهما .

قال فى "التعريف" : وما إخال الآن بقاءَ الشجرتين، وإنما هو موضع الشجرة التى تعلّق فيها العوامُّ الخِرَقَ ، ويقولون هذه مفاتيح الرمل عند الكُثُب المجنبة عن البحر الرومىّ قريبا من الزَّعْقَةِ .

قال : فأما الأشجار التى بالمكان المعروف الآن بالسردية[1]، و يعرف قديمـا بالعُشّ فهى وإن عظمت محدثة من زمن مَنْ حدّد الأقاليم، وليست فى موضع ماذكروه.

(١) فى الضوء، والتعريف "بالخرّوبة" .

ثم لها طُول وعَرْضٌ ، فطولها ما بين جهتى الشّمال والجنوب، وعَرْضها ما بين جهتى المشرق والمغرب . وقد قيل إن طولها مسيرة شهر وعرضها مسيرة شهر .

وذكر القضاعىّ أن ما بين العريش إلىٰ بَرْقة أربعون ليلة .

المقصد العاشر

(فى ٱبتداء عمارتها، وتسميتها مصر، وتفرّع الأقاليم التى حولها عنها)

أما ٱبتداء عمارتها، فقد ذكر المؤرّخون أنها عُمِرت مرتين :

المرّة الأولىٰ — قبل الطُّوفان، وأوّل من عَمَرها قبل الطوفان نقراووس بن مصريم ٱبن براجيل بن رزائيل بن غرباب بن آدم عليه السلام، نزلها فى سبعين رجلا من بنى غرباب جبابرة[1]، فعمرَها . وهو الذى هَنْدس نِيلَها وحفره حتّى أجراه ، ووجه إلىٰ البرية جماعةً هندسُوه وأصلحُوه، وبنىٰ المُدُنَ وأثارَ المعادنَ، وعمل الطلسمات .

المرة الثانية — بعد الطُّوفَان ، وأوّل من عَمَرها بعد الطوفان مصر بن بيصر بن حام بن نوح عليه السلام ، قدم إليها هو وأبوه بيصر فى ثلاثين رجلا من قومه حين قَسَم نوح الأرضَ بين بنيه ، فنزلوا بسفح المُقَطَّم ، ونَقَرُوا فيه منازل كبيرة نزلوا بها ثم ٱبتنوْا مدينة مَنْف وسكنوها علىٰ ما يأتى ذكره فى الكلام علىٰ قواعد مصر القديمة إن شاء الله تعالىٰ .

قال ٱبن لَهِيعَةَ : وكان نوح عليه السلام قد دعا لمصر أن يُسْكِنَه الله تعالىٰ الأرضَ الطيّبة المباركة التى هى أَمْنُ البلاد وغَوْثُ العباد ، ونهرها أفضل الأنهار، ويجعلَ له فيها أفضلَ البركات، ويُسَخِّر له الأرضَ ولولده ويُذَلّلهَا لهم، ويقوّيهم عليها . فسأله عنها فوصفها له، وأخبره بها .

---

(١) لم تتفق الكتب علىٰ هذه الأسماء بل كل كتاب يخالف الآخر فلذلك لم نعول عليها وٱقتصرنا علىٰ ما فى نسختنا الخطية .

وأما تسميتها مصر ، فقيل : إن نقراووس بن مصريم أول ملوكها قبل الطوفان حين عمرها سماها باسم أبيـه مصريم تبركا ، وأن مصر بن بيصر إنمـا سمى باسمه . وأكثر المؤرّخين علىٰ أنها سميت بمصر بن بيصر بن حام بن نوح عليه السلام . وعلىٰ الوجهين تكون عَلَمًا منقولا عن آسم رَجُل .

وقال الجاحظ فى رسالة له فى مدح مصر : إنمـا سميت مِصْرَ لمصير الناس إليها

قلت : ويجوز أن تكون سميت مِصْرَ لكونها حدّا فاصلا بين بلاد المشرق والمغرب إذ المصر فى أصل لغة العرب آسم للحدّ بين الأرْضَيْن كما قاله القُضَاعىّ . ومنـه قول أهل هجر : آشـتريت الدار بمُصُورِها ، أى بحدودها .

قال القضاعىّ : وكيف ما ...[1] أما أن أريد بالمصر البلد العظيم فإنه ينصرف ويجمع علىٰ أمصار .

وأما تَفَرُّعُ الأقاليم التى حولها عنها . فعن آبن لَهِيعة أنه لما آستقرّ مصر بن بيصر بهذه البلاد هو وأبوه بيصر و إخوته : فارق ، وماح ، و ياح وكثر أولادهم ، قال له إخوته : قد علمت أنك أكبرُنا وأفضلُنا ، وأن هذه الأرضَ أسكنك إياها جدُّك نوحٌ ، ونحن نضيّق عليـك أرضَك ، ونحن نطلب إليـك بالبركة التى جعلك فيها جدّك نوح أن تبارك لنـا فى أرض نلحق بها ونسكنها ، وتكون لنـا ولأولادنا ، فقال : نعم عليكم بأقرب البلاد إلىّ ، لاتباعدوا منى ، فإن لى فى بلادى هذه مسيرة شهر من أربعة وجوه أحوزها لنفسى ، وتكون لى ولولدى وأولادهم ، فحاز مصر لنفسه مابين الشجرتين اللتين بالعريش إلىٰ أُسوان طولا ، ومن بَرْقَةَ إلىٰ أَيْلَةَ عَرْضا ؛ وحاز فارق لنفسـه ما بين بَرْقَةَ إلىٰ إفْرِيقِيَّـة ، فكان ولده الأفارقة ، وبذلك سميت إفْرِيقِيـةُ ، وذلك مسـيرة شهر ؛ وحاز ماح ما بين الشجرتين من منتهىٰ حدّ مصر إلىٰ الجزيرة ، مسيرة

(١) كذا فى الأصل بدون بياض وهو غير مستقيم ولعله وكيفما كان فإنها لاتنصرف . أما إن الخ .

شهر، وهو أبو نَبَط الشام . وحاز ياح ماوراء الجزيرة كلها من البحر إلى الشرق مسيرة شهر، فهو أبو نَبَط العراق .

وقد قال القضاعىّ بعد ذكر حدود مصر الأربعة : وما كان بعد هذا من الجانب الغربىّ فهو من فتوح أهل مصر وثغورهم من بَرْقَة إلى الأَنْدَلُس .

قلت : وذلك أن المسلمين بعد فتح مصر توجهت طائفة منهم إلى إفْرِيقِيَّة ففتحتها، ثم توجهت طائفة من إفْرِيقِيَّة إلى الأَنْدَلُس ففتحته على ما سيأتى ذكره فى الكلام على مكاتبات ملوك الغرب إن شاء الله تعالى .

المقصد الحادى عشر

(فى ذكر قواعدها القديمة ، والمبانى العظيمة الباقية على ممرّ الأزمان، والقواعد المستقرّة، وما فيها من الأبنية الحسنة)

وقواعدها القديمة على ضربين :

الضرب الأوّل

(ما قبل الطوفان)

والمعروف لها إذ ذاك قاعدتان :

القاعدة الأولى ــ مدينة أمسوس، وهى أوّل مدينة بنيت بالدّيار المصرية قبل الطوفان، بناها نقراووس بن مصريم بن براجيل بن رزائيل بن غرباب بن آدم عليه السلام : أوّل ملوك مصر قبل الطوفان، وموضعها خارج الإسكندرية تحت البحر الرومىّ كما ذكره بعض المؤرّخين، وشق لها نهرا يتّصل بها من النيل .

القاعدة الثانية ــ مدينة برسان، وهى مدينة بناها نقراووس المتقدّم ذكره لأبنه مصرايم وأسكنه فيها، ولم أقف على مكانها .

الضرب الثــانى
(قواعدها فيما بعد الطوفان)

والمشهور منها ثلاث قواعد :

القاعدة الأولىٰ ـــ مدينة مَنْف. قال فى "تقويم البُلْدان" : (بكسر الميم وسكون النون وفاء فى الآخر) والجـارى علىٰ الألسنة منف (بفتح الميم) وموقعها فى الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة .

قال فى "الأطوال" : طولها ثلاث وخمسون درجة وعشرون دقيقة، وعرضها ثلاثون درجة وعشرون دقيقة، وهى أوّل مدينة بنيت بمصر بعـد الطوفان، بناها مصر بن بيصر بن حام بن نوح عليه السلام حين نزل مصر .

قال فى "الروض المعطار" : وأصلها بالسريانية مافه ومعناها بالعربية ثلاثون وذلك أن مصر حين نزلها كان فى ثلاثين رجلا من أهل بيته، فسماها بعددهم .

قال ابن الأنبارى فى كتابه "الزاهر" : وهى علىٰ اثنى عشر ميلًا من الفُسْطَاطِ .

قلت : ومَنْفُ هذه فى جنوبىّ الفُسْطَاطِ علىٰ القرب من البلدة المعروفة بالبَدْرَشِين من عمل الجيزة، وهى المعروفة بمصر القديمة، وقد خَرِبت وصارت كيمانا، وبها آثار بنيان من الحجر الكَذَّان، يوجد تحت الردم علىٰ القرب من أحجار الأهرام فى العظمة والمقدار وبوسطها آثار بِرْبَاةٍ عظيمة، بها صنمـان عظيمان من حجر صوّان أبيض، طول كل صنم منهما نحو عشرين ذراعا، وهمـا مطروحان علىٰ الأرض، وقد غطّى الطين أسفلَهما .

وكان علىٰ القرب منهما بيت عظيم من حجر أخضر، قطعة واحدة : جوانبه الأربعة وأرضـه وسقفه، ولم يزل علىٰ ذلك إلىٰ الدولة النـاصرية حسن بن الناصر محمد بن

قلاوون، وأراد الأمير شيخو أتابك العساكر نقله إلى القاهرة صحيحا فعولج فآنكسر فأمر بأن تنحت منه أعتاب فنحتت وجعل منها أعتاب خانقاه وجامعه بصليبة الجامع الطولونى؛ وشرقىّ هذه المدينة معالم سور مبنىّ بالحجر الكذّان النحيت فصوصا صغارا بالطين والجير الذى قد علمت، لونه لون الحجر. ويقال : إنه سور الأهراء التى بناها يوسف عليه السلام لآدّخار الحنطة فى سنبلها .

ويذكر بعض أهل تلك البلاد أنه يوجد بعض السُّنْبُل الذى أخبر به يوسف عليه السلام تحت تلك الأرض إلى الآن، وأنه فى المقدار فوق مقدار الحنطة المتعارفة بقليل .

وفى شمالىّ هذه المدينة بلدةٌ صغيرة تعرف بالعزيزية ، يقال إنها كانت منزلة العزيز وزير الملك، وهناك مكان على القرب منها يعرف بزَلِيخَا ، وفى غربيّها إلى الشَّمال فى سفح جبل مصر الغربىّ سِجْن يوسف عليه السلام، وإلى جانبه مسجد موسى عليه السلام، وعلى القرب من السُّور المقدّم ذكره مسجد يعقوب عليه السلام.

ويقال إن النيل كان تحت هذا السُّور، وهناك مكان يعرف بالمقياس إلى الآن .

*
* *

القاعدة الثانية ــ مدينة الإسكندرية نسبة إلى الإسكندر بن فيلبس المقدونىّ ملك اليونان المقدّم ذكره .

وقد ذكر القضاعىّ : أنه كان بها عدّة عجائبَ ، من أعجبها المَنَارة ، وهى مَنَارة مبنية بالحجر والرّصاص آرتفاعها فى الهواء ثلثمائة ذراع كل ذراع ثلاثة أشبار ، وقيل أربعمائة ذراع ، وقيل مائة وثمانون ذراعا ، وقيل بالحجر  لغلبة الجير فيه . وعلى رأسها مرآة من أخلاط يرى فيها من حضر إليها على بُعْد، وتهتدى بها المراكب السائرة إلى الإسكندرية إذ برّها منخفض لا جبال فيها ، تحرق بشعاعها ما أرادوا إحراقه

(١) لعله وقيل بالجير أى هى مبنية بالحجر والرصاص وقيل بالجير الخ تأمل .

من المراكب الواصلة ، آحتال عليها النصارىٰ فى أوائل الإســلام فى خلافة الوليد آبن عبـد الملك الأُمَوِىّ فكسروها، وتداعىٰ هدم المنـارة شيئا فشيئا إلىٰ أوساط المـائة الثامنة فاستؤصلت و بقِىَ أثرها .

(ومنها) المَلْعَبُ الذى كانوا يجتمعون فيه فى يوم من السنة ثم يرمون بكُرَةٍ فلاتقع فى حِجْرِ أحد إلا مَلَك مصر ، و إن حضر فيه ألف ألف من النـاس كان كل منهم ناظرا فى وجه صاحبـه ، وإن قرئ كتاب ، سمعوه جميعا ، أو أُتِى بنوع من اللعب رَأَوْهُ عن آخرهم لا يتظالمون فيه بأكثر من مراتب العِلْيَةِ والسِّفِلَةِ .

وكان من غريب هذا المَلْعَبِ أنـ عمرو بن العاص رضى الله عنه حضر فيه فى الجاهلية فى يوم لَعِبِ الكُرَةِ فوقعت الكُرَةُ فى حِجْرِه ، وهم لا يعرفونه ، فتعجب القوم منـه وقالوا ما رأينـا هذه الكُرَة كذبت قَطُّ إلا هذه المرّة ، فآتفق أَنْ ملكها فى الإسلام . و (عمود السَّوارى) الذى بظاهر الإسكندرية الآن أحد عُمُـدِ هذا الملعب ،وهو عمود عظيم يرمى الرجل القوىّ السهمَ عن قَوْسٍ قوىّ فلا يبلغ رأسه .

(ومنها) عمودا الإعيـاء ، وهما عمودان ملقيان وراء كل منهـما جبل حَصْباؤه كصُـبَرِ الجمـار بمنًى يُقْبِل العيىّ بسبع حصيات حتّٰى يستلقىَ علىٰ أحدهمـا ، ثم يرمى وراءه بالسبع و يقوم ولا يلتفت ، و يمضى لطَلِبته فلا يُحِس بشىء من تعبه .

(ومنها) القبـة الخضراء ، وهى قبة ملبسة نُحَاسا كأنه ذهب إبريز لا يُبْلِيـه القِدَم ولا تُخْلِقه الدهور .

(ومنها) المِسَلَّتان ، وهمـا جبلان[1] قائمـان علىٰ سَرَطانات نحاس فى أركانهما كل ركن علىٰ سرطان ، فلو أراد مريد أن يدخل تحتها شيئا إلىٰ الجانب الآخر لفعل .

قال آبن الأثير فى "عجائب المخلوقات" : وهاتان المِســلّتان إحداهمـا فى الركن الشرقىّ من البلد ، والثانيـة ببعض البلد ، وهمـا عمودان مُرَبَّعان من حجر أحمر ،

(١) لعله ــ هيكلان ــ أو بناءان .

وعَرْض قواعدهما من الجهات الأربع أربعون شبرا، طول كل واحدة منهما خمس قامات، وأعلاها مُسْتَدِقٌّ[١]، وعرض قاعدتهما من الجهات الأربع أربعون شبرا.

ويقال إن عليهما مكتوب بالسريانية: "أنا يَعْمَر بن شدّاد، بنيت هذه المدينة وأردت أن أجعل فيها من الآثار المعجزة، والعجائب الباهرة، فأرسلت البتون بن مرة العادىّ ومقدام بن يَعْمَر بن أبى رِغَال الثمودىّ إلىٰ جبل بَرِيم الأحمر، فاقتطعوا منه حجرين وحملاهما علىٰ أعناقهما، فانكسرت ضلع البتون، فوددْت أن أهل مملكتى كانوا فداء له، فأقامهما القطن بن حازم[٢] المؤتفكى فى يوم السعادة".

وقد قيل فيها: إنها إِرَمُ ذات العِمَادِ، ولم تزل عامرة إلىٰ الفتح الإسلامىّ، فلما فتحها عمرو بن العاص كتب إلىٰ عمر بن الخطاب رضى الله عنه.

"أما بعد. فإنى فتحت مدينة لا أَصِفُ ما فيها، غير أنى أصبت فيها أربعة آلاف بِنْيَة، وأربعة آلاف حَمَّامٍ، وأربعين ألف يهودىّ عليهم الجزية، وأربعمائة مَلْهًى للملوك". ويقال إنه وجد فيها أربعة آلاف بَقَّالٍ يبيعون البَقْل، وكان فيها من الروم يومئذ مائة ألف من أهل القوّة لحقوا بأرض الروم فى المراكب، وكان مَنْ بقى ستمائة ألف سوىٰ النساء والصبيان.

قلت: وقد ذهب جلُّ ذلك وزال أكثره، ولم يبق من عجائبها ظاهرا إلا عمود السَّوارى، وهو عمود عظيم من حجر صوّان خارج المدينة لا يكاد يكون له نظير فى الدنيا، ويقال إنه كان قبلها مدينة فى مكانها تسمّى رقوره بناها مصر بن بيصر بن حام بن نوح المتقدّم ذكره حين بنىٰ مدينة مَنْف، وعلىٰ مِنْوالها نسج الإسكندر مدينته.

*
* *

القاعدة الثالثة ـ قَصْرُ الشَّمَعِ الذى هو داخل مدينة الفُسْطَاطِ الآن، وهو المعبر عنه فى كتب الفتوح بالحصن، بناه كسرجوس الفارسىّ أحد نوّاب مَلك الفُرْس

(١) يظهر أنه مكرر مع المذكور فى السطر قبله. (٢) فى ياقوت قَطْن بن جَاوُد.

عند ٱستيلائهم علىٰ مصر بعد غلبة بُخْتَنَصَّر الآتى ذكره فى الكلام علىٰ ملوكها .

قال القضاعىّ : ولم يكمله وإنما كمله الروم بعد ذلك (١) التى فتحت مصر وهى مقرّة الملوك بها . وقد قيل : إن المُقَوقِس كان يقيم بالإسكندرية أربعة أشهر من السنة، وبمدينة منف أربعة أشهر، وبقصر الشمع أربعة أشهر .

وٱعلم أنه قد كان بالديار المصرية مستقَرّات أخرىٰ عظام كانت قواعد لبعض ملوكها فى بعض الأزمان، ومدن دون ذلك يأتى الكلام علىٰ جميعها بعد ذكر الكور القديمة والأعمال المستقرّة إن شاء الله تعالىٰ .



وأما المبانى العظيمةُ الباقية علىٰ ممرّ الأزمان ، فاعلم أن ملوك مصر الأقدمين كان لهم من العناية بالبناء ما ليس لغيرهم ، وكانوا يتفاخرون بذلك لإخباره علىٰ طول الزمن بعَظَمة مُلْكِهم وٱقتدارهم علىٰ مالم يبلغه غيرهم، ومن أعظم أبنيتهم (الأهرام). وهى قُبورٌ ٱتخذوها فى غاية الوَثَاقة حفظا لأجسامهم ، وكان لهم بها العناية التامّة ، وٱبتَنَوْا منها عدّة بالجَبَل الغربىّ من النيل، بعضها مقابل الفُسْطَاطِ، وبعضها ببُوصِير السِّدْر وسَقَّارَةَ ودَهْشُورَ من الأعمال الجيزية ، وبعضها بمَيْدُومَ من البهنساوية ؛ وأعظمها خَطَرا وأجلُّها قدرا الهَرَمَانِ المقابلان للفُسْطَاطِ، يقال إن طول عمود كل هرم منهما ثلثمائة وسبعة عشر ذراعا، تحيط بها أربعة سطوح متساوية الأضلاع، طول كل ضلع منها أربعمائة وستون ذراعا .

قال أبو الصلت : ليس علىٰ وجه الأرض بناءٌ باليد حجر علىٰ حجر بهذا المقدار .

ويقال : إن لها أبوابا فى أزَج فى الأرض طول كل دَرَجٍ مائة وخمسون ذراعا؛ وباب الهَرَم الشرقىّ من الجهة البحرية، وباب الهرم الغربىّ من الناحية الغربية،

(١) بياض بالأصل .

والصابئة تحجّ هذين الهَرَمَيْنِ ويقولون : إن أحدهما قبر إدريس عليه السلام، والآخر قبر ٱبنه صابئ الذى إليه ينتسبون .

وقد ٱختلف فى بانيها فأكثر المؤرّخين على أن بانيها سوريد بن سهلوق أحد ملوك مصر قبل الطوفان، الآتى ذكره فى الكلام على ملوكها فيما بعدُ إن شاء الله تعالى ، جعلها قبورا لأجسادهم وكنوزا لأموالهم ، حين أخبره مُنَجِّمُوهُ وكَهَنَتُه بما دلهم عليه الرَّصْد النجومىّ من حدوث حادثة تعم الأرض؛ ورجحه محمد بن عبد الله ٱبن عبد الحكم وقال : لو بُنِيت الأهرام بعد الطوفان ، لكان علمها عند الناس .

وذكر ٱبن عُفَير عن أشياخه أن بانيها جَيَّاد بن مياد بن شمر بن شدّاد بن عاد ٱبن عوص بن إرم بن سام بن نوح عليه السلام .

قال : ولم تزل مشايخ مصر يقولون : إن الذى بناها شدّاد بن عاد . وذهب المسعودى وغيره إلى أنه بناها يوسف عليه السلام .

وقال ٱبن شبرمة بنتها العمالقة حين ملكوا مصر . وبالجملة فهما من أعظم الآثار وأقدمها وأجلّ المبانى وأدومها؛ ولله القائل .

أُنْظُرْ إلى الهَرَمَيْنِ وٱسْمَعْ مِنْهُمَا * ما يَرْوِيَانِ عَنِ الزَّمانِ الغَابِرِ
لَوْ يَنْطِقَانِ، لَخَبَّرَانَا بِالَّذِى * صَنَعَ الزمانُ بأَوَّلٍ وبآخِرِ

وكيفما كان فمآلها إلى الخراب، شأن الدنيا ومبانيها .

وقد كان المأمون : أحد خلفاء بنى العبّاس حين دخل إلى مصر فى سنة ست عشرة ومائتين قصد هدمهما فلم يقدر، فأعمل الحيلة فى فتح طاقة فى أحدهما يتوصل منها إلى مزلقان، يصعد فى أعلاه إلى قاعة بأعلى الهرم، بها ناووس من حجر، وينزل فى أسفله إلى بئر تحت الأرض لم يعلم ما فيها . ويقال : إنه وَجَدَ فى أعلاه مالا فاعتبره

فإذا هو قــدر المـال الذى صرفه من غير زيادة ولا نقص ؛ وقد أخذ الآن فى قطع حجارتهما الظاهرة لاتخاذ البلاط منها . فإن طال الزمان يوشك أن يخربا كغيرهمـا من المبـانى .

ولله المتنبي حيث يقول :

أَيْنَ الذى الهَرمانِ من بُنْيَانِه؟ * ما قَوْمُهُ؟ مَا يَوْمُهُ؟ مَاالْمَصْرَعُ ؟
تَتَخَلَّفُ الآثَارُ عن أصحابِهـا * دَهْرًا، ويُدْرِكُها الفَنَـاء فَتَتْبَعُ !

قال إبراهيم بن وصـيف شاه فى كتاب "العجائب" : وقد قيل إن هوجيب أحد ملوك مصر قبـل الطوفان أيضا بنىٰ الهَرَمَ الكبير الذى بدَهْشُور ؛ والثانى بناه قِفْطريم، بن قِفط، بن قبطيم، بن مصر، بن بيصر، بن حام، بن نوح عليه السلام بعد الطُّوفان .

قال القُضاعىّ : أما الهَرَمُ الذى بدير أبى هِرْميس : وهو الهرم المدرّج يعنى الذى شمـالىَّ أهرام دهشور، فإنه قبر قرياس، وهو فارس أهـل مصر، كان يعدّ فيهم بألف فارس، فلما مات جزع عليه ملكه وبنىٰ له هذا الهرم فدفنه فيه .

قال : وقبر الملك نفسه الهَرَمُ الكبير من الأهرام التى غربىّ دير أبى هِرْميس، وعلىٰ بابه لوح من الحجر الكذَّان طوله ذراع فى ذراع مكتوب بالخط البرباوىّ .

ومن عظيم بنيانهم أيضا ولطيف حِكَمهم (البَرَابى) وهى بيوت عبادة كانت لهم، زَبَرُوا فيها حِكَمهم، ورقموا تواريخ ملوكهم، وصوّروا فيها صُوَر الأمم التى حولهم. فمتى قصدتهم أمة من الأمم، أوقعوا بصُوَرهم المصوّرة من النَّكال ما أرادوا، فيصيب تلك الأمة علىٰ البُعْـد ما أوقعوه بتلك الصور، إلىٰ غير ذلك من الحِكَم التى أودعوها والطِّلَّسْمات التى وضعوها بجُدْرانها .

ويقال : إن أوّل من بنىٰ البرابى بمصر دَلُوكة العجوز، التى ملكت مصر بعد فرعون لعنه الله !

قال فى "مسالك الأبصار" : وقد أخبرنى الحكيم شمس الدين محمد بن سعد الدمَشْقِىّ أنه رآها وتأمّلها، فوجدها مشتملة علىٰ جميع أشكال الفَلَك ، وأن الذى ظهرله أنه لم يعملها حكيم واحد بل تولّى عليها قوم بعد قوم حتّى تكاملت فى دَوْرٍ، وهو ثلاثون ألف سنة : لأن مثل هذه الأعمال لا تُعْمل إلا بالأرصاد ولا يكمل رصد المجموع فى أقل من هذه المدّة .

قلت : ويجوز أن يكون الرَّصْدُ حصل علىٰ الوجه المذكور ، وزُبِرَ ورُقِمَ فى الكُتُب فلما بنىٰ الثانى هذه البرابىَ، نقل منها مازُبِرَ فى الكتب من ذلك الزمن المتقدّم .

وٱعلم أن أكثر البرابى بالوجه القبلىّ من الديار المصرية، وبالوجه البحرىّ القليلُ منها ، وقد ٱستولىٰ الخراب علىٰ جميعها، وذهبت معالمها ولم يبق إلا آثارها ، والذى وقفتُ عليه فى التواريخ، ووقفتُ علىٰ آثار غالبه ورسومه سبعُ برَابٍ .

(منها) بِرْبا سَمَنُّودَ، كانت بظاهر سَمَنُّود من الأعمال الغربية بالوجه البحرىّ .

قال الكندىّ : رأيتها وقد خَزَّنَ فيها بعضُ عُمَّالها قَرَظا فرأيت الجمل إذا دنا من بابها بحمله وأراد أن يدخلها ، سقط كل دبيب فى القرظ فلا يدخل منها شىء إلىٰ البربا .

قال القضاعى : ثم خربت عند الخمسين وثلثمائة .

(ومنها) بربا تُمَىّ بالمُرْتاحية من الوجه البحرى علىٰ القُرْب من مدينة تُمَىّ الخراب وعامة أهل تلك الناحية يقولون بربا عاد، وهى باقية بجُدْرانها، وسقوفُها من أعظم

الحجارة العظيمة، إلىٰ الآن باقية، وبأعلىٰ بابها قطعة مبنية بالطوب الآجُرّ والجِصّ، وداخلها أحواض عظيمة من الصوّان غريبة الشان .

(ومنها) بربا إخميم، وهى بربا بظاهر مدينـة إخميم من الوجه القبلىّ؛ كانت من أعظم البَرَابى وأحسنها صنعةً وأكبرها حكمةً،ولم تزل عامرة إلىٰأوساط المائة الثامنة، فأخَذَ فى هـدمها والعمارة بأحجـارها خطيب إخميم، ولم يبْق إلا آثارها، وبعض جُدْرانها قائمة إلىٰ الآن .

(ومنها) بربا دَنْدَرَةَ من الأعمال القُوصية .

قال القضاعىّ : وهى بربا عجيبة فيها مائة وثمـانون كُوّة تدخل الشمس فى كل يوم فى كوّة منها، ثم تكُرّ راجعة إلىٰ الموضع الذى بدأت منه، وهى الآن خراب لم يبق إلا آثارها .

(ومنها) بربا الأَقْصُر:وكانت بربا عظيمة فهُدِمت أيضا،ولم يبق منها إلا آثارها.

ومن بقايا الآثار بها صنم عظيم من حجر صوّان أملس،قائم علىٰ باب ضريح الشيخ أبى الحجـاج الأَقْصُرىّ علىٰ حاله إلىٰ الآن، ومر عليه زمنُ الشيخ وهو علىٰ ذلك، ولعله إنمـا أراد ببقائه التنبيهَ علىٰ ضـعف عقول عَبَدَة الأصـنام لكونهم يعبدون حجرا مثل هذا .

(ومنها) بربا أَرْمَنْت، وهى بربا صـغيرة قد ذهبت معالمها، ولم يبق بها إلا عُمُد صوّان قائمة من غير شىء محمول عليها .

(ومنهـا) بربا إسْـنا، وهى متوسـطة القدر بين الكبر والصـغر، وقد بقى منها قطعة جيدة جُعِلت شونة للغلال، وأهل إسـنا يذكرون أن الفأر لا يدخلها، وإن دخلها مات .

ومن الآثار العجيبة بمصر أيضا مِسَلَّتان بعين شمس على القرب من المَطَرِيَّة من ضواحى القاهرة من حجر صوّان أحمر محدّدتا الرأسين. ذكر القضاعىّ: أن الشمس تطلعُ على الجنوبية منهما فى أقصر يوم فى السنة، وعلى الشَّمالية فى أطول يوم فى السنة؛ وتتردّد فيما بينهما فى بقية السنة. وذكر أنه كان عليهما صَوْمعتان من نُحَاس، إذا كان زمن زيادة النيل تقاطر الماء من أعلاهما إلى أسفلهما، فينبتُ حولها العَوْسَجُ، وما فى معناه من الحشيش.

ومن العجائب حائطُ العجوز، وهو حائط من لَبِنٍ، بنتها دَلُوكة ملكة مصر بعد فرعون، من العَرِيش إلى أُسْوان، دائرة على أراضى مصر من شرقيّها وغربيّها فى لِحْف جبليها؛ وجعلت بين كل ثلاثة أميال مَحْرَسا، وشقَّت خليجا من النيل إلى جانبها، وآثارها باقية إلى الآن بالجانب الشرقىّ والجانب الغربىّ.

المقصد الثانى عشر
(فى ذكر قواعدها المستقرّة)

وهى ثلاث قواعد، قد تقاربت وآختلطت حتّى صارت كالقاعدة الواحدة.

القاعدة الأولى
(مدينة الفُسْطَاط)

بفاء مضمومة وسين مهملة ساكنة وطاء مهملة مفتوحة بعدها ألف ثم طاء ثانية فى الآخر. ويقال فيه فُسْتَاط بإبدال الطاء الأولى تاء وفُسَّاط. قال الجوهرىّ: وكسر الفاء لغة فيهن؛ وهى المدينة المعروفة بين العامة بمصر وآسمها القديم باب أَلْيُونَ [1].

قال أبو السعادات بن الأثير فى نهايته: بفتح الهمزة وسكون اللام وضم الياء المثناة تحت وسكون الواو ونون فى الآخر.

(١) وفى ياقوت بابِلْيُون الباء الثانية مكسورة واللام ساكنة وقد ذكره أيضا فى أليون

قال القضاعىّ : وهو ٱسمها بلغـة الرُّومِ والسُّودَانِ ، ولذلك يعرف القصر الذى بالشرق بباب أَلْيُونَ ، وموقعها فى الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة .

قال فى "كتاب الأطوال" : وطولها ثلاث وخمسون درجة ، وعَرْضها ثلاثون درجة وعشر دقائق .

وقال فى "القانون" : طولهـا أربع وخمسون درجة وأربعون دقيقة ، وعَرْضها تسع وعشرون درجة وخمس وخمسون دقيقة .

وقال ٱبن سعيد : طولها ثلاث وخمسون درجة وخمسون دقيقة ، وعرضها تسع وعشرون درجة وخمس وخمسون دقيقة .

وقال فى "رسم المعمور" : طولها أربع وخمسون درجة وأربعون دقيقة .

والذى عليه عمل أهل زماننا فى وضع الآلات وغيرها طول خمس وخمسين درجة ، وعرض ثلاثين .

وٱختلف فى سـبب تسميتهـا بالفُسْطَاط ، فقال ٱبن قُتَيْبَةَ : إن كل مدينـة تسمّى فُسْطَاطًا ، ولذلك سميت مصر الفُسْطَاطَ .

وقال الزَّمَخْشَرِىّ : الفُسْطَاطَ ٱسم لضَرْب من الأبنية ، فى القدر دون السُّرادِقِ والذى عليـه الجمهور أنه يسـمّى بذلك لمكان فُسْـطَاط عمرو بن العاص رضى الله عنه يعنى خيمته ، وذلك أن عمرا لمـا فتح الحصن المعروف بقصر الشَّمَع فى سـنة إحدى وعشرين من الهجرة وٱسـتولىٰ عليه ضرب فُسْطَاطَه علىٰ القرب منه فلمـا قصد التوجه إلىٰ الإسكندرية لفتحها ، أمر بنزع فُسْطَاطِه للرحيل ، فإذا بحَمَام قد أفرخ فيه فقـال : لقد تحرّم مِنّا بحَرَم ، وأمر بإقرار الفُسْطَاط مكانه ، وأوصىٰ علىٰ الحَمَام ، وسار إلىٰ الإسكندرية ففتحها ، ثم عاد إلىٰ فُسْطَاطِه ونزل به ونزل الناس حوله ، وٱبتنىٰ داره الصغرىٰ التى هى علىٰ القرب من الجامع العتيق مكانَ فُسْطَاطِه ، وأخذ الناس فى الٱختطاط حوله فتنافست القبائل فى المواضع والٱختطاط ، فولّى عمرو

على الخطط معاوية بن حُدَيْج التُّجِيبِيّ، وشريك بن سُمَيّ الغُطَيفيّ، وعمرو بن قَحْزَم الخَوْلَانِيّ، وحَيْويل بن ناشرة المَعَافرى، ففصلوا بين القبائل وأنزلوا الناس منازلهم، فاختطوا الخطط وبنَـوُا الدور والمساجد، وعُرفت كل خطة بالقبيلة أو الجماعة التى اختطتها، أو بصاحبها الذى اختطها .

فأما الخِطَط والآدُر التى عرفت بالقبائل والجماعات .

(فمنها) خِطَّةُ أهل الراية، وهم جماعة من قُرَيْش، والأنصار، وخُزَاعَة، وأَسْلَم، وغِفَارٍ، ومُزَيْنَة، وأَشْجَع، وجُهَيْنَة، وثَقِيف، ودَوْس، وعَبْس بن بَغِيض، وجُرَش من بنى كِنَانَة، ولَيْث بن بكر، لم يكن لكل منهم من العـدد ما ينفرد به بدعوة من الديوان فجعل لهم عمرو بن العاص رايةً لم ينسبها إلىٰ أحد، وقال يكون وقوفكم تحتها، فكانت لهم كالنسب الجامع، وكان ديوانهم عليها فعُرِفوا بأهل الراية، وانفردوا بخطَّة وحدهم، وخِطَّتهم من أعظم الخِطَط وأوسعها .

(ومنها) خِطّة مَهْرَة، وهم بنو مَهْرَة بن حَيْدانَ بن عمرو بن إلحاف بن قُضاعة ابن مالك بن حِمْيَر، من قبائل اليَمَن .

(ومنها) خِطَّة تُجِيب، وهم بنو عَدِىّ وسعد ابنى الأَشْرس بن شَبِيب بن السَّكَن بن الأشرس بن كِنْدَة، وتُجِيبُ اسم أمهما عرفت القبيلة بها .

(ومنها) خِطَطُ لَخْم، وهى ثلاث : الأولىٰ بنو لخم بن عَدِىّ بن مُرَّة بن أُدَد، ومَنْ خالطهم من جُذَام . والثانية، بنو عبد ربه بن عمرو بن الحرث بن وائل بن راشدة[1] ابن لَخْم . والثالثة، بنو راشدة بن أَذَبّ بن جَزِيلة بن لَخْم .

(ومنها) خِطَطُ اللَّفِيف، وهم جماعة من القبائل تسارعوا إلىٰ مراكب الرُّوم حين بلغ عمرا قدومُهم الإسكندرية عند فتحها، فقال لهم عمرو[2]، وقد استكثرهم : إنكم

(١) كذا فى ابن دقاق أيضا ووقع فى المقريزى "بنورية" وهو تصحيف .
(٢) فى خطط المقريزىّ وابن دقاق "فقال لهم عمرو بن جمالة" .

لكما قال الله : ﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴾ فسُمُّوا اللَّفِيفَ من يومئذ .

(ومنها) خِطَط أهل الظاهر ، وهم جماعة من القبائل قَفَلوا من الإسكندرية بعد قفول عمرو بن العاص ، فوجدوا الناس قد أخذوا منازلهم ، فتحاكموا إلىٰ معاوية بن حُدَيْج الذى جعله عمرو علىٰ الخِطَط ، فقال لهم : إنى أرىٰ لكم أن تظهروا علىٰ هذه القبائل فتتخذوا لكم منازل ، فسميت منازلهم الظاهر .

(ومنها) خِطَطُ غَافِق ، وهم بنو غافق بن الحٰرث بن عَكّ بن عُدْثَانَ بن عبد الله ابن الأَزْدِ .

(ومنها) خِطَط الصَّدِف : بفتح الصاد وكسر الدال المهملتين . وهم بنو مالك بن سَهْلِ بن عمرو بن قيس بن حِمْيَر من قبائل اليَمَن ، وقيل بنو مالك بن مُرَقَّع بن كِنْدَة ، سمى الصَّدِف لأنه صَدَف بوجهه عن قومه حين أتاهم سَيْلُ العَرِم .

(ومنها) خِطَط خَوْلَانَ ، وهم بنو خَوْلان بن عمرو بن مالك بن زيد بن عَرِيب .

(ومنها) خِطَطُ الفارسيين ، وهم بقايا جند باذانَ ، عامل كسرىٰ ملك الفُرْس علىٰ اليَمَن .

(ومنها) خِطَط مَذْحِج ، وهم بنو مالك بن مُرَّة بن أُدَدَ بن زيد بن كَهْلَان بن عبد الله .

(ومنها) خِطَّة يَحْصُبَ ، وهم بنو يَحْصب بن مالك بن أسلم بن زيد بن غَوْث ابن حِمْيَر .

(ومنها) خِطَّة رُعَيْنٍ ، وهم بنو رُعَين بن زيد بن سهل بن يَعْفُرَ بن مُرَّة بن أُدَدَ .

(ومنها) خِطَّة بنى الكُلَاع ، وهو الكُلَاعُ بن شُرَحْبِيل بن سَعْد بن حِمْيَر .

(ومنها) خِطَّة المَعَافِر ، وهم بنو المعافر بن يَعْفُر بن مُرَّة بن أُدَدَ .

(ومنها) خِطَط سَبَإٍ ، وهم بنو مالك بن زيد بن وليعة بن معبد بن سَبَا .

(ومنها) خِطَّة بنى وائل ، وهو وائل بن زيد مناة بن أَفْصَىٰ بن إياس بن حَرَام بن جُذَام بن عَدِىّ .

(ومنها) خِطَّة القَبَض، وهم بنو القبض بن مَرْثَدٍ.

(ومنها) خِطَط الحَمْراوات، وهى ثلاث؛ سميت بذلك لنزول الروم بها، وهم حُمْر الألوان :

الأولىٰ ـ الحمراء الدُّنْيا ؛ وبها خطة بَلِيٍّ، وهم بنو بلِيّ بن عمرو بن إلْحَاف بن قُضَاعَة إلا من كان منهم فى أهل الراية؛ وخِطَّة ثَراد من الأزد، وخطة فَهْمٍ، وهم بنو فَهْمِ بن عمرو بن قيس بن عَيْلاَن، وخطة بنى بحر بن سَوادة من الأَزْدِ .

الثانية ـ الحمراء الوُسْطىٰ ، وبها خطة بنى نبه ، وهم قوم من الروم حضروا الفتح؛ وخِطَّة هُذَيْل ، وهم بنو هذيل بن مُدْرِكَةَ بن إلْيَاسَ بن مُضَر؛ وخِطَّة بنى سَلاَمَانَ من الأَزْدِ .

الثالثة ـ الحمراء القُصْوىٰ،وهى خطة بنى الأزرق من الرُّوم،وحضر الفتح منهم أربعمائة رجل؛ وخِطَّة بنى يَشْكُرَ بن جَزِيلَةَ من لَخْم،وإليهم ينسب جبل يَشْكُرَ الذى بُنِى عليه جامع أحمد بن طولون الآتى ذكره مع جوامع الفُسْطَاطِ إن شاء الله تعالىٰ .

(ومنها) خِطَط حَضْرَمَوتَ، وهم بنوحَضْرَمَوتَ بن عمرو بن قَيْس بن معاوية بن حِمْيَرَ؛ إلىٰ غير ذلك من الخطط التى دَرَسَتْ قبل الاهتمام بالتأليف فى الخِطَط .

⁂

واعلم أنه كان فى خلال هذه الخِطَط دُور جماعة كثيرة من الصحابة رضوان الله عليهم ممن حضر الفتح .

(منها) دار عمرو بن العاص، ودار الزُّبَيْر بن العوّام، ودار قَيْس بن سَعْد بن عُبَادة الأنصارىّ، ودار مَسْلَمَةَ بن مُخَلَّد الأنصارىّ، ودار عبد الرحمن بن عُدَيْسٍ البَلَوِىّ، ودار وَهْب بن عُمَير بن وَهْب بن خَلَف الجُمَحِىّ، ودار نافع بن عبد القيس بن لَقِيط الفِهْرِىّ ، ودار سَعْد بن أبى وَقَّاصٍ، ودار عُقْبَةَ بن عامر الجُهَنِىّ، ودار القاسم

وعمرو ٱبنَىْ قيس بن عمرو ، ودار عبد الله بن سـعد بن أبى سَرْح العامرىّ ، ودار مسعود بن الأسود بن عبد شمس بن حَرَامٍ البَلَوِىّ ، ودار المستَوْرِد بن شدّاد الفِهرِىّ ، ودار حُيَىّ بن حَرَامٍ اللَّيثىّ ، (وفى صحبته خلاف) ، ودار الحرث بن مالك اللَّيثىّ المعروف بٱبن البَرصاء ، ودار بِشْر بن أَرْطاةَ العامرىّ ، ودار أبى ثعلبة الخُشَنِىّ ، ودار إيَاس بن البُكَير الليثىّ ، ودار مَعْمَر بن عبد الله بن نَضْلة القُرَشىّ العَدَوِىّ ، ودار أبى الدَّرْدَاء الأنصارىّ ، ودار يعقوب القِبْطِىّ رسول المُقَوْقِس إلىٰ رسول الله صلّى الله عليه وسلم مع مارِيَةَ : أمّ ولده إبراهيم وأختها شِـيرين ، ودار مُهَاجِرٍ مولىٰ أم سَلَمَةَ زوج النبىّ صلّى الله عليه وسلم ، ودار عُلْبَةَ بن زيد الأنصارىّ ، ودار محمد ٱبن مَسْلَمَةَ الأنصارىّ ، ودار أبى الأسود مَسْروح بن سدر الحصنى ، ودار عبد الله ٱبن عُمَر بن الخَطَّاب ، ودار خارجةَ بن حُذَافة بن غانم العَـدَوِىّ ، ودار عُقْبَـةَ بن الحرث ، ودار عبـد الله بن حُذَافة السهمىّ ، ودار محمية بن جَزْء الزَّبِيدِىّ ، ودار المُطَّلب بن أبى وَدَاعة السَّهمِىّ ، ودار هُبَيْب بن مَعْقِلٍ الغِفارِىّ ، وبه يعرف وادى هُبَيْبٍ بالقرب من الإسكندرية ، ودار عبـد الله بن السائب المخزومىّ ، ودار جَبْر القِبْطِىّ رسول المُقَوْقِسِ إلىٰ رسـول الله صلّى الله عليه وسـلم ، ودار يزيد بن زياد الأَسْلمِىّ ، ودار عبد الله بن ريَّان الأسلمِىّ ، (وفى صحبته خلاف) ، ودار أبى عميرة رشيد بن مالك المُزَنِىّ ، ودار سِباَع بن عُرْفُطَةَ الغِفَارِىّ ، ودار نضلة بن الحرث الغِفَارِىّ ، ودار الحرث بن أسد الخزاعىّ (وفى صحبته خلاف) ، ودار عبد الله بن هشام بن زُهَرَة من ولد تيم بن مُرَّة ، ودار خارجة بن حُذَافَة بن غانم العدوىّ[(١)] ، وهو أوّل من ٱبتنىٰ غُرْفة بالفُسْطَاطِ ، فكوتب عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى أمرها فكتب إلىٰ عمرو بن العاص : أن ٱدخُل غرفة خارجة وٱنْصِب فيها سريرا ، وأقم عليه رجلا ليس بالطويل ولا بالقصير ، فإن ٱطّلع من كُوَاها فاهـدِمْها . ففعل عمرو فلم

(١) تقدم قريبا فهو مكرر .

يبلغ الكُوىٰ فأقرّها، ودار محمد بن حاطب الجُمَحى، ودار رِفَاعة الدَّوْسِىّ، ودار فَضَالة آبن عبيد الأنصارىّ، ودار المطلب بن أبى وَدَاعة السهمىّ (١) . إلىٰ غير ذلك من الدور التى أغفلت ذكرَها أصحابُ الخِطَط .

قلت : وكان أمراء مصر القائمون مقام ملوكها الآن ينزلون بالفُسْطَاط، ولم يكن لهم فى آبتداء الأمر مَقَرّة معيَّنة، ولا دارٌ للإمارة مخصوصة . فنزل عمرو بن العاص أوّلُ أمرائها بداره علىٰ القرب من الجامع، ولم يزل كلُّ أمير بعده ينزل بالدار التى يكون بها سكنه إلىٰ آخر الدولة الأُمَوِيَّة، وكان عبد العزيز بن مَرْوانَ، وهو أمير مصر فى خلافة أخيه عبد الملك بن مَرْوَانَ قد بنىٰ دارا عظيمة بالفُسْطَاط سنة سبع وستين من الهجرة وسماها دار الذهب، وجعل لها قُبَّة مُذْهَبة إذا طلعت عليها الشمس لايستطيع الناظر التأملَ فيها خوفا علىٰ بصره، وكانت تعرف بالمدينة لسعَتِها وعِظَمِها، وكان عبد العزيز ينزلها، ثم نزلها بنوه بعده . فلما هرب مَرْوان بن محمد آخِرُ خلفاء بنى أُمَيَّةَ إلىٰ مصر، نزل هذه الدار فلما رهقَه القوم، أمر بإحراقها، فلامه فى ذلك بعض بنى عبد العزيز بن مَرْوَانَ فقال : إن أَبْقَ، أَبْنِها لَبِنَةً من ذهب ولَبِنَةً من فِضَّة، وإلا فما تصاب به فى نفسك أعظم، ولا يتمتع بها عدوّك من بعدك .

فلما غلب بنو العبّاس علىٰ بنى أُمَيَّةَ وهرب مَرْوانُ بن محمد آخرُ خلفاء بنى أُمَيَّةَ إلىٰ الديار المصرية، وتبعه علىّ بن صالح بن علىّ الهاشمىّ إلىٰ أن أدركه بمصر وقتله وآستقر أميرا علىٰ مصر فى خلافة السَّفَّاح أوّلِ خلفاء بنى العبّاس، آبتنىٰ دارا للإمارة ونزلها، وصارت منزلةً للأمراء بعده إلىٰ أن وَلِى أحمد بن طولون الديار المصرية فنزل بها فى أوّل أمره، ثم آختطّ بعد ذلك قَصْره المعروف بالمَيْدَان فيما بين قلعة الجبل الآن والمَشْهد النَّفِيسِىّ وما يلى ذلك فى سنة ست وخمسين ومائتين،

(١) سبق ذكرها فإعادتها سهو .

وكان له عدّة أبواب : بعضها عند المشهد النفيسىّ، وبعضها عند جامعه الآتى ذكره، وآختطّ الناس حوله، وآقتطع كل أحد قطيعة آبتنىٰ بها، فكان يقال : قطيعة هارون بن خُمَارويه ، وقطيعة السُّودَان ، وقطيعة الفَرَّاشـين ، فعرف ذلك المكان بالقطائع ، وتزايدت العمارة حتّى آتّصلت بالفُسْطَاط ، وصار الكل بلدا واحدا ، ونزل أحمد بن طولون بقصره المذكور ، وكذلك بَنُوه بعـده ، وأهملت دار الإمارة التى آبتناها علىّ بن صالح بالفُسْطَاط . وآسـتقرّ الأمر علىٰ ذلك بعده أيام آبنه خُمَارَوَيْهِ وولديه جيش وهارون ، وزادت العمارة بالقطائع فى أيامهما ، وكثرت الناس فيها حتّى قتل هارون بن خُمارَوَيْهِ بعد قتل أبيه وأخيه ، وسار محمد بن سليمان الكاتب بالعساكر من العراق من قِبَلِ المُسْتَكْفِي بالله ، ووصل إلىٰ مصر فى سـنة آثنتين وتسعين ومائتين ، وقد ولّى الطُّولُونِيَّةُ عليهم رَبِيعَةَ بن أحمد بن طولون ، فتسلم البلَد منه وخرّب القطائع وهَدَم القصر وقلع أساسه ، وخرب موضعه حتّى لم يبقَ له أثر .

وكان بَدْرٌ الخفيفى غلام أحمد بن طولون قد بنىٰ دارا عظيمة بالفُسْطَاطِ عنـد المُصَـلّى القديمة ، وقيل آشتراها له أحمد بن طُولُونَ ، ثم سَخِط عليـه أحمد فنكبه ، وسكنها بعده طاهر بن خُمَارَوَيْهِ ، ثم سكنها بعده الحمامى غلام أحمد بن طولون . فلمـا هدم محمد بن سليمان الكاتبُ قصر بنى طولون بالقطائع ، سكن هـذه الدارَ ، ثم سكنها عيسىٰ النَّوْشَرِىّ أميرُ مصر بعـده ، وآستقرّت منزلةً للأمراء إلىٰ أن وَلِىَ الإخشيدُ مصر فزاد فيها وعَظَّمها ، وعمل لها مَيْدَانًا وجعل له بابا من حديد ، وذلك فى سنة إحدىٰ وثلاثين وثلثمائة ، ولم تزل منزلةً للأمراء إلىٰ أن غلبت الخلفاءُ الفاطميون الإخشـيديةَ علىٰ مصر وبنىٰ القائد جوهرٌ القاهرةَ والقصرَ ، فنقل باب هذه الدار إلىٰ القاهرة ، وصار القصر منزلة لهم علىٰ ماسيأتى ذكره فى الكلام علىٰ خطَط القاهرة إن شاء الله تعالىٰ .

وصار الفُسْطَاطُ فى كل وقت تتزايدعمارته حتّىٰ صار فى غاية العمارة ونهاية الحسن. به الآدُرُ الأَنِيقة، والمساجد القائمة، والحمامات الباهية، والقَيَاسِرُ الزاهية، والمستنزهات الرائقة، و رحل الناس إليه من سائر الأقطار، وقصدوه من جميع الجهات، وغصَّ بسُكَّانِهِ، وضاق فَضَاؤه الرحيب عن قُطَّانِه . حتّىٰ حكىٰ صاحب "إيقاظ المُتَغَفِّل" عن بعض سُكَّان الفُسْطَاط أنه دخل حمّاما من بناء الرُّوم فى أيام خُمَارَوَيْهِ بن طولون فى سنة سبع عشرة وثلثمائة فلم يجد فيها صانعا يخدُمه ، وكان فيها سبعون صانعا قلَّ منهم من معه ثلاثة نَفَرٍ يغسلهم ، وأنه دخل بعدها حمّاما ثم حمّاما فلم يجد من يخدمه إلا فى الحمّام الرابعة، وكان الذى خدمه معه ثان .

وحكىٰ فى موضع آخر عمن يثق به عن أبيه أنه شاهد من مسجد الوكرة[1] بالفُسْطَاط إلىٰ جامع ٱبن طولون قصبة سوق متصلة، فعدّ ما بها من مقاعد الجِصّ المصلوق فكانت ثلثمائة وتسعين مقعدا غير الحوانيت وما بها .

وحكىٰ أيضا عمن أخبره أنه عدّ الأسْطَال النُّحَاس المؤبدة فى البَكَر لٱستقاء الماء فى الطاقات المُطِلَّة علىٰ النيل، فكانت ستة عشر ألف سطل . قال : وبلغ أجرة مقعد يكرىٰ عند البيمارستان الطولونىّ بالفُسْطَاطِ فى كل يوم ٱثنى عشر درهما .

وذكر ٱبن حَوْقَلٍ أنه كان بالفُسْطَاطِ فى زمانه دار تعرف بدار ٱبن عبد العزيز بالموقف يُصَبّ لمن فيها من السكان فى كل يوم أربعمائة راوية ماء، وفيها خمسة مساجد، وحَمَّامَان، وفُرْنان .

قلت : ولم يزل الفُسْطَاط زاهىَ البنيان، باهىَ السُّكَّان، إلىٰ أن كانت دَوْلَةُ الفاطميين بالديار المصرية، وعمرت القاهرة علىٰ ماسيأتى ذكره، فتقهقر حالُه وتناقص، وأخذ الناس فى الٱنتقال عنه إلىٰ القاهرة وما حولها، فخلا من أكثر سُكَّانه، وتتابع الخراب

(١) الذى فى الخطط للقريزى حين روىٰ هذه الحكاية عن "إيقاظ المتغفل" أيضا، "مسجد عبدالله" فلعله يسمى بذلك أيضا .

فى بنيانه، إلىٰ أن غلب الفرنج علىٰ أطراف الديار المصرية فى أيام العاضد: آخر خلفاء الفاطميين، ووزيرُه يومئذ شاور السـعدىّ فخاف علىٰ الفُسْطَاطِ أن يملكه الفرنج ويتحصنوا به، فأضرم فى مساكنه النار فأحرقها فتزايد الخراب فيه وكثر الخلوّ.

ولم يزل الأمر علىٰ ذلك فى تقهقر أمره إلىٰ أن كانت دولة الظاهر بِيبَرْس: أحد ملوك التُّرك بالديار المصرية، فصرف النـاسُ همتهم إلىٰ هـدم ماخلا من أخطاطه والبناء بنِقْضه بساحل النيل بالفُسْطَاط والقاهرة، وتزايد الهدم فيه وآستمرّ إلىٰ الآن، حتّىٰ لم يبق من عمارته إلا ما بساحل النيل، وما جاوره إلىٰ ما يلى الجامع العتيق وما دانىٰ ذلك، ودثرت أكثر الخِطَط القديمة وعفا رسمها، وآضْمَحلَّ ما بقى منها وتغيرت معالمه.

وإذا نظرت إلىٰ خطط الكندىّ والقضاعىّ والشريف النَّسَّابة، عرفت ما كان الفُسْطَاط عليه من العمارة وما صار إليه الآن، وإنمـا أجرينا ذكر بعض الخطط المتقدّمة، حفظا لأسمـائها وتنبيها علىٰ ما كانت عليه. إلا أن فى ساحله المُطِلّ علىٰ النيل الآن وما جاور ذلك المبانى الحسنة، والدور العظيمة، والقصور العاليـة، التى تبهج الناظر، وتسرّ الخاطر.

وكان أكثر بنيانه بالآجُرّ المحكوك والجبس والجير من أوثق بناء وأمكنه، وآثاره الباقيـة تشهد له بذلك، وقد صار ما خرب منه ودَثَر كيمانا كالجبال العظيمة، وهجر غالبها وترك، وسكن فى بعضها رَعَاعُ الناس ممن لا يعبَأُ به فى جوانب منها لا تعدّ فى العامر.

ومن كيمانه المشهورة التى ذكرها القضاعىّ كوم الجارح، وكوم دينار، وكوم السمكة وكوم الزينة، وكوم الترمس، وزاد صاحب "إيقاظ المتغفل" كوم بنى وائل، وكوم آبن غراب، وكوم الشقاف، وكوم المشانيق.

ويقابل الفُسْطاط من الجهة البحرية جزيرةُ الصِّناعة المعروفة الآن بالرَّوْضَة ، كانت صناعة العمائر أوّلا بها فنسبت إليها .

قال الكندىّ : وكان بناؤها فى سنة أربع وخمسين ثم غلب عليها آسم الروضة لحسنها ونَضارتها وإطافة الماء بها ، ومابها من البساتين والقُصُور ؛ وهى جزيرة قديمة كانت موجودة فى زمن الروم . وكان بها حصن عليه سور وأبراج ؛ وبين الفُسْطَاط وبينها جسر ممتدّ من المراكب علىٰ وجه النيل كما فى جسر بغداد علىٰ الدجلة ولم يزل قائما إلىٰ أن قدم المأمون مصر فأحدث عليه جسرا من خشب تمرّ عليه المارّة وترجع ، وبعد خروج المأمون من مصر هبّت ريح عاصفة فى الليل فقطعت الجسر القديم ، وصدمت بسفنه الجسر المحدَث فذهبا جميعا ، ثم أعيد الجسر المحدَث وبطل القديم .

وقد ذكر القضاعىّ : أنه كان موجودا إلىٰ زمنه ، وكان فى الدولة الفاطمية ، ثم جدّد الحصن المذكور أحمد بن طولون أمير مصر فى خلافة المعتمد فى سنة ثلاث ومائتين ؛ ثم آستهدم بعد ذلك بتأثير النيل فى أبراجه ومرور الزمان عليه ؛ ثم بنىٰ الصالح نجم الدين أيوب قلعةً مكانه فى سنة ثمان وثلاثين وستمائة ، وبقيت حتّىٰ هدمها المعز أيبك التركمانى أوّل ملوك الترك ، وعمر من نِقْضها مدرسته المُعِزِّية برحبة الخرّوب ، وآتخذ الناس مكانها أملاكا ، وهى علىٰ ذلك إلىٰ زماننا ، ولم يبق بها إلا بعض أبراج آتخذها الناس أملاكا وعمروا عليها بيوتا . فلما ملك الظاهر بيبرس ، هَمَّ بإعادتها فلم يتفق له ذلك وبقيت علىٰ حالها .

قلت : وكانت أُرْفة[1] النيل التى بين جزيرة الصناعة وبين الفُسْطَاط هى أقوىٰ الفرقتين والتى بين الجزيرة والجيزة هى الضعيفة ، ثم آنعكس الأمر إلىٰ أن صار مابين الجزيرة والفسطاط يجف ولا يعلوه الماء إلا فى زيادة النيل ، ويبدو بين آخر

(١) فى الأصل أزفة وهو تصحيف والأرفة بالراء المهملة الحد والمُسنَّاةُ والمراد بها هنا الفرقة .

الفُسْطاط وهـذه الجزيرة علىٰ فُوَّهة خليج القاهرة حيث السدّ الذى يفتح عنـد وفاء النيل مكانٌ كالجزيرة، يعرف بمُنْشَأة المَهْرانى كان كوما يحرق فيه الآجُرُّ يعرف بالكوم الأحمر، عدّه القضاعىّ فى جملة كِيان الفُسْطَاط .

قال صـاحب " إيقاظ المتغفل " : وأوّل من ٱبتدأ فيـه العمارة بلبان المهرانىّ فى الدولة الظاهرية بيبرس فنسبت المنشأة إليه .

ويلى الفُسْطَاطَ من غربيّه بركةٌ تعرف ببركة الحَبَش، وهى أرض مزدرعة .

قال القضاعىّ : كانت تعرف ببركة المَعَافِرِ وحِمْيَرَ، وكان فى شرقيّها جَنَّات تعرف بالحبش فنسبت إليها .

وذكر ٱبن يونس فى تاريخه أن تلك الجنـات تعرف بقَتَادَة بن قيس بن حبشى الصدفىّ، وهو ممن شهد فتح مصر .

قلت : وهى الآن موقوفة علىٰ الأشراف من ولد علىّ بن أبى طالب كرم الله وجهه من فاطمة بنت رسول الله صلّى الله عليه وسلم، وقفها عليهم الصالح طلائع بن رزيك وزير الفائز والعاضد من الخلفاء الفاطميين، ويليه من قبليّه حيث القرافة المكانُ المعروف بالخندق، كان قد ٱحتفره عبد الرحمن بن عُيَيْنَةَ خندقا فى سنة خمس وستين من الهجرة عند مسير مَرْوان بن الحكم إلىٰ مصر، فعرف بذلك .

⁂

وأما جوامعـــه فســـتة :

الأوّل

(الجامع العتيق المعروف بجامع عمرو)

وذلك أن عمرا لما بنىٰ داره الصغرىٰ مكان فُسْطَاطِه علىٰ ما تقدّم ذكره، ٱختط الجامع المذكور فى خِطَّة أهل الراية المتقدّمة الذكر .

قالَ القضاعيّ : وكان جنانا فيما ذكر الليث بن سعد . قال : وكان الذى حاز موضعه قَيْسَبَةَ بن كُلْثومِ التُّجِيبيّ أحد بنى سُوم، فنزله فى حصار الحصن المعروف بقصر الشَّمَع، فلما رجع عمرو من الإسكندرية، سأل قَيْسَبَةَ فيه ليجعله مسجدا فسلمه إليه، وقال : تصدّقتُ به على المسلمين، وآختط له خِطَّة مع قومه فى بنى سومٍ فى تُجِيب؛ فبُنِى فى سنة إحدى وعشرين، وكان طوله خمسين ذراعا فى عرض ثلاثين ذراعا؛ ويقال : إنه وَقَفَ على قبلته ثمانون رجلا من الصحابة رضوان الله عليهم : منهم الزُّبَيْر بن العَوَّامِ، والمِقْدادُ بن الأَسْوَد، وعُبَادَةُ بن الصَّامِتِ، وأبو الدَّرْدَاءِ، وأبو ذَرٍّ الغِفَارِىّ، وأبو بَصْرَةَ الغِفَارِىّ وغيرهم؛ ولم يكن له يومئذ محراب مُجَوَّف بل عمد قائمة بصدر الجذار، وكان له بابان يقابلان دار عمرو آبن العاص، وبابان فى بَحْرِيّه، وبابان فى غَرْبِيّه، وطوله من قِبْلِيِّه إلى بحريّه مثل طول دار عمرو، وبينه وبين دار عمرو سبعة أذرع . ولما فرغ من بنائه، آتخذ عمرو بن العاص له مِنْبَرًا يخطب عليه، فكتب إليه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه يعزم عليه فى كسره، ويقول : أما يَكْفيك أن تقوم قائما والمسلمون جلوس تحت عقبيك ؟ فكسره . ويقال إنه أعاده إليه بعد وفاة أمير المؤمنين عمر رضى الله عنه .

وقيل إن زكريا بن مرقيا[(١)] ملك النُّوبة أهدى لعبد الله بن أبى سَرْحٍ العامرىّ فى إمارته على مصر منبرا فجعله فى الجامع؛ ثم زاد فيه مسلَمة بن مُخَلَّدٍ الأنصارىّ فى سنة ثلاث وخمسين من الهجرة، وهو يومئذ أمير مصر من قِبَل معاويةَ بن أبى سُفْيان زيادةً من بَحْرِيِّه، وزَخْرَفه؛ وهو أوّل من صلّى على الموتى داخل الجامع، وتوالت فيه الزيادات والتجديدات إلى زماننا . وأوّل من رتب فيه قراءة المصحف

---

(١) فى آبن دقاق المخطوط "آبن مرقى".

عبدُ العزيز بن مَرْوَانَ فى إمارته فى سنة ست وسبعين ، ورفع عبد الله بن عبد المَلك سقفه فى سنة تسع وثمـانين بعد أن كان مطأطأ ؛ ثم جعل فيــه المحرابَ المجوّفَ قُرَّةُ آبن شَرِيك العبسىّ آتّباعا لعمر بن عبد العزيز فى محراب مسجد رسول الله صلّى الله عليه وسلم فى المدينة ، وأحدث فيه المقصورة تبعا لمعاوية حيث فعل ذلك بالشأم .

وفى ســنة آثنتين وثلاثين ومائة أمر موسى بن نصر اللخمىّ وهو أمير مصر باتخاذ المنابر فى جميع جوامع قُرى مصر . وأوّل من نصب اللوحَ الأخضَر فيــه عبدُ الله آبن طاهر ، وهو أمير مصر فى ســنة آثنتى عشرة ومائتين ؛ ثم آحترق الرّواق الذى فيه اللوح الأخضر فى ولاية خُمَارَوَيْهِ بن أحمد بن طولون ، فعمره خُمَارَوَيْهِ فى سنة خمس وسبعين ومائتين . ثم جدّد اللوحَ "الظاهرُ بيبرس" فى سنة ست وستين وستمائة ثم جدّد اللوحَ الأخضر بُرْهَانُ الدين المَحَلّى التاجر فى سلطنة "الظاهر برقوق" فى أواخرها

وقد وصــف صاحب "إيقاظ المتغفل" الجامع على ما كان فى زمانه فى حدود ثلاث عشرة وسبعمائة فقال : إن ذَرْعه ثمانية وعشرون ألفا بذراع العمل ، مقدّمه ثمـانية آلاف ذراع وتسعمائة ذراع وخمسون ذراعا ، ومؤخّره ثمـانية آلاف ذراع وتسعمائة وخمســون ذراعا ، وصحنه خمسة آلاف ذراع ، جانبه الشرقىّ ألفا ذراع وخمسمائة ذراع وخمسون ذراعا ، وجانبه الغربىّ كذلك ؛ وأبوابه ثلاثة عشر بابا لكل باب منها آسم يخصه ، فى جانبه القبلى باب واحد ؛ وبه أربعة وعشرون رواقا ، سبعة فى مقدّمه ، وسبعة فى مؤخّره ، وخمسة فى شرقيّه ، وخمســة فى غربيّه ؛ وفيه ثلثمائة عمود وثمـانية وســتون عمودا ، بعضها منفرد وبعضها مضاف مع غيره ؛ وبصدره ثلاثة محاريب : المحراب الكبير المجاور للمنبر ، والمحراب الأوسط ، ومحراب الخمس ؛ وفيه خمس صوامع : إحداها فى ركنه القبلىّ ممـا يلى الغربى ، وهى الغرفة ؛ والثانية فى ركنه القبلى ممـا يلى الشرقىّ ، وهى المنـارة الكبرى ؛ والثالثة فى ركنه البحرىّ

ممـا يلى الشرقىّ ، وتعرف بالحديدة ؛ والرابعة فيما بين هـذه المنارة والمنـارة الآتى ذكرها ، وتعرف بالسعيدة؛ والخامسة فى الركن البحرىّ مما يلى الغربىّ مقابل باب السطح ، وتعرف بالمستجدّة .

وهو على هذه الصفة إلى الآن لكنه قد ٱستهدم رواق اللوح الأخضر والرواقات التى داخله ، فأمر السـلطان الملكُ الظاهرُ ببنيانها ، فعلقت جُدُرُه على الخشب ، فٱخترمته المنية قبل الشروع فى البناء ، وأخذ القاضى برهان الدين المَحَلّى تاجر الخاص فى عمـارة ذلك ، فهدم رواق اللوح الأخضر وما داخله ، وجدّد اللوح الذى كان قد نصبه الظاهر بيبرس ، وعمر الرواقات المستهدمة أنْفَس عمارة وأحسنها .

قلت : وممـا يجب التنبيه عليه أنه قد تقدّم أنه وقف على إقامة محراب هـذا الجامع ثمـانون رجلا من الصحابة ، وحينئـذ فيلحق بمحاريب البصرة والكوفة على الوجه الصائر إليـه بعض أصحابنا الشافعيـة فى أنه لا يجتهد فى التيامن والتياسر فى محاريبهما كما نبه عليه الشيخُ تَقِىّ الدين السبكى فى شرح منهاج النووىّ فى الفقه ، لكن قد ذكر القضاعىّ فى خِطَطه عن الليث بن سعد وٱبن لَهِيعَةَ أنهما كانا يتيامنان فى صـلاتهما فيه ، وأن محرابه كان مشرّقا جدّا ، وأن قُرَّةَ بن شريك حين هـدمه وبناه ، تيامن به قليلا .

وقد حكى الشيخ تقىّ الدين السبكى فى شرح المنهاج أيضا عن بعض علماء الميقات : أنه أخبره أن فيـه الآن ٱنحرافا قليـلا . قال : ولعله من تغيير البناء ، وقد سألت بعض علماء هذا الشأن عن ذلك ، فأخبرنى عن الشيخ تقىّ الدين أبى الطاهر رأس علماء الميقات فى زماننا أنه كان يقول : من الدلالة على صحة عملنا فى ٱستخراج القبلة موافقته لمحراب الجامع العتيق .

الثـانى
(الجـامع الطُّولونى)

بناه أحمد بن طولون فى سنة تسع وخمسين ومائتين على الجبل المعروف بجبل يَشْكُر.

قال القضاعىّ : وينسب إلى يَشْكُر بن جزيلة من لخم، كان خِطَّة لهم .

قال آبن عبد الظاهر : وهو جبل مبارك معروف بإجابة الدعاء فيه .

قال : ويقال : إن الله تعالى كلم موسى عليه السلام عليه . ويقال : إنّ آبن طولون أنفق على هـذا الجامع مائة ألف دينار وعشرين ألفا من كَنْزٍ وجده . ويقال : إنه لما فرغ من بنائه أمر بتسمع ما يقوله الناس فيه من العيوب، فسمع رجل يقول : محرابه صغير، وآخر يقول : ليس فيه عمود، وآخر يقول : ليس فيه ميضأة ، فقال : أما المحراب ، فإنى رأيت النبيّ صلى الله عليه وسلم، وقد خطه لى، فأصبحت فرأيت النَّمْلَ قد أطافت بالمكان الذى خطه لى . وأما العُمُدُ، فإنى بنيته من مال حلال ، وهو الكنز الذى وجدته فما كنت لأشوبه بغيره ، والعمد لا تكون إلا من مسجد أو كنيسة فنزهته عن ذلك . وأما الميضأة، فأردت تطهيره من النجاسات، وها أنا أبنيها خلفه، ثم أمر ببنائها على القرب .

ويحكى أنه كان لا يعبث بشىء قط، وأنه أخذ يوما دَرْج ورق أبيض وأخرجه ومدّه كالحَلَزُون، ثم آستيقظ لنفسه وظن أنه فُطِنَ له ، فأمر بعمارة المنارة على تلك الهيئة ؛ وعلى نظير العشارى الذى على رأسها عُمِل العشارى الذى على رأس قبة الإمام الشافعىّ رضى الله عنه . ولما فرغ من بناء الجامع رأى فى منامه كأنّ نارا نزلت من السماء فأحرقت الجامع دون ما حوله فعبر[1] رؤياه على عابر فقال له : بُشْرَاكَ قبوله ، فإن الأمم الخالية كانوا إذا قرّبوا قربانا فتُقُبِّلَ ، نزلت نار من السماء فأكلته ، كما فى قصة هَابِيلَ وقَابِيلَ ، ورأى مرةً أخرى كأنّ الحق سبحانه وتعالى تجلّى على ما حول الجامع

(١) لعله فقَصّ كما فى المقريزى .

فعبّره له عابر بأنه يخرب ما حول الجامع ويبقى هو، بدليل قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا ﴾ وكان الأمر كذلك، فهدمت منازل بنى طولون فى نكبتهم ولم يبق منها إلا الجامع .

الثالث

(جامع راشدة)

بناه الحاكم بأمر الله الفاطمىّ جنوبىّ الفُسْطَاط، على القرب من الرصد، وأدخله فى وقفه مع الجامع الأزهر وجامع المَقْسِ .

قال فى "إيقاظ المتغفل" : ليس هو بجامع راشدة حقيقة، وإنما جامع راشدةَ كان بالقرب منه، وهو جامع قديم بنته قبيلة يقال لها راشدة عند الفتح الإسلامى، فلما بنى الحاكم هذا سمي باسمه . قال : وقد أدركت بعضه ومحرابه، وكان فيه شجر كثير من شجر المُقْل .

الرابع

(جامع الرصد)

بناه الأمير عز الدين أيْبَك الأفرم أمير جاندار الصالحىّ النجمىّ فى شهور سنة ثلاث وستين وستمائة، عَمر منظرته المعروفة به هناك، وعَمر رباطا بجانبه قرر فيه عددا تنعقد به الجمعة مقيمين فيه ليلا ونهارا .

الخامس .

(جامع الشُّعيبية بظاهر مصر أيضا)

بناه الأمير عز الدين الأفرم المذكور فى سنة ثلاث وتسعين وستمائة، وسكنه الشيخ شمس الدين بن اللبان الفقيه الشافعىّ الصوفىّ فعرف به الآن .

الســادس

(الجـامع الجــديد)

بنـاه السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون بالقرب من مَوْرَدة الحلفاء، وبدأ بعمارته فى التاسع من المحرّم فى سنة إحدىٰ عشرة وسبعمائة، وآنتهت عمارته فى ثامن صفر سنة آثنتى عشرة وسبعمائة، وخطب به قاضى القضاة بدرُالدين بن جماعة الشافعىّ، وصلّى فيه الجمعة فى التاسع من الشهر المذكور، ورتب فيه صوفية يحضُرُونه بعد العصر كما فى الخوانق، وهو من أحسن الجوامع وأنزهها بقعة خصوصا فى أيام زيادة النيل.



وأما مساجد الخمْس، فكانت علىٰ العدد الذى لا يحصىٰ لكثرتها، وخِطَط القضاعىّ شاهدة بذلك:

وقد رأيت فى بعض التواريخ أن الفَنَاء وقع فى أيام كافور الاخشـيدىّ حتى لم يجدوا من يقبـل الزكاة، فأتوا بها إلىٰ كافور فلم يقبلها، وقال: آبنوا بها المساجد وآتخـذوا لهـا الأوقاف، فكان ذلك سبب زيادة الكثرة فيهـا، ولكنها الآن قد خربت بخراب الفُسْطَاط ودَثَرت ولم يبق إلا آثار القليل منها.

✣

وأما المدارس، فكان المتقدّمون يجلسون للعلم بالجامع العتيق؛ وأوّل من أحدث المدارس بالفُسْطَاط بنو أيوب، فعَمَر السلطان صلاح الدين رحمه الله مدرستين.

إحداهمـا — مدرسة المـالكية، المعروفة بالقَمْحية فى المحرّم سنة ست وستين وخمسمائة، وسميت بالقمحية لأنّ معلومها يصرف للمدرّسين والطلبة قمحا.

قال العماد الكاتب: وكانت قبل ذلك سوقا يباع فيه الغزل.

والثانية — المدرسة المعروفة بابن زين التجار، وكانت سجنا يُسْجَن فيه فبناها السلطان صلاح الدين مدرسة ووقفها علىٰ الشافعية، ووقف عليها الصاغة المجاورة لها

ثم عَمَر الملك المظفر تقىّ الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب بالمكان المعروف بمنازل العز بالقرب من باب القنطرة قبلىّ الفُسْطَاط مدرسةً ووقف عليها أوقافا من جملتها جزيرة الصِّناعة المعروفة بالرَّوْضَة .

ثم بنى السلطان الملك المعزّ أيبك التُرُكَمَانى أوّل ملوك الترك مدرسته المعزية برحبة الخرُّوب فى شهور سنة أربع وخمسين وستمائة .

وعَمَر الصاحب شرف الدين بن الفائزىّ مدرسته الفائزية قبل وزارته فى شهور سنة سبع وثلاثين وستمائة .

وعمر الصاحب بهاء الدين بن حنا المدرسة الصاحبية بزقاق القناديل بعد ذلك .

⁂

وأما الخوانق والرُّبُط فلم تعهد بالفُسْطَاط ، غير أن الصاحب بهاء الدين بن حنا عَمر رباط الآثار الشريفة النبوية بظاهر قبلىّ الفسطاط وٱشترى الآثار الشريفة وهى مِيلٌ من نُحَاس ، ومِلْقَطٌ من حديد ، وقطعة من العَنَزَة ، وقطعة من القَصْعة بجملة مال وأثبتها بالٱستفاضة وجعلها بهذا الرباط للزيارة .

⁂

وأما البيمارستان فأوّل من أنشأه بالفُسْطَاطِ أحمد بن طولون فى سنة تسع وخمسين ومائتين وأنفق عليه ستين ألف دينار .

قال القضاعىّ : ولم يكن قبله بيمارستان بمصر، وشرط أن لا يعالج فيه جُنْدِىٌّ ولا مملوك .

القاعدة الثـانية

(القـاهرة)

(بألف ولام لازمين فى أولهـا وقاف مفتوحة بعدها ألف ثم هاء مكسورة وراء مهملة مفتوحة ثم هاء فى الآخر) ويقال فيها القاهرة المِعزِّيَّة نسبة إلىٰ المُعزّ الفاطمىّ الذى بنيت له ، وربمـا قيل المعزية القاهرة ، سميت بذلك تفاؤلا ، وهى المدينة العظمىٰ التى ليس لهـا نظير فى الآفاق ، ولا يسمع بمثلها فى مصر من الأمصار .

بناها القائد جوهر المعزىّ لمولاه المعزّ لدين الله أبى تميم مَعَدّ ، بن المنصور أبى الطاهر إسماعيل ، بن القائم أبى القاسم محمد ، بن المهدىّ بالله أبى محمد عبيدالله الفاطمىّ فى سنة ثمان وخمسين وثلثمائة ، عند وصوله إلىٰ الديار المصرية من المغرب ، واستيلائه عليها ، وموقعها شمالىّ الفُسْطاط المتقدّم ذكره علىٰ القرب منه .

قال فى " الروض المعطار " : وبينهما ثلاثة أميال . وكأنه يريد ما كان عليه الحال فى ٱبتداء عمارة القاهرة وهو ما بين سور الفُسْطَاطِ وسور القاهرة .

أما الآن فقد ٱنتشرت الأبنيـة وٱتصلت العمارة حتّى كادت المدينتان تتصـلان أو ٱتصلتا .

قال القاضى محيي الدين بن عبد الله الظاهر فى خِطَط القاهرة : والذى ٱستقرّ عليه الحال أن حدّ القاهرة من السبع سقايات إلىٰ مشهد السيدة رُقَيّة عرضا ، وكان قبل ذلك من المجنونة .

قال ٱبن سعيد : وكان مكانها قبل العمارة بستانا لبنى طولون علىٰ القرب من منازلهم المعروفة بالقطائع . وكيفما كان ، فطولهـا وعرضها فى معنىٰ طول الفُسْطَاطِ وعرضه أو أكثر عرضا بقليل ، وكان ٱبتداء عمارتها أَنَّ أمر إفْرِيقِيَّةَ وغيرها من بلاد المغرب كان قد أفضىٰ إلىٰ المُعِزّ المذكور ، وقوىَ طمعه فى مصر بعد موت كافور الإخشيدى

وهى يومئذ والشأم والحجاز بيد أحمد بن على بن الاخشيد أستاذ كافور وهو صبىّ لم يبلغ الحلم، والمتكلم فى المملكة أهل دولته، والحسين بن عبدالله، فى الشأم كالنائب أو الشريك له يدعىٰ له بعده علىٰ المنابر .

وكانت مصر قد ضَعُف عسكرها لما دَهَمها من الغلاء والوباء، فجهز المُعِزّ قائده جوهرا المتقدّم ذكره، فبرز جوهر إلىٰ مدينة رَقّادة من بلاد إفْرِيقيَّةَ فى أكثر من مائة ألف وما يزيد علىٰ ألف صندوق من المال، وخرج المُعِزّ لتشييعه، فقال للمشايخ الذين معه : "والله لو خرج جوهر هذا وحده، لفتح مصر، وليدخُلَنها بالأردية من غير حرب، ولينزلن فى خرابات ٱبن طُولون، ويبنى مدينة تسمّى القاهرة تَقْهَر الدنيا" وكان للمعز غلام ببَرْقة اسمه أفلح، فكتب إليه المُعِزّ أن يترجل لجوهر إذا عبَرَ عليه ويقبل يديه، فبذل مائة ألف دينار علىٰ أن يُعْفىٰ من ذلك، فأبىٰ المُعِزّ إلا ذلك، فترجَّل من مكانه وقبّل يديه؛ وسار جوهر حتّى دخل مصر وتسلمها لسبع عشرة ليلة بقيت من شعبان سنة ثمان وخمسين وثلثمائة، ونزل فى مُنَاخه من سفره موضع القاهرة الآن ليلا، وٱختط القصر وأخذ فى بنائه وعمارة القاهرة، وٱختط الناس حوله .

فأما القصر، فإنه ٱختطه فى الليلة التى أناخ فيها قبل أن يُصْبِحَ، فلما أصبح رأىٰ فيه ٱزورارات غيرمعتدلة فلم يعجبه، ثم قال: قد حفر فى ليلة مباركة وساعة سعيدة فتركه علىٰ حاله وتمادىٰ فى بنيانه حتّى أكمله .

ومكانه الآن المدرسة الصالحية بين القصرين إلىٰ رحبة الأيدمرىّ طولا؛ ومن السبع خُوَخ إلىٰ رحبة باب العيد عَرْضا؛ والحدّ الجامع لذلك أن تجعل باب المدرسة الصالحية علىٰ يسارك وتمضىَ إلىٰ السبع خُوَخ، ثم إلىٰ مشهد الحسين، ثم إلىٰ رحبة الأيدمرىّ، ثم إلىٰ الركن المخلّق، ثم إلىٰ بين القصرين حتّى تأتى إلىٰ باب المدرسة

الصالحية من حيث ٱبتدأتَ ،فما كان علىٰ يسارك فى جميع دَوْرتك فهو موضع القصر.

وكان له تسعة أبواب بعضها أصلىٌّ و بعضها مستحدَث .

أحدها ـ باب الذهب، ويقال إنه كان مكانَ المدرسة الظاهرية الآن .

الثـانى ـ باب البحر، و يقال إن مكانه باب قصر يشبك . قال ٱبن عبد الظاهر: وهو من بناء الحاكم .

الثالث ـ باب الزُّهومة، ومكانه قاعة شيخ الحنابلة بالمدرسة الصالحية،وكانت الصاغة مَطْبخا للقصر وكانوا يدخلون بالطعام إلىٰ القصر من ذلك الباب فسمِّى باب الزهومة لذلك، والزُّهومة الذَّفَر .

الرابع ـ باب التربة ، و يقـال إن مكانه بين باب الزُّهومة المتقـدّم الذكر ومشهد الحسين .

الخامس ـ باب الدَّيْلَم، وهو باب مشهد الحسين .

السادس ـ باب قَصْر الشوك ، ومكانه بالموضـع المعروف بقصر الشـوك علىٰ القرب من رحبة الأيدمرىّ .

السـابع ـ باب العِيد ، وهو باب البيمارستان العتيق ، سمى بذلك لأن الخليفة كان يخرج منه لصلاة العيد، و إليه تنسب رحبة باب العِيد .

الثـامن ـ باب الزمُرُّد، وهو إلىٰ جانب باب العيد المتقدّم ذكره .

التـاسع ـ باب الريح ، وقد ذكر ٱبن الطُّوَيِّر أنه كان فى ركن القصر الذى يقابل سور دار سعيد السعداء التى هى الخانقاه الآن .

ثم ٱستجدّ المأمون بن البطائحى وزير الآمر تحت القوس الذى بين باب الذهب و باب البحر ثلاث مناظر،وسمى إحداها الزاهرة،والثانية الفاخرة،والثالثة الناضرة.

وكان "الآمر" يجلس فيها لعرض العساكر فى عيد الغَدِير، والوزير واقفٌ فى قوس باب الذهب، وكان مكان السيوفيين الآن سلسلةٌ ممتدّة إلىٰ ما يقابلها تعلق فى كل يوم من وقت الظهر حتّى لا يجوز تحت القصر راكب، ولذلك يعرف هذا المكان بدرب السلسلة .

ومما هو داخل فى حدود القصر مشهد الحُسَيْنِ .

وسبب بنائه أن رأس الإمام الحسين عليه السلام كانت بعَسْقَلَان، فخَشِىَ الصالح طلائعُ بن رزيك عليها من الفرنج فبنىٰ جامعه خارج باب زُوَيلَةَ، وقصد نقل الرأس إليه فغلبه الفائز علىٰ ذلك، وأمر بابتناء هذا المشهد، ونقل الرأس إليه فى سنة تسع وأربعين وخمسمائة .

ومن غريب ما ٱتفق من بركة هذه (١) الرأس الشريفة ما حكاه القاضى محيي الدين ٱبن عبد الظاهر : أن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب حين ٱستولىٰ علىٰ هذا القصر بعد موت العاضد: آخر خلفاء الفاطميين بمصر قبض علىٰ خادم من خُدَّام القصر وحلق رأسه وشدّ عليها طاسا داخله خنافس فلم يتأثر بها، فسأله السلطان صلاح الدين عن ذلك وما السر فيه، فأخبر أنه حين أحضرت الرأس الشريفة إلىٰ المشهد حملها علىٰ رأسه، فخلّى عنه السلطان وأحسن إليه .

وكان بجوار القصر قصر صغير يعرف بالقصر النافعىّ من جهة السبع خُوَخ فيه عجائز الفاطميين .

قلت : ولم يزل هذا القصر منزلة الخلفاء الفاطميين من لدن المُعِزّ أوّل خلفائهم بمصر وإلىٰ آخر أيام العاضد آخر خلفائهم، وكانت الوزراء ينزلون بدار الوزارة التى ٱبتناها أمير الجيوش بدر الجمالىّ داخل باب النصر مكان الخانقاه الركنية بيبرس

(١) أنث الرأس مجاراة للغة العامة واللغة العربية تذكيره .

الآن . فلما وَلِيَ السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب الوزارة عن العاضد بعد عمه أسد الدين شيركوه ، نزل بدار الوزارة المذكورة ، وبقى بها حتّى مات العاضد فتحوّل إلىٰ القصر وسكنه ؛ ثم سكنه بعده أخوه العادل أبو بكر . فلما ملك الكامل محمد بن العادل أبي بكر انتقل منه إلىٰ قلعة الجبل علىٰ ما سيأتى ذكره فى الكلام علىٰ القلعة إن شاء الله تعالىٰ . وصارت دار الوزارة المتقدّمة الذكر منزلا للرسل الواردين من الممالك إلىٰ أن عَمَر مكانها السلطانُ الملك المظفر بيبرس الجاشنكير الخانقاه المعروفة به ، وخلا القصر من حينئذ من ساكنيه ، وأهمل أمره فخرب .

قال القاضى محيي الدين بن عبد الظاهر : قال لى بوّاب لباب الزُّهومة اسمه مرهف فى سنة ثلاثين وستمائة : كان لى علىٰ هذا الباب المدّة الطويلة ما رأيته دخل فيه حَطَب ولا رمى منه تراب . قال : وهذا أحد أسباب خرابه لوقود أخشابه وتكويم ترابه ؛ ثم أخذ الناس بعد ذلك فى تملكه واستحكاره ، وعمرت فيه المدارس والأدُر . فبنىٰ السلطان الملك الصالح "نجم الدين أيوب" فيه مدرسته الصالحية ، ثم بنىٰ "الظاهر بيبرس" فيه مدرسته الظاهرية ، وبنىٰ فيه بشتاك أحد أمراء الدولة الناصرية محمد بن قلاوون فيه قصره المعروف به ، وجعلت دار الضرب فى وسطه ، ولم يبق من آثاره إلا البيمارستان العتيق ، فإنه كان قاعة بناها العزيز بالله بن المُعِزّ الفاطمىّ علىٰ ما سيأتى ذكره .

وكذلك القبة التى علىٰ رأس السالك من هذا البيمارستان إلىٰ رحبة باب العيد ، وبعض جُدُرٍ لا يعتدّ بها قد دخلت فى جملة الأملاك .

⁂

وأما (أبواب القاهرة وأسوارها) ، فإن القائد جوهرا حين اختطها جعل لها أربعة أبواب : بابين متقاربين ، وبابين متباعدين . فالمتقاربان (بابا زُوَيلة) نسبة إلىٰ زَوِيْلَة

قبيلة من قبائل البربر الواصلين مع جوهر من المغرب، ولذلك يقع فى عبارة الموثّقين وغيرهم بابا زُوَيلة ،وأحد هذين البابين القَوْسُ الموجود الآن المجاور للمسجد المعروف بسام بن نوح عليه السلام، والثانى كان موضع الحوانيت التى يباع فيها الجبن علىٰ يَسْرَةِ القوس المتقدّم ذكره يدخل منه إلىٰ المحمودية . وكان سبب إبطاله وسدّه أن المُعِزَّ الذى بنيت له القاهرة لما دخلها عند وصوله من المغرب،دخل من القوس الموجود الآن هناك فآزدحم الناس فيه وتجنبوا الدخول من الباب الآخر،وآشتهر بين الناس أن مَنْ دخل منه لم تقض له حاجة ، فرُفِضَ وسُدَّ ، وجعل زقاق جنوبيّة يتوصل منه إلىٰ المحمودية، وزقاق شماليّة يتوصل منه إلىٰ الأنماطيين وما يليها .

والبابان المتباعدان هما القوس الذى داخل باب الفتوح خارج حارة بهاء الدين، وقوس آخر كان علىٰ حياله داخل باب النصر بالقرب من وكالة قيسون الآن، فهدم ثم آبتنىٰ أمير الجيوش بدر الجمالىّ المتقدّم ذكره فى سنة ثمانين وأربعمائة سورا من لَبِنٍ دائرا علىٰ القاهرة،وبعضه باق إلىٰ زماننا بخط سوق الغنم داخل الباب المحروق؛ ثم آبتنىٰ الأفضل بن أمير الجيوش باب زُوَيْلَةَ ، وباب النصر، وباب الفتوح الموجودين الآن فيما ذكره القاضى محيي الدين بن عبد الظاهر فى خِطَطه ، إلا أنه ذكر فى مواضع أخر منها أن باب زويلة بناه العزيز بالله وأكمله بدر الجمالىّ ، وهو من أعظم الأبواب وأشمخها، وليس له باشورة علىٰ الأبواب، وفيه يقول علىّ بن محمد النيلى :

يا صَاحِ لو أبصرتَ بابَ زُوَيْلَةٍ ، * لعَلِمْتَ قَدْرَ مَحَلِّه بُنْيَانَا

بابٌ تأَزَّرَ بالمَجَرَّةِ وآرْتَدَىٰ الشِّعرىٰ ولاَثَ بِرَأْسِهِ كِيوَانَا

لو أَنَّ فِرْعَوْنًا رآه لم يُرِدِ * صرحا ولا أَوْصَىٰ به هَامَانَا

قال ٱبن عبد الظاهر : (وباب سعادة) ربمـا ينسب إلىٰ سعادة بن حيان غلام المُعِزّ، وكان قد ورد من عنده فى جيش إلىٰ جوهر وولى الرملة بعد ذلك .

قال : (وباب القنطرة) منسوبٌ إلىٰ القنطرة التى أمامه، وهى من بناء القائد جوهر بناها عند خوفه من القَرَامطة ليجوز عليها إلىٰ المَقْس . والقوس الذى بالشارع الأعظم خارج باب زويلة علىٰ رأس المنجبية عند الطيوريين الآن كان بابا بناه الحاكم بأمر الله خارج القاهرة، وكان يعرف بالباب الجديد .

(وباب الخوخة) الذى علىٰ القرب من قنطرة الموسكى أظنه من بناء الفاطميين أيضا، ولمـا ملك السلطان "صلاح الدين يوسف بن أيوب" الديار المصرية ٱنتدب لعمارة أسوار القاهرة ومصر فى سـنة تسع وستين وخمسمائة الطواشىَ بهاء الدين قراقوش الأسدىّ الرومىّ علىٰ كثرة من أسرىٰ الفرنج عندهم يومئذ (١)، فبنىٰ سورا دائرا عليها وعلىٰ قلعة الجبل والفُسْطَاط، ولم يزل البناء به حتّى توفى السلطان صلاح الدين رحمه الله وهو الموجود الآن؛ وجعل فيها عدّة أبواب :

منها باب البحر، وباب الشـعرية، وباب البرقية، والباب المحروق؛ وٱبتنىٰ برجين عظيمين أحدهما بالمَقْس علىٰ القرب من جامع باب البحر، وهو الذى هدمه الصاحب شمس الدين المَقْسىّ وزير الأشرف شعبان بن حسين علىٰ رأس السبعين والسبعمائة، وأدخله فى حقوق الجامع المذكور حين جدّد بناءه؛ والثانى بباب القنطرة جنوبىّ الفُسْطَاطِ .

قال القاضى محيي الدين بن عبد الظاهر : وقياس هذا السور من أوله إلىٰ آخره تسـعة وعشرون ألف ذراع وثلثمائة وذراعان بالهـاشمىّ؛ من ذلك من باب البحر إلىٰ البرج بالكوم الأحمر يعنى رأس منشأة المهرانى المتقـدّم ذكرها فى الكلام

(١) لم يذكر هذه الجملة فى خطط المقريزى .

علىٰ خِطَط الفُسْطَاط عند فُوَّهة خليج القاهرة عشرة آلاف ذراع ؛ ومن الكوم الأحمر المذكور إلىٰ قلعة الجبل من جهة مسجد سعد الدولة سبعة آلاف ذراع ومائتا ذراع ؛ ومن مسجد سعد الدولة المذكور إلىٰ باب البحر ثمانية آلاف ذراع وثلثمائة وٱثنان وتسعون ذراعا ، ودائر القلعة ثلاثة آلاف ذراع ومائة وعشرة أذرع .

وٱقتصر السلطان عماد الدين صاحب حماة فى تاريخه علىٰ ذَرْع السُّور من غير تفصيل ولم يتعرّض للذراعين الزائدين .

قلت : وهذا السور قد دَثَر أكثره ، وتغيرت معالم غالبه : للصوق عمائر الأملاك به حتّى إنه لايتميز فى غالب الأماكن من الأملاك ، وسقط ما بين باب البحر إلىٰ الكوم الأحمر حتّى لم يبق له أثر . علىٰ أن ما هو داخل سور القاهرة الأوّل من الأماكن أرضه سبخة وماؤه زُعَاق .

قال ٱبن عبد الظاهر : ولذلك عَتَب المُعِزّ عند وصوله إلىٰ الديار المصرية ودخوله القاهرة علىٰ جوهر لكونه لم يعمُرْها مكان المَقْس علىٰ القرب من باب البحر أو جنوبىّ الفُسْطَاط علىٰ القرب من الرصد لتكون قريبة من النيل ، عَذْبة مياه الآبار .

وٱعلم أن خطط القاهرة قد ٱتسعت وزادت العمارة حولها ، وصار ما هو خارجَ سورها أضعاف ما هو داخله . ثم منها ما هو منسوب إلىٰ دولة الفاطميين ، ومنها ما هو منسوب إلىٰ من تقدّمهم من الملوك ، إما لدروس ٱسمه الأوّل وغلبة ٱسمه الثانى عليه ، وإما لٱستحداثه بعد أن لم يكن ؛ ومنها ما هو مجهول لٱنقطاع شهرته بطول الأيام ومرور الليالى . وإنما يقع التعرّض هنا للأماكن الظاهرة الشُّهْرَة ، الدائرة علىٰ الألسنة دون غيرها ، وأنا أذكرها علىٰ ترتيب الأماكن لا علىٰ ترتيب القِدَم والحدوث .

أما خططها المشهورة داخل السور .

(فمنها) "حارة بهاء الدين" داخل باب الفتوح ، وتعرف بالطواشي بهـاء الدين قراقوش بانِي ســور القاهرة المتقدّم ذكره، وكانت فى دولة الفاطميين تعرف ببين الحـارتين ، ثم آختطها قوم فى الدولة الفاطمية يعرفون بالرَّيحانية والعزيزية فعرفت بهم . فلما سكنها بهاء الدين قراقوش المذكور، آشتهرت به ونُسِى ماقبل ذلك .

(ومنها) "حارة بَرْجَوَانَ" وتعرف ببَرْجَوَان الخادم، كان خادم القُصُور فى أيام العزيز بالله آبن المُعِزّ ثانى خلفاء الفاطميين بمصر، ووصّاه علىٰ آبنه الحاكم فعظُم شأنه، ثم قتله الحاكم بعد ذلك . ويقال إنه خلف فى تركته ألف سراويل بألف تكة حرير .

وبهذه الحارة كانت دار المظفر بن أمير الجيوش بدر الجمالىّ .

(ومنها) "خط الكافورى" كان بستانا لكافور الاخشيدىّ، وبنيت القاهرة وهو بستان ، وبقى إلىٰ سنة إحدىٰ وخمسين وستمائة ، فاختطه طائفة البحرية والعزيزية إصطبلات، وأزيلت أشجاره وبقيت نسبته إلىٰ كافور علىٰ ما كانت عليه .

(ومنها) "خُط الخرنشف"(١) كان ميدانا للخلفاء الفاطميين، وكان لهم سِرْداب تحت الأرض إليه من باب القصر يمرّون فيه إلىٰ الميدان المذكور راكبين، ثم جعل مصرفا للمـاء لما بنيت المدرسة الصالحية، ثم بنىٰ به الغُزّ بعد الستمائة إصطبلات بالخرنشف وسكنوها فسمى بذلك .

(ومنها) "درب شمس الدولة" علىٰ القرب من باب الزُّهومة ، وكان فى الدولة الفاطمية يعرف بحارة الأمراء، وبها كانت دار الوزير عبـاس وزير الظافر، وبها المدرســة المسرورية بناها مسرور الخادم ، وكان أحد خُدَّام القصر فى الدولة الفاطمية وبقى إلىٰ الدولة الأيوبية، وآختص بالسلطان صلاح الدين وتقدّم عنده،

(١) فى المقريزى "الخرشتف" وفسره بأنه المتجمد من وقود الحمامات بعد إحراقها وهى تسمية عرفية .

ثم سكنها شمس الدولة توران شاه بن أيوب أخو السلطان صلاح الدين يوسف ، وعمر بها دربا فعرف به ونسب إليه .

(ومنها) "حارة زُوَيْلة" وتنسب إلىٰ زُوَيلة قبيلة من البربر الواصلين صحبة القائد جوهر علىٰ ماتقدّم ذكره فى الكلام علىٰ باب زويلة ، وهى حارة عظيمة متشعبة .

(ومنها) "الجودرية" وتعرف بطائفة يقال لهم الجودريّة من الدولة الفاطمية نسبة إلىٰ جودر خادم عبيد الله المهدىّ أبى الخلفاء الفاطميين ، آختطوها وسكنوها حين بنىٰ جوهرُ القاهرة ، ثم سكنها اليهود بعد ذلك إلىٰ أن بلغ الحاكم الفاطمىّ أنهم يَهْزُءُون بالمسلمين ويقَعُون فى حق الإسلام ، فسدّ عليهم أبوابهم وأحرقهم ليلا ، وسكنوا بعد ذلك حارة زُوَيلة المتقدّمة الذكر .

(ومنها) "الوَزِيرية" وتعرف بالوزير أبى الفرج يعقوب بن كلس وزير المعز بالله الفاطمىّ ، وكان يهودىّ الأصل يخدُم فى الدولة الاخشيدية ، ثم هرب إلىٰ المُعِزّ الفاطمىّ بالمغرب لمال لزمه ، فلقى عسكر المعز مع جوهر فرجع معه ، وعظُمت مكانته عند المُعِزّ حتّى آستوزره ، وكانت داره مكان مدرسة الصاحب صفىّ الدين ابن شكر : وزير العادل أبى بكر بن أيوب المعروفة بالصاحبية بسويقة الصاحب ، وكانت قبل ذلك تعرف بدار الديباج .

(ومنها) "المحموديّة" قال القاضى محيي الدين بن عبد الظاهر : ولعلها منسوبة إلىٰ الطائفة المعروفة بالمحمودية القادمة فى أيام العزيز بالله الفاطمىّ إلىٰ مصر .

(ومنها) "حارة الروم" داخل بابَىْ زُوَيلة ، آختطها الرُّوم الواصلون صحبةَ جوهر القائد حين بنائه القاهرة فعُرِفت بهم ونسبت إليهم إلىٰ الآن .

(ومنها) "الباطلية" قال آبن عبد الظاهر : تعرف بقوم أتوا المُعِزّ بانى القاهرة وقد قسم العطاء فى الناس فلم يعطهم شيئا ، فقالوا : نحن علىٰ باطل؟ فسميت الباطلية .

(ومنها) "حارة الدَّيْلم" وتعرف بالديلم الواصلين صحبـة افتكين المعزّى غلام المعز آبن بويه الديلمى"، وكان قد تغلب علىٰ الشام أيام المُعِزّ الفاطمى" وقاتل القائد جوهرا وآستنصر بالقرامطة ، وخرج إليهم العزيز بالله فأسره فى الرملة وقَدِم به إلىٰ القاهرة فأجزل له العطاء، وأنزله هو وأصحابه بهـذه الخِطَّة . وبها كانت دار الصالح طلائع آبن رزيك بانى الجامع الصالحىّ" خارج باب زويلة، وكان يسكنها قبـل الوزارة ؛ وخوخته بها معروفة إلىٰ الآن بخوخة الصالح .

(ومنها) "حارة كُتَامة" علىٰ القرب من الجامع الأزهر بجِوَار الباطلية، تعرف بقبيلة كُتَامة من البربر الواصلين صحبة جوهر من الغرب .

(ومنها) "إصطبل الطارمة" بظاهر مشهد الحسين، كان إصطبلا للقصر، وبهذا الخط كانت دار الفِطرة التى يعمل فيها فطرة العيد، بناها المأمون بن البطائحى وزير الآمر، وكانت الفطرة قبل ذلك تعمل بأبواب القَصْر، وسيأتى الكلام علىٰ الفطرة مستوفًى فى الكلام علىٰ ترتيب المملكة فى الدولة الفاطمية فيما بعدُ إن شاء الله تعالىٰ .

(ومنها) "حارة الصالحية" قبلىّ" مشهد الحسين : كانت طائفة من غلمان الصالح طلائع بن رزيك قد سكنوها فعرفت بهم ونسبت إليه .

(ومنها) "البَرْقية" قال آبن عبدالظاهر : آختطها قوم من أهل بَرْقة قَدِمُوا صحبة جوهر فعرفت بهم . ورأيت بخَطّ بعض الفضلاء بحاشـية خِطَط ابن عبد الظاهر أن الصالح طلائع بن رزيك لمـا قتل عباسا وزير الظافر وتقلد الوزارة عن الآمر، أقام جماعة من الأمراء يقال لهم البرقية عَوْنا له وأسكنهم هذه الخِطَّة فنسبت إليهم .

(ومنها) "قَصْر الشوك" علىٰ القرب من رَحَبة الأيْدُمْرِى، قال آبن عبدالظاهر : كان قبل عمارة القاهرة منزلة لبنى عُذْرة تعرف بقصر الشوك .

(ومنها) ... ...[1] وكانت خزانة السلاح فى الدولة الفاطمية ، ثم جعلت سِجْنا فى الأيام المستنصرية ، ثم ٱحتُكِرت بعد ذلك وجعلت آدُرًا .

(ومنها) "رَحَبة باب العيد" تنسب إلىٰ باب العيد : أحد أبواب القصر المسمّٰى بباب العيد المقدّم ذكره .

(ومنها) "دَرْب مُلُوخِيَّة" ينسب لمُلُوخيَّة صاحب رِكَاب الحاكم ، وبه مدرسة القاضى الفاضل وزير السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ، وبه كانت دارُه .

(ومنها) "العُطُوف" وأصل ٱسمها العُطُوفية : نسبة إلىٰ عطوف خادم الحاكم .

(ومنها) "الجَوّانية" قال ٱبن عبد الظاهر : وهى صفة لمحذوف ، وأصلها حارة الرُّوم الجَوّانية ، وذلك أن الرُّوم الواصلين صحبة جوهر ٱختطوا حارة الروم المتقدّمة الذكر وهذه الحارة ، وكان الناس يقولون : حارة الروم البَرَّانية وحارة الروم الجَوّانية فثقل ذلك عليهم ، فأطلقوا علىٰ هـذه الجَوّانيةَ وقَصَروا ٱسم حارة الروم علىٰ تلك . قال : والورّاقون إلىٰ هذا الوقت يقولون حارة الروم السفلىٰ وحارة الروم العُلْيا المعروفة بالجَوّانية ، ثم قال : ويقال إنها منسوبة إلىٰ الأشراف الجَوّانيين الذين منهم الشريف الجوّانى النَّسّابة .

وأما خططها المشهورة خارج السور :

(فمنها) "الحُسَينيَّة" كانت فى الأيام الفاطمية ثمانَ حارات خارج باب الفتوح أولها الحارة المعروفة بحارة بهاء الدين المتقدّم ذكرها ، وهى حارة حامد ، والمُنْشأة الكبرىٰ ، والحارة الكبيرة ، والمُنْشأة الصغيرة ، وحارة عَبِيد الشراء ، والحارة الوسطىٰ ، وسوق الكبير بمصر ، والوَزِيرية ، وكان يسكنها الطائفة المعروفة بالوزيرية والريحانية من الأرمن والعُجْمان وعبيد الشراء .

(١) بياض بالأصل .

قال ٱبن عبـد الظاهر : وكان بهـا من الأرمن قريب من سبعة آلافِ نفس، ثم سكنها جماعة من الأشراف الحُسَينيين قَدِموا فى أيام الكامل محمد بن العادل أبى بكر بن أيوب من الحجاز إلىٰ مصر، فنزلوا بهذه الأمكنة وٱستوطنوها فسميت بهم ، ثم سكنها الأجناد بعد ذلك وبنَوْا بها الأبنية العظيمة والآدُرَ الضخمة .

قال ٱبن عبد الظاهر : هى أعظم حارات الأجناد .

قلت : وذلك بحسب ما كان الحال عليه فى زمانه ، ولكنها قد خربت فى زماننا هذا ، وٱنتقل الأجناد إلىٰ الأماكن القريبة من القلعة بصليبة الجامع الطولونىّ ونحوها .

وبنىٰ بهاء الدين قراقوش خانا للسبيل تنزلة المارّة وأبناء السبيل فعرف خطه به .

(ومنها) "الخندق" خارج الحسينية بالخندق ؛ كان عنده خندق ٱحتفره العزيز بالله الفاطمىّ وكان المُعِزّ قد أسكن المغاربة هناك فى سنة ثلاث وستين وثلثمائة حين تبسطوا فى القرافة والقاهرة وأخرجوا الناس من منازلهم، وأمر مناديا ينادى لهم كل ليلة : من بات منهم فى المدينة ٱستحق العقوبة .

(ومنها) "أرض الطَّبَّالة" منسوبة لآمرأة مغنية ٱسمها نَشَب ، وقيل طَرَب ، كانت مغنية للمستنصر الفاطمىّ وٱسمه مَعَدّ .

قال القاضى محيي الدين بن عبد الظاهر : ولما ورد الخبر عليه بأنه خُطِب له ببغداد فى نَوْبة البساسيرى قريب السنة غنته نَشَب هذه :

يا بَنِى العَبَّاسِ صُدّوا * قَدْ وَلِىَ الأمْرَ مَعَدُّ
مُلْكُكُمْ كَانَ مُعَارًا * والعَوَارِى تُسْتَرَدُّ

فوهبها هـذه الأرض فى سنة ٱثنتين وثلاثين وأربعمائة فحُكِرت وبنيت آدرا فعرفت بها . قال : وكانت من مُلَح القاهرة وبهجتها، وفيها يقول ٱبن سعيد المغربىّ مجانسا بين القُرْط الذى ترعاه الدوابُّ والقُرْط الذى يكون فى الأذن .

سقىٰ الله أرضا كُلَّما زُرْتُ رَوْضَها ، * كَسَاها وحَلَّاها بزينته القُرْطُ
تَجَلَّتْ عَرُوسًا والمِيَاهُ عُقُودُها * وفى كُلِّ قُطْرٍ من جوانبها قُرْطُ

(ومنها) "خط باب القنطرة" قال آبن عبدالظاهر : ذكرلى عَلَم الدين بن مماتى أنه فى كتب الأملاك القديمة يسمى بالمُرْتاحية .

(ومنها) "المَقْس" قال القضاعىّ فى "خططه" : كانت ضيعة تعرف بأُمِّ دُنَيْنٍ ، وكان العاشر الذى يأخذ المَكْس يقعد بها لآستخراج المال ، فقيل المكس بالكاف ثم أبدلت الكاف فى الألسنة قافا .

قال آبن عبد الظاهر : ومن الناس من يقول فيه المَقْسِم لأن قسمة الغنائم فى الفتوح كانت فيه . قال : ولم أر ذلك مسطورا ، وكانت الدكة من نواحيه بستانا إذا ركب الخليفة من الخليج يوم الكسر أتىٰ إليه فى البر الغربىّ من الخليج فى مركبه ويدخله بمفرده فيسقِى منه فرسه ، ثم يخرج إلىٰ قصره علىٰ ما سيأتى ذكره فى الكلام علىٰ ترتيب المملكة فى الدولة الفاطمية . إن شاء الله تعالىٰ .

قال آبن عبد الظاهر : والدكة الآن آدُرٌ وحارات شهرتها تغنِى عن وصفها فسبحان من لا يتغير .

قلت : وقد خَرِب أكثر تلك الآدُر والحارات حتّى لم يبقَ منها إلا الرسوم ، وبعضها باق يسكنه آحاد الناس .

(ومنها) "مَيْدان القمح" كان قديما بستانا سلطانيا يسمّى بالمَقْسِىّ يدخل الماء إليه من الخليج المعروف بالخليج الذكر الذى بناه كافور الاخشيدىّ ، ثم أمر الظاهر الفاطمىّ بنقل أنشابه وحفره وجعله بركة قدّام اللؤلؤة ، وأبقىٰ الخليج المذكور مسلطا علىٰ البركة ليستنقع الماء فيها . فلما ضعف أمر الخلافة الفاطمية ، وهُجِرت رُسومها القديمة فى التفرج فى اللؤلؤة وغيرها ، بنت السُّودان المعروفون بالطائفة

الفَرَحيــة الساكنون بالمَقْس عند ضِـيقِهِ عليهم قُبـالةَ اللؤلؤة حارة سميت حارة اللُّصوص بسبب تعدّيهم فيهـا مع غيرهم ، ثم تنقلت بها الحال حتّىٰ صار علىٰ ما هو عليه الآن .

(ومنها) "برّ ابن التبان" غربىّ خليج القاهرة ، وينسب إلىٰ ابن التبان رئيس حَرّاقة الخلافة الفاطمية ، وكان الآمر الفاطمىّ قد أمر بالعمارة قُبَالة الحرق غربىّ الخليج ، فأوّل من عمر به ابن التَّبّان المذكور ، أنشأ به مسجدا وبستانا ودارا فعرفت الخِطَّة به إلىٰ الآن .

(ومنها) "خط اللوق" وهو خط قديم متسع ينتهى إلىٰ الميدان المعدّ لركوب السلطان عند وفاء النيل ، قد عُمِر بالأبنية وسكنه رَعَاع الناس وأوباشُهم والمكان المعروف الآن بباب اللُّوقِ جزء منه .

(ومنها) "بِرْكة الفِيل" وهى بركة عظيمة متَّسِعة جنوبىّ سور القاهرة عليها الأبنية العظيمة المستديرة بها .

قال ابن عبد الظاهر : وتنسب إلىٰ رجل من أصحاب ابن طولون يعرف بالفيل وما أحسن قولَ ابن سعيد المغربىّ :

أُنْظُرْ إلىٰ بِرْكَةِ الفِيلِ التى اكْتَنَفَتْ * بهـا المَنَـاظِرُ كالأَهْدَابِ لِلْبَصَرِ

كأنَّمَـا هِىَ والأَبْصَـارُ تَرْمُقُهَـا * كَوَاكِبٌ قَدْ أدَارُوها عَلىٰ القَمَرِ

(ومنها) "خط الجامع الطولونى" من الصليبة وماوالاها ، وقد تقدّم فى الكلام علىٰ خِطَط الفُسْطاط أن هذه الأرض كانت منازل لأحمدَ بن طولون وعَسْكره ، والجبل الذى فى جانبها البحرىّ يعرف بجبل يَشْكُرَ ، وعليه بناء الجامع الطولونىّ المذكور ، واستحدث الملكُ الصالح نجم الدين أيوب رحمه الله عليــه قصورا جاءت فى نهاية الحســن والإتقان ، وهى المعروفة بالكَبْش ، ولم يزل يسكنها أكابر الأمراء إلىٰ أن

خَرَّبها العوامّ فى وقعة الجلبان قبل السبعين والسبعمائة وهى على ذلك إلى الآن ، وقد شرع الناس الآن فى آستحكار أماكنها للعمارة فيها فى حدود سنة ثمانمائة .

(ومنها) "خط حارة المَصامِدة" وتنسب لطائفة المَصامِدة من البربر الذين قَدِموا مع المُعِزّ من المغرب، وكان المقدّم عليهم عبدَ الله المصمودىّ، وكان المأمون بن البطائحىّ وزير الآمر قد قدّمه ونوّه بذكره، وسلم إليه أبوابه للبيت عليها ، وأضاف إليه جماعة من أصحابه .

(ومنها) "الهِلَالية" قال آبن عبدالظاهر : أظنها الحارة التى بناها المأمونُ بن البطائحىّ خارج الباب الجديد الذى بناه الحاكم بالشارع على يَسْرة الخارج منه للمَصامدة لما قدّمهم ونوّه بذكرهم، وحذر أن يبنى بينها و بين بركة الفيل حتّى صارت هذه الحارة مُشْرِفة على شاطئ بركة الفيل إلى بعض أيام الحافظ .

(ومنها) "المُنْتَجِبية" قال آبن عبدالظاهر : بلغنى أنها منسوبة لشخص فى الدولة الفاطمية يعرف بمنْتَجِب الدولة .

(ومنها) "اليانِسيَّة" قال آبن عبدالظاهر : أظنها منسوبة ليانس وزير الحافظ ، وكان يلقب بأمير الجيوش سيف الإسلام، ويعرف بيانس الفاصد لأنه فَصَد حَسَن آبن الحافظ، وتركه محلول الفِصَادة حتّى مات .

قال : وكان فى الدولة مَن آسمه يانس العزيزىّ ، واليانِسيَّة جماعة كانوا فى زمن العزيز بالله، ومنهم يانس الصقلىّ، ونسبة هذه الحارة محتملة لأن تكون لكل منهم، وقد ذكر آبن عبدالظاهر عدّة حارات كانت للجند خارجَ باب زويلة غير ما لعله ذكره سردا، منها ما هو مشهور معروف ، وهو حارة حلب والحبانية . ومنها ما ليس كذلك وهو الشوبك، والمأمونية، والحارة الكبيرة، والمنصورة الصغيرة، وحارة أبى بكر .

وأما جوامعها فأقدمها (الجامع الأزهر) بنـاه القائد جوهر بعـد دخول مولاه المُعِزّ إلى القاهرة وإقامته بها، وفرغ من بنائه وجُمِّعت فيه الجمعة فى شهر رمضان لسبع خلون من سنة إحدى وستين وثلثمائة، ثم جدّد العزيز بن المعزّ فيه أشياءَ وعَمَر به أماكنَ، وهو أوّل جامع عُمِر بالقاهرة .

قال صاحب "نهاية الأرب" : وجدّده العزيز بن المُعِزّ، ولما عَمَر الحاكم جامعه نقل الخُطْبة إليه وبقىَ الجامع الأزهر شاغرا، ثم أُعيـدَت إليه الخطبة وصلى فيه الجمعـة فى ثامن شهر ربيع الآخر سـنة خمس وستين وستمـائة فى سلطنة الظاهر بيبرس، وتزايد أمره حتّى صار أرفع الجوامع بالقاهرة قَدْرا .

قال ابن عبدالظاهر : وسمعتُ جماعة يقولون إن به طلسما لا يسكُنه عُصْفُور.

الجـامع الثـانى
(الجـامع الحاكمىّ)

بناه الحاكم الفاطمىّ على القرب من باب الفتوح وباب النصر، وفُرِغ من بنائه فى سـنة ست وتسعين وثلثمائة، وكان حين بنائه خارج القاهرة إذ كان بناؤه قبل بناء باب الفتوح وباب النصر الموجودين الآن، وكان هو خارجَ القوسين اللذين هما باب الفتوح وباب النصر الأوّلان .

ثم قال : وفى سيرة العزيز أنه اختط أساسـه فى العاشر من رمضان سنة تسع وسبعين وثلثمائة، وفى سيرة الحاكم أنه ابتدأه بعض الوزراء وأتمه الحـاكمُ، وعلى البَدَنة المجاورة لباب الفتوح أنها بنيت فى زمن المستنصر فى أيام أمير الجيوش سـنة ثمـانين وأربعمائة، ثم استولى عليها مَنْ ملكها والزيادة التى إلى جانبـه بناها الظاهر ابن الحاكم ولم يكملها، ثم ثبت فى الدولة الصالحية نجم الدين أيوب أنها من الجامع

وأن بها محرابا، فانتُزِعت ممن هى معه وأُضِيفت للجامع، وبُنِىَ بها ما هو موجود الآن فى الأيام المعزية أيبك التُّرْكُمَانِىّ ولم تسقف .

الجامع الثالث

(الجامع الأقمر)

بناه الآمر الفاطمىّ بوَسَاطة وزيره المأمون بن البطائحى ؛ وكمل بناؤه فى سنة تسع عشرة وخمسمائة؛ ويذكر أن اسم الآمر والمأمون عليه .

قلت : ولم يكن به خُطْبة إلىٰ أن جدّد الأمير يَلْبغا السالمىّ : أحد أمراء الظاهر برقوق عمارتَهُ فى سنة إحدىٰ وثمانمائة ورتَّب فيه خُطْبة .

الجامع الرابع

(الجامع بالمَقْس بباب البحر، وهو المعروف بالجامع الأنور)

بناه الحاكم الفاطمىّ أيضا فى سنة ثلاث وتسعين وثلثمائة .

الجامع الخامس

(الجامع الظافرىّ، وهو المعروف الآن بجامع الفكَّاهين)(١)

بناه الظافر الفاطمىّ داخل بابَىْ زُويلة فى سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة ، وكان زَرِيبة للكِبَاش، وسبب بنائه جامعا أن خادما كان فى مشترف علىٰ الزريبة فرأىٰ ذَبَّاحًا وقد أخذ رأسين من الغنم فذبح أحدهما ورمىٰ سِكِّينته وذهب لقضاء حاجة له ، فأتىٰ رأس الغنم الآخرفأخذ السكين بفمه ورماها فى البالوعة ، وجاء الذَّبَّاحُ فلم يجد السكِّين ، فاستصرخ الخادمُ وخلصه منه ، فرفعت القصة إلىٰ أهل القصر فأمروا بعمارته .

(١) فى خطط المقريزى "الفاكهين".

الجـامع السـادس

(الجامع الصالحىّ)

بنـاه الصالح طلائع بن رزيك وزير الفائز والعاضد من الفاطميين خارج باب زُوَيلة، بقصد نقل رأس الحسين عليه السلام من عَسْقلانَ إليه، عند خوف هجوم الفرنج عليها، فلما فرغ منه لم يمكّنه الفائز من ذلك، وآبتنىٰ له المشهد المعروف بمشهد الحُسَيْن بجوار القصر، ونقله إليه فى سنة تسع وأربعين وخمسمائة ؛ وبنىٰ به صِهْريجا وجعل له ساقية تنقل الماء إليه من الخليج أيام النيل علىٰ القرب من باب الخرق. ولم يكن به خُطبة ، وأوّل ما أقيمت الجمعة فيه فى الأيام المُعِزِّيَّة أيبك التُّرْكُمَانِىّ فى سنة آثنتين وخمسين وستمائة ، وخطب به أصيل الدين أبو بكر الإسعِرْدىّ ؛ ثم كَثُرت عمارة الجوامع بالقاهرة فى الدولة التركية خصوصا فى الأيام الناصرية محمد بن قلاوون وما بعدها ، فعمر بها من الجوامع ما لا يكاد يحصىٰ كثرة : كجامع المارديني وجامع قُوصون خارج باب زُوَيْلة وغيرهما من الجوامع، وأقيمت الجمعة فى كثير من المدارس والمساجد الصِّغار المتفرّقة فى الأخطاط لكثرة الناس وضيق الجوامع عنهم .

⁂

وأما مدارسها، فكانت فى الدولة الفاطمية وما قبلها قليلةَ الوجود بل تكاد أن تكونَ معدومة، غير أنه كان بجوار القصر دارٌ تعرف "بدار العلم" خلف خان مسرور، كان داعى الشيعة يجلس فيها، ويجتمع إليه من التلامذة مَنْ يتكلم فى العلوم المتعلقة بمذهبهم ، وجعل الحاكم لها جزءا من أوقافه التى وقفها علىٰ الجامع الأزهر وجامع المَقْس وجامع راشدةَ؛ ثم أبطل الأفضل بن أمير الجيوش هذه الدار لآجتماع الناس فيها والخوض فى المذاهب خوفا من الآجتماع علىٰ المذهب النِّزَارىّ ؛ ثم أعادها الآمر

بواسطة خُدّام القصر بشرط أن يكون مُتَوَلّيها رجلا دينًا والداعى هو النـاظر فيها ، ويقام فيها متصدّرون برسم قراءة القرءان .

وقد ذكر المسبحىّ فى تاريخه : أن الوزير أبا الفرج يعقوب بن كلس سأل العزيز بالله فى حمله رزق جماعة من العلماء ، وأطلق لكل منهم كفايته من الرزق ، وبنىٰ لهم دارا بجانب الجامع الأزهر ، فإذا كان يوم الجمعة حلقوا بالجامع بعد الصلاة وتكلموا فى الفقه ، وأبو يعقوب قاضى الخندق رئيسُ الحَلْقَةِ والملقِى عليهم إلىٰ وقت العصر ، وكانوا سبعة وثلاثين نفرا . ثم جاءت الدولة الأيوبية فكانت الناتحةَ لباب الخير ، والغارسةَ لشجرة الفضل ، فآبتنىٰ الملك الكامل محمد بن العادل أبى بكر (دار الحديث الكاملية) بين القصرين فى سنة آثنتين وعشرين وستمائة ، وقرر بها مذاهب الأئمة الأربعة وخطبةً ، وبقى إلىٰ جانبها خراب حتّى بُنِى آدُرا فى الأيام المُعِزِّيَّة أيبك التُّرْكُمَانِىّ فى سنى خمسين وستمـائة ، ووُقِف علىٰ المدرسة المذكورة ، وبنىٰ من بنىٰ من أكابر دولتهم مدارس لم تبلغ شأْو هذه ، وشتَّان بين الملوك وغيرهم .

ثم جاءت الدولة التركية فأربت علىٰ ذلك وزادت عليه ، فآبتنىٰ الظاهر بيبرس (المدرسة الظاهرية) بين القصرين بجوار المدرسة الصالحية ، ثم آبتنىٰ المنصور قلاوون (المدرسة المنصورية) من داخل بيمارستانه الآتى ذكره وجعل قبالتها تُرْبةً سنية .

ثم آبتنىٰ الناصر محمد بن قلاوون (المدرسة الناصرية) بجوار البيمارستان المذكور.

ثم آبتنىٰ الناصر حسن بن الناصر محمد بن قلاوون (مدرسته العظمىٰ) تحت القلعة ، وهى التى لم يُسْبَق إلىٰ مثلها ، ولا سمع فى مصرٍ من الأمصار بنظيرها ، يقال إن إيوانها يزيد فى القدر علىٰ إيوان كسرىٰ بأذرع .

ثم آبتنىٰ آبنُ أخيه الأشرف شعبان بن حسين (المدرسة الأشرفية) بالصُّوّة تحت

القلعة ومات ولم يكملها، ثم هدمها الناصر فرج بن الظاهر برقوق لتسلطها على القلعة في سنة أربع عشرة وثمانمائة، ونقل أحجارها إلى عمارة القاعات التى أنشأها بالحوش بقلعة الجبل، ولم تعهد مدرسة قُصِدت بالهدم قبلها .

ثم آبتنى الظاهر برقوق (مدرسته الظاهرية) بين القصريـــن بجوار المدرسة الكاملية فجاءت فى نهاية الحسن والعَظَمة، وجعل فيها خطبة، وقرر فيهـا صوفية على عادة الخوانق ودروسا للأئمة، فتعانى(١) فيها ضخامة البناء، ونظم الشعراء فيها، فكان ممـا أتى به بعضهم من أبيات :

وبَعْضُ خُدَّامِهِ طَوْعًا لِخِدْمَتِهِ * يَدْعُو الصُّخُورَ فَتَأْتِيهِ علَى عَجَلِ

وتواردوا كلهم على هذا المعنى، فآقترح علىَّ بعضُ الأكابر نظم شىء من هذا المعنى فنظمت أبياتا جاء منها :

وبالخَلِيلىّ قد رَاجَتْ عِمَارَتُهَـا * فى سُرْعَةٍ بُنِيَتْ مِنْ غَيْرِ مَا مَهَلِ

كَمْ أظهرَتْ عَجَبًا أَسْوَاطُ حِكْمَتِهِ * وَكَمْ غَدَتْ مَثَلًا نَاهِيكَ مِنْ مَثَلِ

وكم صخورٍ تَخَـالُ الجِنَّ تَنْقُلُهَا * فإنَّها بالوَحَا تَأْتِى وبِالْعَجَـــلِ

وفى خلال ذلك آبتنى أكابرُ الأمراء وغيرهم من المدارس ماملأ الأخطاط وشحنها .

❖

وأما الخوانق والرُّبُطُ، فما لم يعهد بالديار المصرية قبل الدولة الأيوبيـة، وكان المبتكر لهـا السلطانَ صلاح الدين يوســف بن أيوب رحمه الله، فآبتنى (الخانقاه الصلاحية) المعروفة بسعيد السعداء، وسعيد السعداء لقب لخادم للمستنصر الفاطمىّ آسمه قنبر كانت الدار له، ثم صارت آخر الأيام سكن الصالح طلائع بن رزيك، ولمـا ولى الوزارة فتح من دار الوزارة إليهـا سِرْدابا تحت الأرض، وسكنها شاور

(١) لعله وتغالى فى ضخامة البناء .

السعدىّ وزير العاضد ثم ولده الكامل . فلما ملك السلطان صلاح الدين جعلها خانقاه ، ووقف عليها قَيْسارِيّة الشُّرْب داخل القاهرة ، وبستان الحَبّانية بزقاق البركة .

⁂

وأما مساجد الصلوات الخمس، فأكثر من أن تحصى وأعز من أن تستقصى ؛ بكل خط منها مسجد أو مساجد لكل منها إمام راتب ومصلُّون .

⁂

وأما البيمارستان، فقال القاضى محيي الدين بن عبد الظاهر : بلغنى أن البيمارستان كان أولا بالقَشّاشين يعنى المكان المعروف الآن بالخراطين على القرب من الجامع الأزهر، وهناك كانت دارُ الضرب بناها المأمون بن البطائحى وزير الآمر قبالةَ البيمارستان المذكور، وقرر دُورَ الضرب بالإسكندرية وقُوص وصُور وعَسْقلان، ثم لما ملك السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب الديار المصرية وآستولى على القصر ، كان فى القصر قاعةٌ بناها العزيز بن المُعِز فى سنة أربع وثمانين وثلثمائة ، فجعلها السلطان صلاح الدين بيمارستانا : وهو البيمارستان العتيق الذى داخل القصر، وهو باقٍ على هيئته إلى الآن ، ويقال إن فيها طلسما لا يدخلها نمل ، وإن ذلك هو السبب الموجب لجعلها بيمارستانا .

قال القاضى محيي الدين بن عبد الظاهر : ولقد سألت المباشرين بالبيمارستان المذكور عن ذلك فى سنة سبع وخمسين و ... ...[1] مائة فقالوا صحيح .

ثم آبتنى السلطان الملك "المنصور قلاوون" رحمه الله دارَستِّ الملك أخت الحاكم، المعروفة بالدار القُطْبية بيمارستانا فى سنة ثلاث وثمانين وستمائة بمباشرة الأمير علَم الدين

(١) لعله وستمائة.

الشجاعى ، وجعل من داخله المدرسة المنصورية والتربة المتقدّم ذكرهما فبقّ معالم بعض الدار على ما هو عليـه ، وغيّر بعضها . وهو من المعروف العظيم الذى ليس له نظير فى الدنيا . ونظره رتبة سنيةٌ يتولاه الوزراء ومَنْ فى معناهم .

قال فى " مسالك الأبصار " : وهو الجليـل المقدار ، الجليـل الآثار ، الجميل الإيثار ، لعظيم بنائه ، وكثرة أوقافه ، وسَـعَة إنفاقه ، وتنوع الأطبـاء والكحّالين والجرائحية فيه .

قلت : ولم تزل القاهرة فى كل وقت تتزايد عمارتُها ، وتتجدّد معالمها ، خصوصا بعد خراب الفُسْطَاط وانتقال أهـله إليها على ما تقدّم ذكره حتّى صارت على ما هى عليه فى زماننا : من القصور العَلِيَّة ، والدور الضخمة ، والمنازل الرحيبة ، والأسواق الممتدّة ، والمناظر النزهة ، والجوامع البَهِجَة ، والمدارس الرائقـة ، والخوانق الفاخرة ، ممـا لم يُسْمع بمثـله فى قُطْرٍ من الأقطار ، ولا عُهِد نظيره فى مصر من الأمصار . وغالب مبانيها بالآجُرّ ، وجوامعها ومدارسها و بيوت رؤسائها مبنيةٌ بالحجر المنحوت ، مفروشة الأرض بالرخام ، مؤزَّرة الحيطان به ، وغالب أعاليها من أخشاب النخل والقصب المحكم الصنعة ، وكلها أو أكثرها مُبَيَّضَةُ الجُدُر بالكلس الناصع البياض ، ولأهلهـا القوّة العظيمة فى تَعْلِيَة بعض المساكن على بعض حتّى إن الدار تكون من طبقتين إلى أربع طبقات بعضها على بعض ، فى كل طبقـة مساكنُ كاملةٌ بمنافعها ومرافقها ، وأسطحة مقطعة بأعلاها بهندسة محكمة ، وصناعة عجيبة .

قال فى " مسالك الأبصار " : لا يرى مثـل صُـنَّاعِ مِصْرَ فى هـذا البـاب ، وبظاهرها البساتين الحِسَانُ ، والمناظر النَّزِهَةُ ، والآدُرُ المُطِلَّةُ على النيل ، والخُلْجَانُ الممتدّة منـه ومن مدّه ، وبها المستنزهات المستطابة ، خصوصا زمنَ الربيع لغُدْرانها الممتدّة من مقطعات النيل وما حولها من الزروع المختلفة وأزهارها المـائسة التى تسرّ الناظر وتبهج الخاطر .

قال ابن الأثير فى "عجائب المخلوقات" : وأجمع المسافرون برّا وبحرا أنه لم يكن أحسن منها مَنْظَرًا ، ولا أكثر ناسا ، وإليها يُجلَب مافى سائر أقاليم الأرض من كل شيء غريب وزِيٍّ عجيب ، وملكها مَلِكٌ عظيم ، كثير الجيوش ، حسن الزِّيّ لا يماثله فى زِيِّه ملك من ملوك الأرض ، وأهلها فى رَفَاهِيَة عَيْشٍ وطيب مَأْكَلٍ ومَشْرَب ، ونساؤها فى غاية الجمال والظَّرْف .

قال فى "مسالك الأبصار" : أخبرنى غير واحد ممن رأى المُدُنَ الكِبَارَ أنه لم ير مدينة آجتمع فيها من الخَلْق ما آجتمع فى القاهرة .

قال : وسألت الصدر مَجْدَ الدين إسماعيلَ عن بَغْدَادَ وتُورِيزَ هل يجمعان خلقا مثل مصر ؟ فقال : فى مصر خلق قدر مَنْ فى جميع البلاد .

قال فى "التعريف" : (والقاهرة اليوم أُمُّ الممالك ، وحاضرة البلاد ، وهى فى وقتنا دارُ الخلافة ، وكرسىّ الملك ، ومَنْبَع الحكماء ، ومَحَطُّ الرحال ، ويتبعها كل شرق وغرب خلا الهند فإنه نائى المكان ، بعيد المدى ، يقع لنا من أخباره ما نُكْبِره ، ونسمع من حديثه ما لا نألفه .

قال : وكان يحق لنا أن نجعل كل النُطُقِ بالقاهرة دائرة ، وإنما نفردها بما آشتملت عليه حدود الديار المصرية ، ثم نديربأُمِّ كل مملكة نِطَاقها ، ثم إليها مرجع الكل وإلى بحرها مصب تلك الخُلُج) .

قال فى "مسالك الأبصار" : إلا أن أرضها سَبِخة ، ولذلك يَعْجَلُ الفساد إلى مبانيها .

وذكر القاضى محيي الدين بن عبد الظاهر نحو ذلك وأن المُعِزَّ لام القائدَ جوهرا على بنائها فى هذا الموضع ، وترْكِ جانب النيل عند المَقْس أو جنوبىّ الفُسْطَاط حيث الرصد الآن .

القـاعدة الثالثـــة

(القلعـــة)

بفتح القاف، ويعبر عنها بقلعة الجبل، وهى مَقَرَّةُ السلطان الآن ودار مملكته .

بناها الطواشى بهاء الدين قراقوش المتقدّم ذكره للملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب رحمه الله، وموقعها بين ظاهر القاهرة والجبل المُقَطَّم والفُسْطَاط، وما يليه من القرافة المتصلة بعمارة القاهرة والقرافة[(١)]، وطولها وعرضها على ما تقدّم فى الفُسْطَاط أيضا، وهى على نَشَز مرتفع من تقاطيع الجبل المقطم، ترتفع فى موضع وتنخفض فى آخر .

وكان موضعها قبل أن تبنى، مساجدَ من بناء الفاطميين : منها مسجد رديني الذى هو بين آدرُ الحريم السلطانية .

قال القاضى محيي الدين بن عبد الظاهر : قال لى والدى رحمه الله : عرض علىّ الملك الكامل إمامته، فآمتنعت لكونه بين آدُرِ الحريم . ولم يسكنها السلطان صلاح الدين رحمه الله، ويقال : إن آبنه الملك العزيز سكنها مدّة فى حياة أبيه، ثم آنتقل منها إلى دار الوزارة .

قال القاضى محيي الدين بن عبد الظاهر : قال لى والدى رحمه الله : كنا نطْلُع إليها قبل أن تُسْكَن فى ليالى الجُمَع نبيت متفرّجين كما نبيت فى جواسق الجبل والقرافة .

وأوّل من سكنها الملك الكامل محمد بن العادل أبى بكر بن أيوب آنتقل إليها من قصر الفاطميين سنة أربع وستمائة، وآستقرّت بعده سكنا للسلاطين إلى الآن .

ومن غريب ما يحكى أن السلطان صلاحَ الدين رحمه الله طلع إليها ومعه أخوه العادل أبو بكر، فقال السلطان لأخيه العادل : هذه القلعة بُنيت لأولادك، فثقُل ذلك على العادل وعرف السلطان صلاح الدين ذلك منه ـ فقال : لم تفهم عنى

(١) لعله زائد أو سهو .

إنما أردت أنى أنا نَجيب فلا يكون لى أولاد نُجَباء، وأنت غير نجيب فتكون أولادُك نجباءَ فسُرِّى عنه، وكان الأمر كما قال السلطان صلاح الدين، وبقيت خالية حتى ملك العادل مصر والشام، فآستناب ولَدَه الملك الكامل محمدا فى الديار المصرية فسكنها .

وذكر فى "مسالك الأبصار" أن أوّل مَنْ سكنها العادل أبو بكر، ولما سكنها الكامل المذكور، آحتفل بأمرها وآهتمّ بعمارتها وعَمَر بها أبراجا، منها البرج الأحمر وغيره .

وفى أواخر سنة آثنتين وثمانين وستمائة عَمَر بها السلطان الملك المنصور قلاوون بُرْجًا عظيما على جانب باب السر الكبير، وبنى عليه مشترفاتٍ حسنةَ البنيان، بهجة الرخام، رائقة الزَّخرفة . وسكنها فى صفر سنة ثلاث وثمانين وستمائة .

ثم عَمَر بها السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون ثلاثة أماكن، كملت بها معانيها، وآستحق بها القلعةَ على بانيها .

أحدها — القصر الأبلق الذى يجلس به السلطان فى عامة أيامه، ويدخل عليه فيه أمراؤه وخواصُّه، وقد آستجدّ به السلطان الملك الأشرف "شعبان بن حسين" رحمه الله فى جانبه مقعدا بإزاءِ الإصطبلات السلطانية جاء فى نهاية من الحسن والبهجة .

والثانى — الإيوان الكبير الذى يجلس فيه السلطان فى أيام المواكب للخدمة العامة و إقامة العدل فى الرعية .

والثالث — جامع الخُطْبة الذى يصلى فيه السلطان الجمعة، وستأتى صفة هذه الأماكن كلها .

وهذه القلعة ذاتُ سور وأبراج، فسيحة الأفنية، كثيرة العمائر، ولها ثلاثة أبواب يدخل منها إليها .

أحدها ـ من جهة القرافة والجبل المُقَطَّم ، وهو أقل أبوابهـا سالكا وأعزُّها آستطراقا .

والثانى ـ باب السر، ويختص الدخول والخروج منه بأكابر الأمراء وخواصّ الدولة : كالوزير وكاتب السر ونحوهما ، يتوصل إليه من الصوة : وهى بقية النَّشَز الذى بنيت عليه القلعة من جهة القاهرة، بتعريج يمشى فيه مع جانب جدارها البحرى حتّى ينتهى إليه بحيث يكون مدخله منه مقابل الإيوان الكبير الذى يجلس فيه السلطان أيام المواكب، وهذا الباب لا يزال مُغْلَقًا حتّى ينتهىَ إليه من يستحق الدخول أو الخروج منه فيفتح له ثم يغلق .

والثالث ـ وهو بابها الأعظم الذى يدخل منه باقى الأمراء وسائرُ الناس، يتوصل إليــه من أعلىٰ الصوّة المتقدّم ذكرها، يرقىٰ إليه فى درج متناسبة حتّى يكون مدخله فى أوّل الجانب الشرقىّ من القلعة ،و يتوصل منه إلىٰ ساحة مستطيلة ينتهى منها إلىٰ دركاه جليلة يجلس بها الأمراء حتّى يؤذَن لهم بالدخول ، وفى قبـلىّ هـذه الدركاه (دار النيابة) ، وهى التى يجلس بها النائب الكافل للحكم إذا كان ثَمَّ نائب، و (قاعة الصاحب) ، وهى التى يجلس بها الوزير وكُتَّاب الدولة ، و(ديوان الإنشاء) ، وهو الذى يجلس فيــه كاتب السر وكُتَّاب ديوانه، وكذلك (ديوان الجيش) ، وسـائر الدواوين السلطانية .

وبصــدر هذه الدّركاه باب يقال له باب القُلَّة يدخل منــه إلىٰ دهاليز فسيحة ، علىٰ يَسْرَةِ الداخل منها بابٌ يتوصل منــه إلىٰ جامع الخطبة المتقدّم ذكره، وهو من أعظم الجوامع ، وأحسنها وأبهجها نظرا ، وأكثرها زَخْرَفة ، متسع الأرجاء، مرتفع البناء، مفروش الأرض بالرخام الفائق ، مُبَطَّنُ السُّقُوف بالذهب ، فى وسطه قبة يليها مقصورة يصلِّى فيها السلطان الجمعة ، مستورة هى والرواقات المشتملة عليها بشبابيك

من حديد محكمةِ الصنعة ، يَحُفُّ بصحنه رواقات من جميع جهاته ، ويتوصل من ظاهر هذا الجامع إلى باب الستارة ، ودور الحريم السلطانية .

وبصدر الدهاليز المتقدمة الذكر مَصْطَبَةٌ يجلس عليها مقدَّم المماليك ، وعندها مَدْخَل باب السر المتقدم ذكره ، وفى مجنبة ذلك مَمَرٌّ يدخل منه إلى ساحة يواجه الداخل إليها باب الإيوان الكبير المتقدّم ذكره ، وهو إيوان عظيم عديم النظير ، مرتفع الأبنية ، واسع الأفنية ، عظيم العُمُد ، عليه شَبَابيكُ من حديد عظيمةُ الشأن محكمةُ الصنعة ، وبصدره سرير الملك ، وهو مِنْبَرٌ من رُخَامٍ مرتفعٌ ، يجلس عليه السلطان فى أيام المواكب العِظام لقدوم رسل الملوك ونحو ذلك .

ويُتَيَامن عن هذا الإيوان إلى ساحة لطيفة بها باب القصر الأبلق المتقدم ذكره ، وبنواحيها مصاطبُ يجلس عليها خواصّ الأمراء قبل دخولهم إلى الخدمة ، ويُدْخَل من باب القصر إلى دهاليز عظيمة الشأن ، نبيهة القدر ، يتوصَّل منها إلى القصر المذكور ، وهو قصر عظيم البناء ، شاهق فى الهواء ، به إيوانان فى جهتى الشَّمال والجنوب ، أعظمهما الشَّمالىّ ، يُطَلُّ منهما على الإصطبلات السلطانية ، ويمتدّ النظر منهما إلى سوق الخيل والقاهرة والفُسْطَاط وحواضرها ، إلى مجرى النيل ، وما يلى ذلك من بلاد الجيزة والجبل وما والى ذلك ، وبصدره مِنْبر من رخام كالذى فى الإيوان الكبير يجلس عليه السلطان أحيانا فى وقت الخدمة على ما يأتى ذكره .

والإيوان الثانى وهو القبلىّ خاص بخروج السلطان وخواصّه منه ، من باب السر إلى الإيوان الكبير خارج القصر للجلوس فيه أيام المواكب العامّة ، ويدخل من القصر المتقدّم ذكره إلى ثلاثة قصور جَوّانية : واحد منها مسامت لأرض القصر الكبير ، وآثنان مرفوعان ، يُصْعَد إليهما بدَرَج ، فى جميعها شبابيكُ من حديد تُشْرِفُ على ما يُشرِف عليه القصر الكبير ، ويدخل من القصور الجَوّانية إلى دور الحريم وأبواب الستور

السلطانية ، وهذه القصور جميعها ظاهرها بالحجر الأسود والأصفر ، وداخلها مؤزَّر بالرخام والفَصِّ المُذْهَبِ المشجَّر بالصَّدَف وأنواع الملوّنات ، والسقوفُ المبطَّنة بالذهب واللَّازوَرْد تُخرق لضوء فى جُدْرانها[1] بطاقات من الزجاج القُبْرسى الملوّن كقِطَع الجوهر المؤلفة فى العقود ، وجميع أرضها مفروشة بالرخام المنقول من أقطار الأرض مما لا يوجد مثله .

قال فى "مسالك الأبصار": فأما الآدُرُ السلطانية فعلىٰ ماصح عندى خبره أنها ذوات بساتين وأشجار ومُناخات للحيوانات البديعة والأبقار والأغنام والطيور الدَّواجن .

وخارج هذه القصور طِبَاق واسعة للماليك السلطانية ، ودُورٌ عظامٌ لخوّاص الأمراء من مقدّمى الألوف ، ومَنْ عَظُمَ قدره من أمراء الطَّبْلَخَانَاه والعشرات ، ومن خرج عن حكم الخاصكية إلىٰ حكم البرانيين .

وبها بيوت ومساكنُ لكثير من الناس ، وسوق للمآكل ، ويباع بها النَّفيس من السلاح والقماش مع الدَّلالين يطوفون به .

وبهذه القلعة مع ارتفاع أرضها وكونها مبنية علىٰ جبل بئرُ ماء مَعِين منقوبة فى الحجر، احتفرها بهاء الدين قراقوش المتقدّم ذكره حين بناء القلعة ، وهى من أعجب الآبار، بأسفلها سَوَاقٍ تدور فيها الأبقار، وتنقل الماء فى وسطها ، وبوسطها سواق تدور فيها الأبقار أيضا وتنقل الماء إلىٰ أعلاها ؛ ولها طريق إلىٰ الماء ينزل البقر فيه إلىٰ معينها فى مجاز، وجميع ذلك نَحْتٌ فى الحجر ليس فيه بناء .

قال القاضى محيي الدين بن عبد الظاهر : وسمعت من يحكى من المشايخ أنها لما نقرت، جاء ماؤها عَذْبا فأراد قراقوش أو نوابُه الزيادة فى مائها فوسع نقرا فى الجبل، فخرجت منه عين مالحة غيرت عذوبتها . ويقال : إن أرضها تسامِتُ أرض

(١) فى المقريزى هكذا [وقد موّهت باللازورد والنور يخرق فى جدرانها الخ] .

بركة الفيل ، وهـذه البئر ينتفع بهـا أهل القلعة فيما عدا الشرب من سائر أنواع الاستعمالات . أما شُرْبهم فمن الماء العذب المنقول إليها من النيل بالرّوايا على ظهور الجمـال والبغال مع ما ينساق إلى قصور السـلطان ودور أكابر الأمراء المجـاورين للسلطان من ماء النيل فى المجارى ، بالسواقى النَّقَّالات والدواليب التى تديرها الأبقار وتنقل المـاء من مقرّ إلى آخر حتّى ينتهى إلى القلعة ، ويدخل إلى القصور والآدُر فى ارتفاع نحو خمسمائة ذراع .

وقد استجدّ السلطان الملك الظاهر برقوق بهذه القلعة صِهْريجا عظيما يُمْلأ فى كل سنة زمَنَ النيـل من المـاء المنقول إلى القلعة من السواقى النَّقَّالات ، ورتب عليه سبيلا بالدِّرْكَاه التى بها دار النيابة يسقى فيه المـاء وحصل به للناس رفق عظيم .

وتحت مشترف هـذه القلعة ممـا يلى القصور السلطانية مَيْدَانٌ عظيم يحول بين الإصطبلات السلطانية وسوق الخيل ، ممرّج بالنجيل الأخضر ، فسيح المدى ، يسافر النظر فى أرجائه ، به أنواع من الوحوش المستحسنة المَنْظَر ، وتُربَط به الخوَاصُّ من الخيول السلطانية للتفسح ، وفيه يصلى السـلطان العيدين على ماسيأتى ذكره ، وفيه تعرض الخيول السلطانية فى أوقات الإطلاقات ووصول التقادم والمشترى ، وربمـا أطعم فيه الجوارح السلطانية ، وإذا أراد السلطان النزول إليه خرج من باب إيوان القصر وركب من درج تليه إلى إصطبل الخيول الخاص ، ثم نزل إليه راكبا وخواصُّ الأمراء فى خدمته مشاةٌ ، ثم يعود إلى القصر كذلك .

قال القاضى محيي الديـن بن عبد الظاهر فى " خططه " : وكان هذا المَيْدَان وما حوله يعرف قديمـا بالميـدان ، وبه قصر أحمد بن طولون وداره التى يسكنها ، والأماكن المعروفة بالقطائع حوله على ما تقدّم ذكره فى خطط الفُسْطَاطِ ، ولم يزل كذلك حتّى بنى الملك الكامل بن العادل بن أيوب هـذا المَيْدَانَ تحت القلعة حين

سكنها ، وأجرىٰ الســواقى النَّقالات من النيل إليــه ، وعَمَر إلىٰ جانبه ثلاثَ بِرَك تملأ لسقيه ، ثم تعطل فى أيامه مدّةً ، ثم آهتم به الملك العـادل ولده ، ثم آهتم به الصالح نجم الدين أيوب آهتماما عظيما، وجدّد له ساقية أخرىٰ ، وغرس فى جوانبه أشجارا فصار فى نهاية الحسن . فلما تُوفِّىَ الصـالح تلاشىٰ حاله إلىٰ أن هُدِم فى سنة خمسين وستمائة، أو سنة إحدىٰ وخمسين فى الأيام المُعِزِّيَّة أيبك التركمانىّ، وهُدمت السواقى والقنـاطر وعَفَت آثارها ، وبقى كذلك حتّىٰ عَمَره الســلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون رحمه الله ، فأحسن عمـارته ورَصَّفه أبدع ترصـيف ، وهو علىٰ ذلك إلىٰ الآن .

أما المَيْدانَ السلطانىّ الذى بخُطّ اللوق، وهو الذى يركب إليه السلطان عند وفاء النيل للَعِب الكُرَةِ ، فبناه الملك الصالح نجم الدين أيوب ، وجعل به المناظر الحسنة ونصب الطَّوارق علىٰ بابه كما تُنْصب علىٰ باب القـلاع وغيرها ، ولم تزل الطوارق منصوبة عليه إلىٰ مابعد السبعمائة ،وسيأتى الكلام علىٰ كيفية الركوب إليه فى المواكب فى الكلام علىٰ ترتيب المملكة فيما بعدُ إن شاء الله تعالىٰ .

والقلعة التى بالرَّوْضَةِ تقدّم الكلام عليها [فى الكلام] علىٰ خِطَط الفُسْطاط .

⁂

ومـما يتصل بهـذه القواعد الثلاث ويلتحق بها القرافةُ التى هى مَدْفَن أمواتها، وهى تربة عظيمة ممتدّة فى سفح المُقَطَّم ، موقعها بيـن المقطم والفُسْطاطِ وبعض القاهرة، تمتدّ من قلعة الجبل المتقدم ذكرها آخذةً فى جهة الجَنُوب إلىٰ بركة الحبش وماحولها . وكان سبب جعلها مَقْبُرة ماروآه آبن عبد الحَكَم عن الليث بن سعد : أن المقوقس سأل عمرو بن العاص أن يبيعه سفحَ المقطم بسبعين ألفَ دينار، فتعجب عمرو من ذلك ، وكتب إلىٰ أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى ذلك،

فكتب إليه عمر : أنْ سَلْه لِمَ أعطاك به ماأعطاك وهى لا تُزْرع ولا يُسْتنبط بها ماء ولا ينتفَع بهـا ؛ فسأله ، فقال : إنا لنجد صِـفَتها فى الكتب أن فيها غِراس الجنة ، فكتب إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنـه فى ذلك ، فكتب إليه عمر : "إنّى لا أرى غَرْس الجنـة إلا المؤمنين فأقْبُرْ بها مَنْ مات قِبلَك من المسلمين ولا تَبِعْها بشىء" فقال المقوقس لعمرو: ماعلى ذا عاهدتنا ، فقطع لهم قِطْعة تُدفَن فيها النصارى ، وهى التى على القرب من بركة الحبش ؛ وكان أوّلُ من قُبِر بسفح المقطم من المسلمين رجلا من المَعَافِر اسمه عامر ، فقيل عَمَرت .

ويروى أن عيسى عليه السلام مرّ على سفح المقطم فى سياحته ومعه أُمُّه ، فقال : "ياأمّاه ! هذه مَقْبُرة أمّة محمد صلى الله عليه وسلم". وفيها ضرائح الأنبياء عليهم السلام كإخوة يوسف وغيرهم . وبها قبر آسيةَ امرأة فرعون ، ومشاهدُ جماعة من أهل البيت والصحابة والتابعين والعلماء والزُّهّاد والأولياء .

وقد بنى النـاس بها الأبنية الرائقة ، والمناظر البَهِجَة ، والقصورَ البديعة ، يَسْرَحُ الناظر فى أرجائها ، ويبتهج الخاطر برؤيتها ؛ وبها الجوامع والمساجد والزوايا والرُّبُط والخوانق ، وهى فى الحقيقة مدينة عظيمة إلا أنها قليلة الساكن .

الفصل الثـانى

من المقـالة الثانيـــة

(فى ذكر كُوَرِ الديار المصرية ؛ وهى على ضربين)

الضرب الأوّل

(فى ذكر كُورهَا القـــديمة)

وقد جعلها القُضَاعىّ فى "خططه" ثلاثة أحياز ، وتشتمل على خمس وخمسين كُورة ، إلا أنه ذكرها سَرْدا غير مبيَّنـة ولا مُرَتَّبة ، وقد أوردتُها هنا مبيَّنة مرتَّبة ،

ونبهتُ علىٰ ما هو مســتمرّ منهـا علىٰ حكمه، وما تغـيّر حكمه بإضافته إلىٰ غيره من الأعمال المستمرّة مع بقاء أسمائه، ومادرس ٱسمه ونُسِى، أو تغير ولم تعلم له حقيقة .

الحيز الأوّل

(أعلىٰ الأرض، وهو الصعيد)

والمراد ماهو من كُوَرِهَا جنوبيّ الفُسْطَاط إلىٰ نهايته فى الجنوب، وسمى صعيدا لأن أرضــه كُلّمـا وغلت فى الجنوب، أخذت فى الصُّعود والٱرتفـاع .

وقد ذكر القُضَاعِىُّ فيه عشرين كورة :

الأولىٰ ـ (كُورَةُ الفيوم) وهى كُورة باقية مســتمرّة الحكم إلىٰ الآن، وسيأتى ذكرها فى الكلام علىٰ الأعمال المستقرّة فيما بعدُ إن شاء الله تعالىٰ .

الثانية ـ (كُورَةُ مَنْفٍ) ومَنْفُ هى مدينة مصر القديمة المتقدّمة الذكر، التى بناها مصر بن بيصر بن حام بن نوح عليه الســلام . وقد تقدّم أنها علىٰ ٱثنَىْ عشر ميــلًا من الفُسْطَاط فى جَنُوبِيِّه علىٰ القرب من البلدة المعروفة الآن بالبَدْرَشِين .

الثـالثة ـ (كُورَة وَسِيمَ) ووَسِيمُ بفتح الواو وكسر السين المهملة وسكون الياء المثناة تحت وميم فى الآخر، بلدة من عمل الجيزة معروفة؛ والثابت فى الدواوين أَوْسِيمُ بزيادة ألف فى أوّلهـا وسكون الواو .

الرابعة ـ (كُورَةُ الشرقية) وكأن المراد بها عمل إطفيح الآن إذ هو شرقىّ النيل وليس بالوجه القبلىّ عمل مستقلٌّ شرقىّ النيل سواه .

الخامسة ـ (كُورَةُ دَلَاص وبُوصِير) أما دَلَاصُ فبدال مهملة مفتوحة ولام ألف ثم صاد مهملة قال فى "الروض المعطار" : كانت مدينة عظيمة بها عجائب الأبنية، وبها كان مجتمع سَحَرَة مصر . وأما بوصير فالمراد هنا بُوصِير قُورِيدُس التى قتـل بها

مَرْوَانُ الحِمَار : آخر خلفاء بنى أُمَيَّة ، ودَلَاص وبُوصِير هذه كلاهما الآن من عمل البهنسىٰ ، وسيأتى ذكره فى الأعمال المستقرّة .

قال فى "الروض المعطار": قال الجاحظ : بها ولد عيسىٰ بن مريم عليه السلام. وذكر أن نخلة مريم كانت قائمة بها إلىٰ زمانه .

قلت : والمعروف أن مولد عيسىٰ عليه السلام كان بالقُدْس من أرض الشام علىٰ ما سيأتى ذكره فى الكلام علىٰ الأيمان فى أواخر الكتاب إن شاء الله تعالىٰ .

السادسة ــ (كُورَةُ أَهْنَاس) وأَهْنَاسُ بفتح الهمزة وسكون الهاء وفتح النون وألف وسين مهملة فى الآخر ، وتعرف بأَهْنَاس المدينة ، كانت مدينة فى القديم ، وهى الآن من جملة عمل البَهْنَسىٰ الآتى ذكره فى الأعمال المستقرّة .

السابعة ــ (كُورَةُ القَيْس) والقَيْسُ بفتح القاف وسكون الياء المثناة تحتُ وسين مهملة فى الآخر ، كانت مدينةً فى القديم ، وهى الآن قرية معدودة من عمل البَهْنَسىٰ أيضا .

الثامنة ــ (كُورَةُ البَهْنَسىٰ) وهى ذات عمل مستقرّ ، وسيأتى ذكرها فى الكلام علىٰ الأعمال المستقرّة فيما بعد إن شاء الله تعالىٰ .

التاسعة ــ (كُورَةُ طَحَا وحَيز شَنُودَة) . أما طحا فبفتح الطاء والحاء المهملتين وألف فى الآخر ، كانت فى القديم مدينةً ذات عمل ، ولذلك تعرف بطَحَا المدينة ، وهى الآن من عمل الأُشْمُونَيْنِ الآتى ذكرها فى الكلام علىٰ الأعمال المستقرّة ، وإليها ينسب أبو جعفر الطَّحَاوىّ إمام الحنفية ومحدّثهم .

وأما حيز شَنُودة ، فمن الأسماء التى دَرَست ولم تعلم حقيقتها .

العاشرة ــ (كُورَةُ بُوَيْط) قال ابن خِلِّكَان : بُوَيْطُ بضم الباء الموحدة وفتح الواو وسكون الياء المثناة تحت وطاء مهملة فى الآخر . وقال فى "تقويم البُلْدَان"[1]

(١) نص ياقوت علىٰ الضبطين وقال أكثر ما يقال بغير همز .

بهـمزة مفتوحة فى أوّله وباء ساكنة ، وهو آسم واقع علىٰ بلدتين بالديار المصرية : إحداهما بعمل البهنسىٰ فى لِحْف الجبل علىٰ طريق المارّة ، وإليها ينسب أبو يعقوب البُوَيْطى : أحد رواة الجديد عن الإمام الشافعىّ رضى الله عنه . والثانيـة من عمل سُيُوط وتعرف ببُوَيْط البتينة ، وإليها ينسب شرق بويط والظاهر أنها المرادة هنا .

الحادية عشرةَ — (كُورَةُ الأُشْمُونَيْنِ وأَنْصِنَا وشُطْب) . أما مدينة الأُشْمُونَيْنِ ، فذات عمل مستقرّ ، وسيأتى ذكرها فى الكلام علىٰ الأعمال المستقرّة فيما بعد إن شاء الله تعالىٰ .

وأما أَنْصِنَا ، فقال فى "تقويم البُلْدان" : هى بفتح الهمزة وسكون النون وكسر الصاد المهملة وفتح النون وألف فى الآخر ، وهى مدينـة قديمة خرابٌ فى البر الشرقىّ من النيل قُبَالة الأُشْمُونَيْنِ .

وقد ذكر آبن هشام فى السيرة : أن مارِيَةَ القِبْطية التى أهداها المُقَوْقِسُ للنبىّ صلّى الله عليه وسـلم من كُورَتِها من قرية يقال لهـا حَفْن ، وأنصنا الآن من جملة عمل الأُشْمُونين .

وأما شُطْبٌ ، فبضم الشين المعجمة وسكون الطاء المهملة وباء موحدة فى الآخر ، وهى مدينـة قديمة بنيت فى زمن شدّاد بن عديم أحد ملوك مصر بعد الطوفان قد خربت وعُمِر عليها قرية صـغيرة سميت بآسمها ، وهى الآن من جملة عمل سُيُوط الآتى ذكره فى الأعمال المستقرّة .

الثانيةَ عشرةَ — (كُورَةُ سُيُوط) وهى مستقرّ الحكم ، وسيأتى ذكرها فى الأعمال المستقرّة .

الرابعةَ عشرةَ — (كُورَةُ قَهْقُوهَ) وهى من الأسماء التى درست ونُسِيت ، ولم أعلم بالصعيد بلدةً تسمّى الآن بهذا الآسم .

الخامسةَ عشرةَ ــ (كورة إخميم والدَّيْر وأبْشَاية) : أما كورة إخميم، فمن الكُوَر المستمرّة الحكم، وسيأتى الكلام عليها فى الكُوَر المستقرّة .

وأما الدير، فيجوز أن يكون المراد به الدَّيْر والبَلَّاص ، وهى بلدة فى شرقىّ النيل شَمالىّ قِنَا، هى الآن من عمل قُوص الآتية الذكر .

وأما أبْشاية، فمن الأسماء التى جهلت .

السادسةَ عشرةَ ــ (كورة هُوْ ودَنْدَرَة وقِنَا) : أما هُوْ، فبضم الهاء وسكون الواو، وهى مدينــة صغيرة علىٰ ساحل البر الغربىّ الجنوبىّ من النيل ، ويضاف إليها فى الدواوين الكوم الأحمر، فيقال هُوْ والكومُ الأحمر .

وأما دَنْدَرَة، فبفتح الدال المهملة وسكون النون وفتح الدال الثانية والراء المهملة وهاء فى الآخر، وهى مدينــة قديمة خرابٌ علىٰ الساحل الغربىّ الجنوبىّ من النيل فى شرقىّ هُوْ، وبها كانت البِرْباة العظيمة المتقدّم ذكرها فى عجائب الديار المصرية .

وأما قِنَـا، فبكسر القاف وفتح النون وألف فى الآخر، وهى مدينة شرقىّ النيل وبها ضريح السـيد الجليـل عبد الرحيم القِنَـائى ، المعروف بالبَرَكة وإجابة الدعاء عنده . وهــذه البلاد الثلاث الآن من جملة عمل قوص الآتى ذكره فى الكلام علىٰ الأعمال المستقرّة .

السابعةَ عشرةَ ــ (كُورَة قِفْطِ والأُقْصُر). أما قفط، فبكسر القاف وسكون الفاء وطاء مهملة فى الآخر، كانت مدينة قديمة بالبر الشرقىّ من النيل جنوبىَّ قِنَا المتقدّمة الذكر، بناها قِفْطُ بن قبطيم بن مصر[1] بن بيصر بن حام بن نوح عليه السـلام أحد ملوك مصر بعد الطوفان، فخربت و بقيت آثارها وعمرت علىٰ القرب منهـا مدينة صغيرة سميت بآسمها .

(١) فى ياقوت قفط بن مصر ... ثم قال وأصـله فى كلامهم قفطيم ومصريم ولكن الذى فى المقريزى نحو مافى الاصل .

وأما الأُقْصُر، فبضم الهمزة وسكون القاف وضم الصاد المهملة وراء مهملة في الآخر، وتسمّى الأُقْصُرَيْنِ أيضا على التثنية، وهى مدينة خراب بالبر الشرقىّ من النيـل ، قد عُمِر على القرب منها قرية سميت بآسمها ، وبها ضريح السـيد الجليل أبو الحَجَّاج الأُقْصُرِىّ، وكانت بها بِرْباة عظيمة نخربت، وآعلم أن بين قِفْط والأُقْصُر مدينة قوص، وقد ذكر القضاعىّ كورتها فى جملة الكُوَرِ، فكيف يستقيم أن تذكر قِفْطُ والأُقْصُر كورة واحدة ؟ .

الثامنةَ عشرَةَ — (كورة قُوص) وهى مستمرّة الحكم، وسـيأتى الكلام عليها فى جملة الأعمال المستقرّة إن شاء الله تعالىٰ .

التاسعةَ عشرَةَ — (كورة أَسْنَا وأَرْمَنْتَ) . أمّا أَسْـنَا (١) ، فبفتح الهمزة وسكون السين المهملة وفتح النون وألف فى الآخر،وهى مدينة حسنة بالبر الغربىّ من النِّيل، ويقـال : إنه لم يسلم من تخريب بُخْتَ نَصَّرَ من مدن الديار المصرية سواها ، وذلك أن أهلها هربوا منه إلى الجبل بالقرب منها فتبعهم وقتلهم هناك وترك البـلد على حالهـا .

وأمّا أَرْمَنْتُ، فبفتح الهمزة وسكون الراء المهـملة وفتح الميم وسكون النون وتاء مثناة فوقُ فى الآخر، وهى مدينة صغيرة بالبرّ الغربىّ الشّمالىّ من النيل بينهـا وبين أَسْنَا مرحلة ، وكلاهما الآن من عمل قُوص، وقد جرى على الألسـنة الجمع بينهما فى اللفظ فيقال : أَسْنَا وأَرْمَنْت، وكأن ذلك لكثرة آجتماعهما فى إقطاعٍ واحد .

العشرون — (كورة أُسْوان) : وسيأتى ذكرها فى الكلام على الأعمال المستقرّة مع الأعمال القُوصية إن شاء الله تعالىٰ .

---

(١) ضبطه ياقوت بكسر الهمزة .

الحيز الثـانى
(أســفل الأرض)

وقد ذكر القضاعىّ : أنها ثلاث وثلاثون كورة فى أربع نواحٍ .

النـاحية الأُولىٰ
(كُوَر الحَوْف الشرقىّ، وبها ثمانُ كُوَر)

الأولىٰ ـ (كورة عَيْنِ شَمْسٍ) وعين شمس مدينة قديمة خرابٌ علىٰ القرب من المَطَرِيَّةِ من ضواحى القاهرة الآتى ذكرها فى الأعمال المستقرّة .

قال القاضى محيي الدين بن عبد الظاهر : رأيت علىٰ حاشية بعض كتب التواريخ أن مَلِكَها كان عظيمَ الشأن، وعاش إلىٰ زمن يوسف عليه السلام وتزوّج ٱبنته .

الثانية ـ (كورة أَتْريب) وأتريب مدينة خرابٌ علىٰ القرب من بِنْها العَسَل من أعمال الشرقيــة الآتى ذكرها فى الأعمال المستقرّة، بناها أتريب بن قبطيم بن مصر ٱبن بيصر بن حام بن نوح عليه السلام .

الثـالثة ـ (كورة بَنَا وتُمَىّ) أما بَنَا ، فلا يعرف بالحوف الآن بلدة ٱسمها بَنَا ، وإنمـا بَنَا بعمل الغربية، وسيأتى ذكرها مع بُوصير هناك .

وأمّا تُمَىّ، فبضم التاء المثناة فوقُ وفتح الميم وياء مثناة تحتُ فى آخرها، وهى مدينة خرابٌ بعــمل المُرْتَاحِيَّــةِ ، بها آثارٌ عِظَامٌ ، رأيت فيها أبوابا من حجر صوّان قطعة واحدة، ٱرتفاعها نحو عشرة أذرع قائمة علىٰ قاعدة من صوّان أيضا .

الرابعة ـ (كُورَةُ بَسْطَة) وبَسْطَةُ بفتح الباء الموحدة وسكون السين وفتح الطاء المهملتين وهاء فى الآخر، وهي مدينة خرابٌ تعرف الآن بتَلّ بَسْطَة من عمل الشرقية .

الخامسة ـ (كورة طَرَابِيَة) وهى من الأسماء التى دَرَست ولم تعرف .

السادسة ـ (كورة قُرْبَيْط) وهى من المجهول أيضا .

السابعـة ـ (كورة صَان وإبْليل) وهى من المجهول .

الثـامنة ـ (كورة الفَرَمَا والعَرِيش) . أمّا الفَرَما، فقال فى "تقويم البُلْدان": هى بفـاء وراء مهـملة وميم مفتوحات ثم ألف، وهى بلدة خرابٌ علىٰ شاطئ بحر الروم، علىٰ بُعْدِ يومٍ من قَطْيَة . قال ابن حَوْقَل : وبها قَبْرُ جالينوس الحكيم .

وأمّا العَرِيشُ ، فبفتح العين المهملة وكسر الراء المهملة وسكون الياء المثناة تحتُ وشين معجمة فى الآخر، قال فى "الروض المعطار" : كانت مدينة ذات جامعين مفترقى البناء، وثمـار وفوا كه .

قال فى "تقويم البُلْدان" : وهى الآن مَنْزِلة علىٰ شَطّ بحر الرُّوم ، وبها آثار قديمة من الرُّخام وغيره .

قال فى "الروض المعطار" : وكان بينها وبين قَدَس طريق مسلوكة فى البر .

النـاحية الثـانية

(بطن الريف)

وأصل الرِّيف فى لغة العرب موضع الزَّرْع والشجر، إلا أنه غلب بالديار المصرية علىٰ أسفل الأرض منها، وفيها سَبْعُ كُوَر .

الأولىٰ ـ (كُورَةُ بَنَا وبُوصِيرَ). أمّا بَنَا، فبفتح الباء الموحدة والنون وألف فى الآخر، وبُوصِيرُ تقدّم ضبطها فى الكلام علىٰ بوصير المعروفة بمصر يوسف بالجيزيَّة عند ذكر قواعد مصر القديمة ، وبنا وبُوصِـيرُ هذه كلاهمـا من عمل الغربيـة الآتى ذكره فى الأعمال المستقرّة .

الثانية — (كُورَة سَمَنُّودَ)، وسَمَنُّودُ بفتح السين المهملة والميم وضم النون المشدّدة والواو ودال مهملة فى الآخر، وهى مدينة صغيرة من الأعمال الغربية، كان لها عمل مستقرّ فى أوّل الأمر ثم أضيفت إلىٰ عمل الغربية .

الثالثة — (كُورَة نَوَسَا)، ونوسَا بفتح النون والواو والسين المهملة فى الآخر[1]، وهى الآن قرية من قُرىٰ المُرْتاحية .

الرابعة — (كورة الأَوْسِيَّة)، وهى من الأسماء التى دَرَست وجُهِلت .

الخامسة — (كورة البُجُوم)، بالباء الموحدة والجيم، وهى من الأسماء المندرسة أيضا، ولا يُعرف مكان بالديار المصرية ٱسمه البُجُوم إلا أرض بأسفل عمل البحيرة علىٰ القرب من الإسكندرية، صارت مستنقعا للمياه المتصرفة عن البحيرة .

السادسة — (كُورَةُ دَقَهْلَةَ)، ودَقَهْلَةُ بفتح الدال المهملة والقاف وسكون الهاء وفتح اللام وهاء فى الآخر، وهى مدينة قديمة بالجزيرة بين فِرْقَةِ النيل المارّة إلىٰ دمياط والفرقة التى تصب ببحيرة تِنِّيس، وإليها ينسب عمل الدقهلية، وهى الآن قرية من عمل أَشْموم الآتى ذكرها فى الأعمال المستقرة، وإن كان العمل فى الأصل منسوبا إليها .

السابعة — (كورة تِنِّيس ودِمْيَاطَ)، أمّا تنيس، فقال فى اللُّبَاب : هى بكسر المثناة فوقُ والنون المشدّدة وسكون الياء المثناة تحتُ وسين مهملة فى الآخر، والجارى علىٰ الألسنة فتح التاء، كانت مدينة عظيمة فطمىٰ عليها الماء قبل الفتح الإسلامى بمائة سنة، فأغرق ما حولها وصارت بُحَيْرَةً، وسيأتى الكلام عليها فى الكلام علىٰ بُحَيرتها، وهى الآن قرية صغيرة بوسط البُحَيرة والماء محيط بها .

قال فى "الروض المعطار" : وكانت تُرْبتها من أطيب التُّرَب، وبها تُحاك الثيابُ النفيسة التى ليس لها نظير فى الدنيا، وقد قيل : إن الجنتين اللتين أخبر الله تعالىٰ

(١) لعله وألف فى الآخر كما هو ظاهر

عنهما فى سورة الكهف بقوله : ﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ ﴾ الآية، كانتا بِتِنِّيس .

وأمّا دِمْياطُ، فسيأتى ذكرها فى الكلام على الأعمال المستقرّة إن شاء الله تعالىٰ .

النـاحية الثالثـــــة

(الجزيرة بين فِرْقَى النيل الشرقية والغربية، وفيها خمس كور)

الأولىٰ ـ (كُورَةُ دَمْسِيس ومَنُوفَ) . أمّا دَمْسِيسُ، فبفتح الدال المهملة وسكون الميم وكسر السين المهملة وسكون الياء المثناة تحتُ وسين مهملة فى الآخر، وهى الآن بلدة من عمل الغربية .

وأمّا مَنُوف فمن الأسماء التى نُسِيت وجهلت .

الثانية ـ (كورةُ طُوَّة مَنُوفَ)، وهى من الأسماء التى جهلت ولا يعلم بالديار المصرية الآن بلدة آسمها طُوَّة غير بلدين بالوجه القبلىّ إحداهما بالأُشْمُونِين ، والثانية بالبهنساوية .

الثالثة ـ (كورة سَخَا وتَيْدَةَ والفَرَّاجُونِ) . أمّا سَخَا، فبفتح السين المهملة والخاء المعجمة وألف فى آخرها، وهى بلدة حسنة كانت ذات عمل، ثم آستقرّت من عمل الغربية الآن .

وأمّا تَيْدَةُ ، فبفتح التاء المثناة فوقُ وسكون الياء المثناة تحتُ وفتح الدال المهملة وهاء فى آخرها، وهى الآن قرية من قرىٰ الغربية .

وأمّا الفَرَّاجُونُ، فبالألف واللام فى أوّلها، ثم فاء مفتوحة وراء مهملة مشدّدة بعدها ألف وجيم مضمومة وواو ساكنة ونون فى الآخر، وهى بلدة مضافة إلىٰ تَيْدَةَ ، فيقال : تَيْدَةُ والفَرَّاجُون .

الرابعـة — (كورة بقيرة وديصا)، وهما من الأسماء التى نُسِيت وجهلت .

الخامسة — (كُورة البَشَرُود)، وهى من الأسماء التى جهلت .

النـاحية الرابعـــة

(الحَوْف الغربىّ، وفيها إحدىٰ عشرة كورة)

الأُولىٰ — (كورة صَا)، وصَا بصاد مهملة مفتوحة وألف فى الآخر، وهى مدينة خرابٌ شرقىّ الفرقة الغربية من النيل، بناها صا بن قبطيم بن مصر بن بيصر بن حام آبن نوح عليه السلام، أحد ملوك مصر بعد الطوفان، وبها الآن آثار عظيمة، وقد عمرت بالقرب منها قرية وسميت بآسمها، وكأن عملها كان من البرّ الغربىّ .

الثـانية — (كُورَة شَبَاس) وشَبَاسُ بفتح الشين المعجمة والباء الموحدة وألف ثم سين مهـملة آسم لثلاث بلاد من عمل الغربية الآن، وهى شَبَاسُ المِلْح، وشَبَاسُ أنبارة، وشَبَاسُ سنقر، وتعرف بشَبَاس الشهداء، وكأنّ المراد الثالثة فإنها أعظمها .

الثالثة — (كُورةُ البَذَقُون)، وهى من الأسماء التى درست وجهلت .

الرابعة — (كورة الخِيَس والشِّرَاكِ) . أما الخيس فلا تعرف بالبحيرة الآن بلدة تسمّى الخيس، وإنمـا الخَيْسُ بفتح الخـاء المعجمة وسكون الياء وسين مهملة فى الآخر، بلدة من عمل الشرقية .

وأما الشِّرَاكُ، فبكسر الشين المعجمة المشدّدة وفتح الراء المهملة وألف ثم كاف، وهى بلدة من عمل البحيرة .

الخامسة — (كورة خِرْبِتَا)، بكسر الخاء المعجمة وسكون الراء المهملة وكسر الباء الموحدة وفتح التاء المثناة فوق، وهى قرية معروفة من عمل البحيرة ، ومنها سار من سار من المصريين لقتل عثمان بن عفان رضى الله عنه .

السادسة ـ (كورة قَرْطَسَا ومَصِيل) . أما قَرْطَسَا فبفتح القاف وسكون الراء المهـملة وفتح الطاء والسين المهـملتين وألف فى الآخر؛ وهى قرية من عمل البحيرة الآن .

وأما مَصِيل، فمن الأسماء التى جهلت .

السابعة ـ (كورة المليدس) وهى من الأسماء التى جهلت .

الثامنة ـ (كورة إخنا ورَشِيدَ والبُحَيْرَة) . أما إخنا، فمن الأسماء التى جهلت ولا يعرف بالبُحَيْرَةِ بلد ٱسمها إخنا ، وإنمـا أخنويه من عمل الغربية ، والعامّة تقول إخنا .

وأما رَشِيدُ، بفتح الراء المهملة وكسر الشـين المعجمة وسكون الياء المثناة تحت ودال مهملة فى الآخر، فبَلْدة عند مَصَبِّ الفرقة الغربية التى يقع الٱعتناء بحفظها. وفى ذلك نظر لٱعتباره الغربيةَ ورشيد من سواحل البحيرة، وبينهما بُعْدٌ يبعد معه أن يجتمعا فى كورة واحدة .

وأما البُحَيْرَةُ، فالظاهر أنه يريد بحيرة بُوقير المتقدّم ذكرها فى الكلام على القواعد القديمة، ويأتى بقية الكلام عليها فى الأعمال المستقرّة إن شاء الله تعالىٰ .

العاشرة[1] ـ (كورة مَرْيُوطَ) . ومَرْيُوطُ بفتح الميم وسكون الراء المهملة وضم الياء المثناة تحت وسكون الواو وطاء مهملة فى الآخر، وهى ناحية غربىّ الإسكندرية داخلة الآن فى عملها، بها الأشجار والبساتين، وفواكهها تحمل للإسكندرية .

الحـادية عشرة ـ (كورة لُوبِيَـةُ ومَرَاقِيَة) . أما لوبيـة ، فبلام وواو وباء موحدة ثم ياء مثناة تحت وهاء فى الآخر . قال فى "الروض المعطار" : وهى كورة

(١) سقطت التاسعة من قلم الناسخ وهى "كورة البتنون" وقد ذكرها ٱبن دقاق فى كتابه "الٱنتصار" .

من كُوَر مصر الغربيــة ، متصــلة بالإسكندرية . قال : وقد قيل إن الإسْكَنْدَرَ كان منها .

وأما مَرَاقِيَةُ ، فبميم وراء مهملة وألف وقاف وياء مثناة تحت وهاء فى الآخر .

وقد ذكر القضاعىّ فى تحديد الديار المصرية مايقتضى أنهما بجوار بَرْقَةَ ، فقال : إن الذى يقع عليــه آسم مصر من العريش إلىٰ لُوبِيةَ ومَرَاقِيَةَ ، ثم قال : وفى آخر أرض مراقية تلقىٰ أرض أنطابُلُس ، وهى بَرْقة ، والظاهر أن لوبية غربىَّ مريوط ، ومراقية غربىّ لوبية وهى آخر أرض الديار المصرية من جهة الغرب .

الحيز الثــالث

(كُوَر القِبْلة ، وفيها خمس كور)

الأولىٰ - (كورة الطُّور وفاران) . أما الطُّور فضبطه معروف . قال فى المشترك : والطور فى اللغة العبرانية آسم لكل جَبَــل ، ثم صار عَلَمًــا لجبال بعينها ، منها جبل طُورزَيْتَا بلفظ الزيت ، وهو آسم لجبل برأس عين من بلاد الجزيرة وجبل بالقُدْسِ وجبل مُطِلّ علىٰ طَبَرِيَّة ، وطُور هرُون بالقُدْس ، وطُورسينا ، وهو المراد هنا ، وهو جبل داخلٌ فى بحر القُلْزُمِ علىٰ رأسه دَيْرٌ عظيم ، وفى واديه بساتينُ وأشجار ، وهو علىٰ مَرْحلة من فُرْضَةِ الطور المتقــدّمة الذكر فى تحديد بحر القُلْزُم ، وكأنها سميت بآسمه لقربها منه . قال آبن الأنبارىّ فى "كتابه الزاهر" : وسمى الطُّور بطُور بن إسماعيل آبن إبراهيم عليهما السلام .

وأما فارانُ ، فبفاء مفتوحة بعدها ألف ثم راء مهملة بعدها ألف ثانية ثم نون ، قال فى "الروض المعطار" : وهى مدينة صغيرة من بر الحجاز علىٰ جون علىٰ البحر . قال : ولجبال فارانَ ذكْرٌ فى التوراة .

الثانية ــ (كورة رَايَة والقُلْزم). أما راية فمن الأسمـاء التى جهلت، وقد ذكرها ابن سعيد مقرونة بالقلزم فقال : ورايَةُ والقُلْزم من كور مصر .

وأما القُلْزُمُ، فقال فى المشترك : هو بضم القاف وسكون اللام وضم الزاى المعجمة ثم ميم فى الآخر، وهى مدينة قديمة علىٰ ساحل بحر القُلْزُمِ وإليها ينسب البحر المذكور.

قال فى "القانون" : وطولهـا ست وخمسون درجة وثلاثون دقيقة وعرضها ثمـانٌ وعشرون درجة وعشرون دقيقة، وعلىٰ القرب منها غَرَقَ فِرْعَوْنُ .

الثالثة ــ (كورة أَيْلَةَ وحَيِّزِها، ومَدْيَنَ وحَيِّزِها، والعَوْنيد وحَيِّزِها، والحَوْرَاءِ وحَيِّزِها) .

أما أَيْلَةُ فقال فى "تقويم البُلْدان" : هى بفتح الهمزة وسكون الياء المثناة تحت وفتح اللام وهاء فى الآخر. قال : وهى كانت مدينة صغيرة خرابا علىٰ ساحل بحر القُلْزُمِ .

قال فى "القانون" : طولهـا ست وخمسون درجة وأربعون دقيقة .

قال فى "تقويم البُلْدان" : وبها زرع يسير، وهى مدينة اليهود الذين جعل منهم القِرَدَةُ والخنازير، وعليها طريق حُجَّاج مصر . قال : وهى فى زماننا برج وبه وَالٍ من مصر وليس بها مزدرع، وكان بها قلعة فى البحر فبطلت ونُقِل الوالى إلىٰ البرج .

وأما مَدْيَنُ فضـبطها معروف ؛ وهى فى الأصل آسم لقبيلة شُعَيْب عليه السلام وكانوا مقيمين بها فسميت البلد بهم، وهى مدينة خَرابٌ علىٰ بحر القُلْزُمِ محاذِيةٌ لتَبُوكَ من بلاد الشأم علىٰ نحو ست مراحل منها، وعدّها فى "الروض المعطار" من بلاد الشأم، وبها البئر التى آستقىٰ منها موسىٰ عليه السلام لبنات شُعَيْب وسقىٰ غنمهنّ .

قال آبن سعيد : وسعة البحر عندها نحو مجرى .

وأما العَوْنيد؟ فبعين مهملة وواو وياء مثناة تحت ونون ودال . قال فى "الروض المعطار" : وهى مدينة قريبة من نصف الطريق بين جُدَّةَ والقُلْزُمِ . قال : وعلىٰ

القرب منها مرسى صبنا، يحدر الماء بها عن أثر قدم من أوسط الأقدام بينة الكعب والأخمص والأصابع لم يعفها الزمان، ولا تمحى بمرور الماء عليها .

وأما الحَوْرَاءُ ، فبحاء مهملة مفتوحة بعدها واو ساكنة وراء مهملة مفتوحة ثم ألف فى الآخر . قال فى "الروض المعطار" : وهى مدينة علىٰ ساحل وادى القُرىٰ بها مسجد جامع ، وبها ثمانية آبار عَذْبَةٍ ، وبها ثِمَار ونخل وأهلها عرب من جُهَيْنَةَ وبَلِيٍّ . قلت : والمعروف فى زماننا أن الحَوْرَاءَ منزلة بطريق حُجَّاجِ مصر، ولعلها علىٰ القرب منها .

الرابعة — كورة بَدَا يعقوب وشُعَيْبٍ، ولم أعلم حقيقة مكانهما .

قلت : ذكر القضاعىّ أَيْلَةَ ومَدْيَنَ وما والاهما مما علىٰ ساحل بحر القُلْزُمِ من بر الحجاز فى أعمال مصر جريا علىٰ ما قدّمه من إدخال ذلك فى تحديد الديار المصرية ، علىٰ أنه قد أهمل من جملة الديار المصرية حَيِّزَيْنِ آخرين .

الحيز الأوّل

(بلاد ألواح)

إذ هى داخلة فى حدود الديار المصرية علىٰ ما حدّده هو وغيره .

قال فى "اللُّبَابِ" : وهى بفتح الهمزة وسكون اللام وفتح الواو وفى آخره حاء مهملة، وقال فى "المشترك" : واح بغير ألف ولام ويجمع علىٰ واحات، وهى ناحية غربىّ بلاد الصعيد منقطعة عنه خلف الجبل الغربىّ من جبلى مصر المتقدّم ذكرهما.

قال فى "مسالك الأبصار" : وهى بين مصر والإسكندرية والصعيد والنُّوبة والحبشة . قال فى "تقويم البُلْدان" : والبَرَارى محيطة بها من جميع جهاتها ، وهى بينها كالجزيرة، بين رمال ومَفاوِزَ .

قال البكرىّ : وهو إقليم مستقلٌّ غير مفتقر إلىٰ سواه . قال فى "الروض المعطار" : وهى آخر بلاد الإسلام، و بينها و بين بلاد النُّو بة ستُّ مراحل . قال : وفى هذه الأرض شَبِّية وزاجِيَّة وعيون حامضة الطعوم ولكل نوع منها منفعة وخاصة ، وبها العيون الجارية، والبساتين، والثمار، والتمر الكثير؛ وبها مدن كثيرة مسوَّرة وغير مسوّرة .

قال فى "المشـترك" : وهى ثلاث كور : واح الأولىٰ ، وواح الوسـطىٰ ، وواح القُصْوىٰ .

قلت : والأولىٰ منها ــ مقابل الأعمال البهنساوية، وهى أعمرها وأكثرها ثمرة، ومنها يجلب التمر والزبيب الكثير، وتعرف بواح البهنسىٰ و بالواح الخاصّ .

والثانية ــ مقابل شمـالىّ الأعمال الأُسْيوطية، وتعرف بالواح الداخلة ، وهى تلو الواح الأولىٰ فى العمارة ؛ بها مُدُن مشهورة ، منها السلمون والهنداو والقَلَمُون والقصير وغيرها .

والثالثة ــ مقابل جنوبىّ الْوَاح الثانيـة، وتعرف بالْوَاحِ الخارجة ؛ وبين ريف الصعيد و بين جميعها عرض جبل مصر الغربىّ، ومسيرته ثلاث مراحل فما دونها بحسب ٱختلاف الأماكن والطرق .

قال فى "التعريف" : وهى جارية فى اقطاع أمراء مصر، وهم يولُّون عليها من قِبَلِهم . قال : ومَغَلُّها كأنه مصالحة لعدم التمكن من ٱستغلاله أُسْوَةَ بقية ديار مصر، لوقوعه منقطعا فى البلاد النائية والقِفَار النازحة .

قال فى "مسالك الأبصار" : ولا تعـدّ فى الولايات ولا الأعمـال ، ولا يحكم عليها من قِبَل السلطان .

الحـــيز الثـانى

(بَرْقــةُ)

بفتح الباء الموحدة وسكون الراء المهملة وفتح القاف وهاء فى الآخر . قال فى "تقويم البُلْدان" : وهى من الإقليم الثـالث . قال فى "كتاب الأطوال" : وطولهـا آثنتان وأربعون درجة وخمس وأربعون دقيقة، وعَرْضها آثنتـان وثلاثون درجة . وهى أرض مُتَّسِـعَةُ الأرجاء ، مديدة الفضاء ، وهى من أزكىٰ الأراضى دوابّ، وأمراها مرعًى .

قال فى "مسالك الأبصار" : أخبرنى بعض مَنْ رءاها أنها شبيهة بأطراف الشأم وجبال نابُلُس فى مَنَابت أشجارها وكيفية أرضها وما هى عليه، وأنها لو عمرت بالسكان وتأهلت بالزُّرّاع، كانت إقليما كبيرا يقارب نصف الشأم، قال : وبها الماشية والسائمة الكثيرة : من الإبل والغنم والخيل، وخيلُها من أقوىٰ الخيل وأصلَبها حوافر، وصُوَرُها بين العِرَابِ والبراذين ، وقد جمعت بين حسن العِرَابِ وكمال تخاطيطها، وصلابة البراذين وثباتها علىٰ الوُعُور، وهى إلىٰ محاسن العِرَابِ أقرب، ولكنها لاتبلغ شأْوَ خيل البحرينِ والحجـاز، وفحولهـا أنجبُ من إناثها . قال : وكذلك بها المدن المبنيه ، والقصور العليه، والآثار الدالة علىٰ ما كانت عليه من الجلالة .

قال آبن سعيد : وهى سلطنة طويلة، وإن لم يكن لها آستقلال لآستيلاء العرب عليها، وهى إلىٰ إفرِيقيَّةَ أقرب منها إلىٰ مصر . قال : وكان سريرها فى القديم بمدينة (طَبَرْقَة) . وذكر صاحب "الروض المعطار" : أن قاعدتها كانت مدينة (أنطابُلُس)، وقد تقدّم من كلام القضاعىّ فى تحديد الديار المصرية فى آخر الحدّ الشمالىّ مايوافقه .

قال فى "مسالك الأبصار" : ومن مدنهـا طُلْمَيْثَا . قلت : والتحقيق أن بَرْقَة قسمان : قسم محسوب من الديار المصرية، وهو مادون العَقَبة الكبرىٰ إلىٰ الشرق .

وقسم محسوب من إفْرِيقِيَّةَ، وهو مافوق العقبة المذكورة إلىٰ الغَرْب، وهـذه المُدُن الثلاث مما يلى جهة المغرب، والقسمان كلاهما اليوم بيد العرب أصحابِ الماشية، قال فى "مسالك الأبصار" : وربما زرع بعضهم فى بعض أرضها فأنجب، ولكنهم أهـل بادية لا عناية لهم بعمارة ولا زرع . قال : وأمرها إلىٰ صاحب مصر يُقْطِعها بالمناشير تارة لبعض الأمراء وتارة للعرب يأخذون عدادها ، وكأنه يريد القسم الذى هو من مصر .

الضرب الثانى

(من كور الديار المصرية نواحيها وأعمالها المستقرّة، ولها وجهان)

الوجـــــه الأوّل

(القبـــلىّ)

وهو المعبر عنه بالصعيد ، وقد تقـدّم بيانه فى الكلام علىٰ الكُوَر القديمة ، وبه تسعة أعمـال :

العمل الأوّل ــ الجيزيّة . وهو أقربها إلىٰ الفُسْطَاط والقاهرة ، ومقرّ ولايته مدينة الجِيزَةِ (بكسر الجيم وإسكان الياء المثناة تحت وفتح الزاى المعجمة وبعـدها هاء) وموقعها فى الإقليم موقع الفُسْطَاط ، وطولها وعرضهما واحد ، وإليها ينسب الربيع الجِيزِىّ راوى الأمّ عن الشافعىّ رضى الله عنه .

قال فى "الروض المعطار" : ويقال إن بها قبر كَعْبِ الأَحْبَار، وهى مدينة لطيفة علىٰ ضَفَّة النيل الغربية مقابل جزيرة المِقْياس المتقدّمة الذكر والنيل بينهما، وبعض هذا العمل يأخذ فى جهة الشّمال إلىٰ الوجه البحرىّ الآتى ذكره .

قال فى "الروض المعطار" : والجِيزَةُ اختطها عمرو بن العاص رضى الله عنه .

العمل الثانى ـ الإطْفِيحِيَّةُ . وهو شرقىّ النيل فى جنوب الفُسْطَاط، مُصاقِبٌ بركة الحبش و بساتين الوزير. ومقرّ ولايته مدينة "إطْفِيح" (بكسر الهمزة و إسكان الطاء المهملة و بالفاء والياء والحاء المهملة) و ربما قلبت الطاء تاءً مثناةً فوقُ، وهى مدينة لطيفة فى البر الشرقىّ، وموقعها فى الإقليم الثالث، ولم يتحرر لى طولها وعَرْضها، وعملها ما بين المقطم والنيل آخذا عنها جنوبا وشَمَالا، وليس لعملها كبير ذكر .

العمل الثالث ـ البَهْنَساوِيَّة . وهو مما يلى عمل الِجيزَة من الجهة الجنوبية ، ومقرّ ولايته مدينة البَهْنسىٰ . قال فى "المشترك" : (بفتح الباء وسكون الهاء وفتح النون وسين مهملة مفتوحة وألف مقصورة) وهى مدينة لطيفة قديمة بالصعيد الأدنىٰ بالبر الغربىّ من النيل تحت الجبل بطوق المزدَرَع، مركبة علىٰ ضَفَّة بحر الفيُّوم . وموقعها فى الإقليم الثانى من الأقاليم السبعة .

قال فى "الأطوال" : طولها إحدىٰ وخمسون درجة وثلاثون دقيقة، وعرضها ثمان وعشرون درجة .

العمل الرابع ـ الفَيُّومِيَّةُ . وهو مُصَاقِبٌ لعمل البَهْنسىٰ من غربيه ، و بينهما منقَطَع رمل . وهو من أعظم الأعمال وأحسنها عمارة ، كثيرُ البساتين ، غزيرُ الفواكه ، دارُّ الأرزاق . يقال إنه كان منصل[1] مياه الديار المصرية فاستخرجه يوسف عليه السلام وجعله ثلثمائة وستين قرية لِتَميرَ كلُّ قرية منها بلدَ مصرَ يوما من أيام السنة .

قلت : وأما الآن فقد نقصت عدّة قراه بسبب ما عراها من ركوب ماء البركة التى هى منصل[1] مياهه، المتقدّم ذكرها فى جملة بحيرات الديار المصرية وركوب مائها علىٰ أكثر القرىٰ المجاورة لها، ولولا ماهو شامل له من بركة الصدّيق عليه السلام،

(١) كذا فى الأصل بدون نقط ولعله مصحف عن مَمَصَل أى مكان المصل والرشح وفى خطط المقريزى وقد كان مغيض ماء النيل . وفى تقويم البلدان كان فى وهدة وقد سيق إليه نهر من رشح ماء النيل . وفى المسعودى وكان مضفاة .

لكانت قد غَطَّتْ جميع بلاده . إذ المياه تنصبُّ إليها شتاءً وصيفا على ممرّ الدهور وتعاقب الأيام، وليس لها مَصْرِف تتصرف منه ضرورةَ إحاطة الجبال بها من الجهات التى هى بصَـدَدِ أن تُصْرف منها ، ولقد آجتهد بعض حُكَّام الزمان على أن يتحيـل فى عمل مَصْرِف يُقْطَع فى الجبـل لتتصرف منه مياهها فلم يجـد إلى ذلك سبيلا . ولو كان ذلك فى حيز الإمكان، لفعله يوسف عليه السلام .

قال آبن الأثير فى "عجائب المخلوقات" : ويقال إنه على جميع الفَيُّوم سورٌ دائر، ومقرّ ولايته (مدينة الفَيُّوم) وموقعها فى الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة .

قال فى "القانون" : وطُولهـا أربع وخمسون درجة وثلاثون دقيقة، وعَرْضها ثمـان وعشرون درجة وعشرون دقيقة .

وقال فى "تقويم البُلْدان" : القياس أن طولها ثلاث وخمسون درجة، وعرضها تسعٌ وعشرون درجة ،وهى مدينة حسـنة على ضَفَّة البحر الْمَنْهَى حسنة الأبنية ، زاهية المعالم . وبها الجوامع والرُّبُط والمدارس ، وهى راكبة على الخليج المنهى من جانبيه، وهو مخترق وسطها . قال فى "العزيزىّ" : وبين الفَيُّومِ والفُسْطَاطِ ثمـانية وأربعون مِيلًا .

العمل الخـامس ـ عمل الأُشْمُونِينِ والطَّحَاوِيَّة . وهو مصاقب لعمل البهنسى من جنوبيه، وهو عمل واسع كثير الزرع ، واسع الفضاء، متقارب القُرى . ومقرّ الولاية به (مدينة الأُشْمُونَيْنِ) بضم الألف وسكون الشين المعجمة وضم الميم وسكون الواو وفى الآخر نون . وموقعها فى الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة على ما ذكره فى "تقويم البُلْدان" والإقليم الثانى على ما يقتضيه كلام المقرّ الشهابىّ بن فضل الله فى "مسالك الأبصار" حيث جعل آخر الإقليم الثانى دَهْروط من البهنساوية .

قال فى "القانون" : طولها ست وخمسون درجة وعشرون دقيقة، وعرضها ست وعشرون درجة؛ وهى مدينة لطيفة بالبر الغربىّ من النيل ، كانت فى الأصل مدينة قديمة بناها أُشْمون بن قبطيم بن مصر بن بيصر بن حام بن نوح عليه السلام ، ثم خربت ودَثَرت ،وبنيت هذه المدينة على القرب منها . وكان هذا العملُ فيما تقدّم عملين : أحدهما عمل الأُشْمُونَيْنِ هذا، والثانى عمل طَحَا المدينة (بفتح الطاء والحاء المهملتين وألف فى الآخر) وقد تقدّم ذكرها فى الأعمال القديمة، ثم أضيفا وجعلا عملًا واحدا .

العمل السادس ـ المَنْفَلُوطِيَّة . وهو مُصَاقِبٌ لعمل الأُشْمُونَيْنِ من جنوبيه، وهو من أخصّ خاصّ السلطان الجارى فى ديوان وزارته، ومنه يحمل أكثر الغلال إلى الأهراء السلطانية بالفُسْطَاطِ . ومقرّ ولايته (مدينة مَنْفَلُوطَ) . قال فى "تقويم البُلْدان" : (بفتح الميم وسكون النون وفتح الفاء وضم اللام ثم واو وطاء مهملة فى الآخر). وموقعها فى الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة فيما ذكره فى "تقويم البُلْدان": ومن أواخر الإقليم الثانى على ما يقتضيه كلام "مسالك الأبصار" .

قال فى "كتاب الأطوال" : وطولها اثنتان وخمسون درجة وعشرون دقيقة، وعرضها سبع وعشرون درجة وأربعون دقيقة؛ وهى مدينة لطيفة بالبرّ الغربىّ من النيل بالقُرب من شَطّه .

العمل السابع ـ الأُسْيوطِيَّة . وهو مصاقب لعمل مَنْفَلُوطَ من جَنُوبيّه ، وهو عمل جليل ،ومقرّ الولاية به (مدينة أُسْيُوطَ)[1] بضم الألف وسكون السين وضم المثناة تحت وفى آخرها طاء مهملة . هكذا ضبطه السمعانىّ فى "كتاب الأنساب" :

---

(١) ضبطها فى القاموس كذلك وضبطها ياقوت بالفتح .

وذكرها فى "الروض المعطار" فى حرف الهـمزة ، ووقعت فى شعر ابن الساعاتى بغير ألف فى قوله :

لِلّٰهِ يومٌ فى سُـيُوط وليْـلَةٌ * عُمْـرُ الزَّمَان بِمِثْلِهَا لا يَغْلَطُ
بِتْنَا بها، والبَـدْرُ فى غُلَوَائه * وله بِجُنْحِ الليـل فَرْعٌ أَشْمَطُ
والطَّيْرُ تَقْرَأُ، والغَدِيرُ صَحِيفَةٌ، * والرِّيحُ تَكْتُبُ، والغَمَامُ يُنَقِّطُ

وإثبات الألف فيها هو الجارى علىٰ ألسـنة العامّة بالديار المصرية، والثـابت فى الدواوين حذفها . وموقعها فى الإقليم الثانى من الأقاليم السبعة .

قال فى "الأطوال" : وطولها إحدىٰ وخمسون درجة وخمس وأربعون دقيقة، وعرضها اثنتان وعشرون درجة وعشر دقائق . وهى مدينة حسنة فى البر الغربىّ من النيل علىٰ مرحلة من مَنْفَلُوط، وبها مساجدُ ومدارسُ وأسواقٌ وقياسِرُ وحَمَّامات .

العمل الثـامن — (الإخْمِيمِيَّة) . وهو مُصَاقِبٌ لعمل أُسْيُوطَ من جنوبيّه، وهو عمل ليس بالكبير ، وبلاده أكثرها بالبر الغربىّ عن النيل، وحاضرته (مدينة إخْمِيمَ) . قال فى "تقويم البُلْدان" : (بكسر الألف وسكون الخاء المعجمة والمثناة تحت بين الميمين ، والأولىٰ منهما مكسورة) وموقعها فى أواخر الإقليم الثانى من الأقاليم السبعة .

قال فى "الأطوال" : وطولها إحدىٰ وخمسون درجة وثلاثون دقيقة، وعرضها ست وعشرون درجة . وهى مدينة لطيفة بالبر الشرقىّ عن النيـل علىٰ مَرْحلتين من أُسْيُوط ، وبها كانت البرابى العظامُ المتقدّمة الذكر ، ويقـال إن ذَا النُّونِ المصرىّ العابدَ الزاهد منها، وولايتها مضافة إلىٰ قُوص .

العمل التاسع — القُوصِـيَّة . وهو مُصَاقِبٌ لعمل أُسْيُوطَ من جَنُوبه، وهو عمل متسع الفضاء بعيدُ ما بين القرىٰ، ينتهى آخره إلىٰ أُسْوَان : آخر الديار المصرية

فى البر الشرقىّ والغربىّ، وهى بلاد التَّمر، ومنها يجلب إلىٰ سائر البلاد المصرية، ومقرّ ولايته (مدينة قُوص) . قال فى "المشترك" ـ بضم القاف وسكون الواو، وفى الآخر صاد مهملة ـ وموقعها فى الإقليم الثانى من الأقاليم السبعة .

قال ابن سعيد : طولها سبع وخمسون درجة، وعرضها ست وعشرون درجة؛ وهى مدينة جليلة فى البر الشرقىّ عن النيل، ذاتُ ديار فائقة، ورباع أنيقة، ومدارسَ ورُبُطٍ وحَمَّامات، يسكنها العلماء والتُّجَّار وذوو الأموال، وبها البساتين والحدائقُ المستحسَنَة إلا أنها شديدة الحرّ، كثيرة العقارب، حتّى إنه يُقَيَّض لها مَنْ يدور فى الليل فى شوارعها بالمَسَارج لقتلها، ويقاربها فى الكثرة أيضا سَامٌّ أَبْرَص .

قال المقر الشهابىّ بن فضل الله فى "مسالك الأبصار" : أخبرنى عز الدين حسن بن أبى المجد الصَّفَدِىّ أنه عدّ فى يوم صائف علىٰ حائط الجامع بها سبعين سَامَّ أَبْرَص علىٰ صفٍّ واحد . ومما يدخل فى عملها مما له ولاية مستقلة مدينة أُسْوَانَ . قال السمعانىّ : ـ بفتح الهمزة وسكون السين المهملة وفتح الواو وبعدها ألف ونون ـ وخالف ابن خِلّكَانَ فى "تاريخه" فضبطه بضم الهمزة، وغلَّطَ السمعانىَّ فى فتحها . وهى مدينة فى أوائل الحدّ الجنوبىّ من الديار المصرية؛ وموقعها فى الإقليم الثانى من الأقاليم السبعة .

قال فى "الأطوال" : طولها اثنان وخمسون درجة، وعرضها اثنتان وعشرون درجة وثلاثون دقيقة .

قال فى "القانون" : طولها سبع وخمسون درجة، وعرضها اثنان وعشرون درجة وثلاثون دقيقة . وهى فى البر الشرقىّ من النيل، ذاتُ نخيل وحدائقَ، وهى من قُوص علىٰ نحو خمس مراحل .

قال فى "التعريف" : وواليها وإن كان من قِبَل السلطان فإنه نائب لوالى قُوص .

قلت : أما الآن ، فقد صار لها وَالٍ مستقلٌّ بنفسه لا حكم لوالى قُوص عليه ، وسيأتى الكلام عليهـا فى مراكز البريد، ويأتى الكلام علىٰ ولايتها فى جملة الولايات بالديار المصرية إن شاء الله تعالىٰ .

الوجــــه الثـانى

(البحــرى)

وهو كل ما سَـفَل عن القاهرة إلىٰ البحر الرومىّ حيث مَصَبُّ النيل . وإنمـا سمى بَحْرِياًّ لأن منتهاه البحرُ الرومىّ، ولا يلزم من ذلك تسـمية الجانب الشرقىّ من الديار المصرية بَحْرِياًّ لأنـ نهايته إلىٰ بحر القُلْزُم ، لأن انتهاءه إليـه ليس حقيقيا لانقطاع بحر القُلْزُم عن بلاد الديار المصرية بالجبـال والبرارى المُقْفِرَة، بخلاف بحر الروم فإنه متصل بالبلاد مجاور لهـا فناسب النسبة إليه .

قلت : وقد وقع للمقرّ الشهابىّ بن فضل الله فى "التعريف" فى بلاده وأعماله من الوَهْم مالا يليق بمصرىّ علىٰ ما سيأتى بيانه فى موضعه إن شاء الله تعالىٰ .

وهذا الوجه هو أرْطَبُ الوجهين وأقلُّهما حرا،وأكثرهمافاكهة،وأحسنهمامُدُنًا.

ويشتمل علىٰ ثلاث شُعَب تحوى سبعة أعمال .

الشعبة الأُولىٰ

(شرقىّ الفرقة الشرقية من النيل)

وفيها أربعة أعمـال .

العمل الأوّل ــ الضواحى : جمع ضاحية، وهى فى أصل اللغة البارزة للشمس، وكأنهـا سميت بذلك لبروز قُرَاهَا للشمس ، بخلاف المدينة لغَلَبَـة الكِنّ بها ؛ وهو ما يجاور القاهرة من جهـة الشَّمال من القرىٰ، وولايتها مضافة إلىٰ ولاية القاهرة وداخلة فى حكمها، وليست منفردة بمقرّ ولاية غيرها .

العمل الثانى — القَلْيوبِيَّة . وهو مُصَاقِبٌ للضواحى من شماليها مما يلى جهة النيل ، وهو عمل جليل ، حسن القُرىٰ ، كثير البساتين ، غزير الفواكه . ومقرّ الولاية به (مدينة قَلْيُوبَ) — بفتح القاف وإسكان اللام وضم المثناة تحت وسكون الواو وباء موحدة فى آخرها . وموقعها فى الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة ، ولم يتحرر لى طُولها وعَرْضها ، غير أنها من القاهرة فى جهة الشَّمال علىٰ نحو فرسخ ونصف من القاهرة .

قلت : ومن بلادها بَلْدتنا (قَلْقَشَنْدَةُ) وهى بلدة حسنة المَنْظَر ، غزيرة الفواكه ، وإليها ينسب الليثُ بنُ سعد الإمام الكبير ، وقد ذكر ابن يونس فى "تاريخه" : أنه وُلِد بها . قال : وأهل بيته يذكرون أن أصله من فارس ، وليس لما يقولونه ثَبَات عندنا .

قال ابن خِلِّكَان : — بفتح القاف وسكون اللام وفتح القاف الثانية والشين المعجمة وسكون النون وفتح الدال المهملة وبعدها هاء ساكنة — ، وهكذا هى مكتوبة فى دواوين الديار المصرية ، وأبدل ياقوتٌ فى "مُعْجَم البُلْدان" اللامَ راءً ، وهو الجارى علىٰ ألسنة العامّة ، وعليه جرىٰ القُضَاعىّ فيما رأيته مكتوبا فى "خِطَطه" : قال ابن خِلِّكَانَ : وهى علىٰ ثلاثة فراسخ من القاهرة ۞ وهى بلدة حسنة المَنْظَر ، كثيرة البساتين ، غزيرة الفواكه وإليها ينسب الليث بن سعد الإمام الكبير . قال ابن يونس فى "تاريخه" : ولد بها ، ثم قال : وأهل بيته يذكرون أن أصله من فارس وليس لما يقولونه ثبات عندنا ۞ (١) وذكر .

وقال القضاعىّ فى "خططه" : فى الكلام علىٰ دار الليث بالفُسْطاط : وكان له دار بقَرْقَشَنْدَة بالرِّيف ، بناها فهدمها ابن رفاعة أميرُ مصر عنادا له ، وكان ابنَ عمه ،

(١) مابين النجمتين تقدم بلفظه قريبا فهو مكرر .

فبناها الليثُ ثانيا فهدمها ، فلمـا كانت الثالثة، أتاه آتٍ فى منامه فقال له ياليثُ : ﴿ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا فِى الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴾ فأصبح وقد أُفْلِجَ ٱبْنُ رِفَاعة فأوصى إليه ومات بعد ثلاث. وبقى اللَّيْثُ حتّى توفى فى منتصف شعبان سنة خمس وسبعين ومائة؛ وصلّى عليه موسى بن عيسى الهاشمىّ أميرُ مصر للرشيد .

وترجم له ٱبن خلكان بالأصبهانىّ ،ثم قال فى آخر ترجمته : ويقال إنه من قَلْقَشَنْدَة .

قلت : وما قاله ٱبن يونس أثبت ، ويجب الرجوع إليه لأمرين : أحدهما أنه مصرىّ وأهـل البلد أخبر بحال أهل بلدهم من غيرهم ، الثـانى أنه قريب من زمن الليث فهو به أدرى ، إذ يجوز أن يكون أصله من أصبهان ، ثم نزل آباؤه قَلْقَشَنْدَة المذكورة وولد بها وسكنها، فنسب إليها كما وقع فى كثير من النِّسَبِ ؛ وإعادة داره بها بعد هدمها ثلاث مرات على ما تقـدّم ذكره فى كلام القضاعىّ دليـل ٱعتنائه بشأنها وميله إليها، وحينئذ فلا منافاة بين النسبتين .

وذكر فى "الروض المعطـار" أنه كان له ضَيْعة على القرب من رشيد من بلاد الديار المصرية ،يدخل عليه منها فى كل سنة خمسون ألف دينار لم تجب عليه فيها زكاة .

العمل الثـالث ــ الشرقية . وهو مصاقب للضواحى من شَمَاليها ممـا يلى جهة المُقَطَّم ، والقليوبية من جهة الشمال أيضا ، وهو من أعظم الأعمـال وأوسـعها . إلا أن البساتين فيه قليلة بل تكاد أن تكون معدومة : لاتصاله بالسِّباخ وبَدَاوة غالب أهله ، وآخر العمران فيها من جهة الشَّمال الصَّالِحِيَّةُ، وماوراء ذلك منقطَع رمال على ما تقـدّم ذكره فى المنقطع عنها من جهة الشرق؛ ومَقَرُّ ولايته مدينة بِلْبَيْس[1] . قال فى "تقويم البُلْدان" : ــ بكسر البـاء الموحدة وسكون اللام وفتح البـاء الموحدة

(١) قال فى القاموس "بلبيس كغرنيق وقد يفتح أوّله بلد بمصر" وضبطه ياقوت بكسر الباءين وسكون اللام .

وسكون المثناة تحت ثم سين مهملة . كذا ذكره ، والجارى على الألسنة ضم الباء فى أولها ، وموقعها فى الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة .

قال فى "تقويم البُلْدان" : والقياس أن يكون طولها أربعا وخمسين درجة وثلاثين دقيقة ، وعَرْضها ثلاثين درجةً وعشر دقائق . وهى مدينة متوسطة بها المساجد والمدارس والأسواق ، وهى مَحطُّ رحال الدرب الشامىّ . وفى الركن الشمالىّ الجنوبىّ من هذا العمل (بِنْها) . قال النووىّ فى شرح مسلم : بكسر الباء والمعروف فتحها ، وهى البلدة التى أهدى المُقَوْقِسُ إلى النبىّ صلّى الله عليه وسلم من عَسَلِهَا ؛ وفى آخره من جهة الشرق (قَطْيَا) بفتح القاف وسكون الطاء المهملة وفتح الياء المثناة تحت وألف فى الآخر . كذا وقع فى "التعريف" و "مسالك الأبصار" : وفى "تقويم البُلْدان" : إبدال الألف فى آخره بهاء ، وهى قرية بالرمل المعروف بالجفَار على طريق الشأم على القُرب من ساحل البحر الرومىّ .

قال فى "التعريف" : وقد جعلت لأخذ المُوجَبات ، وحفظ الطُّرُقات ، وأمرها مهمّ ، ومنها يطالع بكل صادر ووارد .

العمل الرابع — (الدَّقَهْلِيَّةُ والمُرْتاحية) . وهو مُصَاقِبٌ لعمل الشرقية من جهة الشَّمال ، وأواخره تنتهى إلى السِّباخ وإلى بحيرة تِنِّيس المتصلة بالطينة من طريق الشأم ، ومقرّ الولاية به (مدينة أُشْمُومَ) بضم الهمزة وإسكان الشين المعجمة وبعدها ميم ثم واو وميم ثانية — كما ضبطه فى "تقويم البُلْدان" ونقله عن خط ياقوت فى "المشترك" والذى فى "اللُّبَابِ" إبدال الميم فى آخرها بنون ، وعزاه فى "تقويم البلدان" للعامّة .

قال فى "تقويم البُلْدان" : والقياس أن طولها أربع وخمسون درجة ، وعرضها إحدى وثلاثون درجة وأربع وخمسون دقيقة . وهى مدينة صغيرة على ضَفَّةِ الفرقة

التى تذهب إلىٰ بُحَيرة تِنِّيس من فرقة النيل الشرقيــة من الجهة[(١)] ؛ و بآخر هذا العمل (مدينة دِمْياط) بكسر الدال المهملة وسكون الميم و ياء مثناة من تحت وألف وطاء — قال فى "الأطوال" : طولهـا ثلاث وخمسون درجة وخمسون دقيقة ، وعرضها إحدىٰ وثلاثون درجة وخمس وعشرون دقيقة .

وقال ٱبن سعيد : طولها أربع وخمسون درجة ، وعَرْضها إحدىٰ وثلاثون درجة وعشرون دقيقة . وهى واقعة فى الإقليم الثالث ، وهى مدينة حَسَنة عند مَصبّ الفرقة الشرقية من النيل فى بحر الروم ، ذات أسواق وحَمَّامات ، وكان عليها أسوار من عمارة المتوكل : أحد خلفاء بنى العبّاس ، فلما تسلطت عليها الفرنج وملكتها مرّة بعد مرّة ، خَرَّبت المسلمون أسوارَها فى سنة ثمـان وأربعين وستمائة خوفا من ٱستيلائهم عليها ، وهى علىٰ ذلك إلىٰ الآن ، ولهـا ولاية خاصَّة بها .

الشُّـــعبة الثـانية

(غربىّ فرقة النيل الغربية ؛ وفيها عملان)

العمل الأوّل — عمل البُحَيرة . وهو ممـا يلى عمل الجيزة المقدّم ذكره من الجهة البحرية ، وهو عمل واسع ، كثير القرىٰ ، فسيح الأَرَضِين . ومقرّ ولايته (مدينة دَمَنْهُور) — بفتح الدال المهملة والمـيم وسكون النون وضم الهـاء وسكون الواو وفى آخرها راء مهملة — وتعرف بدَمَنْهُور الوَحْش . وهى مدينة متوسطة ذات مساجدَ ومدارسَ وأسواق وحمامات . وموقعها فى الإقليم الثالث ؛ ولم يتحرّر لى طُولها وعَرضها ، غير أنها علىٰ نحو مرحلة من الإسكندرية بين الشرق والجنوب فليعتبر طولهـا وعرضها منها بالتقريب .

قلت : ويدخل فى هذا العمل حَوْف رمسيس والكُفُور الشاسعة .

(١) لعله من الجهة الشرقية .

العمل الثانى — عمل المزاحمتين . وهو ماجاور خليج الإسْكَنْدَرِيَّة من جهة الشمال إلى البحر الرومى ، وبعضه بالبر الشرقى من النيل ، وحاضرته (مدينة فُوَّة) .
قال فى "تقويم البُلْدان" : بضم الفاء وتشديد الواو ، وهى مدينة متوسطة بالبر الشرقى من فرقة النيل الغربية يقابلها جزيرة لها تعرف بجزيرة الذهب ذاتُ بساتين وأشجار ومَنْظَرٍ رائق ، وليس بها ولاية . وإنما يكون بها شَادٌّ للخاص ، يتحدّث فى كثير من أمور الولاية ، وهى فى الحقيقة كإخميم مع قُوص .

ويلى هذين العملين غربا بشَمال (مدينةُ الإسْكَنْدَرِيَّة) — بكسر الهمزة وسكون السين المهملة وفتح الكاف وسكون النون وفتح الدال وكسر الراء المهملتين وتشديد الياء المثناة تحت المفتوحة وهاء فى الآخر — وموقعها فى الإقليم الثالث .

قال فى كتاب "الأطوال" : طولها إحدى وخمسون درجة وأربع وخمسون دقيقة ، وعرضها ثلاثون درجة وثمانٌ وخمسون دقيقة ، وقد تقدّم القول على أصل عِمارتها فى الكلام على قواعد الديار المصرية قبل الإسلام .

وهى الآن بالنسبة إلى ماتشهد به التواريخ من بنائها القديم جزءٌ من كلٍّ ، وهى مع ذلك مدينة رائقة المَنْظَرِ ، حسنة الترصيف ، مبنية بالحجر والكِلْس ، مُبَيَّضَةُ البيوت ظاهرا وباطنا كأنها حَمَامةٌ بيضاء ، ذات شوارع مُشْرعة ، كلُّ خط قائم بذاته كأنها رُقْعة الشِّطْرَنْجِ ، يستديربها سُورانِ منيعان ، يدور عليهما من خارجهما خَنْدَقٌ فى جوانب البلد المتصلة بالبر ، ويتصل البحر بظاهرها من الجانب الغربى مما يلى الشَّمال إلى المشرق حيث دارُ النيابة ؛ وبهما أبراج حصينة عليها الستائر المستترة والمجانيق المنصوبة .

قال ابن الأثير فى "عجائب المخلوقات" : ويقال إن مَنَارها كان فى وسط البلد وإن المدينة كانت سبع مَحَجَّات ، وإنما أكَلَهَا البحرُ ، ولم يبق إلا مَحَجَّة واحدة ،

وهى المدينة الباقية الآن وصار مكانُ المنار منها علىٰ مســيرة ميل . قال : ويقال إن مساجدها أُحصيتْ فى وقت من الأوقات فكانت عشرين ألف مسـجد ؛ وبهـا الجوامع والمساجد، والمدارس ، والخَوَانق ، والرُّبُط ، والزوايا ، والحَمَّامات ، والدِّيار الجليلة ، والأسواق الممتدّة . وفيها يُنْسَج القماش الفائق الذى ليس له نظير فى الدنيا ، وإليها تهوِى ركائب التجار فى البر والبحر ، وتَمير من قُمَاشِهَا جميع أقطار الأرض ، وهى فُرْضَــةُ بلاد المغرب ، والأَنْدَلُس ، وجزائر الفرنج ، وبلاد الروم ، والشأم . وشُرْب أهلها من ماء النيل : من صهاريج تملأ من الخليج الواصل إلىٰ داخل دُورها ، وآستعمال المـاء لعامّة الأمر من آبارها ، وبجَنَبَات تلك الآبار والصهاريج بالُوعاتٌ تصرف منها مياه الأمطار ونحوها ؛ وبها البساتين الأنيقة ، والمستنْزَهات الفائقة ، ولهم بها القصور والجَواسِق الدقيقة البناء ، المحكمة الجُدُرِ والأبواب ؛ وبها من الفواكه والثِّمار مايفوق فواكه غيرها من الديار المصرية حُسنا مع رِخَص الثمن ؛ وليس بها مزارعُ ولا لهـا عملٌ واسع ، وإن كان متحصِّلها يعدل أعمالا : من واصل البحر وغيره ؛ وهى أجلُّ ثغور الديار المصرية ، لايزال أهلها علىٰ يقظة من أمور البحر والآحتراز من العدوّ الطارق ؛ وبها عسكر مستخدم لحفظها .

قال فى "مسالك الأبصار" : وليس بالديار المصرية مدينة حاكمها موسوم بنيابة السلطنة سواها .

قلت : وهـذا فيما تقدّم حين كانت النيابة بها صـغيرة فى معنىٰ ولاية . أما مِن حين طرقها العدوّ المخذول من الفرنج فى سـنة سبع وستين وسبعمائة وآجتاحَ أهلها وقتل وسبىٰ ، فإنها آسـتقرّت من حينئذ نيابةً كبرىٰ تضاهى نيابة طرابُلُس وحَمَـاة وما فى معناهما ، وهى علىٰ ذلك إلىٰ الآن ؛ وسيأتى الكلام علىٰ نيابتها فى الكلام علىٰ ترتيب المملكة فيما بعد إن شاء الله تعالىٰ .

الشُّـــعْبة الثـالثة

(مابين فِرقَى النيل الشرقية والغربية، وهو جزيرتان)

الجزيرة الأولىٰ ــ جانبها الشرقىّ يمتدّ فى طول فرقة النيل الشرقيـة إلىٰ مَصَبِّه فى البحر المِلْح حيث دِمْياط بالقرب منها، وجانبها الغربىّ يمتدّ فى طول فرقة النيل الغربيـة إلىٰ تُجاه أبى نُشَّابة من عمل الجيزة فينشأ بحرُ أبيـار المتقـدّمُ ذكره ويمتدّ فى طولهـا إلىٰ قرية الفَرسْـتَق خارجَ الجزيرة من الغرب فيتصلُ بفرقة النيل التى تفرّع منها علىٰ ماتقدّم، ويمتدّ فى طولها إلىٰ مصبه فى البحر الملح حيث رشيد .

وتشتمل هذه الجزيرة علىٰ عملين :

العمل الأوّل ــ المُنُوفيـة . وأوّله من الجنوب من القرية المعروفة بشَطَّنَوْف علىٰ أوّل الفرقة الغربية من النيل، ومقرّ ولايته (مدينة مُنُوف)[1] ـ بضم الميم والنون وسكون الواو وفاء فى الآخر)، وهى مدينة إسلامية بنيت بدلا من مدينة قديمة كانت هناك قد خربت الآن وبقيت آثارها كيانا، وولايتها من أنفس الولايات، وقد اضيف إليها عمل أبيار، وهو جزيرة بنى نصر الآتى ذكرها فيما بعد إن شاء الله تعالىٰ، وهى مدينة حسنة ذات أسواق، ومساجد، ومسجد جليل للخطبة، وحَمَّام، وخانات .

قلت : وربما غلط فيها بعض الناس فظنّ أنها مَنْف المتقدّمة الذكر فى الكلام علىٰ قواعد مصر القديمة، وبينهما بُعْد كثير إذ مَنْفُ المتقدّمة الذكر جنوبىّ الفُسْطَاط علىٰ آثنى عشر ميلا منه كما تقدّم ذكره، وهذه شَمَالِىّ الفُسْطَاط والقاهرة فى أسفل الأرض .

العمل الثـانى ــ الغَرْبِيّة . وهو مُصَاقِبٌ للمنوفية من جهة الشمال، ويمتدّ إلىٰ البحر المِلْح بين مصبّى النيل إلا ماهو من عمل المزاحمتين علىٰ فرقة النيل الغربية من

(١) ضبطها ياقوت والقاموس بالفتح وتبعناهما فى كثير من المواضع .

الشرق، وهو عمل جليل القدر، عظيم الخَطَر، به البلاد الحسنة ، والقرى الزاهية، والبساتين المتراكبة وغير ذلك، وفى آخره مما يلى بحر الروم موقع ثَغْر البَرَلُّس .

ويندرج فيه ثلاثة أعمـال أخر كانت قديمة ، وهى القُوَيْسِنِيَّة ، والسَّمَنُّودية ، والدِّنجاوية ،ومقرّ ولايته (مدينة المَحَلَّة) . قال فى "المشترك" : ـ بفتح الميم والحاء المهملة وتشديد اللام ثم هاء فى الآخر ـ وتعرف بالمَحَلَّة الكُبْرىٰ، وقد غلب عليها آسم المحلة حتّى صار لا يفهم عند الإطلاق إلا هى .

قلت : ووقع فى "التعريف" : التعبـير عنها بمَحَلَّة المرحوم وهو وَهَمٌ ، وإنمـا هى قرية من قراها .

قال فى "المشترك" : ويقال لها محلة الدَّقَلا (بفتح الدّال المهملة والقاف) وهى مدينة عظيمة الشأن ، جليلة المقدار، رائقة المَنْظَر، حسنة البناء، كثيرة الساكن ، ذات جوامع ،ومدارس، وأسواق، وحَمَّامات، وهى تعادل قُوص من الوجه القبلىّ فى جلالة قدرهـا، ورياسـة أهلها، ويفرق بينهما بمـا يفرق به بين الوجه القبلى والوجه البحرى من الرطوبة واليبوسة .

الجزيرة الثانية ـ مابين بحر أَبْيَارَ المتقدّم ذكره وبين الفرقة الغربية من النيل، وتعرف بجزيرة بنى نَصْر، وهى عمل واحد ،وحاضرته (مدينة أَبْيَارَ) ـ بفتح الهمزة كما قاله فى "الروض المعطار" وإسكان الباء الموحدة وفتح المثناة تحت وبعدها ألف ثم راء مهملة ـ وهى مدينة لطيفة حسـنة المَنْظَر يُعمل فيها القُماش الفائق من المحرّرات وغيرها، وموقعها فى الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة ،ولم يتحرّر لى طولها ولا عرضها، وهى مضافة إلىٰ ولاية مُنُوف، وليس بها الآن ولاية مستقلة .

الفصل الثالث

(فيمن ملك الديار المصرية ، جاهليةً وإسلاما)

قال السلطان عماد الدين صاحب حماة فى "تاريخه" : وكانت أهل مصر أهلَ مُلْك عظيم فى الدهور الخالية والأزمان السالفة ، ما بين قبطىّ ويونانىّ وعمليقىّ ، وأكثرهم القِبْط . قال : وأكثر من تملك مصر الغُرَباء .

وهم علىٰ ثلاث مراتب :

المرتبة الأُولىٰ

(من ملكها قبل الطُّوفان ، وقلَّ من تعرّض له من المؤرّخين)

قد تقدّم فى الكلام علىٰ ٱبتداء عمارة مصر أن أوّل من عَمَرها قبل الطوفان نقراووس بن مصريم بن براجيل بن رزائيل بن غرباب بن آدم عليه السلام ، ومعنىٰ نقراووس بالسريانية مَلِكُ قومه ، وهو الذى عَمَر مدينة أمسوس أوّل قواعد مصر المتقدّم ذكرها ؛ ثم ملكها بعده ٱبنه نقراووس الثانى مائة وسبع سنين ؛ ثم ملكها بعده أخوه مصرام بن نقراووس الأوّل ؛ ثم ملكها بعده عنقام الكاهن ولم تطل مدّة ملكه ؛ ويقال إن إدريس عليه السلام رُفِع فى زمانه ؛ ثم ملكها بعده ٱبنه غرناق ؛ ثم ملك بعده رجل من بنى نقراووس ٱسمه لوجيم ؛ ثم ملك بعده رجل ٱسمه خصليم ، وهو أوّل من عمل المِقْياس للنيل علىٰ ما تقدّم ذكره ؛ ثم ملك بعده ٱبنه هرصال ، ومعناه بالسريانية خادم الزُّهَرَة ، وهى مدينة شرق النيل ، وعمل سَرَبًا تحت النيل إليها ، وهو أوّل من عمل ذلك وأقام فى الملك مائة وأربعا وثلاثين سنة ، ويقال إن نوحا عليه السلام ولد فى زمانه ؛ ثم ملك بعده ٱبنه بُدْرسَان ؛ ثم ملك بعده أخوه شمرود ، وكان طوله فيما يقال عشرين ذراعا ؛ ثم ملك بعده فرسيدون بن بُدْرسان المتقدّم ذكره مائة وستين سنة ؛ ثم ملك بعده ٱبنه شرناق مائة وثلاث سنين ؛

ثم ملك بعده ٱبنه سهلوق مائة وتسع سنين ؛ ثم ملك بعده ٱبنه سُوريدين ،وهو الذى بنىٰ الأهرام العظام بمصر علىٰ ماتقدّم ذكره فى الكلام علىٰ عجائب مصر وخواصّها ؛ ثم ملك بعــده ٱبنه هرجيب نَيِّفًا وسبعين ســنة ، وهو الذى بنىٰ الهرم الأوّل من أهرام دهشور ؛ ثم ملك بعده ٱبنه مناوش ثلاثا وسبعين ســنة ؛ ثم ملك بعده ٱبنه أقروس أربعا وستين ســنة ؛ وفى أيامه حصل القحط العظيم ، وسلطت الوحوش والتماسيح علىٰ الناس ، وأَعْقَمتِ الأرحام حتّٰى يقــال إن الملك تزوّج ثلثمائة ٱمرأة يبغى الولد فلم يُولد له ، وذلك مقدّمة الطوفان ؛ ثم ملك بعده رجل من أهل بيت الملك ٱسمه أرمالينوس ؛ ثم ملك بعده ٱبن عمه فرعان ، وهو أوّل من لقب بلقب الفراعنة ،وكان قد كتب إلىٰ ملك بابل يشير عليه بقتل نوح عليه السلام ،وفى زمنه كان الطوفان وهلك فيمن هلك .

المرتبــــة الثــانية

(من ملكها بعد الطوفان إلىٰ حين الفتح الإسلامىّ)

وللمؤرّخين فى ذلك خُلْف كثير ، وقد جمعت بين كلام التواريخ التى وقفتُ عليها فى ذلك ، وهم علىٰ طبقات .

الطبقة الأولىٰ

(ملوكها من القبْط)

قد تقدّم فى الكلام علىٰ ٱبتداء عمارتها أن أوّل من عمرها بعد الطوفان بيصر بن حام بن نوح عليه السلام ، وكان بيصر قد كَبِر سنه وضعُف ، فأقام يسيرا ثم مات ، فدفن فى موضع دير ابى هرميس غربىّ الأهرام . قال القضاعىّ ، ويقال إنها أوّل مقْبُرة دفن فيهــا بأرض مصر ؛ وملك بعــده ٱبنه مصر فعمر وطالت مدّة ملكه ،

وعَمرت البلاد فى أيامه وكَثُر خيرها، ثم مات؛ وملك بعده آبنه (قِبْطِيم)، وإليه يُنْسب القِبْطُ، ويقال إنه أدرك بَلْبَلَة الألسُن التى كانت بعد نوح عليه السلام، وهى ريح خرجت عليهم ففرّقت بينهم وصار كل منهم يتكلم بلغة غير لغة الآخر، وخرج منها باللغة القِبْطِيَّة؛ ثم ملك بعده آبنه (قِفْط)، وهو الذى بنىٰ مدينة قِفْط بالصعيد الأعلىٰ وسماها بآسمه، وآثارها باقية إلىٰ الآن؛ ثم ملك بعده أخوه (أُشْمُن)، وهو الذى بنىٰ مدينة الأُشْمُونَيْن المتقدّم ذكرها بالوجه القبلىّ، وطالت مدّته حتّى نُقِل أنه بقى ثمانمائة سنة، وقيل ثمانمائة وثلاثين؛ ثم ملك بعده أخوه (أَتْرِيبُ)، وهو الذى بنىٰ مدينة أَتْرِيبَ المتقدّمة الذكر بالوجه البحرىّ من الديار المصرية؛ ثم ملك بعده أخوه (صا)، وهو الذى بنىٰ مدينة صَا المتقدّم ذكرها بالوجه البحرىّ أيضا؛ ثم ملك بعده (قفطريم) بن قِفْط، ويقال إنه الذى وضع أساس الأهرام الدهشورية غير الهرم الأوّل الذى بناه هرجيب المتقدّم ذكره قبل الطُّوفان، وهو الذى بنىٰ مدينة دَنْدَرىٰ بالصعيد الأعلىٰ، وآثارها باقية إلىٰ الآن؛ ثم ملك بعده آبنه (بودشير)، وهو الذى أصلح جَنَبتى النيل بهندسته؛ ثم ملك بعده آبنه (عديم)؛ ثم ملك بعده آبنه (شدات)، وهو الذى تمم الأهرام الدهشورية التى وضع أساسها قفطريم المتقدّم ذكره. ويقال: إن مدينة شُطْب التى بالقرب من مدينة أُسْيُوطَ بنيت فى أيامه، وآثارها باقية إلىٰ الآن، وهو أوّل من ولع بالصيد وآتخذ الجوارح والكلاب السلُوقيه، وعمل البيطرة من ملوك مصر، ومات عن أربعمائة وأربعين سنة؛ ثم ملك بعده آبنه (منقاوش)، ويقال إنه أوّل من عُمِل له الحَمَّام بمصر؛ ثم ملك بعده آبنه (مناوش) وطالت مدّته فى الملك حتّى بقى فيما يقال ثمانمائة سنة، وقيل ثمانمائة وثلاثين سنة؛ ثم ملك بعده (منقاوش) بن أُشْمن نيفا وأربعين سنة، وقيل ستين سنة، وهو أوّل من عمل له المَيْدَانُ بمصر، وأوّل من بنىٰ البيمارستان لعلاج المرضىٰ، وفى أيامه بنيت مدينة سنتريه

بالْوَاحَاتِ ، ثم ملك بعده ٱبنه (مرقوره) نيّفا وثلاثين سنة ، وفى كتب القِبْط أنه أوّل من ذلل السباع وركبها ؛ ثم ملك بعده (بلاطس) خمسا وعشرين سنة ؛ ثم ملكت بعده بنت من بنات أَتْرِيبَ خمسا وثلاثين ســنة ، وهى أوّل من ملك مصر من النساء ؛ ثم ملك بعدها أخوها (قليمون) تسعين سنة ، وفى أيامه بنيت مدينةُ دِمْيَاطَ علىٰ ٱسم غلام له كانت أمه ساحرة له ، وفى أيامه بنيت أيضا مدينة تِنِّيسَ ؛ ثم ملك بعده ٱبنه (فرسون) مائتين وستين سنة ؛ ثم ملك بعده ثلاثة ملوك أو أربعةٌ لم يعين ٱسمهم ؛ ثم ملك بعدهم (مرقونس) الكاهن ثلاثا وسبعين سنة ؛ ثم ملك بعده ٱبنه (ايساد) خمسا وسبعين سنة ؛ ثم ملك بعده ٱبنه (صا) وأكثر القبط تزعم أنه أخوه ، نيفا وثلاثين سنة ؛ ثم ملك بعده ٱبنه (تدراس) ، وهو الذى حفر خليج سخا المتقدّم ذكره فى خُلْجَانِ مصر القــديمة ؛ ثم ملك بعده ٱبنه (ماليق) ، ويقال إنه خالف دينَ آبائه فى عبادة الأصــنام ، ودان بدين التوحيد . ولمــا أحس بالموت ، صنَعَ له ناوُوسا وكنز معه كنوزا عظيمة ، وكتب عليها أنه لا يستخرجها إلا أمة النبيّ الذى يبعث فى آخر الزمان ؛ ثم ملك بعده ٱبنه (حربا) ، وفى بعض التواريخ حرايا خمسا وسبعين سنة ؛ ثم ملك بعده ٱبنه (كلكن) ، وفى بعض التواريخ كلكى نحوا من مائة سنة ، وهو أوّل من أظهر عِلْمَ الكيمياء بمصر ، وكان قبل ذلك مكتوما ، وفى زمنه كان النُّمْرُوذُ بأرض بابل من العراق ؛ ثم ملك بعده أخوه (ماليا) ؛ ثم ملك بعده (حربيا) بن ماليق ؛ ثم ملك بعده (طوطيس) بن ماليا ، وفى بعض التواريخ طوليس سبعين سنة ، وفى بعض التواريخ أنه ملك بعد أبيه ماليا ، والقبط تزعم أن الفراعنة سبعة هو أوّلهم ، وهو الذى أهدىٰ هَاجَرَ لإبراهيم عليه السلام ؛ ثم ملكت بعده أخته (حوريا) ، وهى التى بنىٰ لهــا جيرون المؤتفكىّ صاحبُ الشام مدينــة الإسْكَنْدرِيَّةِ حين خطبها علىٰ أحد الأقوال فى عمارتها ليجعلها مهرا لها ، ثم ٱحتالت عليه فسمّته هو وجميع عسكره

فى خلع فماتوا؛ ثم ملكت بعدها بنت عمها (زلفى) ويقال دلفه بنت مأموم؛ ثم ملك بعدها (أيمين) الأَتْرِيبِىُّ، وهو آخر ملوك القِبِطْ من هذه الطبقة . والذى ذكره القضاعىّ وغيره أنه ملكها بعد وفاة بيصر ٱبنهُ مصر، ثم قِفْط بن مصر، ثم أخوه أُشْمن، ثم أخوه أَتْرِيبُ، ثم أخوه صا، ثم ٱبنه تدراس، ثم ٱبنه ماليق، ثم ٱبنه حريا، ثم ٱبنه كلكن، ثم أخوهماليا، ثم حربيا، ثم طوطيس بن ماليا، ثم ٱبنته حوريا، وهى أوّل من ملكها من النساء، ثم ٱبنة عمها زلفى، ومنها ٱنتزعتها العمالقة الآتى ذكرهم .

الطبقة الثانية

(ملوكها من العماليق ملوك الشام)

أوّل من ملكها منهم (الوليد) بن دومع العِمْليق، وقال السهيلىّ : الوليد بن عمرو ابن أراشة . اقتلعها من أيمين : آخرِ ملوك القِبْط المتقدّم ذكره، وهو الفرعون الثانى عند القِبِطْ، وقيل هو أوّل من سمى بفرعون، وقام فى الملك مائة وعشرين سنة؛ ثم ملك بعده ٱبنه (الرَّيَّان) مائة وعشرين سنة، والقِبْطُ تسميه نهراوس، وهو الفرعون الثالث عند القِبْط، ونزل مدينة عَيْنِ شَمْسٍ، وكانت الملوك قبله تنزل مدينة مَنْفٍ، وفى أيامه وصل يوسف عليه السلام إلىٰ مصر، وكان من أمره ما قصه الله تعالىٰ فى كتابه . ويقال : إنه آمن بيوسفَ عليه السلام؛ ثم ملك بعده ٱبنه (دارم) ويقال دريوس، وهو الفرعون الرابع عند القِبِطْ، وفى أيامه توفِّىَ يوسفُ عليه السلام، وفى أيامه ظهر بمصر معْدِن فضة علىٰ ثلاثة أيام فى النيل؛ ثم ملك بعده ٱبنه (معدان) ويقال معاديوس، وهو الفرعون الخامس عند القِبِطْ، إحدىٰ وثلاثين سنة؛ ثم ملك بعده ٱبنه (أقسامس) وهو الفرعون السادس عند القِبْط، وبعضهم يزعم أن منارة الإسْكَنْدرِيَّةِ بنيت فى زمنه، وأهل الأثر يسمونه كاسم، وربما قالوا كامس؛

ثم ملك بعده آبنه (لاطس)؛ ثم ملك بعده رجل آسمه (ظلما) كان من عُمّاله فخرج عليه فقتله وملك مكانه، وهو الفرعون السابع عند القِبْط، وهو فرعون موسىٰ .

قال المسعودىّ : وهو الوليد بن مصعب الموجود فى كتب الأثر، والوليد بن مصعب هو فرعون موسىٰ وهو الوليد بن مصعب بن عمرو بن معاوية بن أراشة، يجتمع مع الوليد بن دومع فى أراشة، وهو آخر مَنْ ملك مصر من العمالقة، وبعضهم يقول ظلما بن قومس من ولد أُشمون أحد ملوك القِبْط المتقدّم ذكرهم؛ وعلىٰ هذا فيكون فرعون موسىٰ من القِبِط، وهو أحد الأقوال فيه، وهو الذى يعوّل عليه القِبْط، ويوردونه فى كتبهم، وآخَرُون يجعلونه من لَخْم من الشأم، والظاهر الأوّل، وهو أوّل من عَرَّف العرفاء علىٰ الناس، وفى زمنه حفر خليج سَرْدوس المتقدّم ذكره فى خُلْجان النيل، ويقال : إنه عاش دهرا طويلا لم يمرض ولم يشكُ وجعا إلىٰ أن أهلكه الله تعالىٰ بالغَرَق . [1]

الطبقة الثـالثة

(ملوكها من القِبْط بعد العمالقة)

أوّل من ملكها منهم بعد فرعون دَلُوكة، وطالت مدّتها فى الملك حتّىٰ عرفت بالعَجُوز، وإليها ينسب حائط العجوز المبنىّ بالطوب اللَّبِنِ المستدير علىٰ بلاد مصر فى لِحْف الجبلين : الشرقىّ والغربىّ؛ وأثره باق بالوجه القبلىّ إلىٰ الآن، ويقال إنها التى بنت البرابِىَ بمصر؛ ثم ملك بعدها رجل من أبناء أكابر القِبِط آسمه (دركون) بن بطلوس، ويقال دركوس بن ملوطس؛ ثم ملك بعده رجل آسمه (تودس) ثم ملك بعده آبنه (لقاش) نحوا من خمسين سنة؛ ثم ملك بعده (مرينا) بن لقاش نحوا من عشرين سنة؛ ثم ملك بعده آبنه (بلطوس) ويقال بلوطس بن ميا كيل أربعين سنة؛ ثم ملك

---

(١) تنبيه وقع اختلاف فيا بأيدينا من الكتب فى أسماء الملوك وترتيبهم فى هذا والذى بعده فعوّلنا على الاصل

بعده (مالوس) و يقال فالوس بن توطيس عشر سنين ؛ ثم ملك بعده ميا كيل .
قال المسعودىّ : وهو فرعون الأعرج الذى غزا بنى إسرائيل وخَرَّب بيت المقدس ، ثم ملك بعده (نوله) وهو الذى غزا رُحبعُم بن سليمان عليه السلام بالشام ، وقيل إن الذى غزا رحبعم كان آسمه شيشاق . قال السلطان عماد الدين صاحب حماة : وهو الأصح . قال : ثم لم يشتهر بعد شيشاق المذكور غير فرعون الأعرج ، وهو الذى غزاه بُخْتَنَصَّر وصلبه ، والذى ذكره المسعودىّ أنه ملك بعد ميا كيل المتقدّم ذكره (مرنيوس) ؛ ثم ملك بعده آبنه (بغاش) ثمانين سنة ؛ ثم ملك بعده آبنه (قومس) عشرين سنة ؛ ثم ملك بعده آبنه كاييل .

قال المسعودىّ : وهو الذى غزاه بختنصر وصلبه وخرب مصر ، و بقيت مصر أربعين سنة خرابا .

الطبقة الرابعة

(ملوكها من الفُرْس)

أوّل من ملكها فى جملة مملكة الفرس (بهراسف) بواسطة أن بُخْتَنَصَّر كان نائبا له ومن حين آستولى عليها بُخْتَنَصَّر ، توالت عليها الولاة من جهته ، وهو ببابل سبعا وخمسين سنة وشهرا كما ذكر صاحب حماة إلى أن مات ، فولى بعده آبنه (أولات) سنةً واحدةً ؛ ثم أوليها بعده خوه (بلطشاش) بن بُخْتَنَصَّر ، ثم آستقرت مصر والشام بأيدى نوّاب الفُرْس عن ملوكهم .

فلما مات بهراسف ، ملك بعده كيبستاسف ؛ ثم ملك بعده آبنه أَرْدَشِير بَهْمَن آبن آسفيديار بن كيبستاسف ، وآنبسطت يده حتّى ملك الأقاليم السبعة ؛ ثم ملك بعده آبنه (دارا) ، وفى زمنه ملك الإسْكَنْدَرُ بن فيلبس على اليونان فقصده ، فلما قرب

منه قتله جماعة من قومه، ولحقوا بالإسْكَنْدَرِ،وهو آخر مَنْ ملك مصر من الفُرْسِ، ولم أقف علىٰ تفصيل نوّاب الفُرْسِ بمصر إلا أنه كان منهم كسرجوس الفارسىّ،وهو الذى بنىٰ قصر الشَّمَع بالفُسْطَاطِ علىٰ ماتقدّم ذكره، وبعده (طحارست) الطويل، وفى أيامه كان بقراط الحكيم .

الطبقة الخـامسة

(ملوكها من اليونان)

أوّل من ملكها منهم (الإسْكَنْدَرُ بن فيلبس) حين غلب دارا مَلِكَ الفُرْسِ علىٰ مُلْكِه وآستولىٰ علىٰ ما كان بيده، وكان مقرّ ملكه مَقْدُونِيَةَ من بلاد الروم القديمة، وآنحاز له ملك العراق، والشـام، ومصر، وبلاد العرب . فلمـا مات تفرّقت ممـالكه بين الملوك، فَمَلَكَ مصرَ ونواحىَ الغرب البَطَالِسَةُ من ملوك اليونان، كان كُلٌّ منهم يلقب بَطْلَيْمُوسُ .

فأوّل من ملكها منهم (بَطْلَيْمُوسُ المنطيق) عشرين سنة، ويقال : إنه أوّل من لعب بالبُزَاة وضَرَّاها، ثم ملك بعده (بَطْلَيْمُوسُ مُحِبُّ أخيه) أربعين سنة، وقيل ثمـانا وثلاثين سنة، وهو الذى نقل التَّوْرَاةَ من العبْرَانِيَّة إلىٰ اليونانية؛ وفى أيامه ظهرت عبادة التمـاثيل والأصنام؛ ثم ملك بعـده (بَطْلَيْمُوسُ الصَّائغ) خمسا، وقيـل ستا وعشرين سنة؛ ثم ملك بعده (بَطْلَيْمُوسُ مُحِبُّ أبيه) سبع عشرة سنة؛ ثم ملك بعده (بَطْلَيْمُوسُ صاحب علم الفلك) أربعا وعشرين سنة، وهو الذى ألَّف كتاب المجسطى؛ ثم ملك بعده (بَطْلَيْمُوسُ مُحِبُّ أمه) سبعا وعشرين سنة؛ ثم ملك بعده (بَطْلَيْمُوسُ الصائغ الثانى) ثم ملك بعده (بَطْلَيْمُوسُ المُخْلِصُ) ست عشرة سنة، وقيل سبع عشرة؛ ثم ملك بعده (بَطْلَيْمُوسُ الإسْكَنْدَرانِىّ) تسع سنيـن، وقيل آثنتى عشرة سـنة؛

ثم ملك بعده (بَطْلَيْمُوس اسكندروس) ثلاث سنين، ثم ملك بعده (بَطْلَيْمُوس مُحِبّ أخيه) الثانى ثمان سنين، ثم ملك بعده (بَطْلَيْمُوس دوتيسوس)، ثم ملكت بعده ابنته قلوبطرا اثنتين وعشرين سنة، و بزوالها انقرض ملك اليونان عن مصر وزال .

الطبقة السادسة

(ملوكها من الروم)

أوّل من ملكها منهم (أغشطش) . يقال بشينين معجمتين ومهملتين ولَقَبُهُ قَيْصَرُ، وهو أوّل من تلقب به، ثم صار عَلَما على ملوك الروم .

قصد قلوبطرا المتقدّم ذكرها ، فلما أَحَسَّتْ بقربه منها ، عمدت إلى مجلسها فجعلت فيه الرياحين والمشموم، وأعملت الفكر فى تحصيل حية إذا نهشت الإنسان مات لحينه ولم يتغير حاله ، فقربت يدها منها حتّى ألقت سمها فى يدها ، وانسابت الحية فى الرياحين ، وجاء أغشطش فوضع يده فى الرياحين فنهشته الحية ، فبقى يوما ومات بعد أن ملك الروم ثلاثا وأربعين سنة . وفى أيامه ولد المسيح عليه السلام ؛ ثم ملك بعده الرومَ ومصر طيباريوس، ويقال طبريوس، ويقال طبريس اثنتين وعشرين سنة . قال المسعودىّ : وفى زمنه رفع المسيح عليه السلام . قال : ولما مات أغشطش ، اختلف الروم وتحزبوا وتنازعوا فى الملك مائتين وثمانيا وتسعين سنة ، لانظام لهم ، ولا ملك يجمعهم ؛ ثم ملكهم عانيوس . قال صاحب حماة : وكان رفع المسيح فى زمنه ، وهو مخالفٌ لما تقدّم من كلام المسعودىّ ؛ ثم ملك بعده قلديوس (١) أربع عشرة سنة ؛ ثم ملك بعده نارون ثلاث عشرة سنة ، وهو الذى قتل بطرس و بولص الحواريَّيْن برومية وصلبهما ؛ ثم ملك بعده

(١) فى المسعودىّ فلوريوس . و بالجملة فبين مابأيدينا من الكتب اختلاف فى هذه الأسماء فعوّلنا على المخطوط والله أعلم .

ساسانوس عشر سنين ؛ ثم ملك بعـده طيطوس سبع عشرة سنة ؛ ثم ملك بعده دومطيتوش ، ويقال اديطانش خمس عشرة سنة ، وكان علىٰ عبادة الأصـنام فتتبع اليهود والنصارىٰ وقتلهم ؛ ثم ملك بعده ادريانوس سـتا وثلاثين سنة فأصابته علة الجذام فسار إلىٰ مصر يطلبُ طِبًّا لذلك فلم يظفر به ومات بعِلَّتِهِ ؛ ثم ملك بعـده ايطيثوس ، ويقال ابطاوليس ثلاثا وعشرين سـنة ، وهو الذى بنىٰ بيت المَقْدِس بعد تخريبه الثانيةَ وسماه إيليا ، ومعناه بيت الرب ، وهو أول من سماه بذلك ؛ ثم ملك بعده مرقوس ، ويقال قومودوس سبع عشرة سنة ؛ ثم ملك بعده قومودوس ثلاث عشرة سنة ، وكان دين النصارىٰ قد ظهر فى أيامه ؛ وفى زمنه كان جالينوس الحكيم ؛ ثم ملك بعـده قوطنجوس ستة أشهر ؛ ثم ملك بعده سيوارس ثمـانى عشرة سنة ؛ ثم ملك بعده ايطيثيوس الثانى أربع سنين ؛ ثم ملك بعده اسكندروس ثلاث عشرة سنة ؛ ثم ملك بعده بكسمينوس ثلاث سنين ؛ ثم ملك بعـده خورديانوس ست سنين ؛ ثم ملك بعده دقيانوس ، وقيل دقيوس سنة واحدة ، فقتل النصارىٰ وأعاد عبادة الأصنام ، ومنه هرب الفِتْيَةُ أصحابُ الكَهْفِ ، وكان من أمرهم ماقص الله تعالىٰ فى كتابه العزيز ؛ ثم ملك بعده غاليوس ثلاث سـنين ؛ ثم ملك بعده عليوس وولديانوس آشتركا فى الملك ، وقيل إن ولديانوس آنفرد بالملك بعد ذلك ، وأقام فيه خمس عشرة سـنة ؛ ثم ملك بعده قلوديوس سنة واحدة ؛ ثم ملك بعده ارديانوس ، ويقال ارديانوس ست سنين ؛ ثم ملك بعـده قروقوس سبع سنين ؛ ثم ملك بعده ياروس وشركته سنتين ؛ ثم ملك بعده دقلطيانوس إحدىٰ وعشرين سنة ، وهو آخر عَبَدَة الأصـنام من ملوك الروم ، وبمهلكه تؤرّخ النصارىٰ إلىٰ اليوم ، وعصىٰ عليه أهل مصر ، فسار إليهم من روميـة ، وقتل منهم خلقا عظيما ، وهم الذين يعبر عنهم النصارىٰ الآن بالشهداء .

ثم ملك بعده قسطنطين المظفر إحدى وثلاثين سنة فسار من رُومِيَةَ إلى قُسْطَنْطِينِيَّة وبنى سورها واستقرت دار ملكهم، وأظهر دين النصرانية وحمل الناس عليه؛ ثم ملك بعده ابنُه قُسْطَنْطِينُ فشيَّد دينَ النصرانية وبنى الكنائس الكثيرة؛ ثم ملك بعده إليانوس، ويقال إليانس سنة واحدة، وهو ابن أخى قُسْطَنْطِينَ المتقدّم ذكره، فرفض دين النصرانية ورجع إلى عبادة الأصنام، وبموته خرج المُلْك عن بنى قُسْطَنْطِينَ؛ ثم ملك بعده بِطْرِيق من بَطَارقة الروم اسمه بوثيانوس، ويقال سيوتيانوس سنة واحدة فأعاد دين النصرانية، ومنع عبادة الأصنام؛ ثم ملك بعده قالنطيانوس أربع عشرة سنة؛ ثم ملك بعده خرطيانوس ثلاث سنين؛ ثم ملك بعده باردوسيوس الكبير تسعا وأربعين سنة؛ ثم ملك بعده ادقاديوس بقُسْطَنْطِينِيَّة وشريكه أويوزيوس برُومِيَةَ ثلاث عشرة سنة؛ ثم ملك بعدهما مرقيانوس سبع سنين، وهو الذى بنى دير مارون بِحِمْصَ؛ ثم ملك بعده واليطيس سنة واحدة؛ ثم ملك بعده لاون الكبير سبع عشرة سنة؛ ثم ملك بعده زيتون ثمان عشرة سنة؛ ثم ملك بعده اسطيسوس سبعا وعشرين سنة، وهو الذى عَمَر أسوار مدينة حَمَاة؛ ثم ملك بعده بوسيطيتنوس تسع سنين؛ ثم ملك بعده بوسيطيتنوس الثانى ثمانيا وثلاثين سنة؛ ثم ملك بعده طبريوس ثلاث سنين؛ ثم ملك بعده طبريوس الثانى أربع سنين؛ ثم ملك بعده ماريقوس ثمان سنين؛ ثم ملك بعده ماريقوس الثانى، ويقال مرقوس اثنتى عشرة سنة؛ ثم ملك بعده قوقاس ثمان سنين؛ ثم ملك بعده هرقل واسمه بالرومية أوقليس، وهو الذى كتب إليه النبىّ صلّى الله عليه وسلم، يدعوه إلى الإسلام، وكانت الهجرة النبوية فى السنة الثانية عشرة من ملكه.

قال المسعودىّ: وفى تواريخ أصحاب السير أن رسول الله صلّى الله عليه وسلم، هاجر وملك الروم قيصر بن قوق[1]؛ (ثم ملك الرومَ بعده) قَيْصَرُ بن قَيْصَرَ،

(١) وإليه تنسب الدنانير القوقية (قاموس مادة ق و ق).

وذلك فى خلافة أبى بكر رضى الله عنه ، وهو الذى حار به أمراء الإسلام بالشام وآقتلعوا الشام منه .

والذى ذكره فى "التعريف" فى مكاتبة الاذفونش صاحب طُلَيْطُلَةَ من ملوك الفرنج بالأَنْدَلُس أن هِرَقْلَ الذى هاجر النبىَّ صلّى الله عليه وسلم فى زمنه وكتب إليه لم يكن الملكَ نفسَه ، وإنما كان متسلم الشام لقيصر، وقَيْصَر بالقُسْطَنْطِينِيَّة لم يَرِمْ ، وأن النبىَّ صلّى الله عليه وسلم إنما كتب لهِرَقْلَ لأنه كان مجاورا لجزيرة العرب من الشام . وعظيمُ بُصْرىٰ كان عاملا له ، ويظهر أن قَيْصَرَ الأخيرَ الذى ذكره هو الذى كان المُقَوْقِسُ عاملا له علىٰ مصر . ويقال : إن المُقَوْقِسَ تَقَبَّلَ مصر من هِرَقْلَ بتسعة عشر ألف ألف دينار .

وآعلم أنه كان الحال يقتضى أن نذكر نوّاب من تقدّم من ملوك الروم واليونان والفُرْس علىٰ مصر ، ولكن أصحاب التواريخ لم تعتَنِ بأمر ذلك ، فتعذر العلم به . وإذا ذكر الأصل ، آستُغْنِى به عن الفرع .

وذكر القضاعىّ : أنه بعد عمارة مصر من خراب بُخْتَنَصَّر ظهرت الروم وفارس علىٰ سائر الملوك التى وسط الأرض فقاتلت الرومُ أهلَ مصر ثلاث سنين إلىٰ أن صالحوهم علىٰ شىء فى كل عام ، علىٰ أن يكونوا فى ذمتهم ويمنعوهم من ملوك فارس ، ثم ظهرت فارس علىٰ الروم وغلبوهم علىٰ الشأم وألَحُّوا علىٰ مصر بالقتال ، ثم آستقرّ الحال علىٰ خراج مصر أن يكون بين فارس والروم فى كل عام ، وأقاموا علىٰ ذلك تسع سنين ، ثم غلبت الرومُ فارسَ وأخرجوهم من الشأم وصار ماصولحت عليه أهل مصر كله خالصا للروم ، وجاء الإسلام والأمر علىٰ ذلك .

المرتبـــة الثـالثة

(من وليها فى الإسلام : من بداية الأمر إلىٰ زماننا، وهم علىٰ ضربين)

الضرب الأوّل

(فيمن وليها نيابةً، وهو الصدر الأوّل، وهم علىٰ ثلاث طبقات)

الطبقـــة الأُولىٰ

(عُمَّال الخلفاء من الصحابة رضوان الله عليهم)

قد تقدّم أنها لم تزل بيد الروم والمُقَوْقِسُ عامل عليهـا إلىٰ خلافة عمر رضى الله عنه، ولم تزل كذلك إلىٰ أن فتحها عمرو بنُ العاص وعبدُ الله[1] بن الزُّبَيْر فى سنة عشرين من الهجرة، وقيـل سنة تسع عشرة فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه؛ ووليها (عمرو بن العاص) من قِبَل عمر، وهو أوّل من وَلِيَها فى الإسلام، وبقى عليها إلىٰ سنة خمس وعشرين، وبنىٰ الجامعَ العتيقَ بالفُسْطَاط؛ ثم وليها عن عثمان ٱبنِ عفان رضى الله عنه (أبو يحيىٰ العامرىّ) فمكث فيها إحدىٰ عشرةَ سنة، وتوفى سنة ست وثلاثين؛ ثم وليها عن علىّ بن أبى طالب كرم الله وجهه (قَيْسُ بن سعد) الخزرجىّ فى أوّل سنة سبع وثلاثين؛ ثم وليها عنه (مالك بن الحٰرث النخعىّ) المعروف بالأشتر فى وسط سنة سبع وثلاثين، وكتب له عنه عهدا يأتى ذكره فى الكلام علىٰ العهود إن شاء الله تعالىٰ، فسُمَّ ومات قبل دخوله إلىٰ مصر؛ ثم وليها عنه (محمد بن أبى بكر الصدّيق) رضى الله عنه فى آخر سنة سبع وثلاثين فمكث دون السنة؛ ثم وليها عن معاويةَ بن أبى سُفْيَانَ رضى الله عنه (عمرُو بن العاص ثانيا) سنة ثمان وثلاثين خمس سنين، وتوفى بها سنة ثلاث وأربعين؛ ثم وليها عنه (عقبةُ بن عامر الجُهَنىّ) فى سنة أربع وأربعين فمكث فيها ثلاث سنين وكَسْرًا؛ ثم وليها عنه (مَسْلَمَةُ بن مُخَلَّدٍ) الخزرجىّ سنة سبع وأربعين فمكث فيها خمسَ عشرةَ سنة .

---

(١) لعل الصواب والزبير بن العوّام كما فى تاريخ أبى الفداء.

الطبقـــة الثانية

(عُمَّـال خلفاء بنى أُمَيَّــةَ بالشام)

لما أفضت الخلافة بعد معاوية إلىٰ ٱبنه يَزِيدَ، وليها عنه (سعيد بن يزيد بن علقمة الأزدىّ) فى سنة ٱثنتين وستين، فمكث فيها سنتين وكسرًا؛ ثم وليها عنه (عبد الرحمن الفِهْرىّ) فى سنة أربع وستين، وأقره علىٰ الولاية بعـد يزيد ٱبنُهُ معاويةُ، ثم مَرْوَانُ ٱبنُ الحَكَم ، فمكث فيها ٱثنتين وعشرين سـنة ؛ ثم وليها عن عبد الملك بن مَرْوَانَ (عبدُ الله بن عبد الملك بن مروان) فى أوّل سنة ست وثمـانين ، فمكث فيها خمس سنين؛ ثم وليها عنه (قُرَّةُ بن شَرِيك) فى سنة تسعين ،وأقره عليها الوليدُ بن عبد المَلِك بعده ،فمكث فيها سبع سنين؛ ثم وليها عن سليمان بن عبد الملك (عبدُ الملك بنُ رِفاعة) فى سنة سبع وتسعين ،فمكث فيها ثلاث سنين وكسرا ؛ثم وليها عن عمر بن عبد العزيز (أيوبُ بن شُرَحْبِيلَ الأَصْبَحِىّ) آخرَ سنة تسع وتسعين ،فمكث فيها سنتين وستة أشهر؛ ثم كانت خلافة يَزِيدَ بن عبد المَلِك ؛فوليها عنه (صفوان الكَلْبىّ)[1] سنة إحدىٰ ومائة ، فمكث فيها سنتين وسـتة أشهر أيضا ؛ ثم وليها عن هشام بن عبـد الملك (محمد بن عبـد الملك) أخو هشام فى سـنة خمس ومائة ، فمكث فيها أشهرا ؛ ثم وليهـا عنه (عبد الله بن يوسف الثقفىّ) فى ذى الحجة سنة خمس ومائة ، فمكث فيها أربع سنين وستة أشهر ؛ ثم وليها عنـه (عبد المَلِك)[2] فى سـنة تسع ومائة وعزل فيها ؛ ثم وليها عنه (الوليد) أخو عبد المَلِك[2] فى سنة تسع المذكورة، فمكث فيها عشر سنين وكسرا ، وتُوفِّى سـنة تسع عشرة ومائة ؛ ثم وليها عنه (عبد الرحمن الفِهْرىّ) ثانيا فى آخر سنة تسع عشرة ومائة ، فأقام بها سـبعة أشهر؛ ثم وليها عنه (حنظلة) بن صفوان

(١) الذى فى المقريزىّ بشر بن صفوان الكلبىّ .

(٢) أى آبن رفاعة ثانيا كما فى المقريزىّ .

ثانيا[١] فى سـنة عشرين ومائة، فمكث فيها ثلاث سـنين وكسرا وعزل؛ ثم وليها عن مَرْوَانَ بن محمد الجعدىّ؛ فوليها عنه (عتابة التجيبى[٢]) سـنة سبع وعشرين ومائة، فمكث فيها خمس سنين أو دونها؛ثم وليها عنه (حفص بن الوليد) سنة ثمان وعشرين ومائة، فمكث فيها ثلاث سنين وستة أشهر؛ثم وليها عنه (الفزارىّ) سنة إحدىٰ وثلاثين ومائة، فمكث فيها سنة واحدة؛ ثم وليها عنه (عبد الملك بن مَرْوَانَ) مولىٰ لَخْمٍ سنة إحدىٰ وثلاثين ومائة، وهو آخر مَنْ وليها عن بنى أمية .

الطبقة الثالثــــة

(عُمَّـال خلفاء بنى العَبَّاس بالعراق)

أوّل من وليها فى الدولة العباسية عن أبى العَبَّاس السفَّاح : أوّلِ خلفائهم،(صالحُ ٱبنُ علىّ) بن عبدالله بن عباس سنة ثلاث وثلاثين ومائة، فمكث فيها أشهرا قلائل؛ ثم وليها عنه (عبد الملك) مولىٰ بنى أسد آخِرَ سنة ثلاث وثلاثين ومائة ، فمكث فيها ثلاث سنين؛ثم وليها عنه (صالح بن علىّ) ثانيا فى ذى الحجة سنة ست وثلاثين ومائة. ثم وليها عن أبى جعفر المنصور (عبدُ الملك) سـنة تسع وثلاثين ومائة، فمكث فيها ثلاث سنين؛ ثم وليها عنه (النَّقِيب التميمىّ) سنة إحدىٰ وأربعين ومائة،فمكث فيها سنتين؛ ثم وليها عنه (حُمَيد الطائىّ) سنة ثلاث وأربعين ومائة، فمكث فيها سنة واحدة؛ثم وليها عنه (يزيد المهلَّبىُّ) سنة أربع وأربعين ومائة،فمكث فيها تسعَ سنين؛ ثم وليها عنه (عبدُالله بن عبدالرحمن بن معاوية) سنة ٱثنتين وخمسين ومائة،فمكث فيها سنتين وستة أشهر؛ ثم وليها عنه (محمد بن عبدالرحمن بن معاوية) سنة أربع وخمسين

(١) لم يذكر أن حنظلة كان أميرا علىٰ مصر فيما سبق [ولكن فى المقريزىّ أن بشر بن صفوان ٱستخلف أخاه حنظلة علىٰ مصر حينما ولاه يزيد علىٰ أفريقية فى سنة ٱثنتين ومائة فتكون ولايته هذه المرة ثانية].

(٢) صوابه : ثم وليها عنه [أى عن مروان] حسان بن عتاهية التجيبى كما ذكره المقريزىّ والمقام فيه أوضح.

ومائة ، فمكث فيها سنة واحدة ؛ ثم وليها عنه (موسى بن علىّ اللخمىّ) فى سنة خمس وخمسين ومائة ، فمكث فيها سنتين وستة أشهر .

ثم وليها عن المهدىّ (عيسى اللخمىّ)[١] سنة إحدى وستين ومائة ، فمكث فيها سنة واحدة ؛ ثم وليها عنه (أصبح)[٢] مولى المنصور فى سنة آثنتين وستين ومائة ؛ ثم وليها عنه (زيد بنُ منصور) الحميرىّ فى وسط سنة آثنتين وستين ومائة ؛ ثم وليها عنه (يحيى أبو صالح) فى ذى الحجة من السنة المذكورة ؛ ثم وليها عنه (سالم بن سوادة التميمىّ) سنة أربع وستين ومائة ؛ ثم وليها عنه (إبراهيم العباسىّ) فى سنة خمس وستين ومائة ؛ ثم وليها عنه (مُعِين الدين ختهم) فى سنة ست وستين ومائة .

ثم وليها عن الهادى (أسامةُ بن عمرو العامرىّ) فى سنة ثمان وستين ومائة ؛ ثم وليها عنه (الفضل بن صالح العباسىّ) فى سنة تسع وستين ومائة ؛ ثم وليها عنه (علىّ بن سليمان العباسىّ) آخِرَ السنة المذكورة .

ثم وليها عن الرشيد (موسى العباسىّ) فى سنة آثنتين وسبعين ومائة ؛ ثم وليها عنه (محمد بن زهير) الأزدىّ سنة ثلاث وسبعين ومائة ؛ ثم وليها عنه داودُ بن يزيد المهلبىّ سنة أربع وسبعين ومائة ؛ ثم وليها عنه (موسى بن عيسى العباسىّ) سنة خمس وسبعين ومائة ومات بها ؛ ثم وليها عنه (عبدالله بن المسيب الضبىّ) فى أوّل سنة سبع وسبعين ومائة ؛ ثم وليها عنه (هَرْثَمَة بن أعين) سنة ثمان وسبعين ومائة ؛ ثم وليها عنه (عبدالمَلِك العباسىّ) فى سلخ ذى الحجة من السنة المذكورة ؛ ثم وليها عنه (عبيد الله بن المهدىّ العباسىّ) فى سنة تسع وسبعين ومائة ؛ ثم وليها عنه (موسى بن عيسى) التَّنُوخىّ فى آخر سنة ثمانين ومائة ؛ ثم وليها عنه (عبيد الله بن المهدىّ) ثانيا سنة إحدى وثمانين ومائة ؛ ثم وليها عنه (إسماعيل بن صالح) فى آخر السنة المذكورة ؛ ثم وليها عنه (سُمَيَّة[٣] بن عيسى آبن إسماعيل) سنة آثنتين وثمانين ومائة ؛ ثم وليها عنه (الليثُ البِيوَرْدِىّ) فى آخر السنة

(١) فى المقريزىّ الجمحىّ . (٢) فى المقريزىّ واضح . (٣) فى المقريزى "اسماعيل"

المذكورة؛ ثم وليها عنه (أحمد بن إسماعيل) فى آخر سنة تسع وثمانين ومائة؛ ثم وليها عنه (عبد الله بن محمد العباسىّ) المعروف بٱبن زَيْنَبَ فى سنة تسعين ومائة؛ ثم وليها عنه (مالك بن دَلْهَم الكلبىّ) سنة ٱثنتين وتسعين ومائة؛ ثم وليها عنه أو عن الأمين (الحسينُ بنُ الجماج) سنة ثلاث وتسعين ومائة .

ثم وليها عن الأمين (حاتم بن هَرْثمة بن أعْيَن) سنة خمس وتسعين ومائة؛ ثم وليها عنه (عباد أبونصر) مولىٰ كِنْدَةَ سنة ست وتسعين ومائة؛ثم وليها عنه أو عن المأمون (المطَّلِبُ بنُ عبد الله الخزاعىّ) سنة ثمان وتسعين ومائة .

ثم وليها عن المأمون (العباسُ بنُ موسى) سنة ثمان وتسعين ومائة؛ ثم وليها عنه (المطلب بن عبدالله) ثانيا فى سنة تسع وتسعين ومائة؛ ثم وليها عنه (السرىّ بن الحكَمَ) فى سنة مائتين؛ ثم وليها عنه (سليمان بن غالب) فى سنة إحدىٰ ومائتين؛ثم وليها عنه (أبو نصر محمد بن السرىّ) فى سنة خمس ومائتين؛ثم وليها عنه (عبيد الله) فى سنة ست ومائتين؛ثم وليها عنه (عبدالله بن طاهر) مولىٰ خُزَاعة فى سنة عشر ومائتين (وهو أوّل من جَلَب البِطِّيخ الخُراسانِيَّ المعروفَ بالعَبْدَلِىِّ من خُرَاسان إلىٰ مصر فنُسِب إليه)؛ ثم وليها عنه (عيسىٰ الجَلُّودىّ) فى سنة ثلاثَ عشرَةَ ومائتين؛ ثم وليها عنه (عمرو بن الوليد التيمىّ) فى سنة أربعَ عشرةَ ومائتين؛ثم وليها عنه (عيسىٰ الجَلُّودىّ) ثانيا فى آخر السنة المذكورة؛ ثم وليها عنه (عبدويه بن جبَلَةَ) فى سنة خمسَ عشرةَ ومائتين؛ ثم وليها عنه (عيسىٰ بن منصور) مولىٰ بنى نصر فى سنة ستَّ عشرةَ ومائتين .

(وفى هذه السنة دخل المأمون مصرَ وفتح الهَرَم) .

ثم وليها عن المعتصم بالله [1] المسعودىّ فى أوّل سنة تسعَ عشرةَ ومائتين؛

(١) بياض فى الأصل، والذى فى المسعودىّ أن خلافة المعتصم كانت فى سنة تسع عشرة ومائتين، وفى المقريزىّ أنه ولى علىٰ مصر فى هذا التاريخ (كيدر) ومات كيدر فى ربيع الآخر من السنة المذكورة، فولى ٱبنه (المظفر) بٱستخلاف أبيه .

ثم وليها عنه (المظَفَّر بن كيدر) فى وسط السنة المذكورة أشهرا قلائل ؛ ثم وليها عنه (أبو العباس الحمق) فى آخر الســـنة المذكورة؛ ثم وليها عنه (مبارَكُ بن كيدر) فى سنة أربع وعشرين ومائتين؛ ثم وليها عنه (علىّ بن يحيىٰ) فى سنة ست وعشرين ومائتين .

ثم وليهـا عن الواثق بالله (عيسىٰ بن منصور الجَلُّودى) ثالث مرة فى ســنة تسع وعشرين ومائتين؛ ثم وليها عنه (علىٌّ بن يحيىٰ) ثانيا فى سنة أربع وثلاثين ومائتين؛ [(١)] ثم وليها عنه (إسحاق الجبلى) فى سنة خمس وثلاثين ومائتين؛ ثم وليها عنه (خُزَاعة) فى سنة ست وثلاثين ومائتين؛ ثم وليها عنه (عقبة الضَّبىّ) فى سنة ثمـان وثلاثين ومائتين ؛ ثم وليها عنه (يزيد بن عبد الله) فى سنة آثنتين وأربعين ومائتين ، وأقره عليها بعده المنتصر بالله، ثم المستعين بالله .

ثم وليها عن المستعين بالله (مُزاحِم بن خاقان) فى ســنة ثلاث وخمسين ومائتين؛ ثم وليها عنه (أحمد بن مُزَاحِم) فى سنة أربع وخمسين ومائتين وأقره عليها المهتدِى بالله .

الضرب الثـانى

(من وليها مُلْكا ، وهم علىٰ أربع طبقات)

الطبقـــة الأُولىٰ

(من وليها عن بنى العَبَّاس قَبْل دولة الفاطميين)

وأوّلهم (أحمدُ بن طولون) وليها عن المعتمد فى سنة ست وستين ومائتين وعَمَر بها جامعَه المتقدّم ذكُره فى خِطَط الفُسْطاط ،وفى أيامه عَظُمت نيابةُ مصرَ وشَمَختْ إلىٰ المُلْك (وهو أوّل من جلَب المماليك الترك إلىٰ الديار المصرية وآستخدمهم فى عسكرها) .

---

(١) مقتضاه أن المذكور ولى عن الواثق فى هذا التاريخ مع أن خلافة الواثق كانت سنة سبع وعشرين ومائتين ووفاته كانت فى سنة آثنتين وثلاثين ومائتين ، فالمذكور كان عن المتوكل فلعل الصواب ثم وليها عن المتوكل فتأمل .

وأقره المعتضد بالله بعد المعتمد، وبقى بها حتى مات فوليها عن المعتضد (خُمارَوَيْه بن أحمد بن طولون) فى أول سنة آثنتين وثمانين ومائتين، وقتله جنْدُه فى السنة المذكورة؛ ثم وليها عنه (جَيْش بن خُمَارويه) فى سنة ثلاث وثمانين ومائتين، وقتله جندُه فى السنة المذكورة؛ ثم وليها عنه (هرون بن خمارويه) فى آخر سنة ثلاث وثمانين ومائتين، وقتل فى سنة آثنتين وتسعين .

ثم وليها عن المكتفى بالله (شَيْبانُ بن أحمد بن طولون) فى سنة آثنتين وتسعين ومائتين فبقِىَ آثنَىْ عشر يوما وعُزِل؛ ثم وليها عنه (محمد بن سليمان الواثقىّ) فى آخر سنة آثنتين وتسعين ومائتين؛ ثم وليها عنه أو عن المقتدر بالله (عيسىٰ النوشرى) فى سنة خمس وتسعين ومائتين .

ثم وليها عن المقتدر بالله (أبو منصور تِكين) فى سنة سبع وتسعين ومائتين وعُزِل؛ ثم وليها عنه (أبو الحسن) فى سنة ثلاث وثلثمائة وعزل؛ ثم وليها عنه (أبو منصور تكين) ثانيا سنة سبع وثلثمائة وعزل؛ ثم وليها عنه (هلالٌ) سنة تسع وثلثمائة؛ ثم وليها عنه (أحمدُ بن كِيغَلْغ) فى سنة إحدىٰ عشرة وثلثمائة؛ ثم وليها عنه (أبو منصور تكين) ثالث مرة فى السنة المذكورة.

ثم وليها عن القاهر بالله (محمدُ بنُ طُغج) فى سنة إحدىٰ وعشرين وثلثمائة؛ ثم وليها عنه (أحمد بن كِيغَلْغ) ثانيا فى سنة ثلاث وعشرين وثلثمائة . وأقره عليها المكتفِى ثم المستكفى بالله بعده .

ثم وليها عن المُطِيع لله (أبو القاسم الاخشيد) فى سنة خمس وثلاثين وثلثمائة؛ ثم وليها عنه (علىّ بن الأخشيد) سنة تسع وثلاثين وثلثمائة؛ ثم وليها عنه (كافور الأخشيدى) الخادم فى سنة خمس وخمسين وثلثمائة، وكان يحب العلماء والفقهاء، ويكرمهم، ويتعاهدهم بالنَّفَقات، ويكثر الصدَقات حتّى آستغنىٰ الناس فى أيامه، ولم يَجِد أربابُ

الأموال من يقبـل منهم الزكاةَ فرفعوا أمر ذلك إليه فأمرهم أن يبْتَنُوا بها المساجدَ ويتخذوا لهـا الأوقافَ ففعلوا ؛ ثم وليها عنه (أحمدُ بن علىّ الأخشيد) فى سنة سبع وخمسينٍ وثلثمائة ، وهو آخر من وليها من العُمَّال عن خلفاء بنى العباس بالعراق .

الطبقة الثـانيـــة
(من وليها من الخلفاء الفاطميين المعروفين بالعُبَيديِّين)

أوّل من وليها منهم (المُعِزُّ لدين الله أبو تميم مَعَدُّ بن تميم بنِ إسمـاعيل بن محمد بن عبيدالله المهدىّ) وإليه ينسبون ، جهز إليها قائدَه : جَوْهَرا من بلاد المغرب إلىٰ الديار المصرية ففتحها فى شـعبان سنة ثمـان وخمسين وثلثمائة علىٰ ما تقدّم فى الكلام علىٰ قواعد الديار المصرية وٱنقطعت الخُطْبة العباسية منها ؛ ورحل المعزُّ من المغرب إلىٰ مصر فوصل إليها ودخل قصرَه بالقاهرة فى سابع رمضان سنة ٱثنتين وستين وثلثمائة وصارت مصر والمغرب مملكةً واحدة وبلاد المغرب نيـابة من مصر ، وتُوفِّىَ ثالثَ ربيع الآخر سنة خمس وستين وثلثمائة .

ثم ولى بعده ٱبنُه (العزيزُ بالله أبو المنصور) يوم وفاة أبيه ، وإليه ينسب الجامع العزيزىّ بمدينة بِلْبِيس ، وتُوفِّىَ بالحَمَّام فى بِلْبِيس ثامنَ رمضان المعظَّم قدرُه سنة ست وثمـانين وثلثمائة .

ثم ولى بعده ٱبنه (الحاكمُ بأمر الله أبو علىّ المنصور) ليلةَ وفاة أبيه ، وبنىٰ الجامع الحاكمىَّ فى سنة تسع وثمانين وثلثمائة ، وهو يومئذ خارجَ سورِ القاهرة ، وفارق مصر وخرج إلىٰ الجبـل المقطم فوُجدتْ ثيابُه مُزَرَّرة الأطواق وفيها آثار السكاكين ولا جُثَّة فيها ، وذلك فى سلخ شوّال سنة إحدىٰ عشرة وأربعمائة ولم يُشَكَّ فى قتله . والدُّرْزيّة من المبتدعة يعتقدون أنه حىّ وأنه سيرجع ويعود علىٰ ما سيأتى فى الكلام علىٰ أيمـانِهم وتحليفهم إن شاء الله تعالىٰ .

ثم ولى بعده ٱبنه (الظاهر لإعزاز دين الله أبو الحسن علىّ) وبقى حتّى توفى فى شعبان سنة سبع وعشرين وأربعمائة .

ثم ولى بعده ٱبنه (المستنصر بالله أبو تميم معَدّ) بعد وفاة أبيه . وفى أيامه جُدّد سُور القاهرة الكبير فى سنة ثمانين وأربعمائة . وتوفى فى ذى الحجة سنة سبع وثمانين وأربعمائة. وفى أيامه كان الغلاء الذى لم يعهد مثله، مكث سبع سنين حتّى خَرِبتْ مصرُ،ولم يبق بها إلا صُبَابة من الناس علىٰ ماتقدّم فى سياقة الكلام علىٰ زيادة النيل .

ثم ولى بعده ٱبنه (المستعلى بالله) أبوالقاسم أحمدُ يوم وفاة أبيه. وتوفّى لسبعَ عشرةَ ليلةً خلت من صفر سنة خمس وتسعين وأربعمائة .

ثم ولى بعده (الآمر بأحكام الله أبو علىّ المنصور) فى يوم وفاة المستعلى،وقتل بجزيرة مصر فى الثالث من ذى القَعدة سنةَ خمس وعشرين وخمسمائة .

ثم ولى بعده ٱبنُ عمه (الحافظُ لدين الله أبو الميمونِ عبدُالحميد بنُ الآمر أبى القاسم محمدٍ) يوم وفاة الآمر . وتوفى سنة أربع وأربعين وخمسمائة .

ثم ولى بعده (الظافر بأمرالله إسماعيل) رابعَ جمادىٰ الآخرة سنةَ أربعين وخمسمائة.

ثم ولى بعده ٱبنه (الفائز بنصر الله أبو القاسم عيسىٰ) صبيحةَ وفاة أبيه . وتوفى فى سابع عشر شهر رجب الفرد سنة خمس وخمسين وخمسمائة .

ثم ولى بعده (ٱبنه العاضدُ لدين الله أبومحمد عبدُ الله بن يوسف) يوم وفاة الفائز. وتوفّى يومَ عاشوراء سنة أربع وستين وخمسمائة بعد أن قطع السلطانُ صلاح الدين خُطْبته بالديار المصرية وخطب للخلفاء العبّاسيين ببغداد قبل موته، وهو آخر من ولى منهم .

الطبقـــــة الثـالثة
(ملوك بنى أيُّوبَ)

وهم وإن كانوا يدينون بطاعة خلفاء بنى العبَّاس فهم ملوكٌ مستقلُّون، وفى دولتهم زاد آرتفاع قدرِ مصرَ ومُلْكِها .

أوّل من ملك مصرمنهم الملك الناصرُ (صلاحُ الدين يوسفُ بنُ أيوبَ) كان الملك العـادلُ نورُ الدين محمودُ بن زنكى صاحبُ الشام رحمه الله قد جهَّزه صحبـةَ عمه : أسدِ الدين شيركوه إلىٰ الديار المصرية حين آستغاث به أهـلُ مصر فى زمن العاضد الفاطمىّ المتقدّم ذكره لغلبة الفرنج عليهم ثلاثَ مَرَّات آنتهىٰ الحـالُ فى آخرها إلىٰ أنّ السلطان صـلاح الدين وثب علىٰ شاور وزير العاضد المذكور فقتـله وتقلد عمُّه أسدُ الدين شيركوه الوزارة مكانَهُ عن العاضد، وكُتبَ له بذلك عهدٌ من إنشاء القاضى الفاضل، فأقام فيها مدَّة قريبة ومات، ففوّض العاضد الوزارة مكانَهُ للسلطان صلاح الدين، وكتب له عهدٌ من إنشاء القاضى الفاضل أيضا، وبقى فى الوزارة حتّى ضعُف العاضد وطال ضعفُه فقطع السلطان صلاح الدين الخطبةَ للعاضد، وخطب للخليفة العباسىّ ببغداد بأمر الملك العادل صاحب الشام . ثم مات العاضد عن قريب فاستقلَّ السـلطان صلاح الدين بالسلطنة بمصر وقَوِى جأشُـه ، وثبتت فى الدولة قدمه . وتوفى بِدمَشْقَ فى سـنة تسع وثمـانين وخمسمائة ؛ وكانَت مدّة ملكه بالديار المصرية أربعا وعشرين سنة وملكه الشام تسعَ عشرةَ سنة؛ ثم ملك بعده مصر آبنُه (الملكُ العزيز) وملك معها دمشقَ وسلَّمها إلى عمه العادل أبى بكر فى سنة آثنتين وتسعين وخمسمائة، وتفرّقت بقية الممـالك الشامية بيد بنى عمه من بنى أيوب .

ملكَ مصرَ والشامَ جميعا فى ربيع الأوّل سنة ست وتسـعين وخمسمائة ؛ وتوفى بدمشق سنة خمس عشرة وستمائة .

ثم ملك بعده ٱبنُه (الملكُ الكامل) عقيبَ وفاة أبيه المذكور، وهو أوّل من سكن قَلْعَةَ الجبل بعد قصر الفاطميين بالقاهرة علىٰ ماتقدّم ذكره فى الكلام علىٰ القلعة، وٱستمرّ فى ذلك عشرين سنة، وفتح حَرَّان وديارَ بكرٍ، وكان الفرنج قد ٱستعادوا بعض ما فتحه السلطان صلاحُ الدين من ساحل الشام، وكتب الهُدْنَةَ بينه وبين الفرنج فى سنة ست وعشرين وستمائة علىٰ أن يكون بأيدى الفِرِنج القلاعُ والنواحى التى ملكوها بعد فتح السلطان صلاح الدين، وهى جبلة، وبيروت، وصِيدا، وقلعة الشقيف، وقلعة تِبنين، وقلعة هونين، وإسكندرونة، وقلعة صَفَد، وقلعة الطور واللجون، وقلعة كَوْكب، ومجدل يافا[1] ولُدّ، والرملة، وعسقلان، وبيت جِبْريل، والقُدْس وأعمال ذلك ومضافاته. وبنىٰ مدرسته الكاملية بين القصرين المعروفة بدار الحديث، وتوفى بدمشق سنة خمس وثلاثين وستمائة.

ثم ملك بعده ٱبنه (الملك العادل أبو بكر) وقبض عليه فى العشر الأوسط من ذى القعدة سنة سبع وثلاثين وستمائة.

ثم ملك بعده أخوه الملك الصالح (نجم الدين أيوب) بن الكامل فى أوائل سنة ثمان وثلاثين وستمائة.

ثم ملك بعده ٱبنُه الملكُ المعظم (تُوران شاه) وهو الذى كسر الفرنج علىٰ المنصورة فى المحرّم سنة ثمان وأربعين وستمائة، وقتل فى الثامن والعشرين من المحرّم المذكور.

ثم ملك بعده أمُّ خليل (شجرةُ الدُّرّ) فى صفر سنة ثمان وأربعين وستمائة، فأقامت ثمانية أشهر، ولم يملك مصر فى الإسلام ٱمرأةٌ غيرها.

ثم ملك بعدها الملكُ الأشرف (موسىٰ بن الناصر يوسف بن المسعود بن الكامل ٱبن العادل أبى بكر بن أيوب) فى شوّال سنة ثمان وأربعين وستمائة وخلع نفسه وهو آخر الملوك الأيوبية بالديار المصرية.

(١) سيأتى له فى الجزء الرابع هكذا "مجداليا با"

الطبقة الرابعــــة
(ملوك التُّرْك خَلَّد الله تعالىٰ دولتهم)

أوّل من ملكها منهم (الملكُ المُعِزُّ أيبك التركمانى) بعد خلع الأشرف موسٰى : آخر ملوك الأيوبية فى شوّال سنة ثمـان وأربعين وستمائة ؛ وجُمِـع له بين مصر والشام ، وآستمرّ الجمع بينهــما إلى الآن ، وبنىٰ المدرسة المُعِزِّية برحبــة الخرّوب بالفُسْطاط ، وتزوّج بأم خايل المقدّم ذكرها ، وقتل بحمّام القلعة فى سنة أربع وخمسين وستمائة .

ثم ملك بعده آبنُه (الملك المنصورعلىّ) عقيبَ وفاة والده المذكور. وقُتِلتْ أمّ خليل المذكورة ، ورميت من سُور القلعة ، وقُبِض علىٰ المُظَفَّر(١) سنة سبع وخمسين وستمائة .

ثم ملك بعده الملك (المظفر قُطُز) وكان المَصَافُّ بينه وبين التتار علىٰ عَيْن جالوتَ بعد أن آستوْلَوْا علىٰ جميع الشام فى رمضان ســنة ثمـان وخمسين وستمائة ، وكسرهم أشدّ كسرة وآستقلع الشام منهم ، وبقى حتّى قتل فى مُنصَرَفه بطريق الشام وهو عائد منه بالقرب من قصير الصالحية علىٰ أثر ذلك فى السنة المذكورة .

ثم ملك بعده الملك (الظاهر بيبرس) البُنْدقدارىّ فى ذى القعدة سنة ثمـان وخمسين وستمائة ، وأخذ فى جهاد الفرنج وآســتعادة ما آرتجعوه من فتوح السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب وغير ذلك ففتح البِيرةَ فى سنة تسع وخمسين وستمائة والكَرَك فى سنة إحدىٰ وستين ، وحِمْص فى آخر سنة آثنتين وستين وستمائة ، وقَيْسارِيَّةَ وأَرْسُوف فى سنة ثلاث وستين ، وصَــفَد فى سنة أربع وستين ، ويافا والشَّقِيف ، وأنْطاكِيَةَ فى سنة ست وستين ، وحِصْن الأكراد وعَكَّا وصافِيتَا فى سنة تسع وستين ، وكَسر التَّتارَ علىٰ البِيرة بعد أن عدّى الفُرات خوضا بعساكره فى سنة إحدىٰ وسبعين ؛ وفتح قلاعا من بلاد سيس فى سنة ثلاث وسبعين ، ودخل بلاد الروم ، وجاس علىٰ

(١) لعل مراده الأشرف مظفر الدين موسى بن الناصر شريك المعز فى السلطنة . وآنظر المقام فى خطط المقريزى (ج ٢ ص ٢٣٧) .

كرسى بنى سَلْجُوق بقَيْسارِيَّة الروم، ورجع إلىٰ دمشق فى آخر سنة خمس وسبعين. وتُوفِّى بدمشق فى المحرّم سنة ست وسبعين وستمائة، وبنىٰ مدرسته الظاهرية بين القَصْرين.

وملك بعده ٱبنُه (الملك السعيد بَرَكَةُ) فى صفر سنة ست وسبعين وستمائة، وخُلِع وسُيِّر إلىٰ الكرك.

وملك بعده أخوه (الملك العادل سلامش) فى ربيع الأوّل سنة ثمان وسبعين وستمائة، وبقى أربعة أشهر ثم خلع.

وملك بعده (الملك المنصور قلاوون الصالحىّ) الشهير بالألفىّ فى رجب سنة ثمان وسبعين وستمائة، وسمى الألفىّ لأن آقْسُنْقر الكاملىّ كان قد ٱشتراه بألف دينار، وفتح حصن المَرْقَب بالشأم فى تاسع عشر ربيع الأوّل سنة أربع وثمانين وستمائة، وفتح طَرَابُلُس فى ربيع الأوّل سنة ثمان وثمانين وستمائة، وهو الذى بنىٰ البيمارستان المنصوريَّ والمدرسةَ المنصوريةَ والقبةَ اللتين داخل البيمارستان بين القَصْرَيْن. وتُوفِّى بظاهر القاهرة المحروسة، وهو قاصد الغزو فى ذى القَعدة سنة تسع وثمانين وستمائة ودفن بتربته بالقبة المنصورية داخل البيمارستان المتقدّم ذكره.

وملك بعده ٱبنُه (الملك الأشرفُ خليلٌ) صبيحةَ وفاة أبيه وأخذ فى الغزو ففتح عَكَّا وصُور، وصَيْدا، وبَيْروت، وعَثْلِيث، والساحل جميعه، وٱقتلعه من الفرنج فى رجب سنة تسعين وستمائة. وقتل فى متصيَّده بالبحيرة فى العشر الأوسط من المحرّم سنة ثلاث وتسعين وستمائة، وهو الذى عَمَر المدرسة الأشرفية بالقرب من المشهد النفيسىّ.

ثم ملك بعده (الملك المعظم بيدرا) وخلع من يومه.

وملك بعده (الملك الناصر محمدُ بن قلاوون) فى صفر سنة ثلاث وتسعين وستمائة، وهى سلطنته الأولىٰ. وخُلع بعد ذلك وبعث به إلىٰ الكرك فحُبِس بها.

وملك بعده (الملك العادل كتبغا) عقب خلعه، ووقع فى أيامه غلاء شديد وفناء عظيم؛ ثم خلع فى صفر سنة ست وتسعين وستمائة، وتولى بعد ذلك نيابة صَرْخَد ثم حَمَاة، وبقى حتّى توفى بعد ذلك؛ وهو الذى ٱبتدأ عمارة المدرسة المعروفة بالناصرية بين القصرين وأكمل بناءها الناصرُ محمد بن قلاوون فنسبت إليه .

وملك بعده (الملك المنصور حسام الدين لاچين) فى الخامس والعشرين من صفر المذكور(١) فجدد الجامع الطُّولونىّ وعمل الروك الحُسَامىّ فى رجب الفرد سنة سبع وتسعين وستمائة، وقتل فى الحادى عشر من شوّال(٢) من السنة المذكورة، وبقى الأمر شُورىٰ مدّة يسيرة، ثم حضر الملك الناصر محمد بن قلاوون من الكرك وأعيد إلىٰ السلطنة فى حادى عشر شوّال من السنة المذكورة .

وملك بعده (الملك المظفر بِيبَرْسُ الجاشنكير) فى الثالث والعشرين من شوّال المذكور وخلع فى التاسع والعشرين من شهر رمضان سنة تسع وسبعمائة، وهو الذى عمر الخانقاه الرُّكْنِيَّة بيبرس داخل باب النصر مكان دار الوزارة بالدولة الفاطمية، وجدّد الجامع الحاكمى .

وملك بعده (الملك الناصر محمدُ بن قلاوون) فى مستهل شوّال من السنة المذكورة، وهى سلطنته الثالثة . وفيها طالت مدّته وقوى ملكه، وعمل الروك الناصرىّ فى سنة ست عشرة وسبعمائة، وبنىٰ مدرسته الناصرية بين القصرين، وبقى حتّى توفى فى العشرين من ذى الحجة سنة إحدىٰ وأربعين وسبعمائة، ودفن بتربة والده .

ثم ملك بعده ٱبنه الملك المنصورُ أبو بكر عقب وفاة والده، وخلع تاسع عشر صفر سنة ٱثنتين وأربعين وسبعمائة .

---

(١) أى سنة ست وتسعين وستمائة .

(٢) فى المقريزى "من ربيع الآخر سنة ثمان وتسعين وستمائة" وان تولية ٱبن قلاوون المرة الثانية فى السادس من جمادىٰ الأولىٰ من السنة المذكورة وبقى إلىٰ الثالث والعشرين من ذى الحجة سنة ثمان وسبعمائة ثم ولى المظفر فى التاريخ المذكور . [وبملاحظة ذلك يستقيم الكلام ويعلم ما فى الأصل] .

ثم ملك بعده أخوه (الملكُ الأشرفُ كجك) بن الناصر محمد بن قلاوون يوم خَلْعِ أخيه المنصور المذكور، وخلع فى التاسع والعشرين من شهر رجب من السنة المذكورة .

ثم ملك بعده أخوه (الملكُ الناصرُ أحمدُ) بن الناصر محمد بن قلاوون بعد أن أُحْضِر من الكرك، وآستمرّ فى السلطنة حتّى خلع نفسَه فى أوائل المحرّم سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة .

ثم ملك بعده أخوه (الملك الصالحُ إسماعيلُ) بن الناصر محمد بن قلاوون فى العشرين من المحرّم المذكور، وبقى حتّى توفى فى رابع ربيع الآخر سنة ست وأربعين وسبعمائة .

وملك بعده[(١)] أخوه (الملكُ المُظَفَّرُ حاجّى) بن الناصر محمد بن قلاوون يوم خَلْعِ أخيه الكامل شعبان ، وبقى حتّى خلع فى ثانى عشر رمضان سنة ثمان وأربعين وسبعمائة وقتل من يومه .

ثم ملك بعده أخوه (الملك الناصر حَسَنُ) بن الناصر محمد بن قلاوون فى رابع عشر شهر رمضان المذكور، وخلع فى التاسع والعشرين من جمادى الآخرة سنة آثنتين وخمسين وسبعمائة .

ثم ملك بعده أخوه (الملك الصالحُ صالحُ) بن الناصر محمد بن قلاوون يوم خَلْعِ أخيه الناصر حسن، وبقى حتّى خلع فى ثانى شوّال سنة خمس وخمسين وسبعمائة .

ثم ملك بعده أخوه (الملك الناصر حسن) المتقدّم ذكره مرة ثانية يوم خلع أخيه الصالح صالح ، وبقى حتّى خلع وقُتِل فى عاشر جمادى الأولى سنة آثنتين وستين وسبعمائة؛ وبنى مدرستَه المعظمةَ تحت القلعة التى ليس لها نظير فى الدنيا، وفى أيامه ضربت الفلوس الجُدُد على ما سيأتى ذكره، وهو آخر من ملك من أولاد الملك الناصر محمد بن قلاوون لصُلْبه .

(١) سقط من قلم الناسخ الكامل شعبان فانه تولّى بعد أخيه الصالح إسماعيل ومكث سنة واحدة وثمانية وخمسين يوما ثم خلع كما تشير اليه بقية العبارة .

وملك بعده ٱبن أخيه (الملكُ المنصورُ محمدُ) بن المظفر حاجّى بن الناصر محمد بن قلاوون يوم خَلْعِ عمه النـاصر حسن، وبقى حتّى خلع فى خامس عشر شـعبان سنة أربع وستين وسبعمائة .

وملك بعده ٱبن عمه (الملك الأشرف شعبان) بن حسين بن الناصر محمد بن قلاوون يوم خَلْعِ المنصور المتقدّم ذكره وهو طفل، وبقى حتّى كمل سلطانه وبنىٰ مدرسته بأعلىٰ الصوة تحت القلعة ولم يتمها، وحج فخرج عليه مماليكه فى عَقَبة أَيْلَةَ ففرّ منهم وعاد إلىٰ القاهرة فقُبِض عليه وقتل فى ثالث ذى القعدة الحرام سنة ثمـان وسبعين وسبعمائة، وفى أيامه فتحت مدينة سِيس وٱقتلُعت من الأرمن علىٰ ما سـيأتى ذكره فى الكلام علىٰ أعمال حَلَب .

وملك بعده ٱبنه (الملك المنصور علىٌّ) يوم خلع أبيه وهو طفل، فبقى حتّى توفى فى الثالث والعشرين من صفر سنة ثلاث وثمانين وسبعمائة .

وملك بعده أخوه (الملك الصالح حاجّى) بن شعبان بن حسين يوم وفاة أخيه، وبقى حتّى خُلِـعَ فى العشر الأوسط من رمضان سنة أربع وثمـانين وسبعمائة .

وملك بعده (الملك الظاهر برقوق) فعظُم أمره، وٱرتفع صِيتُه، وشاع ذكره فى الممالك وهابَتْه الملوك وهادَتْه، وساس المُلْكَ أحسن سياسة، وبقى حتّى خلع وبُعِثَ به إلىٰ السجن بالكرك فى شهر رجب أو جمادىٰ الآخرة سنة إحدىٰ وتسعين وسبعمائة .

وملك بعده (الملك المنصور حاجّى) بن شعبان، وهو الملقب أوّلا بالصالح حاجّى وهى سـلطنته الثانية، وبقى حتّى عاد الملك الظاهر برقوق المتقدّم ذكره فى سـنة [ٱثنتين] (١) وتسـعين وسبعمائة، فزاد فى التيه وضخامة الملك، وبلغ شأْوا لم يبلغه غيره من غالب متقدّمى الملوك، وبقى حتّى توفى فى منتصف شوّال المبارك سـنة إحدىٰ وثمـانمـائة .

---

(١) الزيادة عن المقريزى .

وملك بعده ٱبنه (الناصر فرج) وسِنُّهُ إحدىٰ عشرة سنة بعَهْدٍ من أبيه، وقام بتدبير أمره أمراءُ دولته، فبقى حتّٰى تغير عليه بعضُ مماليكه و بعضُ أمرائه، وحضر المماليك بالقلعة، فنزل منها مختفيا علىٰ حين غفلة فى السادس والعشرين من ربيع الأوّل سنة ثمان وثمانمائة، ولم يعلم لٱبتداء أمره أين توجه .

ثم ملك بعده أخوه (الملك المنصور عبد العزيز) فى التاريخ المذكور .

ثم ظهر أن السلطان الملك الناصر فرجا كان مختفيا فى بعض أماكن القاهرة، فركب فى ليلة السادس من شهر جمادىٰ الآخرة سنة ثمان وثمانمائة، ومعه جماعة من الأمراء ومماليكه ، وخرج الأمراء للقيام بنُصْرة أخيه عبد العزيز فطلع عليهم السلطان فرجٌ، ومَنْ معه فولَّوْا هاربين، وطلع السلطان الملك الناصر القلعةَ فى صبيحة النهار المذكور وٱستقرّ علىٰ عادته، وبقى فى السلطنة حتّٰى توجه إلىٰ الشأم لقتال الأمير شيخ والأمير نوروز نائبى دِمَشْقَ وحَلَبَ، ومعه الإمام (المستعينُ بالله أبو الفضل العباسُ) بنُ المتوكل محمد خليفة العصر، ودخل دِمَشْقَ وحُصِرَ بقلعتها حتّٰى قبض عليه فى ثانى عشر ربيع الأوّل سنة خمس عشرة وثمانمائة ، وٱستبدّ الإمام المستعينُ بالله بالأمر من غير سلطان، ورجع إليه ما كان يتعاطاه السلطان من العَلَامة علىٰ المكاتبات والتقاليد والتواقيع والمناشير وغيرها، وأفرد ٱسمه فى السكة علىٰ الدنانير والدراهم، وأفرد بالدعاء فى الخطبة علىٰ المنابر، ثم عاد إلىٰ الديار المصرية فى أوائل ربيع الآخر من السنة المذكورة ، وسكن الآدُرَ السلطانيةَ بالقلعة، وقام بتدبير دولته الأميرُ شيخ المقدّم ذكره وسكن الإصطبلات السلطانية بالقلعة وفوّض إليه الإمام المستعين بالله ماوراء سرير الخلافة، وكتب له تفويض بذلك فى قِطْع كبير، عرضُه ذراع ونصف بزيادة نصف ذراع عما يُكْتب به للسلاطين . إلا أنه لم يصرح له فيه بسلطنة ولا إمارة، بل كتب له بدل الأميرى الآمرى بإسقاط الياء علىٰ ما سيأتى ذكره فى الكلام علىٰ عهود الملوك إن شاء الله تعالىٰ .

الفصل الرابع

من الباب الثالث من المقالة الثانية

(فى ذكر ترتيب أحوال الديار المصرية، وفيه ثلاثة أطراف)

الطرف الأوّل

(فى ذكر معاملاتها ، وفيه ثلاثة أركان)

الركن الأوّل

(الأثمـان، وهى علىٰ ثلاثة أنواع)

النوع الأوّل

(الدنانير المسكوكة ممـا يضرب بالديار المصرية، أو يأتى إليها من المسكوك فى غيرها من الممـالك ، وهى ضربان)

الضرب الأوّل

(مايتعامل به وزنا كالذهب المصرىّ ومافى معناه)

والعبرة فى وزنها بالمثاقيل ، وضابطها أن كلَّ سبعة مثاقيلَ زنتُها عشرة دراهم من الدراهم الآتى ذكرها، والمثقال معتبر بأربعة وعشرين قيراطا، وقدّر بِثْنتين وسبعين حبةَ شعير من الشعير الوَسَط بٱتفاق العلماء، خلافا لٱبن حزم فإنه قدّره بأربع وثمانين حبةً، علىٰ أن المثقال لم يتغير وزنه فى جاهلية ولا إسلام .

قلت : وقد كان الأمير صـلاح الدين بن عرام فى الدولة الأشرفيـة شعبان بن حسين بعد السبعين والسبعمائة ضرب بالإسْكَنْدَرِيَّةِ ، وهو نائب السلطنة بها يومئذ، دنانيرَ زِنَةُ كل دينار منها مثقالٌ، علىٰ أحد الوجهين منه "محمد رسول الله" وعلىٰ الوجه الآخر "ضرب بالإسْكَنْدَرِيَّةِ فى الدولة الأشرفية شعبان بن حسين عز نَصْرُه"، ثم أمسك

عن ذلك فلم تكثر هـذه الدنانير ولم تشتهر؛ ثم ضرب الأمير يلبغا السالمىّ أستادار العالية فى الدولة الناصرية فرج بن برقوق دنانيرَ زنة كل واحد منها مثقال، فى وسط سكته دائرةٌ فيها مكتوب "فرج" وربما كان منها مازنته مثقال ونصف أو مثقالان، وربما كان نصف مثقال أو ربع مثقال . إلا أن الغالب فيها نقص أوزانها، وكأنهم جعلوا نقصها فى نظير كُلْفة ضَرْبها .

الضرب الثـانى
(ما يتعامـل به مُعَـادَّة)

وهى دنانير يؤتىٰ بها من بلاد الإفرنجة والروم ، معلومةُ الأوزان، كلُّ دينار منها معتبر بتسعةَ عشرَ قيراطا ونصفِ قيراط من المصرىّ، وٱعتباره بِصَنج الفِضّة المصرية كل دينار زنة درهم وحبتى خَرُّوبٍ يَرْجَحُ قليلا ،وهذه الدنانير مُشَخَّصة علىٰ أحد وجهيها صورةُ الملك الذى تُضْرَب فى زمنه ، وعلىٰ الوجه الآخر صورتا بطرُس وبولس الحوارِيَّينِ اللذين بعث بهما المسيح عليه السلام إلىٰ رُومِيَةَ ، ويعبر عنها بالإفْرنْتيةِ جمع إفِرنْتىٍّ ، وأصله إفِرنسىّ بسين مهملة بدل التاء المثناة فوق نسبة إلىٰ إفرنسة : مدينة من مُدُنهم ، وربمـا قيل فيها إفرنجة ، وإليها تنسب طائفة الفِرنْج ، وهى مقرّة الفرنسيس مَلِكهم، ويعبر عنه[(١)] أيضا بالدوكات . وهذا الآسم فى الحقيقة لايطلق عليه إلا إذا كان ضرب البُنْدُقِيَّة من الفرنجة، وذلك أن الملك آسمه عندهم دوك، وكأن الألفَ والتاء فى الآخر قائمـان مقام ياء النسب .

قلت : ثم ضرب النـاصر فرج بن بَرْقوق دنانيرَ علىٰ زنة الدنانير الإفرنتيـة المتقدّمة الذكر ؛ فى أحد الوجهين "لاإله إلا الله محمد رسول الله" وفى الآخر آسم السلطان، وفى وسطه سَفَطٌ مستطيل بين خطين ،وعرفت بالناصرية وكثر وُجْدَانُها،

(١) أى عن الدينار من تلك الدنانير .

وصار بها أكثر المعاملات . إلا أنهم يَنْقُصـونها فى الأثمـان عن الدنانير الإفرنتيـة عشرةَ دراهم .

ثم ضَرَب علىٰ نظيرها "الإمام المستعينُ بالله أبو الفضـل العباس"(١) حين آستبدّ بالأمر بعد الناصر فرج، ولم يتغير فيها غير السّكةِ، باعتبار آنتقالها من آسم السلطان إلىٰ آسم أمير المؤمنين .

ثم صَرْفُ الذهب بالديار المِصْرية لا يثبت علىٰ حالة بل يعلو تارة ويَهْبِط أخرىٰ بحسب ماتقتضـيه الحال، وغالب ما كان عليه صرف الدينـار المصرى" فيما أدركناه فى التسعين والسبعمائة وماحولها عشرون درهما، والإفرنتىّ سبعةَ عشرَ درهما وماقارب ذلك أما الآن فقد زاد وخرج عن الحدّ خصوصا فى سنة ثلاث عشرة وثمانمـائة، وإن كان فى الدولة الظاهرية بيبرس قد بلغ المصرىُّ ثمـانية وعشرين درهما ونصفا فيما رأيته فى بعض التواريخ .

أما الدينار الجَيْشىّ، فمسمًّى لاحقيقة، وإنمـا يستعمله أهل ديوان الجَيْش فى عبرة الإقطاعات بأن يجعلوا لكل إقطاع عبرةَ دنانير معينة من قليل أوكثير، وربما أخليت بعض الإقطاعات من العِـبْرة . علىٰ أنه لا طائل تحتها ولا فائدة فى تعيينها، فربمـا كان متحَصِّـل مائة دينار فى إقطاع أكثرَ من متحصِّـل مائتى دينار فأكثر فى إقطاع آخر . علىٰ أن صاحب "قوانين الدواوين" قد ذكر الدينـار الجيشىّ فى الإقطاعات علىٰ طبقات مختلفة فى عبرة الإقطاعات، فالأجناد من التُّرك والأكراد والتركمان دينارهم دينارٌ كامل، والكنانية والعَسَاقلة ومن يجرى مجراهم دينارُهم نصف دينار، والعُرْبان فى الغالب دينارهم ثُمُنُ دينار، وفى عُرْف الناس ثلاثة عشر درهما وثلث، وكأنه علىٰ ما كان عليه الحال من قيمة الذهب عند ترتيب الجيش فى الزمن

(١) كذا فى "حياة الحيوان" أيضا وفى "مروج الذهب" أبو العباس كما سبق للؤلف فى الخلفاء العباسيين.

القديم، فإن صرفَ الذهب فى الزمن الأوّل كان قريبا من هذا المعنىٰ، ولذلك جعلت الدية عند مَنْ قدّرها بالنَّقْد من الفقهاء ألفَ دينار وٱثنى عشر ألف درهم ، فيكون عن كل دينار ٱثنا عشر درهما، وهو صرفه يومئذ .

النوع الثانى
(الدراهم النُّقْرة)

وأصل موضوعها أن يكون ثُلُثاها من فضة وثلثها من نحاس، وتُطْبع بدور الضرب بالسِّكة السلطانية علىٰ نحو ما تقدّم فى الدنانير، ويكون منها دراهمُ صِحاحٌ وقُراضات مكسرة علىٰ ما سيأتى ذكره فى الكلام علىٰ دار الضرب فيما بعدُ إن شاء الله تعالىٰ .

والعبرة فى وزنها بالدرهم، وهو معتبر بأربعة وعشرين قيراطا، وقُدّر بستَّ عشرةَ حبةً من حب الخرّوب، فتكون كل خَرُّوبتَيْنِ ثُمُنَ درهم، وهى أربع حبات من حب البُرّ المعتدل، والدرهم من الدينار نصفه وخمسه، وإن شئت قلت سبعة أعشاره فيكون كل سبعة مثاقيل عشرة دراهم .

أما الدراهم السَّوْداء، فأسماءٌ علىٰ غير مسمَّيات كالدنانير الجَيْشية، وكل درهم منها معتبر فى العرف بثلث درهم نُقْرة، وبالإسكندرية دراهم سوداء يأتى الكلام عليها فى معاملة الإسْكَنْدَريَّة إن شاء الله تعالىٰ .

النوع الثالث
(الفُلُوس، وهى صنفان : مطبوع بالسكة، وغير مطبوع)

فأما المطبوع فكان فى الزمن الأوّل إلىٰ أواخر الدولة الناصرية حسن بن محمد ٱبن قلاوون فلوس لِطَاف، يعتبر كل ثمانية وأربعين فَلْسًا منها بدرهم من النُّقْرة علىٰ ٱختلاف السكة فيها، ثم أُحْدِث فى سنة تسع وخمسين وسبعمائة فى سلطنة حسن أيضا

فلوس شهرت بالجُدُد جمع جَدِيد، زِنَةُ كل فَلْسٍ منها مثقالٌ، وكل فلس منها قيراطٌ من الدرهم ، مطبوعةٌ بالسكة السلطانية علىٰ ما سيأتى ذكره فى الكلام علىٰ دار الضرب إن شاء الله تعالىٰ، فجـاءت فى نهاية الحُسْن ، وبطل ما عداها من الفُلُوس ، وهى أكثر ما يَتَعامل به أهـلُ زماننا . إلا أنها فسد قانونهـا فى تنقيصها فى الوزن عن المثقال حتّٰى صار فيهـا ما هو دون الدرهم ، وصار تكوينها غير مسـتدير ، وكانت توزن بالقَبَّان كلُّ مائة وثمـانية عشر رطلا بالمصرىّ بمبلغ خَمْسِمائة درهم ، ثم أَخَذت فى التناقص لصـغر الفلوس ونقص أوزانهـا حتّٰى صار كل مائة وأحد عشر رطلا بمبلغ خمسمائة . قلت : ثم آستقرّ الحـال فيها[1] علىٰ أنه لو جعل كل أوقية فمـا دونها بدرهم ، لكان حسنا باعتبار غلوّ النُّحاس وقلة الواصل منه إلىٰ الديار المصرية ، وحَمْل التجار الفلوسَ المضروبةَ من الديار المصرية إلىٰ الحجـاز واليمن وغيرهمـا من الأقاليم متجرا ، ويوشـك إن دام هـذا أن تَنْفَد الفلوسُ من الديار المصرية ، ولا يوجد ما يتعامل به الناس .

وأما غير المطبوعة فنُحَاسٌ مكسر من الأحمر والأصفر ، ويعبر عنها بالعتق ، وكانت فى الزمن الأوّل كل زِنَة رطل منها بالمصرىّ بدرهمين من النُّقْرة ، فلمـا عُمِلت الفلوس الجُدُد المتقدّمة الذكر ، آسـتقرّ كل رِطل منهـا بدرهم ونصف ، وهى علىٰ ذلك إلىٰ الآن .

قلت : ثم نَفِدت هـذه الفلوس من الديار المصرية لغلوّ النحاس ، وصار مهـما وجد من النحاس المكسور خلط بالفلوس الجُدُد وراج معها علىٰ مثل وزنها .

---

(١) لعل الأوضح ثم آستقر الحال فيها علىٰ ذلك علىٰ أنه الخ تأمل .

الركن الثانى

(فى المُثْمَنات ، وهى علىٰ ثلاثة أنواع)

النـــوع الأوّل

(المـــوزونات)

ورطلها الذى يعتبر بوزنه فى حاضرتها من القاهرة والفُسْطاط وما قاربهما الرطلُ المصرىّ، وهو مائة وأربعة وأربعون درهما، وأُوقيته آثنا عشر درهما، وعنه يتفرّع القِنْطَارُ المصرىّ ، وهو مائة رطل ؛ وتعتــبر أوزان الطيب بها بالمنّ ، وهو مائتان وستون درهما، وأواقيُّه ست وعشرون أوقيَّة، فتكون أوقيته عشرةَ دراهم .

النـــوع الثانى

(المَكِيلات من الحبوب ونحوها)

وآعلم أن بمصر أقداحا مختلفةَ المقادير أيضا كالأرطال بحسبه[1] ، ولكل ناحية منها قَدَحٌ مخصوص بحسب إرْدَبِّها،والمستعمل منها بالحاضرة القَدَحُ المصرىُّ،وهو قَدَحٌ صغير تقديره بالوزن من الحَبِّ المعتدل مائتان وآثنان وثلاثون درهما، وقدّره الشيخ تقىّ الدين بن رزين فى الكلام علىٰ صــاع الفِطْرَة باثنين وثلاثين ألفَ حبة وسبعمائة وآثنتين وستين حبة ، وكل ستةَ عشرَ قدحا تسمّى وَيْبة ، وكل ستة وتسعين قدحا تسمّى إردباًّ،وبنواحيها بالوجهين القبلىّ والبحرىّ أرادبُّ متفاوتة يبلغ مقدار الإردبِّ فى بعضها إحدىٰ عشرةَ ويبة بالمِصرىِّ فأكثر.

---

(١) لعله بحسب اردبّها . أو هى زائدة من قلم الناسخ .

النـــوع الثـالث

(المَقِيسات، وهى الأراضى والأقمشة)

فأما الأراضى فصنفان :

الصـــنف الأوّل

(أرض الزراعة)

وقد ٱصطلح أهلُها علىٰ قياسها بقَصَبة تعرف بالحاكمية، كأنها حُرِّرت فى زمن الحاكم بأمر الله الفاطمىّ فنسبتْ إليه، وطولها ستة أذرع بالهاشمىّ كما ذكره أبو القاسم الزجاجىّ فى "شرح مقدّمة أدب الكاتب" وخمسة أذرع بالنجارى كما ذكره ٱبن مماتى فى "قوانين الدواوين" وثمانية أذرع بذراع اليد كما ذكره غيرهما؛ وذراع اليد ست قَبَضات بقبضة إنسان معتدل، كلُّ قبضة أربعة أصابع بالخِنصر والبِنْصِر والوُسطىٰ والسَّبَّابة، كل إصبع ست شعيرات معترضات ظهراً لبطن علىٰ ما تقدّم فى الكلام علىٰ الأميال . وقد تقدّر القصبة بباعين من رجل معتدل؛ وربما وقع القياس فى بعض بلاد الوجه البحرىّ منها بقصبة تعرف بالسَّنْدَفاوِيّة أطول من الحاكمية بقليل، نسبة إلىٰ بلد تسمّى سَنْدَفَا بالقرب من مدينة المَحَلة، ثم كل أربعمائة قصبة فى التكسير يعبر عنها بفَدّان، وهو أربعة وعشرون قيراطا كل قيراط ستَّ عشرةَ قصبة فى التكسير .

الصـــنف الثـانى

(أرض البُنْيان من الدُّور وغيرها)

وقد ٱصطلحوا علىٰ قياسها بذراع يعرف بذراع العمل طوله ثلاثةُ أشبار بشبر رجل معتدل، ولعله الذراع الذى كان يقاس به أرض السَّواد بالعراق، فقد ذكر الزجاجىّ

أنه ذراع وثلث بذراع اليد، وكان ٱبتداء وضع الذراع لقياس الأرَضين أن زياد ٱبن أبيه حين ولّاه معاويةُ العراقَ وأراد قياس السَّواد، جمع ثلاثة رجال: رَجُلا من طوال القوم ورجلا من قصارهم ورجلا متوسطا بين ذلك، وأخذ طُول ذراع كل منهم، فجمع ذلك وأخذ ثلثه، فجعله ذراعا لقياس الأرضين، وهو المعروف بالذراع الزِّيَادىّ لوقوع تقديره بأمر زِياد، ولم يزل ذلك حتّى صارت الخلافة لبنى العباس فٱتخذوا ذراعا مخالفا لذلك كأنه أطول منه، فسمِّى بالهاشمىّ لوقوعه فى خلافة بنى العباس، ضرورةَ كونهم من بنى هاشم.

وأما الأقمشة، فإنها تقاس بالقاهرة بذراع طوله ذراع بذراع اليد وأربع أصابع مطبوقة، ويزيد عليه ذراع القماش بالفُسْطَاطِ بعضَ الشيء، وربما زاد فى بعض نواحى الديار المصرية أيضا نحو ذلك. ولغير القماش من الأصناف أيضا كالحصر وغيرها ذراع يخصه.

الركن الثالث

(فى الأسعار)

وقد ذكر المَقَرُّ الشهابىّ بن فضل الله فى "مسالك الأبصار" جملة من الأسعار فى زمانه فقال: وأوسط أسعارها فى غالب الأوقات أن يكون الإردبُّ القمح بخمسة عشر درهما، والشعير بسعره(١)، وبقية الحبوب على هذا الأنموذج؛ والأرز يبلغ فوق ذلك؛ واللحم أقل سعره الرِّطْلُ بنصف درهم، وفى الغالب أكثر من ذلك؛ والدَّجَاج يختلف سعره بحسب حاله، فجيِّدُه الطائر منه بدرهمين إلى ثلاثة، والدُّونُ منه بدرهم واحد؛ والسُّكَّر الرطل بدرهم ونصف، وربما زاد، والمكَرَّر منه بدرهمين ونصف.

(١) لعله بعشرة.

قلت : وهذه الأسعار التي ذكرها قد أدركنا غالبها، و بقيت إلىٰ ما بعد الثمانين والسبعمائة فغلت الأسعار وتزايدت فى كل صنف من ذلك وغيره، وصار المثل إلىٰ ثلاثة أمثاله وأربعة أمثاله ، فلا حول ولا قوة إلا بالله ذى المنن الجسيمة القادر علىٰ إعادة ذلك علىٰ ما كان عليه أو دونه ﴿ وَهُوَ الَّذِى يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِن بَعْدِ مَا قَنَطُوا ﴾ .

الطرف الثانى

(فى ذكر جسورها الحابسة لمياه النيل علىٰ أرض بلادها إلىٰ حين آستحقاق الزِّراعة، وأصناف أرضها، وما يختص بكل صنف من أرضها من الأسماء الدائرة بين كُتَّابها، ومزارعها، وبيان أصناف مزدرعاتها وأحوال زَرْعها)

فأما جسورها، فعلىٰ صنفين :

الصنف الأول

(الجســـور الســلطانية)

وهى الجسور العامَّة الجامعة للبلاد الكثيرة التى تُعْمَر فى كل سنة من الديوان السلطانى بالوجهين : القبلىّ والبحرىّ، ولها جراريف ومحاريثُ وأبقار مرتَّبة علىٰ غالب البُلْدان بكل عمل من أعمالها . وقد جرت العادة أن يجهَّز لكل عمل فى كل سنة أمير بسبب عمارة جسوره ، ويعبر عنه بكاشف الجسور بالعمل الفلانىّ، ويعرّف بذلك فى تعريف مكاتبته عن الأبواب الشريفة، وربما أضيف كَشْفُ جسور عَمَلٍ من الأعمال إلىٰ مُتَوَلِّى حربه، ويقال فى تعريفه : وَالِى فلانة وكاشف الجسور بها، إذا كانت المكاتبة بسبب شىء يتعلق بالجسور ؛ ولهذه الجسور كاتبٌ منفرد بها مقرّر فى ديوانه ما علىٰ كل بلد من الجراريف والأبقار ، وتكتب التذاكير

السلطانية لكاشف كل عمل فى الورق الشامىّ المربَّع ، ويشملها العلامة الشريفة السلطانية بالآسم الشريف ، وللجسور خَوَلَةٌ ومهندسون لكل عمل يقومون فى خدمة الكاشف فى عمارة الجسور إلىٰ أن تنتهىَ عمارتُها .

الصنف الثانى

(الجسور البلدية)

وهى الخاصة ببلد دون بلد ، ويتولّى عمارتها المُقْطَعون بالبلاد : من الأمراء والأجناد وغيرهم ، من أموال البلاد الجارية فى إقطاعهم ؛ ولها ضرائب مقرّرة فى كل سنة .

قال آبن مماتى فى "قوانين الدواوين" : والفرق بين السلطانية والبلدية أن السلطانية جارية مجرىٰ سُور المدينة الذى يجب علىٰ السلطان الآهتمامُ بعمارته والنظرُ فى مصلحته وكفايةُ العامة أمر الفكرة فيه ، والبلدية جارية مجرىٰ الآدُرِ والمساكن التى داخلَ السور ، كلُّ صاحب دار منها ينظر فى مصلحتها ويلتزم تدبير أمره فيها . قال : وقد جرتْ عادة الديوان أن المُقْطَع المنفصل إذا أنفق شيئا من إقطاعه فى إقامة جسر لعمارة السنة التى آنتقل الخير عنه لها ، آستعيد له نظير مُنْفَقه من المُقْطَع الثانى ؛ وكذلك كل ما أنفقه من مال سنته فى عمارة سنة غيره كان له آستعادة نظيره .

قلت : وقد أهمل الآهتمام بأمر الجسور فى زماننا ، وتُرِك عمارة أكثر الجسور البلدية ، وآقتصر فى عمارة الجسور السلطانية علىٰ الشىء اليسير الذى لا يحصل به كبير نفع ، ولولا ما منّ الله تعالىٰ به علىٰ العباد من كثير الزيادة فى النيل من حيث إنه صار يجاوز تسعة عشر ذراعا فما فوقها إلىٰ ما جاوز العشرين ، لفات رىّ أكثر

البلاد وتعطلت زراعتهـا ﴿ فَضْلًا مِنَ اللهِ ونِعْمَةً ﴾ وإلا فقد كان النيل فى الغالب يقف على سبع عشرة ذراعا فما حولهـا، بل قد تقدّم من كلام المسعودى أنه إذا جاء النيل ثمـانى عشرة ذراعا، آستبحر من أراضيها الثلثُ .

❖

وأما أنواع أرضها وما يختص بكل نوع من الأسمـاء، فإنها تختلف بآختـلاف الزراعة وعدمها، وبسبب ذلك تتفاوت الرَّغْبة فيها وتختلف قيمتها بآختلاف قيمة ما يُزْرَع فيها، وقد عدّ منها آبن ممـاتى ثلاثة عشر نوعا :

النوع الأوّل — البـاق : قال آبن مماتى : وهو أثر القُرْطِ والقَطَانِى والمقاثئ . قال : وهو خير الأرَضِين وأغلاها قيمة وأوفاها سعرا وقطيعة، لأنهـا تصلح لزراعة القمح والكَتَّانِ .

قلت : والمعروف فى زماننا أن الباق أثر القُرْطِ والفُول خاصة . أما المقاثئ فإن أثرها يسمّى البَرْش، وسيأتى ذكره فيما بعد .

النوع الثانى — رىّ الشَّراقى : قال آبن ممـاتى : وهو يتبع الباقَ فى الجَوْدَةِ، ويُلْحَقُ به فى القطيعة : لأن الأرض قد ظَمِئت فى السنة الماضية وآشتدّت حاجتها إلى المـاء . فلمـا رَوِيت حصل لهـا من الرىّ بمقدار ما حصل لهـا من الظمإ، وكانت أيضا مستريحة فزرعها يُنْجِبُ .

النوع الثالث — البرو بيـة، وأهل زماننا يقولون البرايب : قال آبن ممـاتى : وهو أثر القمح والشعير، قال : وهو دون الباق لأن الأرض تضعُف بزراعة هذين الصِّـنْفين . فمتى زرع أحدهمـا على الآخر لم تنجب كنجابة الباقِ وسعرُها دون سعره، ويجب أن تزرع قُرْطًا وقَطَانِيَ ومقاثئَ لتســتريح الأرض وتصــير باقا فى الســنة الآتية .

النوع الرابع ــ البُقْماهة ، بضم الباء الموحدة وسكون القاف ــ وهو أثر الكَتّان . قال ٱبن مماتى : ومتىٰ زُرِع فيـه القمح لم يُنْجِبْ ، وجاء رقيق الحب أسود اللون .

النوع الخامس ــ الشتونية ، وأهل زماننا يقولون الشـتانى : وهو أثرما رَوِى وبار فى السنة المـاضية . قال ٱبن ممـاتى : وقطيعته دون قطيعة الشراقىّ .

النوع السادس ــ شـق شمس ، قال ٱبن ممـاتى : وهو عبارة عما رَوِى وبار فحُرِث وعُطِّـل ، وهو يجرى مجرىٰ الباق ورىّ الشراقى ، ويجىء ناجب الزرع .

النوع السـابع ــ البرش النقاء ، قال : وهو عبارة عن كل أرض خلَتْ من أثر ما زرع فيها للسنة الماضية ، لا شاغل لها عن قبول ما نوعُه من أصناف المزدرعات .

النوع الثـامن ــ الوسخ المزدرع ، قال : وهو عبارة عن كل أرض لم يستحكم وسخها ، ولم يَقْدِرِ المزارعون علىٰ ٱسـتكمال إزالته منها فحرثوها وزرعوها وطلع زرعها مختلطا بوَسَخها .

النوع التاسع ــ الوسخ الغالب : وهو عبارة عن كل أرض حصل فيها من النبات الذى شَغَلها عن قبول الزراعة ما غلب المزارعين عليها ، ومنعهم بكثرته عن الزراعة فيها ، وهى تباع مراعِىَ للبهائم .

النوع العاشر ــ الخرس : وهو عبارة عن فساد الأرض بمـا ٱستحكم فيها من موانع قبول الزرع ، وهو أشدّ من الوسخ الغالب فى التنقية والإصلاح ، وهى مرعىٰ الدوابّ .

النوع الحادى عشر ــ الشراقى : وهو عبارة عمـا لم يصل إليه المـاء لقُصُور النيل وعلوّ الأرض ، أو سدّ طريق المـاء عنه .

النوع الثانى عشر ـ المستبْحِر : وهو عبارة عن أرض واطئة إذا حصل المـاء فيها لا يجد مصرفا له عنها فيمضى زمن المزارعة قبـل زواله بالنُّضُوب . قال آبن ممـاتى : وربمـا آنتفع به من آزدرع الأرض بالآســتقاء منه بالسواقى لمـا زرعه فى العُلُوّ .

النوع الثـالث عشر ـ السـباخ : وهو أرض غلب عليها المِلْح فَمَلَحَت حتّى لم يُنْتَفَع بها فى زراعة الحبوب ، وهى أردْىٰ الأرضين . قال آبن ممـاتى : وربمـا زرع فيها لم يســتحكم منها الهِلْيَوْنُ والباذِنْجَانُ ، وربمـا قطع منها ما يسبخ به الكَتَّانُ ، ويزرع فيها القصب الفارسىّ فَيَنْجُبُ .

الطرف الثـالث

(فى وجوه أموالها الدِّيوانية ، وهى علىٰ ضربين : شرعىّ وغير شرعىّ)

الضرب الأوّل الشرعىّ ،

(وهو علىٰ سبعة أنواع)

النـــــــوع الأوّل

(المال الخَرَاجىّ : وهو ما يؤخذ عن أجرة الأرضين ؛ وله حالان)

الحال الأوّل ـ ما كان عليــه الأمر فى الزمن المتقدّم ، وقد أورد آبن ممـاتى فى " قوانين الدواوين " ما يقتضى أنه كان علىٰ كلِّ صِنْفٍ من أصناف المزدرعات قطيعة مقرّرة فى الديوان السلطانىّ لا يختلف أمرها : فذكر أن قطيعة القمح كانت إلىٰ آخر سنة سبع وستين وخمسمائة عن كل فَدَّانٍ ثلاثةُ أرادبَّ ، ثم إنه تقرّر عند المساحة فى ســنة آثنتين وسبعين وخمسمائة إردبان ونصف إردب . ثم قال : ومن

ذلك ما يباع بعين، ومنه ما يُزْرَع مُشاطرة . قال : وقطيعة الشَّعير كذلك، وقطيعة الفُول عن كل فدّان من ثلاثة أرادبَّ إلىٰ إردبين ونصف، وقطيعة الجُلْبَان والحِمَّص والعَدَس عن كل فدّان إردبان ونصف، وقطيعة الكَتَّان تختلف باختلاف البلاد. ثم قال : وهى علىٰ آخر ما تقرّر فى الديوان عن كل فدّان ثلاثةُ دنانير إلىٰ مادونها، وقطيعة القُرْط بالديوان عن كل فدّان دينار واحد، وفيما بين الناس مختلف، وقطيعة الثُّومِ والبَصَل عن كل فدّان ديناران، وقطيعة التُّرمُس عن كل فدّان دينار واحد وربع، وقطيعة الكَمُّونِ والكراويا والسَّلْجَم الصيفىّ عن كل فدّان دينارٌ واحد . قال : وكان قبل ذلك دينارين، وقطيعة البِطِّيخ الأخضر والأصفرِ ، واللُّوبِياءِ عن كل فدّان ثلاثة دنانير، وقطيعة السِّمْسِمِ عن كل فدّان دينار واحد، وقطيعة القُطْنِ كذلك، وقطيعة قَصَبِ السُّكَّر عن كل فدّان إن كان رأسا خمسةُ دنانير، وإن كان خلْفَةً ديناران وخمسة قراريطَ، وقطيعة القُلْقَاسِ عن كل فدّان ثلاثة دنانير، وقطيعة النِّيلة عن كل فدّان ثلاثة دنانير، وقطيعة الفُجْلِ عن كل فدّان دينار واحد، وقطيعة اللِّفْتِ كذلك، وقطيعة الخَسّ عن كل فدّان ديناران، وقطيعة الكُرُنْب كذلك . قال : والقطيعة المستقرّة عن خراج الشَّجَر والكَرْمِ تختلف باختلاف سنينه . ثم قال : وهو يدرك فى السنة الرابعة ويترتب علىٰ كل فدّان ثلاثة دنانير، وقطيعة القَصَبِ الفارسىّ عن كل فدّان ثلاثة دنانير .

الحال الثانى — ما الأمر عليه فى زماننا، والحال فيه مختلف باختلاف البلاد .

فالوجه القبلىّ الذى هو الصعيد أكثر خراجه غلالٌ من قمح وشعير وحِمَّص وفول وعَدَسٍ وبسلة وجُلُبَانٍ، ويعبَّر فى عرف الدواوين عما عدا القمح والشعير والحِمَّص بالحبوب، ثم الغالب أن يؤخذ عن خراج كل فدّان من الأصناف المذكورة ما بين إردبين إلىٰ ثلاثة بكيل تلك الناحية، وربما زاد أو نقص عن ذلك، وفى الغالب

يؤخذ مع كل إردب درهم أو درهمـان أو ثلاثة، ونحو ذلك بحسب قطائع البـلاد وضرائبها فى الزيادة والنقص فى الأرادب والدراهم ؛ وربمـا كان الخَرَاج فى بعض هـذه البلاد دراهم؛ وما بار من أرض كل بلد يباع ما نبت فيه من المرعىٰ مناجزة، وربمـا أخذ فيه العِدَادُ (١) علىٰ حسب عرف البلاد .

والوجه البحرىّ غالب خراج بلاده دراهمُ، وليس فيه ماخراج بلاده غلّةٌ إلا القليل علىٰ العكس من الوجه القبلىّ .

ثم الذى كان عليه الحال إلىٰ نحو التسعين والسبعمائة فى غالب البـلاد أن يؤجر أثر الباقِ كلُّ فدّان بأربعين درهما فمـا حولهـا، والبَرَايب كلُّ فدّان بثـلاثين درهما فمـا حولهـا، ثم غلا السعرُ بعـد ذلك حتّىٰ جاوز الباقُ المـائةَ والبرايبُ الثمـانين، وبلغ البَرْشُ نحو المائتين، وذلك عند غلوّ الغلال وٱرتفاع سعرها .

قلت : ثم تزايد الحال فى ذلك بعـد الثمانمـائة إلىٰ ما بعـد العشر والثمانمائة حتّىٰ صار يؤخَذُ فى الباق عن كل فدّان نحو الأربعمائة درهم، وربمـا زادت الأرض الطيبة حتّىٰ بلغت ستمائة درهم (٢)،وفى البرايب ونحوه دون ذلك بالنسبة؛ثم إنه إذا كان المقرّر فى خراج بلد من بلاد الديار المصرية غلالا وأعوز صـنفٌ من الأصناف أن يؤخذ البدل عنها من صنف آخر من الغَلّة .

وقد ذكر فى "قوانين الدواوين" أن قاعدة البدل أن يؤخذ عن القمح بدل كل إردب، من الشعير إردبان، ومن الفول إردب واحد ونصف، ومن الحِمّص إردب، ومن الجُلْبَان إردبٌ ونصف، والشعير يؤخذ عن كل إردب منه نصف إردب من

---

(١) مراده بالعداد المواشى الراعية : من الابل والبقر والغنم .

(٢) فى التركيب ركاكة والمعنىٰ مفهوم .

القمح أو ثلثا إردب من الفول أو نصف إردب من الحِمَّص أو ثلثا إردب من الجُلْبَان[1] ؛ وفى الفول يؤخذ عن كل إردب منه ثلث إردب من القمح أو نصف إردب من الشعير أو ثلث إردب من الحِمَّص أو إردب من الجُلْبَان ؛ وفى الحِمَّص يؤخذ عن كل إردب منه إردب من القمح أو إردبان من الشعير أو إردب ونصف من الفول أو إردب ونصف من الجُلْبَان ؛ وفى الجُلْبَان يؤخذ عن كل إردب منه ثلث إردب من القمح أو إردب ونصف من الشعير أو إردب من الفول أو ثلث إردب من الحِمَّص . ثم قال : والسِّمْسِمُ والسَّلْجَمُ والكَتَّانُ ما رأيت لها بدلا ، والاحتياط فى جميع ذلك الرجوع إلىٰ سعره الحاضر، فإنه أسلم طريقةً وأحسن عاقبةً .

وآعلم أن بلاد الديار المصرية بالوجهين : القبلىّ والبحرىّ بجملتها جارية فى الدواوين السلطانية وإقطاعات الأمراء وغيرهم من سائر الجند إلا النزرَ اليسيرَ مما يجرى فى وقف مَنْ سلف من ملوك الديار المصرية ونحوهم علىٰ الجوامع والمدارس والخوانق ونحوها مما لا يُعتدّ به لقلته .

والجارى فى الدواوين علىٰ ضربين .

الضرب الأوّل

(ما هو داخل فى الدواوين السلطانية ، وهو الآن علىٰ أربعة أصناف)

الصــــنف الأوّل

(ما هو جار فى ديوان الوزارة ؛ وأعظمُه خَطَرا وأرفعُه قدرا جهتان)

إحداهما ــ عمل الجيزية المتقدّمُ ذكره فى أعمال الديار المصرية ، ولها مباشرون بمفردها من ديوان الوزارة ما بين ناظر ومُسْتَوْفٍ وشهود وصَيرَفِىّ وغيرهم ، وغالبُ

(١) صوابه أو إردب ونصف .

خراجه مبلغ دراهم تحمل إلىٰ بيت المال فتثبت فيه وتصرف منه فى جملة مصارف بيت المـال ، وربمـا حمل من بعضها الغَلَّة اليسيرة من القمح وغيره للأمراء السلطانية بالفُسْطَاطِ ، ومن أرضها تفرد الإطلاقات ؛ ويبـذر فيها البرسيم لربيع الخيول بالإصطبلات السلطانية والأمراء والمماليك السلطانية .

الثـانية ــ عمل مَنْفَلُوطَ ، وله مباشرون كما تقدّم فى الجيزيَّة بل هى أرفع قدرا وأكثر متحصِّلا ، وغالب خراجه غلال : من قمح وفُول وشعير ، وغلالهـا تحمل إلىٰ الأمراء السلطانية بالفُسْطاط ، ويصرف منها فى جملة مصارف الأمراء علىٰ الطواحين السـلطانية والمُنَاخات وغير ذلك ، وربمـا حمل منها المبلغ اليسـير إلىٰ بيت المـال فيثبت فيه ويصرف منه علىٰ ما تقدّم فى الأعمـال الجيزية ، وما عدا هاتين الجهتين من البلاد الجارية فى ديوان الوزارة مفرّقة فى الأعمـال بالوجهين القبلىّ والبحرىّ ، وهى فى الوجه القبـلىّ أكثر ، ولكنها قد تناقصت فى هـذا الزمن حتّٰى لم يَبْقَ فيها إلا بعضُ بلاد بالوجه القبلىّ .

الصنف الثـانى

(ما هو جار فى ديوان الخاص)

وهو الديوان الذى أحدثه السلطان "الملك الناصر محمد بن قلاوون" حين أبطل الوزارة علىٰ ما سـيأتى ذكره ؛ وأعظم بلاده وأرفعها قدرا مدينة الإسْكَنْدَرِيَّةِ فإنها فى الغالب مضافة إليـه ؛ وبها مباشرون من ناظر ومستوف وشادّين وغيرهم . وربما أُخِّرت عنه فى جهات أخرىٰ جارية فيه ، ويليها تَرُوجَةُ وفُوَّة ونَسْتَرُوه ، ومالُ جميعها يحمل إلىٰ خزانة الخاص الآتى ذكرها تحت نظر ناظر الخاصّ الآتى ذكره .

الصنف الثالث

(ما هو جار فى الديوان المُفْرَد)

وهو ديوان أحدثه "الظاهر برقوق" فى سلطنته ، وأفرد له بلادا ، وأقام له مباشرين وجعل الحديث فيه لأستاذ داره الكبير ، و رتَّب عليه نفقة مماليكه من جامكيات وعليق وكُسْوَةٍ وغير ذلك .

قلت : وليس هو المخترعَ لهذا الأسم بل رأيت فى ولايات الدولة الفاطمية بالديار المصرية ما يدل على أنه كان للخليفة ديوان يسمى الديوان المفرد .

الصنف الرابع

(ما هو جار فى ديوان الأملاك)

وهو ديوان أحدثه "الظاهر برقوق" المتقدّم ذكره ، وأفرد له بلادا سماها أملاكا ، وأقام لها أستاذ دار ومباشرين بمفردها ، وهذا الديوان خاص بالسلطان ليس عليه مرتب نفقة ولا كُلْفة .

الضرب الثانى

(ما هو جار فى الإقطاعات)

وهو جُلُّ البلاد بالوجهين القبلىّ والبحرىّ ؛ والبلاد النفيسة الكثيرة المُتَحَصَّل فى الغالب تقطع للأمراء على قدر درجاتهم ، فمنهم من يجتمع له نحو العشر بلاد إلى البلد الواحدة ، وما دون ذلك من البُلْدان يقطعُ للماليك السلطانية ، يشترك الأثنان فما فوقهما فى البلدة الواحدة فى الغالب ، وربما آنفرد الواحد منهم بالبلد الواحد .

وما دون ذلك يكون لأجناد الحَلْقة تجتمع الجماعة منهم فى البلد الواحد بحسب مقـداره وحال مُقْطَعِيه ، وفى معنىٰ أجناد الحَلْقـة المُقْطَعون من العُرْبان بالبحيرة والشرقية من أرباب الأدراك وملتزمى خيل البريد وغيرهم .

ثم ٱعلم أن لبلاد الديار المصرية حالين .

الحال الأوّل ـ أن تنجّز إجارةُ طين البلد بقدر معين لا يزيد ولا ينقص، وطلبُ الخراج علىٰ حكمها .

الحال الثـانى ـ أن تكون البلاد ممـا جرت العادة بمساحة أرضها لسَـعَةِ طينها وٱختلاف الرىّ فيه بالكثرة والقِلة فى السنين؛ وقد جرت العادة فى ذلك أنّ كاتب خراج الناحية يطلب خَوَلَة القانون بذلك البلد وتوزيع الأحواض علىٰ المزارعين بفدن مقدّرة، وتُكتَب بها أوراق تسمّى أوراق المسجل، وتحمل نسختها إلىٰ ديوان صاحب الإقطاع فتخلد فيه؛ فإذا طلع الزرع خرج من باب صاحب الإقطـاع مباشرون ، فيمســحون أرض تلك البلد فى كل قبالة بأسمـاء المزارعين ، ويكتب أصل ذلك فى أوراق تسمّى الفُنْداق، ثم تجمع القبائل بأوراق تسمّى تاريخ القبائل، ثم تجمع أسماء المزارعين بأوراق تسمّى تاريخ الأسمـاء، ويقابل بين ما ٱشتملت عليه أوراق المسجل وما ٱشتملت عليه مساحته ، وفى الغالب يزيد عن أوراق المسجل، ويُجْمَعُ ذلك وتنظم به أوراق تسمّى المكلفة، ويكتب عليها الشهود وحاكم العمل، وتحمل لديوان المُقْطَع نسخا .

النـــوع الثـانى

(ما يَتحصَّل ممـا يُستخرَج من المعادن)

وقد تقـدّم فى الكلام علىٰ خواص الديار المصرية أن الموجود الآن بهـا ثلاثة معادن .

الأوّل ـ معدن الزُّمُرُّد علىٰ القرب من مدينة قُوص، ولم يزل مستمرّ الآستخراج إلىٰ أواخر الدولة الناصرية "محمد بن قلاوون"، ثم أُهمِلَ لقلّة ما يَتحصَّل منه مع كثرة الكُلَف وبقى مهملا إلىٰ الآن . وقد ذكر فى "مسالك الأبصـار" : أنه كان له مباشرون وأُمَناءُ من جهة السلطان يتولَّوْن آستخراجه وتحصيله ، ولهم جوامكُ علىٰ ذلك . ومهما تحصل منه حُمِل إلىٰ الخزائن السلطانية فيباع مايباع ، ويبقّى مايصلح للخزائن الملوكية .

الثانى ـ معدن الشَّبِّ (بالباء الموحدة فى آخره) . قال فى "قوانين الدواوين": ويُحتاج إليه فى أشـياء كَثيرة ، أهمُّها صَبْغ الأحمر ، وللرُّوم فيه من الرغبة بمقـدار مايجدون من الفائدة، وهو عندهم ممـا لابُدَّ منه ولا مندوحة عنه، ومعادنه بأماكنَ من بلاد الصعيد والواحات علىٰ ما تقدّم فى الكلام علىٰ خواصّ الديار المِصْرية .

قال : وعادة الديوان أن يُنْفِقَ فى تحصيل كل قِنْطَارٍ منه باللَّيْثى ثلاثين درهما، وربما كان دون ذلك. وتَهْبِط به العرب إلىٰ ساحل قُوصَ، وساحل إخميم، وساحل أَسْيوط ، وإلىٰ البَهْنَسىٰ إن كان الإتيان به من الواحات، ثم يحمل من هذه السواحل إلىٰ الإسْكَنْدَرِيَّةِ ، ولا يعتدّ للباشرين فيه إلا بما يصح فيها عند الآعتبار . قال آبن ممـاتى : وأكثر مايباع منه فى المَتْجَر بالإسكندرية خمسة آلاف قِنْطَارٍ بالجَرَوِىّ، وبيع منه فى بعض السنين ثلاثةَ عشرَ ألف قنطار، وسعره من خمسة دنانير إلىٰ خمسة

دنانير وربع وسدس كلّ قنطار . قال : أما القاهرة، فأكثر ما يباع فيها منه فى كل سنة ثمانون قنطارا كل قنطار بسبعة دنانير ونصف ؛ ثم قال : وليس لأحد أن يبيعه، ولا يشتريه سوىٰ الديوان السلطانى، ومتىٰ وجد مع أحد شىء من صنفه ٱستهلِك .
قلت : وقد تغير غالب حكم ذلك .

الثالث ــ معدن النَّطْرُونِ، وقد تقـدّم فى الكلام علىٰ خواص الديار المصرية أن النَّطْرون يوجد فى معدنين : أحدهمـا بعمل البحيرة مقابلَ بلدة تسمّى الطرّانة علىٰ مسيرة يوم منها، وتقدّم فى كلام صاحب "التعريف" أنه لا يعلم فى الدنيا بقعة صغيرة يستغلُّ منها أكثر ممايستغلُّ منها، فإنها نحو مائة فدّان تُغِل نحو مائة ألف دينار فى كل سنة . والمعدن الثانى بالفاقوسِية علىٰ القرب من الخطارة، ويعرف بالخطارىّ، وهو غير لاحق فى الجَوْدةِ بالأوّل :

قال فى "نهاية الأرب" : وأوّل من ٱحتجر النَّطْرون أحمدُ بن محمد بن مدبر نائب مصر قبل أحمد بن طولون، وكان قبل ذلك مباحا . قال فى "قوانين الدواوين" : وهو فى طور محدود لا يتصرف فيه غير المستخدمين من جهة الديوان، والنفقة علىٰ كل قنطار منه درهمان، وثمن كل قنطار منه بمصر والإسكندرية لضيق الحاجة إليه سبعون درهمـا . قال : والعادة المستقرّة أنه متىٰ أُنْفق من الديوان فى العربان عن أجرة حمولة عشرة آلاف قِنْطار، ألزموا بحمل خمسة عشر ألف قنطار، حسابا عن كل قنطار قنطارٌ ونصفٌ ؛ ثم قال : وأكثره مصروف فى نفقة الغُزاة .

قلت : أما فى زماننا فقد تضاعفت قيمة النَّطْرون وغلا سعره لٱحتجار السلطان له، وأفرط حتّى خرج عن الحدّ، حتّى إنه ربما بلغ القِنْطار منه مبلغَ ثلثمائة درهم أو نحوها . وقد كان علىٰ النَّطرون مرتَّبون من كُتَّاب دَست وكُتَّاب دَرْج وأطباءَ وكَحَّالين وغيرهم وجماعةٌ من أرباب الصدقات يستأْدون ذلك، وينفقون علىٰ حمولته إلىٰ ساحل النيل

بالبلدة المعروفة بالطَّرّانة المتقدّمة الذكر، ويبيعونه علىٰ مَنْ يرغب فيه ليتوجه به فى المراكب إلىٰ الوجه القبلىّ، ولم يكن لأحد أن يبيع شيئا بالوجه البحرىّ جملةً، ثم بطل ذلك فى أواخر الدولة الظاهرية برقوق، وصار النطرون بجملته خالصا للسلطان جاريا فى الديوان المفرد تحت نظر أستاذ دار، يحمل إلىٰ الإسكندرية والقاهرة فيُخْزَن فى شُوَن ثم يباع منها، وعليه مباشرون يحضُرون الواصل والمبيع، ويعملون الحسبانات بذلك، وتَمَيَّز بذلك متحصِّله للغاية القصوىٰ .

النـــوع الثـالث

(الزكـاة)

قد تقرّر فى كتب الفقه أن مَنْ وجبت عليـه زكاة كان مخيرا بين ان يدفعها إلىٰ الإمام أو نائبه، وبين أن يفرّقها بنفسه . والذى عليه العمل فى زماننا بالديار المصرية أن أرباب الزكوات المؤدّين لها يفرّقونها بأنفسهم ، ولم يبق بها ما يُؤخَذ علىٰ صورة الزكاة إلا شيئين :

أحدهما ما يؤخذ من التجار وغيرهم علىٰ ما يدخلون به إلىٰ البلد من ذهب أو فضة ، فإنهم يأخذون علىٰ كل مائتى درهم خمسـةَ دراهم ، ثم إذا آشترىٰ بها شيئا وخرج به وعاد بنظير المبلغ الأوّل لا يؤخذ منه شيء عليه حتّى يجاوز سنة . إلا أنهم آنتقصوا سـنة ذلك فجعلوها عشرة أشهر، وخَصُّوه بمـا إذا لم يزد فى المدّة المذكورة علىٰ أربع مرار . فإن زاد عليهـا آسـتأنفوا له المدّة ، ثم إنه إذا كان بالبلد مَتْجَر لأحد من تجار الكارم من بَهَار ونحوه وحال عليـه الحول بالبلد ، أخذوا عليه الزكاة أيضا . ومجرىٰ ذلك جميعِه مجرىٰ سائر متحصِّل الإسكندرية فى المباشرة وغيرها .

الثانى ما يؤخذ من العِدَاد من مواشِي أهل بَرْقةَ من الغنم والإبل عند وصولهم إلىٰ عمل البحيرة بسبب المرعىٰ، وفى الغالب يُقْطَع لبعض الأمراء، ويخرج قُصَّادُهم لأخذه .

النـــوع الرابع
(الجَـوَالى)

وهى مايؤخذ من أهل الذِّمَّة عن الجزية المقَرَّرة علىٰ رقابهم فى كل سـنة ، وهى علىٰ قسمين : ما فى حاضرة الديار المصرية من الفُسْطَاطِ والقاهرة ، وما هو خارج عن ذلك . فأما ما بحاضرة الديار المصرية ، فإن لهذه الجهة بها ناظرا يولَّى من جهة السـلطان بتوقيع شريف ، ويتبعه مباشرون من شادّ وعامل وشُهود ، وتحت يده حاشِرٌ لليهود وحاشر للنصارىٰ يعرف أربابَ الأسمـاء الواردةِ فى الديوان ومن ينضم إليهم ممن يبلغ فى كل عام من الصِّبيان ، ويعبَّر عنهم بالنَّشْو ، ومن يَقْدَم إلىٰ الحاضرة من البلاد الخارجة عنها ، ويعبر عنهم بالطارئ ، ومن يهتدى أو يموت ممن آسمه وارد الديوان . ويُمْلِي علىٰ كُتَّاب الديوان ما يتجدّد من ذلك .

قال فى "قوانين الدواوين" : إن الجزية كانت فى زمانه علىٰ ثلاث طبقات : عُلْيَا ، وهى أربعة دنانير وسدسٌ عن كل رأس فى كل سنة ، ووُسْطىٰ وهى ديناران وقيراطان ، وسُفْلىٰ وهى دينار واحد وثلث وربع دينار وحبتان من دينـار ، وإنه أضيف إلىٰ جزية كل شخص درهمان وربع عن رسم الشادّ والمباشرين . ثم قال : وقد كانت العادة جارية بآستخراجها فى أوّل المحرّم من كل سنة ، ثم صارت تُسْتخرَج فى أيام من ذى الحجة . قلت : أما الآن ، فقد نقصت حتّى صـار أعلاها خمسـةً وعشرين درهمـا ، وأدناها عشرة دراهم ، ولكنها صارت تُستأْدىٰ معجّلة فى شهر رمضان ، ثم ما يَتحصَّل منها يحمل منه قدر معين فى كل سنة لبيت المال ، وباقى ذلك عليه مرتبون من القُضاة وأهل العلم والديانة يوزَّع عليهم علىٰ قدر المتحصِّل .

وأما ماهو خارج عن حاضرة الديار المصرية من سائر بُلْدانها فإن جزية أهل الذمة فى كل بلد تكون لمُقْطَع تلك البلد من أمير أو غيره تجرى مجرىٰ مال ذلك الإقطاع ، وإن كانت تلك البلد جارية فى بعض الدواوين السلطانية ، كان مايَتحصَّل من الجزية من أهل الذمة بها جاريا فى ذلك الديوان .

النـــوع الخـامس

(ما يؤخذ من تُجَّار الكفَّار الواصلين فى البحر إلىٰ الديار المصرية)

وآعلم أن المقرّر فى الشرع أخذ العشر من بضائعهم التى يَقْدَمون بها من دار الحرب إلىٰ بلاد الإسلام إذا شُرِط ذلك عليهم . والمُفْتَىٰ به فى مذهب الشافعىّ رضى الله عنه أن للإمام أن يزيد فى المأخوذ عن العشر وأن ينقُص عنه إلىٰ نصف العشر للحاجة إلىٰ الآزدياد من جلب البضاعة إلىٰ بلاد المسلمين ،وأن يرفع ذلك عنهم رأسا إذا رأىٰ فيه المصلحةَ . وكيفما كان الأخذ فلا يزيد فيه علىٰ مَرَّة من كل قادم بالتجارة فى كل سنة ،حتّى لو رجع إلىٰ بلاد الكفر ثم عاد بالتجارة فى سنته لا يؤخذ منه شىء إلا أن يقع التراضى علىٰ ذلك ،ثم الذى ترد إليه تُجَّار الكفار من بلاد الديار المصرية ثَغْرُ الإسكندرية ، وثغر دِمْيَاطَ المحروستين ، تأتى إليهما مراكب الفرنج والرُّوم بالبضائع فتبيع فيهما أو تمتار منهما ما تحتاج إليه من البضائع ، وقد تقرّر الحال علىٰ أن يُؤخَذ منهم الخمس وهو ضِعْف العُشْر عن كل مايصل لهم فى كل مرة ،وربما زاد مايُؤْخَذ منهم علىٰ الخمس أيضا .

قال آبن مماتى فى "قوانين الدواوين" : وربما بلغ قيمة مايُستخْرَج عما قيمته مائة دينار مايناهز خمسة وثلاثين دينارا ، وربما آنحط عن العشرين دينارا . قال : ويطلق علىٰ كليهما خُمس ، قال : ومن الروم مَنْ يُستَأْدىٰ منه العشر ، إلا أنه لما

كان الخمس أكثر، كانت النسبة إليه أشهر . ولذلك ضرائب مستقرّة فى الدواوين وأوضاع معروفة .

النـــوع الســادس
(المواريث الحشرية)

وهى مال من يموت وليس له وارث خاص : بقرابة أو نكاح أو وَلَاء، أو الباقى بعد الفرض من مال مَنْ يموتُ وله وارثٌ ذو فرض لا يستغرق جميع المال ولا عاصِبَ له .

وهذه الجهة أيضا على قسمين : مافى حاضرة الديار المصرية، وماهو خارج عنها .

فأمّا ما بحاضرة الديار المصرية ، فإن لهذه الجهة ناظرا يولّى من قِبَل السلطان بتوقيع شريف ومعه مباشرون من شادّ وكاتب ومُشَارِف وشُهُود، وهى مضافة إلى ماتحت نظر الوزارة من سائر المباشرات، ومُتَحَصِّلُها يحمل إلى بيت المال، وربما كان عليها مرتَّبون من أرباب جوامك وغيرهم . وقد جرت عادة هذا الديوان أنّ كاتبه فى كل يوم يكتب تعريفا بمَنْ يموت بمصر والقاهرة من حَشْرىّ أو أهلىّ وتفصيله من رجال ونساء وصغار ويهود ونصارى، وتكتب منه نسخ لديوان الوزارة، ولنظر الدواوين ومستوفِى الدولة، ويُسَدّ من وقت العصر . فمن أطلق بعد العصر، أضيف إلى النهار القابل .

وأمّا ماهو خارج عن حاضرة الديار المصرية ، فلها مباشرون يُحَصِّلونها ويحملون مايتحصّل منها إلى الديوان السلطانىّ .

النـــوع السابع
(ما يتحصَّل من دار الضرب بالقاهرة)

والذى يضرب فيها ثلاثة أصناف .

الصنف الأوّل
(الذهب)

وأصله مما يُجْلَب إلىٰ الديار المصرية من التِّبْر من بلاد التَّكْرُور وغيرها مع مايجتمع إليه من الذهب. قال فى "قوانين الدواوين": وطريق العمل فيها أن يُسْبَك ما يجتمع من أصناف الذهب المختلفة حتّٰى يصير ماء واحدا ، ثم يقلب قُضْبانا ويقطع من أطرافها قطع بمباشرة النائب فى الحكم ، ويحرر بالوزن ويسبك سبيكة واحدة ، ثم يؤخذ من بعضها أربعة مثاقيل ويضاف إليها من الذهب الحائف المسبوك بدار الضرب أربعة مثاقيل، ويعمل كل منها أربع ورقات وتجمع الثمان ورقات فى قدح فخار بعد تحرير وزنها ، ويوقد عليها فى الأتُّون ليلة، ثم تخرج الورقات وتمسح ويعبر القدح علىٰ الأصل (؟) فإن تساوىٰ الوزن وأجازه النائب فى الحكم، ضُرِب دنانير . وإن نقص أعيد إلىٰ أن يتساوىٰ ويصح التعليق فيضرب حينئذ دنانير.

قال ابن الطوير فى الكلام علىٰ ترتيب الدولة الفاطمية بالديار المصرية فى سياقة الكلام علىٰ وظيفة قضاء القضاة : وسبب خلوص الذهب بالديار المصرية ماحكى أن أحمد بن طولون صاحب مصر كان له إلمام بمدينة عين شمس الخراب علىٰ القرب من المَطَرِيَّة من ضواحى القاهرة ، حيث ينبُت البَلَسَانُ ، وأن يد فرسه ساخت بها يوما فى أرض صَلْدة ، فأمر بحفر ذلك المكان فوجد فيه خمسةَ نَواوِيس فكشفها فوجد فى الأوسط منها ميتا مُصَبَّرًا فى عسل ،وعلىٰ صدره لوحٌ لطيف من ذهب فيه كتابة لاتعرف ، والنواويس الأربعة مملوءة بسبائك الذهب ، فنقل ذلك الذهب

ولم يجد من يقرأ ما فى اللوح ، فدُلَّ علىٰ راهب شيخ بدير العَرَبة بالصـعيد له معرفة بخط الأوّلين ، فأمر بإحضاره فأُخْبِر بضعفه عن الحركة ، فوجّه باللوح إليـه ، فلمـا وقف عليه قال : إن هذا يقول : أنا أكبر الملوك ، وذَهَبِى أخلصُ الذهب . فلمـا بلغ ذلك أحمد بن طولون ، قال : قبح الله من يكون هـذا الكافر أكبَرَ منه أو ذهبه أخلَصَ من ذهبـه ، فشدّد فى العيار فى دُور الضرب ، وكان يحضُر ما يعلَّق من الذهب ويختم بنفسـه فبقى الأمر علىٰ ما قرّره فى ذلك من التشديد فى العيـار. وكانت دار الضرب فى الدولة الفاطميـة لا يتولاها إلا قاضى القضاة تعظيما لشأنها ، وتُكتَب فى عهده فى جملة ما يضاف إلىٰ وظيفة القضاء ، ويقيم لمباشرة ذلك مَنْ يختاره من نوّاب الحُكْم ، وبقى الأمر علىٰ ذلك زمنا بعـد الدولة الفاطمية أيضا . أما فى زماننا ، فنظرها موكول لناظر الخاصّ الذى آستحدثه "الملك الناصر محمد بن قلاوون" عند تعطيله الوزارة علىٰ ماسيأتى ذكره فى موضعه إن شاء الله تعالىٰ .

والسِّكّة السلطانية بالديار المصرية فيما هو مشاهد من الدنانير أن يكتب علىٰ أحد الوجهين ـ لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، أَرْسَلَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ(١) ـ وعلىٰ الوجه الآخر آسم السلطان الذى ضرب فى زمنه وتاريخ سنة ضربه .

الصـــنف الثانى
(الفِضَّة النُّقْرة)

وقد ذكر آبن ممـاتى فى "قوانين الدواوين" فى عيـارها أنه يؤخذ ثلثمائة درهم فضة فتضاف إلىٰ سبعمائة درهم من النحاس الأحمر ، ويسبك ذلك حتّى يصير ماء واحدا فيقلب قُضْبانا ويقطع من أطرافها خمسة عشر درهما ، ثم تسبك ، فإن خلص

---

(١) ليس نظم آية كما قد يتوهم .

منها أربعة دراهم فضة ونصف حسابا عن كل عشرة دراهم ثلاثة دراهم، وإلا أعيدت إلى أن تصح . وكأن هذا ما كان الأمر عليه فى زمانه ؛ والذى ذكره المقر الشهابى ابن فضل الله فى "مسالك الأبصار" : أن عيارها الثلثان من فِضَّة والثلث من نُحاس، وهذا هو الذى عليه قاعدة العيار الصحيح كما كان فى أيام الظاهر بيبرس وما والاها، وربما زاد عيار النحاس فى زماننا على الثلث شيئا يسيرا بحيث يظهره النَّقْد، ولكنه يروج فى جملة الفضة، وربما حصل التوقف فيه إذا كان بمفرده .

قلت : أما بعد الثمانمائة فقد قَلَّتِ الفضة، وبطل ضربُ الدراهم بالديار المصرية إلا فى القليل النادر لاستهلاكها فى السروج والآنية ونحوها، وانقطاع واصلها إلى الديار المصرية من بلاد الفرنج وغيرها . ومن ثَمّ عزّ وجود الدراهم فى المعاملة بل لم تكد توجد . ثم حدث بالشأم ضربُ دراهم رديئةٍ فيها الثلث فما دونه فضة والباقى نحاس أحمر، وطريقة ضربها أن تقطع القضبان قطعا صغارا كما تقدّم فى الدنانير، ثم تُرْصَع إلا أن الدنانير لا تكون إلا صحاحا مستديرة، والفضة ربما كان فيها القراضات الصغار المتفاوتة المقادير فيما دون الدرهم إلى ربع درهم وما حوله ؛ وصورةُ السكة على الفضة كما فى الذهب من غير فرق .

الصنف الثالث

(الفلوس المتخذة من النحاس الاحمر)

وقد تقدّم أنه كان فى الزمن الأوّل فلوس صغار كل ثمانية وأربعين فَلْسًا منها معتبرة بدرهم من النُّقْرة إلى سنة تسع وخمسين وسبعمائة فى سلطنة الناصر حسن بن محمد بن قلاوون الثانية، فأُحْدثت فلوسٌ عبر عنها بالجُدُد زِنَةُ كل فَلْسٍ منها مثقال، وهو قيراط من أربعة وعشرين قيراطا من الدرهم، ثم تناقص مقدارها حتّى كادتْ

تفسد وهى علىٰ ذلك . وطريق عملها : أن يُسبك النُّحاسُ الأحمر حتّىٰ يصير كالماء، ثم يخرج فيضرب قضبانا، ثم يُقَطَّع قطعا صغارا، ثم تُرْصَع وتسك بالسكة السلطانية وسكتها أن يكتب علىٰ أحد الوجهين آسم السلطان ولقبه ونسبه ، وعلىٰ الآخر آسم بلد ضربِه وتاريخ السنة التى ضرب فيها .

الضرب الثـانى

(من الأموال الديوانية بالديار المصرية غير الشرعى، وهو المكوس، وهى علىٰ نوعين)

النـــوع الأوّل

(مايختص بالديوان السلطانىّ وهو صنفان)

الصـــنف الأوّل

(مايؤخذ علىٰ الواصل المجلوب، وأكثره مُتَحَصِّلًا جهتان)

الجهـــة الأولىٰ

(مايؤخذ علىٰ واصل التجار الكارمية من البضائع فى بحر القُلْزُمِ من جهة الحجاز واليَمَن وماوالاهما، وذلك بأربعة سواحل بالبحر المذكور) .

الساحل الأول ــ عَيْـذَابُ . وقدكان أكثرَ السواحل واصلا لرغبـة رؤساء المراكب فى التعدية من جُدَّةَ إليـه ، وإن كانت باحتهُ متسعةً لغزارة المـاء وأَمْنِ اللَّحَاقِ بالشعب الذى ينبت فى قعر هذا البحر، ومن هذا الساحل يتوصل إلىٰ قُوصَ بالبضائع ومن قُوصَ إلىٰ فُنْدُقِ الكارم بالفُسْطَاطِ فى بحر النيل .

الساحل الثانى — القُصَيْرُ . وهو فى جهة الشمال عن عَيْذابَ ، وكان يصل إليه بعضُ المراكب لقربه من قُوصَ وبُعْدِ عَيْذابَ منها ، وتُحمل البضائع منه إلىٰ قُوصَ ، ثم من قُوصَ إلىٰ فُنْدقِ الكارم بالفُسْطَاط علىٰ ماتقدّم ، وإن لم يبلغ فى كثرة الواصل حدّ عَيْذابَ .

الساحل الثالث — الطُّورُ . وهو ساحل فى جانب الرأس الداخل فى بحر القُلْزُمِ بين عَقَبة أَيْلَةَ وبين بر الديار المصرية ؛ وقد كان هذا الساحل كثير الواصل فى الزمن المتقدّم : لرغبة بعض رؤساء المراكب فى السير إليه ، لقرب المراكب فيه من بَرّ الحجاز حتّى لايغيب البر عن المسافر فيه وكثرة المراسى فى برّه ، متىٰ تغير البحر علىٰ صاحب المركب وجد مَرْساة يدخل إليها ، ثم تُرِكَ قَصْدُ هذا الساحل والسفرُ منه بعد ٱنقراض بنى بدير العباسية التجار ، ورغب المسافرون عن السفر فيه لما فيه من الشعب الذى يُخْشىٰ علىٰ المراكب بسببه ، ولذلك لا يُسافَر فيه إلا نهارا ، وبقى علىٰ ذلك إلىٰ حدود سنة ثمانين وسبعمائة ، فعَمَر فيه الأمير صلاح الدين بن عرام رحمه الله ، وهو يومئذ حاجب الحُجّاب بالديار المصرية مَرْكبا وسَفَّرها ، ثم أتبعها بمركب آخر فجَسَر الناس علىٰ السفر فيه وعَمَروا المراكب فيه ، ووصلت إليه مراكبُ اليَمَن بالبضائع ، ورُفِضت عَيْذابُ والقُصَيْرُ ، وحصل بواسطة ذلك حمل الغلال إلىٰ الحجاز ، وغَزُرت فوائد التجار فى حمل الحنطة إليه .

الساحل الرابع — السُّوَيْسُ علىٰ القرب من مدينة القُلْزُمِ الخراب بساحل الديار المصرية . وهو أقرب السواحل إلىٰ القاهرة والفُسْطَاطِ إلا أن الدخول إليه نادر ، والعمدة علىٰ ساحل الطُّور كما تقدّم .

قلت : وهذه السواحل علىٰ حدّ واحد فى أخذ المرتب السلطانىّ ، وقد ذكر فى "قوانين الدواوين" : أن واصل عَيْذابَ كان ٱستقرّ فيه الزكاة . أما الذى عليه

الحال فى زماننا، فإنه يؤخذ من بضائع التجار العُشْر مع لواحِقَ أخرىٰ تكاد أن تكون نحو المرتب السلطانىّ أيضا .

وآعلم أنه قد تَصِـلُ البضائع للتجار المسلمين إلىٰ ساحل الإسكندرية ودميـاط المتقدّم ذكرهما، فيؤخذ منها المرتَّب السلطانىّ علىٰ ماتوجبه الضرائب .

الجهـــــة الثـانية

(مايؤخذ علىٰ واصل التجار بقَطْيا فى طريق الشأم إلىٰ الديار المصرية)

وعليها يردُ سائرُ التجار الواصـلين فى البر من الشأم والعراق وما والاهـا ، وهى أكثر الجهات متحصِّلا وأشدّها علىٰ التجار تضييقا وعندهم ضرائب مقرّرة لكل نوع يؤخذ عن نظيرها .

الصـــــنف الثـانى

(مايؤخذ بحاضرة الديار المصرية : بالفُسْطَاط والقاهرة)

وهو جهات كثيرة، يقال إنها تبلغ آثنتين وسبعين جهة؛ منها مايكثُر متحصِّله ومنها مايقلُّ، ثم بعضها بحسب ما يتحصَّل من قليل وكثير، وبعضها له ضَمَان(١) بمقدار معين لكل جهة، يطلب بذلك المقدار إن زادت الجهة فله وإن نقصت فعليه .

قلت : وقد عمت البلوىٰ بهـذه المُكُوس ، وخرجت فى التزيُّد عن الحدّ ، ودخلت الشـبهة فى أموال الكثير من النـاس بسببها . وقد كان السـلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب رحمـه الله فى سلطنته قد رفع هذه المكوس ومَحَا آثارها ، وعوّضه الله عنها بما حازه من الغنائم وفتحه من البلاد والأقاليم، وربمـا وقع الإلهـام من الله تعالىٰ لبعض ملوك المملكة برفع المظلمة الحاصلة منها. ومن أعظم ذلك خَطَرا

(١) لعله ضامن .

وأرفعِه أجْرًا ما فعله السلطان الملك الأشرف "شعبان بن حسين" بن الملك الناصر محمد بن قلاوون تغمده الله تعالىٰ برحمتـه من بُطْلان مكوس المَلَاهى والقراريط علىٰ الأملاك المبيعة .

النـــوع الثـانى

(ما لا ٱختصاص له بالديوان السلطانىّ)

وهى المُكُوس المتفرّقة ببلاد الديار المصرية فتكون تابعة للإقطاع إن كانت تلك البلد جارية فى ديوان من الدواوين السـلطانية فمتحصِّلها لذلك الديوان، أو جارية فى إقطاع بعض الأمراء ونحوهم فمتحصِّـلها لصاحب الإقطاع ، ويعـبر عنها فى الدواوين بالهلالىّ كما يعبر عما يؤخذ من أجرة الأرضين بالخراجىّ .

المقصـــد الثـالث(١)

(فى ترتيب المملكة، ولهـا ثلاث حالات)

الحـالة الأولىٰ ـ ما كانت عليه فى زمن عُمَّال الخلفاء من حين الفتح إلىٰ آخر الدولة الأخشـيدية ـ ولم يتحرّر لى ترتيبها ، والظاهر أنه لم يزل نوّابها وأمراؤها حينئذ علىٰ هيئة العرب إلىٰ أن وليهـا أحمد بن طولون وبَنُوه وأحدثوا فيها ترتيب الملك . علىٰ أنه كان أكثر عسكره من السودان، حتّىٰ يقـال إنه كان فى عسـكره آثنا عشر ألف أسود، وتبعتهم الدولة الأخشيدية علىٰ ذلك إلىٰ آخر دولتهم .

(١) لم يسـبق له التعبير بالمقصـد الأول والثانى ولم يجمل كعادته فلعل هذا من بعض النساخ . وقد وقع فى هذا الجزء شىء من هذا القبيل فٱقتضىٰ التنبيه .

الحالة الثـانية ـ من أحوال الديار المصرية ما كانت عليه فى زمن الخلفاء الفاطميين؛ وينحصر المقصود من ترتيب مملكتهم فى ثلاث[1] جمل

الجمـــــلة الأولىٰ

(فى الآلات الملوكية المختصة بالمواكب العِظَام)

وهى علىٰ أصناف متعدّدة :

منها (التاج) . وكان يُنْعَت عندهم بالتاج الشريف، و يعرف بشدّة الوَقَار . وهو تاج يركب به الخليفـة فى المواكب العِظَام، وفيـه جوهرة عظيمة تُعْرف باليتيمة زنتها سـبعة دراهم ولا يقوّم عليها لنَفَاستها ؛ وحولهـا جواهر أخرىٰ دونها ؛ يلبس الخليفة هذا التاج فى المواكب العظام مكان العمامة .

ومنها (قضيب الملك) . وهو عُود طول شـبر ونصف، ملَبَّس بالذهب المرصَّع بالدُّرّ والجوهر، يكون بيد الخليفة فى المواكب العظام .

ومنها (السيف الخاص) الذى يحمل مع الخليفة فى المواكب . يقـال إنه كان من صاعقةٍ وقعت وحصل الظَّفَر بها فعمل منها هذا السيف، وحليته من ذهب مرصعة بالجواهر، وهو فى خريطة مرقومة بالذهب لا يظهر إلا رأسه ، وله أمير من أعظم الأمراء يحمله عند ركوب الخليفة فى الموكب .

ومنها (الدواة) . وهى دواة متخذة من الذهب وحليتها مصنوعة من المَرْجَانِ علىٰ صلابته ومناعته، تلف فى منديل شرب[2] أبيض ، ويحملها شخص من الأستاذين فى الموكب أمام الخليفة تكون بينه و بين السرج، ثم جعل حَمْلُها لعَدْلٍ من العدول المعتبرين .

---

(١) وصلت فى العدّالى سبع جمل . (٢) كذا فى الأصل وسيأتى ولعله نوع مخصوص من الحرير.

ومنها (الرمح) . وهو رمح لطيف فى غلاف منظوم باللؤلؤ، وله سِنَان مختصر بحلية الذهب، وله شخص مختص بحمله .

ومنها (الدَّرَقَةُ) . وهى دَرَقَةٌ كبيرة بكوابج من ذهب، يقولون إنها دَرَقَةُ حمزة عمّ النبيّ صلّى الله عليه وسلم، وعليها غِشَاء من حرير، ويحملها فى الموكب أمير من أكابر الأمراء، له عندهم جلالة .

ومنها (الحافر) . وهى قطعة ياقوت أحمر فى شَكْل الهِلَال، زنتها أحد عشر مثقالا، ليس لها نظير فى الدنيا، تخاط خياطة حسنة علىٰ خرقة من حرير، وبدائرها قضب زمرد ذبابيّ عظيم الشأن، تجعل فى وجه فرس الخليفة عند ركوبه فى المواكب .

ومنها (المِظَلَّة) التى تحمل علىٰ رأس الخليفة عند ركوبه . وهى قُبَّةٌ علىٰ هيئة خيمة علىٰ رأس عمود كالمِظَلَّة التى يركب بها السلطان الآن، وكانت اثنى عشر شوزكا عرض سُفْل كل شوزك شبر، وطوله ثلاثة أذرع وثلث، وآخره من أعلاه دقيق للغاية بحيث يجتمع الاثنا عشر شوزكا فى رأس عمود بدائرة، وعمودُها قنطارية من الزَّانِ ملَبَّسة بأنابيب الذهب، وفى آخر أنبوبة ثلثى رأس العمود ملكة (1) بارزة مقدار عرض إبهام تشدّ آخر الشوازك فى حَلْقَةٍ من ذهب، وتنزل فى رأس الرمح . ولها عندهم مكانة جليلة لعلوّها رأس الخليفة، وحاملها من أكبر الأمراء .

قال ابن الطوير : وكان من شرطها عندهم أن تكون علىٰ لون الثياب التى يلبسها الخليفة فى ذلك الموكب، لا تخالف ذلك .

ومنها (الأعلام) . وأعلاها اللواءان المعروفان بلواءَيِ الحمد، وهما رمحان طويلان ملَبَّسان بأنابيبَ من ذهب إلىٰ حدّ أسنَّتهما، وبأعلاهما رايتان من الحرير الأبيض المرقوم بالذهب، ملفوفتان علىٰ الرمحين غير منشورتين، يُخْرَجان لخروج المِظَلة إلىٰ أميرين معيّنين لحملهما، ودونهما رمحان برءوسهما أَهِلَّةٌ من ذهب صامت، فى كل واحد

(1) لعله فلكة بالفاء .

منهما سبع من ديباج أحمر وأصفر، وفى فمه طارة مستديرة يدخل فيها الرمح فيفتحان فيظهر شكلهما، يحملهما فارسان من صبيان الخاصّ، ووراءهما رايات لِطَاف ملوّنة من الحرير المرقوم ومكتوب عليهـا ﴿ نَصْرٌ مِنَ اللهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ﴾ طولُ كلِّ راية منهـا ذراعان فى عرض ذراع ونصـف، فى كل واحدة ثلاثة طرازات علىٰ رماح من القَنَا، عدّتها أبدا إحدىٰ وعشرون راية، يحملها أحد وعشرون فارسا من صبيان الخليفة، وحاملها أبدا راكب بغلة .

ومنها (المِذَبَّتَانِ) وهمـا مِذَبَّتَانِ عظيمتان كالنخلتين ملويتان محمولتان عنـد رأس فرس الخليفة فى الركوب .

ومنها (السلاح) الذى يحمله الركابية حول الخليفة . وهو صَمَاصِمُ مصقولة، ودبابيسُ مَلَبَّســة بالكَيمُخْتِ الأحمر والأســود، ورءُوســها مدوّرة، ولُتُوت حديد كذلك ورءُوسها مســتطيلة، وهى عمد حديد طول ذراعين، مربعات الأشكال بمقابض مدوّرة بعدّة معلومة من كل صــنف؛ وستُّمائة حربة بأسنَّة مصقولة، تحتها جُلَب الفضة، وثلثمائة دَرَقَةٍ بكوابج فضة؛ يحمل ذلك فى الموكب ثلثمائة عبد أسود كل عبد حربتان ودَرَقَةٌ واحدة، وستون رمحا طول كل واحد منها سبع أذرع، برأسها طلعة وعقبها من حديد، يحملها قوم يقال لهم السريرية يفتلونها بأيديهم اليمنىٰ فَتْلًا متدارك الدوران؛ ومائة درقة لطيفة؛ ومائة سيف بيد مائة رجل، كل رجل دَرَقَةٌ وسيف يسيرون رَجَّالة فى الموكب؛ وعشرة سيوف فى خرائط ديباج أحمر وأصفر بشراريب يقال لها سيوف الدم، تكون فى أعقاب الموكب برسم ضرب الأعناق إذا أراد الخليفة قتـلَ أحد . وذلك كله خارج عمـا يخرج من خزانة التجمل برسم الوزير وأكابر الأمراء وأرباب الرتب وأزِمَّةِ العساكر لتجملهم فى الموكب، وهى نحو أربعمائة راية مرقومة الأطراف، وبأعلاها رَمَامِينُ الفضة المذهبة، وعدّة من العماريات : وهى

شبه الكنجاوات ملبَّسة بالحرير الأحمر والأصفر والقرمزىّ وغير ذلك ، وعليها كوابح الفضة المذهبة ، لكل أمير من أصحاب القضب منها عمارية ، ويختص لواءان علىٰ رمحين منقوشين بالذهب غير منشورين يكونان أمامه فى الموكب إلىٰ غير ذلك من الآلات التى يطول ذكرها ، ويعسر ٱستيعابها .

ومنها (النَّقَّارات) . وكانت علىٰ عشرين بغلا علىٰ كل بغل ثلاث مثل نقارات الكوسات بغير كوسات ، تسير فى الموكب ٱثنتين ٱثنتين ولها حِسٌّ حسن .

ومنها (الخيام والفساطيط) وكان من أعظم خيمهم خَيْمَةٌ تعرف بالقاتول ، طول عمودها سبعون ذراعا ، بأعلاه سفرة فضة تسع راوية ماء ، وسعتها مايزيد علىٰ فدانين فى التدوير . وسميت بالقاتول لأن فرّاشًا سقط من أعلاها فمات .

قلت : ولعمرى إن هذه لأثرة عظيمة تدل علىٰ عظيم مملكة وقوّة قدرة ، وأنّىٰ يتأتى مثل هذه الخيمة لملك من الملوك وإن جلَّ قدره وعظم شأنه .

الجملة الثانية

(فى حواصل الخليفة ، وهى علىٰ خمسة أنواع)

النوع الأوّل

(الخزائن ، وهى ثمان خزائن)

الأولىٰ ــ (خِزانة الكتب) . وكانت من أجل الخزائن وأعظمها شأنا عندهم ، وكان فيها من المصاحف الشريفة المكتوبة بالخطوط المنسوبة الفائقة عدّةٌ كثيرة ، ومن الكتب النفيسة ما يزيد علىٰ مائة ألف مجلد ، مشتملة علىٰ أنواع العلوم مما يُدْهِشُ الناظر ويحيره ، وربما ٱجتمع من المصَنَّف الواحد فيها عشرُ نسخ

فما دونها[1]، وكان فيها من الدُّرُوج المكتتبة بالخطوط المنسوبة بخط آبن مقلة وآبن البوّاب، ومن جرىٰ مجراهما[1] .

الثانية ـ (خِزَانة الكُسْوة) وهى فى الحقيقة خزانتان . إحداهما ـ الخزانة الظاهرة، وهى المعبر عنها فى زماننا بالخزانة الكبرىٰ علىٰ ما كانت عليه أوّلا، والمعبر عنها بخزانة الخاصّ علىٰ ما آستقرّ عليه الحال آخِرا ، وكان فيها من الحواصل من الديباج الملون علىٰ آختلاف ضروبها، والشرب الخاص الدبيقى والسقلاطون، وغير ذلك من أنواع القماش الفاخرة مايدل علىٰ عِظَم المملكة ، وإليها يحمل ما يُعْمَل بدار الطِّراز بتِنِّيس ودِمْيَاط والإسْكَنْدَرِيَّةِ من مستعملات الخاص ، وفيها يفصَّل مايؤمر به من لباس الخليفة، وما يحتاج إليه من الخِلَع والتشاريف وغير ذلك .
الثانية ـ معدّة للباس الخليفة خاصة ، وهى المعبر عنها فى زماننا بالطشت خاناه، وإليها ينقل القماش المفصَّل بالخزانة الأولىٰ من قماش الخليفة وغيره .

الثالثة ـ (خزانة الشراب). وهى المعبر عنها فى زماننا بالشراب خاناه، وكان فيها من أنواع الأشربة والمَعَاجين النفيسة والمربَّيات الفاخرة وأصناف الأدوية والعِطْريَّات الفائقة التى لا توجد إلا فيها، وفيها من الآلات النفيسة والآنية الصِّينِيّ من الزبادى والصُّحُون والبَرَانِيّ والأزيار ما لا يقدر عليه غير الملوك .

الرابعة ـ خزانة الطُّعْمِ . وهى المعبر عنها فى زماننا بالحوائج خاناه، وكانت تحتوى علىٰ عدّة أصناف من جميع أصناف القَلَويَّات من الفستق وغيره والسُّكَّر والقَنْدِ والأعسال علىٰ أصنافها والزيت والشَّمَع وغير ذلك، ومنها يخرج راتب المطابخ خاصًّا وعامًّا، وينفق لأرباب الخدم وأصحاب التوقيعات فى كل شهر، ولا يحتاج إلىٰ غيرها إلا فى اللحم والخضر .

---

(١) لعل الأنسب فما فوقها (٢) لعل تمامه [مايدل علىٰ عظم المملكة] كما سيأتى فى نظيره .

الخامسة ــ (خِزَانة السُّروج) . وهى المعبَّر عنها فى زماننا بالرِّكاب خاناه، وكانت قاعة كبيرة بالقصر، بها السروج والُّلجُمُ من الذهب والفِضَّة ، وسائر آلات الخيل مما يختص بالخليفة ؛ ثم منها ما هو قريب من الخاص ، ومنها ما هو وسط برسم مَنْ هو من أرباب الرُّتَب العالية، ومنها ما هو دُونٌ برسم من هو برسم العوارى أيام المواكب لأرباب الخدم .

السادسة ــ (خزانة الفَرْش) . وهى المعبر عنها فى زماننا بالفِرَاش خاناه؛ وكان موضعها بالقصر بالقرب من دار الملك؛ وكان الخليفة يحضُر إليها من غير جلوس ويطوف فيها، ويسأل عن أحوالها، ويأمر بإدامة عمل الاحتياجات وحملها إليها .

السابعة ــ (خزانة السلاح) . وهى المعبر عنها فى زماننا بالسلاح خاناه؛ فيها من أنواع السلاح المختلفة مالا نظير له : من الزَّرَدِيَّاتِ المُغَشَّاة بالديباج المحكمة الصَّنْعة المحلَّاة بالفضة، والجواشن المُذْهبة، والخُوَذ المحلَّاة بالذهب والفضة، والسيوف العربيات والقلجورِيَّة ، والرِّماح القنا والقنطاريات المدهونة والمذهبة ، والأَسِنَّة العظيمة والقِسِىِّ المخبورة المنسوبة إلى أفاضل الصُّنَّاع ، وقسىّ الرجل والركاب ، وقِسِىّ اللولب التى تبلغ زِنَةُ نصله خمسة أرطال بالمصرى ، والنَّبْل الذى يرمى به عن القسىّ العربية فى المجارى المصنوعة لذلك .

قال القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر : كان يصرف فيها فى كل سنة سبعون ألف دينار إلى ثمانين ألف دينار .

الثامنة ــ (خزانة التجمُّل) . وهى خزانة فيها أنواع من السلاح يُخْرَج منها للوزير والأمراء فى المواكب الألويةُ والقُضُب الفضة والعماريات وغيرها . قال ابن الطوير : هى من حقوق خزائن السلاح .

وأمّا (خزائن المـال) فكان فيها من الأموال والجواهر النفيسة، والذخائر العظيمة، والأقمشة الفاخرة مالا تحصره الأقلام .

وناهيك أن المستنصر لما وقع الغلاء العظيم بمصر، أخرج من خِزانتـه فى سـنة آثنتين وستين وأربعمائة ذخائرَ تَسَعُها للإعانة علىٰ قيام أمر المملكة والجند، فكان مما أخرجه ثمانون ألف قطعة بِلَّوْرٍ كِبار، وسبعون ألف قطعة من الدِّيباج، وعشرون ألف سيف مُحَلًّى . ولما آستولىٰ السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوبَ علىٰ القصر بعد وفاة العاضد: آخر خلفائهم، وجد فيه من الأعلاق الثمينة والتُّحف ما يخرج عن حدّ الإحصاء، من جملته الحافر الياقوت المقدّم ذكره . ويقال إنه وجد فيه قضيب زُمُرُّدٍ يزيد علىٰ قامة الرجل علىٰ ما تقـدّم ذكره فى الكلام علىٰ الأحجـار الملوكيـة فى أثناء المقالة الأولىٰ، ووجد فيه أيضـا الهَرَم العَنْبَرَ الذى عمله الأمين زِنَتُه ألف رطل بالمصرىّ .

النـــــوع الثـانى

(حواصل المواشى المعبر عنها عند كُتَّاب زماننا بالكُرَاع ؛ وهى حاصلان)

الأوّل ـ الإصطبلات . وهى حواصل الخيول والبِغَال وما فى معناها، قال آبن الطوير: وكان لهم إصـطبلان . قال : وكان للخليفة برسم الخاص(١) فى كل إصطبل(١) مايقْرُب من الألف رأس، النصف من ذلك برسم الخاصّ، والنصف برسم العوارىْ فى المواكب لأرباب الرُّتَب والمستخدمين، وكان لكل ثلاثة أرؤُس منهـا سائس واحد، لكل واحد منها شدّاد برسم تسييرها، وبكل من الإصطبلين رائض كأميراخور . ومن غريب ما يحكىٰ أن أحدا من خلفاء الفاطميين لم يركب حِصَانًا أدهمَ قطُّ، ولا يَرَوْنَ إضافته إلىٰ دوابّهم بالإصطبلات .

---

(١) لعلهما زائدتان من قلم الناسخ .

الثانى ـ المُنَاخات ، وهى حواصل الجمال ، وكان لهم من الجمال الكثيرة بالمُنَاخات وعُدَدها الفائقة ما يقصر عنه الحد .

النوع الثالث

(حواصل الغلال وشُوَنُ الأَتْبان)

أمّا الغلال ، فكانت لهم الأهراءُ فى عدّة أماكنَ : بالقاهرة و بالفُسْطَاط ، والمَقْسِم ، ومنها تصرف الإطلاقات لأرباب الرواتب والخدم والصدقات وأرباب الجوامع والمساجد والجرايات والطواحين السلطانية ، وجرايات رجال الأسطول وغير ذلك ، وربما طال زمن الغلال فيها حتّى تقطع بالمساحى .

وأمّا شون الأتبان ، فكان بطريق الفُسْطَاط شونتان عظيمتان مملوءتان بالتبن معبأتان تعبئة المراكب كالجبلين الشاهقين ، وينفق منها للإصطبلات والمواشى الديوانية وعَوَامل بساتين الملك ، وكانت ضريبة كل شليف عندهم ثلثمائة وستين رطلا .

النوع الرابع

(حواصل البِضَاعة)

قال ابن الطوير : وكان فيها ما لا يحصره إلا القلم من الأخشاب والحديد والطواحين النجدية والغشيمة ، وآلات الأساطيل من القِنَّب والكَتَّان ، والمنجنيقات والصُّنَّاع الكثيرة من الفرنج وغيرهم من أهل كل صنعة ، وكانت الصناعة أوّلا بالجزيرة المعروفة الآن بالرَّوْضَة ، ولذلك كانت تعرف بينهم بجزيرة الصِّناعة قاله القضاعىّ .

النوع الخـامس

(مافى معنىٰ الحواصل : لوقوع الصرف والتفرقة منه،
وهو الطواحين والمَطْبَخ ودار الفطرة)

فأمّا الطواحين، فإنها كانت معلقة، مداراتها أسفلُ وطواحينها فوقُ كما فى السواقى حتّى لا يقارب الدقيقَ زِبْلُ الدوابِّ الدائرة لآختصاصـه بالخليفة . وأمّا المَطْبَخ، فقد تقـدّم فى الكلام علىٰ خطط القاهرة، وكان يدخل بالطعام منـه إلىٰ القصر من باب الزُّهومة مكانَ قاعة الحنـابلة من المدرسة الصالحيـة الآن علىٰ ما تقـدّم فى خِطَط القاهرة . قال آبن الطوير : ولم يكن لهم أسمطة عامّة فى سوىٰ العيدين وشهر رمضان .

الجمـــــلة الثـالثة

(فى ذكر جيوش الدولة الفاطمية، وبيان مراتب أرباب السيوف)

وهم علىٰ ثلاثة أصناف :

الصـــنف الأوّل الأُمراء،

(وهم علىٰ ثلاث مراتب)

المرتبة الأولىٰ ــ مرتبة الأمراء المطوَّقين. وهم الذين يخلع عليهم بأطواق الذهب فى أعناقهم، وكأنهم بمثابة الأمراء مقدّمى الأُلُوف فى زماننا .

المرتبة الثانية ــ مرتبة أرباب القُضُب، وهم الذين يركبون فى المواكب بالقُضُب الفِضّة التى يخرجها لهم الخليفة من خِزانة التجمُّل تكون بأيديهم، وهم بمثابة الطبلخاناه فى زمانـنا .

المرتبة الثالثة ــ أدوان الأمراء ممن لم يؤهَّل لحمل القُضُب . وهم بمثابة أمراء العشرات والخمسات فى زماننا .

الصـــنف الثـانى

(خواص الخليفة ، وهم علىٰ ثلاثة أنواع)

النـــوع الأوّل

(الأســـتاذون)

وهم المعروفون الآن بالخدّام و بالطواشـيَّة ، وكان لهم فى دولتهم المكانة الجليلة ، ومنهم كان أرباب الوظائف الخاصة بالخليفة ، وأجلهم المُحنَّكُونَ ، وهم الذين يُدوِّرون عمائمهم علىٰ أحناكهم كما تفعل العرب والمغاربة الآن ، وهم أقربهم إليه وأخصهم به ، وكانت عدّتهم تزيد علىٰ ألف . قال ٱبن الطوير : وكان من طريقتهم أنه متىٰ ترشح أستاذ منهم للحنك وحنك ، حَمَلَ إليه كل أستاذ من المحنكين بَدْلَةً كاملة من ثيابه وسيفا وفرسا فيصبح لاحقا بهم ، وفى يده مثل ما فى أيديهم .

النـــوع الثـانى

(صِبْيان الخاص)

وهم جماعة من أخصاء الخليفة نحو خمسمائة نفر منهم أمراء وغيرهم ، ومقامهم مقام المعروفين بالخاصكية فى زماننا .

النـــوع الثـالث

(صِبْيان الحُجَر)

وهم جماعة من الشَّبَاب يناهزون خمسة آلاف نفر مقيمون فى حُجَر منفردة لكل حُجْرة منها ٱسم يخصها ، يضاهون مماليك الطباق السلطانية الآن المعبر عنهم بالكتانية إلا أن عدّتهم كاملة وعللهم مزاحة ، ومتىٰ طُلِبوا لِمُهِمٍّ لم يجدوا عائقا ، وللصِّبيان منهم حجرة منفردة يتسلمها بعض الأستاذين ؛ وكانت حُجْرتهم بمعزل عن القصر داخل باب النصر مكان الخانقاه الركنية بيبرس الآن .

الصـــــنف الثـالث

(طوائف الأجناد)

وكانوا عدّة كثيرة، تنسب كلُّ طائفة منهم إلىٰ مَنْ بقى من بقايا خليفة من الخلفاء الماضين منهم، كالحافظية والآمرية من بقايا الحافظ والآمر، أو إلىٰ مَنْ بقى من بقايا وزير من الوزراء الماضين كالجُيُوشية والأفضلية من بقايا أمير الجيوش بدر الجمالىّ وولده الأفضل، أو إلىٰ مَنْ هى منتسبةٌ إليه فى الوقت الحاضر كالوزيرية أو غير ذلك من القبائل والأجناس كالأتراك والأكراد والغز والدَّيْلم والمَصَامدة، أو من المستصنعين كالروم والفرنج والصَّقالبة، أو من السُّودان من عبيد الشراء، أو العُتَقَاء وغيرهم من الطوائف، ولكل طائفة منهم قُوّاد ومقدّمون يحكمون عليهم .

الجمـــــــلة الرابعة

(فى ذكر أرباب الوظائف بالدولة الفاطمية، وهم علىٰ قسمين)

القسم الأوّل

(ما بحضرة الخليفة، وهم أربعة أصناف)

الصـــــنف الأوّل

(أرباب الوظائف من أرباب السيوف، وهم نوعان)

النـــــوع الأوّل

(وظائف عامّة الجند، وهى تسع وظائف)

الوظيفة الأولىٰ — (الوزارة) وهى أرفع وظائفهم وأعلاها رتبةً . وآعلم أن الوزارة فى الدولة الفاطمية كانت تارة تكون فى أرباب السُّيوف، وتارة فى أرباب الأقلام، وفى كلا الجانبين تارة تعلو فتكون وزارةَ تَفْويضٍ تضاهى السلطنة الآن

أو قريبا منها، ويعبر عنها حينئذ بالوزارة؛ وتارة تنحطُّ فتكون دون ذلك، ويعبر عنها حينئذ بالوَساطة .

قال فى "نهاية الأرب" : وأوّل مَنْ خُوطِب منهم بالوزارة يعقوبُ بن كلس وزير العزيز، وأوّل وزارتهم من عظماء أرباب السيوف بدر الجمالىّ وزير المستنصر، وآخرهم صلاح الدين يوسف بن أيوب، ومنها آستقل بالسلطنة علىٰ ما تقدّم .

الوظيفة الثانية ــ (وظيفــة صاحب الباب) وهى ثانى رتبة الوزارة . قال آبن الطوير : وكان يقال لهــا الوزارة الصــغرىٰ، وصاحبها فى المعنىٰ يقرب من النائب الكافل فى زماننــا، وهو الذى ينظر فى المظالم إذا لم يكن وزيرٌ صاحبُ ســيف ، فإن كان ثَمَّ وزيرٌ صاحب سيف ، كان هو الذى يجلس للظالم بنفسه ، وصاحبُ الباب من جملة مَنْ يقف فى خِدْمته .

الوظيفة الثالثة ــ (الاسفهلارية) . قال آبن الطوير : وصاحبها زِمَام كلّ زِمَام، وإليه أمر الأجناد والتحدّث فيهم ، وفى خدمته وخدمة صاحب الباب تقف الحُجَّاب علىٰ آختلاف طبقاتهم .

الوظيفة الرابعة ــ (حمل المِظَلَّة) فى المواسم العِظام : كركوب رأس العام ونحوه. وهى من الوظائف العِظام ، وصاحبها يسمّى حاملَ المظلة ، وهو أمير جليل ، وله عندهم التقدّم والرفعة : لحمل مايعلو رأس الخليفة .

الوظيفة الخامسة ــ (حمل سيف الخليفة) فى المواكب التى تحمل فيها المظلة ، ويعبر عن صاحبها بحامل السيف .

الوظيفة السادســة ــ (حمل رُمْح الخليفة) فى المواكب التى تحمل فيهــا المظلة . وهو رمح صغير يحمل مع الخليفة فى المواكب ، وصاحبها يعبر عنه بحامل الرمح .

الوظيفة السابعة ـ (حمل السِّلاح) حول الخليفة فى المواكب . وأصحاب هذه الوظيفة يعبر عنهم لزيهم بالركابية وبصِبْيان الركاب الخاص أيضا، وهم الذين يعبر عنهم فى زماننا بالسِّلاحدارية والطَّبَرْدارية، وكانت عدّتهم تزيد علىٰ ألفَىْ رجل،ولهم اثنا عَشَر مقدَّما ، وهم أصحاب ركاب الخليفــة ، ولهم نُقَبَاءُ موكَّلون بمعرفتهــم ، والأكابر من هؤلاء الرِّكابِيَّة تندب فى الأشــغال السلطانية، وإذا دخلوا عملا كان لهم فيه الصِّيتُ المرتفع .

الوظيفة الثامنة ـ (وِلَاية القاهرة).وكان لصاحبها عندهم الرتبة الجليلة والحُرْمة الوافرة، وله مكان فى الموكب يسير فيه .

الوظيفة التاسـعة ـ (ولاية مصر) . وهى دون ولاية القاهرة فى الرتبة كما هى الآن، إلا أن مصر كانت إذ ذاك عامرةً آهلةً، فكان مقــدارها أرفع ممـا هى عليه فى زماننــا .

النـــــوع الثـانى

(وظائف خواصِّ الخليفة من الأستاذين،وهى عدّة وظائف،وهى علىٰ ضربين)

الضرب الأوّل

(ما يختص بالأستاذين المحنِّكين، وهى تسع وظائف)

الأولىٰ ـ (شـدّ التاج) . وموضوعها أن صاحبَها يتولَّى شدّ تاج الخليفة الذى يلْبَسه فى المواكب العظيمة بمثابة اللَّفَّاف فى زماننا، وله مِيزَةٌ علىٰ غيره بلمسه التاجَ الذى يعلو رأس الخليفة، وكان لشدّه عندهم ترتيب خاص لايعرفه كل أحد، يأتى به فى هيئة مستطيلة ، ويكون شدّه بمنديل من لون لِبْس الخليفة ، ويعبر عن هذه الشدّة بشدّة الوَقَارِكما تقدّم .

الثانية — وظيفة (صاحب المجلس). وهو الذى يتولّىٰ أمر المجلس الذى يجلس فيه الخليفة الجلوسَ العامَّ فى المواكب، ويخرج إلىٰ الوزير والأمراء بعد جلوس الخليفة علىٰ سرير الملك يُعْلمهم بذلك، وينعت (بأمين الملك)، وهو بمثابة أمير خازندار فى زماننا.

الثالثة — وظيفة (صاحب) الرسالة. وهو الذى يخرج برسالة الخليفة إلىٰ الوزير وغيره.

الرابعة — وظيفة (زِمَام القُصُور). وهو بمثابة زِمَام الدُّور فى زماننا.

الخامسة — وظيفة (صاحب بيت المال). وهو بمثابة الخازندار فى زماننا.

السادسة — وظيفة (صاحب الدفتر) المعروف بدفتر المجلس. وهو المتحدّث علىٰ الدواوين الجامعة لأمور الخلافة.

السابعة — وظيفة (حامل الدواة). وهى دواة الخليفة المتقدّم ذكرها، وصاحب هذه الوظيفة يحمل الدواة المذكورة قدامه علىٰ السَّرْج ويسير بها فى المواكب.

الثامنة — وظيفة (زمّ الأقارب). وصاحبها يحكم علىٰ طائفة الأشراف الذين هم أقارب الخليفة وكلمته نافذة فيهم.

التاسعة — (زمّ الرجال). وهو الذى يتولّىٰ أمر طعام الخليفة كأستادار الصحبة.

الضرب الثانى

(ما يكون من غير المحنَّكين، ومن مشهوره وظيفتان)

الأولىٰ — نِقَابة الطالبيِّين. وهى بمثابة نِقَابة الأشراف الآن، ولا يكون إلا من شيوخ هذه الطائفة وأَجَلِّهم قَدْرًا؛ وله النظر فى أمورهم، ومنع من يدخل فيهم من

الأدعياء، وإذا ٱرتاب بأحد أخذه بإثبات نَسَبه . وعليه أن يعود مَرْضاهم، ويمشى فى جنائزهم، ويسعىٰ فى حوائجهم، ويأخذ علىٰ يد المتعدّى منهم، ويمنعه من الاعتداء، ولا يَقْطَع أمرا من الأمور المتعلقة بهم إلا بموافقة مشايخهم ونحو ذلك .

الوظيفة الثانية — (زم الرجال) . وصاحبها يتحدّث علىٰ طوائف الرجال والأجناد كزم صِبْيان الحُجَر، وزم الطائفة الآمرية والطائفة الحافظية، وزم السُّودان وغير ذلك؛ وهو بمثابة مقدّم المماليك فى زماننا .

الصـــــنف الثـانى

(من أرباب الوظائف بحضرة الخليفة أربابُ الأقلام، وهم علىٰ ثلاثة أنواع)

النـــــوع الأوّل

(أرباب الوظائف الدينية، والمشهور منهم ستة)

الأوّل — (قاضى القُضَاة) . وهو عندهم من أجلّ أرباب الوظائف وأعلاهم شأْنا وأرفعِهم قدرا . قال ٱبن الطوير : ولا يتقدّم عليه أحد أو يحتمى عليه، وله النظر فى الأحكام الشرعية ودُور الضَّرْبِ وضبطِ عيارها، وربما جُمِعَ قضاءُ الديار المصرية وأجنادُ الشأم وبلاد المغرب لقاض واحد وكتب له به عهدٌ واحد كما سيأتى فى الكلام علىٰ الولايات إن شاء الله تعالىٰ .

ثم إن كان الوزير صاحبَ سيفٍ، كان تقليدُه من قِبَلِه نيابة عنه، وإن لم يكن، كان تقليده من الخليفة،

ويقدّم له من إصطبلات الخليفة بغلةٌ شهباء يركبها دائما، وهو مختص بهذا اللون من البغال دون أرباب الدولة، ويخرج له من خِزَانة السروج مركب ثقيل وسرج برادفتين من الفضة ، وفى المواسم الأطواقُ، وتُخلَع عليه الخلع المُذْهَبَةُ؛ وكان من

مصطلحهم أنه لا يعدّل شاهدا إلا بأمر الخليفة، ولا يحضُر إملاكا ولا جنازةً إلا بإذن، وإذا كان ثَمَّ وزيرٌ لا يخاطب بقاضى القضاة لأن ذلك من نعوت الوزير؛ ويجلس يوم الاثنين والخميس بالقصر أوّل النهار للسلام على الخليفة، ويوم السبت والثلاثاء يجلس بزيادة الجامع العتيق بمصر، وله طَرْحة ومسند للجلوس وكُرسىّ توضع عليه دواتُه . وإذا جلس بالمجلس، جلس الشهود حواليْه يَمْنَةً ويَسْرَةً على مراتبهم فى تقدّم تعديلهم . قال ابن الطوير : حتّى يجلس الشابُّ المتقدّمُ التعديلِ أعلى من الشيخ المتأخرِ التعديلِ، وبين يديه أربعة موقعون: اثنان مقابل اثنين، وببابه خمسة حُجّاب : اثنان بين يديه واثنان على باب المقصورة وواحد ينفذ الخصوم . ولا يقوم لأحد وهو فى مجلس الحكم البتةَ .

الثانى - (داعى الدُّعاة) . وكان عندهم يلى قاضىَ القضاة فى الرتبة ويتزيّا بزيه فى اللباس وغيره . وموضوعه عندهم أنه يقرأ عليه مذاهب أهل البيت بدار تعرف بدار العلم، ويأخذ العهد على من ينتقل إلى مذهبهم .

الثالث - (المحتسب) . وكان عندهم من وجوه العُدُول وأعيانهم، وكان من شأنه أنه إذا خلع عليه قرئ سجلُّه بمصر والقاهرة على المنبر؛ ويده مُطْلَقَةٌ فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر على قاعدة الحِسْبة، ولا يُحَال بينه وبين مصلحة أرادها؛ ويتقدّم إلى الوُلاة بالشدّ منه، ويقيم النُّوّاب عنه بالقاهرة ومصر وجميع الأعمال كنوّاب الحُكْم؛ ويجلس بجامعى القاهرة ومصر يوما بيوم، وباقى أمره على ما الحال عليه الآن .

قلت : ورأيت فى بعض سجلّاتهم إضافة الحسبة بمصر والقاهرة إلى صاحبى الشُّرْطة بهما أحيانا .

الرابع - (وكالة بيت المال) . وكانت هذه الوكالة لا تُسنَد إلا لذوى الهيبة من شيوخ العدول، ويفوّض إليه عن الخليفة بيعُ ما يرى بيعه من كل صنف يملك

ويجوز التصرف فيه شرعا، وعتقُ المماليك، وتزويجُ الإماء، وتضمين مايقتضى الضمان، وآبتياعُ ما يرىٰ آبتياعه، وإنشاء ما يرىٰ إنشاءه من البناء والمراكب وغير ذلك ممـا يحتاج إليه فى التصرف عن الخليفة .

الخامس ــ (النائب). والمراد نائب صاحب الباب المتقدّم ذكره المعبَّر عنه فى زماننا بالمهمندار . قال آبن الطوير : ويعـبَّر عن هذه النيابة بالنيابة الشريفـة . قال : وهى رتبة جليلة، يتولاها أعيان العـدول وأرباب الأقلام ؛ وصاحبها ينوب عن صاحب البـاب فى تَلَقِّ الرُّسُل الواردين علىٰ الخليفة علىٰ مسافة وقفة نُوّاب الباب فى خدمته ، ويُنْزِل كلًّا منهـم فى المكان اللائق به ، ويرتِّب لهم ما يحتاجون إليه ، ولا يمكِّن أحدا من الآجتماع بهم ، ويتولّٰى آفتقادهم ، ويُذَكِّر صاحب الباب بهم ، ويسعىٰ فى نَجَاز أمرهم ، وهو الذى يسـلِّم بهم علىٰ الخليفـة أو الوزير ويتقدّمهم ويستأذن عليهم ، ويدخل الرسول وصاحبُ الباب قابضٌ علىٰ يده اليمنىٰ ، والنائبُ قابض علىٰ يده اليسرىٰ فيحفظ ما يقولون وما يقال لهم ، ويجتهـد فى آنفصالهم علىٰ أحسن الوجوه ، وإذا غاب أقام عنه نائبا إلىٰ أن يعود . ومن شريطته أنه لا يتناول من أحد من الرسل تقدمةً ولا طُرْفة إلا بإذن .

قال آبن الطوير : وهو المسمّٰى الآن بالمهمندار ، وسيأتى فى الكلام علىٰ ترتيب المملكة المستقرّ أن المِهْمِنْدَارَ الآن من أصحاب السيوف ، وكأنَّ ذلك لموافقة الدولة فى اللسان والهيئة .

السادس ــ (القُرّاء) . وكان لهم قرّاء يقرءون بحضرة الخليفة فى مجالسه وركوبه فى المواكب وغير ذلك ، وكان يقال لهم "قرّاء الحضرة" يزيدون فى العدّة علىٰ عشرة نَفَرٍ ، وكانوا يأتون فى قراءتهم فى المجـالس ومواكب الركوب بآيات مناسـبة للحال بأدنىٰ ملابسة ، قد أَلِفُوا ذلك وصار سهلَ الآستحضار عليهم ، وكان ذلك يقع منهم موقعَ

الاستحسان عند الخليفة والحاضرين، حتى إنه يحكىٰ أن بعض الخلفاء غَضِب علىٰ أمير فأمر باعتقاله ، فقرأ قارئ الحضرة : ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ فاستحسن ذلك وأطلقه إلا أنهم كانوا ربما أتوا بآيات إذا رُوعِيَ قصدُهم فيها، أخرجت القرءان عن معناه : كما يحكىٰ أنه لما استوزر المستنصرُ بدر الجمالىّ قرأ قارئهم : ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ ﴾ ولما استوزِر الحافظ رضوان قرأ قارئهم : ﴿ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ ﴾ إلىٰ غير ذلك من الوقائع .

النـــوع الثانى

(من أرباب الأقلام أصحاب الوظائف الديوانية، وهى علىٰ ثلاثة[1] أضرب)

الضرب الأوّل

(الوزارة إذا كان الوزير صاحبَ قلم)

اعلم أن أكثر وزرائهم فى ابتداء دولتهم إلىٰ أثناء خلافة المستنصر كانوا من أرباب الأقلام : تارةً وزارة تامة وتارة وَسَاطة، وهى رتبة دون الوِزَارة، وممن اشتهر من وزرائهم أربابِ الأقلام فيما ذكره ابن الطوير يعقوبُ بن كلس وزير العزيز، والحسنُ بن عبد الله اليازُورىّ وزير المستنصر، وأبو سعيد التُّسترىّ، والجرجانى، وابن أبى كدينة، وأبو الطاهر أحمد بن بابْشاذ صاحب المقدّمة فى النحو، ووزير الوزراء علىّ بن فلاح، والمَغْربىّ وزير المستنصر، وهو آخر من وُزِّر لهم من أصحاب الأقلام ، وعليه قدّم أمير الجيوش بدرٌ الجمالىّ فوُزِّر للستنصر علىٰ ما تقدّم ذكره ؛ وربما تخلل تلك المدّة الأولىٰ فى الوَسَاطة أربابُ السيوف ، كبَرْجَوان الخادم ، وقائد القوّاد الحسين بن جوهر ، وثِقَةُ ثقات السيف والقلم علىٌّ بن صالح

(١) المعدود أربعة كما يعلم مما سيأتى .

كلهم فى أيام الحاكم . وربما وَلِىَ الوساطةَ بعضُ النصارىٰ، كعيسىٰ بن نسطورس فى أيام العزيز، ومنصور بن عَبْدُون الملقب بالكافى، وزرعة بن نسطورس الملقب بالشافى كلاهمـا فى أيام الحاكم . وربمـا كان الأمر شُـورىٰ فى أهل المروادنى[(1)]؛ وكان من زِىِّ وزرائهم أصحابِ الأقلام أنهـم يَلْبَسون المناديل الطبقيات بالأحناك تحت حلوقهم كالعُدُول، وينفردون بلُبْس الدراريع مشقوقةً من النحر إلىٰ أسفل الصدر بأزرار وعُرًى؛ وهـذه علامة الوزارة؛ ومنهم من تكون أزراره من ذهب مشبك،ومنهم من تكون أزراره من لؤلؤ؛ وعادته أن تحمل له الدواة المحلاة بالذهب من خزانة الخليفـة ويقف بين يديه الحُجّـاب، وأمره نافذ فى أرباب السيوف من الأجناد،وفى أرباب الأقلام .

الضرب الثـانى

(ديوان الإنشاء، وكان يتعلق به عندهم ثلاث وظائف)

الأولىٰ ـ صَحَـابة ديوان الإنشاء والمكاتَبات، وكان لا يتولّاه إلا أجلُّ كُتَّاب البلاغة، ويخاطب بالأجلّ؛ وكان يقال له عندهم كاتب الدَّسْت الشريف، وإليه تسلَّم المكاتبات الواردة مختومةً فيَعْرِضها علىٰ الخليفة من يده،وهو الذى يأمر بتنزيلها والإجابة عنها؛ ويستشيره الخليفة فى أكثر أموره؛ ولا يُحْجب عنـه متىٰ قصـد المثولَ بين يديه، وربمـا بات عنـده الليالىَ، ولا سبيل إلىٰ أن يدخل إلىٰ ديوانه ولا يجتمع بكُتَّابه أحدٌ إلا خواصّ الخليفة . وله حاجب من الأمراء الشُّـيوخ، وله مرتبة عظيمة للجلوس عليها بالمَخَادِّ والمسند. ودواته من أخصّ الدُّوِىّ وأحسنها إلا أنه ليس لهـا كرسىّ توضع عليـه كدواة قاضى القُضاة، ويحملها له أسـتاذ من الأستاذين المختصين بالخليفة إذا أتىٰ إلىٰ حضرته .

---

(١) كذا فى الأصل مضببا عليه إشارة للتوقف ولعله المروءات .

الثانية ـ (التوقيع بالقلم الدقيق فى المظالم) وهى رُتْبة جليلة تلى رتبةَ صاحب ديوان الإنشاء والمكاتَبات، يكون صاحبها جليسا للخليفة فى أكثر أيام الأُسْبوع فى خلوته ، يذاكره ما يحتاج إليه من كتاب الله تعالىٰ أو أخبار الأنبياء والخلفاء الماضين، ويقرأ عليه مُلَحَ السِّيَرِ، ويكرر عليه ذكر مكارم الأخلاق، ويقوّى يده فى تجويد الخط وغير ذلك . وصحبته للجلوس دواة مُحَلَّاة، فإذا فرغ من المجالسة ألقىٰ فى الدواة كاغَدَة فيها عشرة دنانير، وقِرْطاسٌ فيه ثلاثة مثاقيل ندّ مثلّث خاصّ ليتبخر به عند دخوله علىٰ الخليفة ثانى دَفْعة . وإذا جلس الوزير صاحب السيف للمظالم ، كان إلىٰ جانبه يوقِّع بما يأمر به فى المظالم . وله موضعٌ من حقوق ديوان المكاتَبات لا يدخل إليه أحد إلا بإذن، وفرّاش لتقديم القصص؛ ويرفع إليه هناك قصص المظالم فيوقِّع عليها بما يقتضيه الحال كما يفعل كاتب السر الآن .

الثالثة ـ (التوقيع بالقلم الجليل). وكان يسمّى عندهم الخدمةَ الصغيرة لجلالتها ، ولصاحبها الطَّرّاحة والمسند فى مجلسه بغير حاجب. وموضوعها الكتابة بتنفيذ ما يوقِّع به صاحب القلم الدقيق، وبسطه . وصاحب القلم الدقيق فى المعنىٰ ككاتب السر أو كاتب الدَّسْت فى زماننا ، وصاحب القلم الجليل ككاتب الدَّرْج . فإذا رفعت قِصَص المظالم، حملت إلىٰ صاحب القلم الدقيق فيوقِّع عليها بما يقتضيه الحال بأمر الخليفة أو أمر الوزير أو من نفسه، ثم تحمل إلىٰ الموقِّع بالقلم الجليل لبسط ما أشار إليه صاحب القلم الدقيق ، ثم تحمل فى خريطة إلىٰ الخليفة فيوقِّع عليها، ثم تُخْرَج في خريطتها إلىٰ الحاجب فيقف علىٰ باب القصر، ويسلِّم كلَّ توقيع لصاحبه .

أمّا توقيع الخليفة بيده علىٰ القِصَص، فإنه إن كان ثَمَّ وزيرٌ صاحبُ سيف وَقَّع الخليفة علىٰ القصة بخطه: "وزيرنا السيد الأجل (ونعته بالمعروف به) أمتعنا الله تعالىٰ ببقائه يتقدّم بكذا وكذا إن شاء الله تعالىٰ" ويحمل إلىٰ الوزير فإن كان يحسن الكتابة،

كتب تحت خط الخليفة : "أمتثل أمر مولانا أمير المؤمنين صلوات الله عليـه" وإن كان لايحسن الكتابة، كتب أمتثل نقط؛ وإن لم يكن وزيرٌ صاحبُ سيف : فإن أراد الخليفة نجاز الأمر لوقته، وقَّع فى الجانب الأيمن من القصة "يوقَّع بذلك" فتخرج إلىٰ صاحب ديوان المجلس فيوقِّع عليها بالقلم الجليل ويخلى موضع العلامة، ثم تعاد إلىٰ الخليفة فيكتب فى موضع العلامة (يُعْتَمد) وتُثِّبت فى الدواوين بعد ذلك. وإن كان يوقع فى مساحة أو تسويغ أو تحبيس، كتب لرافعها بذلك "وقد أمضينا ذلك" وإن أراد علم حقيقة القصـة ، وقَّع علىٰ جانب القصـة "ليخرج الحـال فى ذلك" وتحمل إلىٰ الكاتب فيكتب الحـال وتعاد إلىٰ الخليفة فيفعل فيها ما أراد من توقيع ومنع، والله أعلم .

الضرب الثـالث

(ديوان الجيش والرواتب، وهو علىٰ ثلاثة أقسام)

الاول ـ (ديوان الجيش) . ولا يكون صاحبه إلا مُسْلِمـا، وله الرتبة الجليلة والمكانة الرفيعة؛ وبين يديه حاجبٌ، وإليه عرض الأجناد وخيولهم، وذكر حِلَاهم وشِيَات خيولهم .وكان من شرط هذا الديوان عندهم أن لايثبت لأحد من الأجناد إلا الفرس الجيد من ذكور الخيل وإناثها دون البغال والبراذين، وليس له تغيير أحد من الأجناد ولا شىء من اقطاعهم إلا بمرسوم . وبين يدى صاحب هذا الديوان نُقَباء الأمراء ، يُعَرِّفونه أحوال الأجناد من الحيـاة والموت والغَيْبة والحضور وغير ذلك، علىٰ ماالحال عليه الآن . وكان قد فسح للأجناد فى المقايضة بالإقطاعات لمـا لهم فى ذلك من المصالح كما هو اليوم، بتوقيعات من صاحب ديوان المجلس من غير علامة؛ ولم يكن لأمير من أمرائهم بلد كاملة، وإن علا قدرُه إلا فى النادر . ومن هذا الديوان كان يعمل أوراق أرباب الجرايات، وله خازنان برسم رفع الشواهد .

الثانى – (ديوان الرواتب) . وكان يشتمل علىٰ آسم كل مرتزق فى الدولة وجار وجراية ؛ وفيه كاتب أصيل بطرّاحة ونحو عشرة مُعِينين ، والتعريفات واردة عليه من كل عملٍ بآستمرار مَنْ هو مستمرّ ومباشرة مَن آستجدّ وموت مَنْ مات ، وفيه عدّة عروض يأتى ذكرها فى الكلام علىٰ إجراء الأرزاق والعطاء .

الثالث – (ديوان الإقطاع). وكان مختصا عندهم بما هو مُقْطَع للأجناد، وليس للمباشرين فيه تنزيل حلْية جُنْدِىّ ولا شِيَة دابته، وكان يقال لإقطاعات العُرْبان فى أطراف البلاد وغيرها الآعتداد، وهى دون عبرة الأجناد .

الضرب الرابع
(نظر الدواوين)

وصاحب هذه الوظيفة هو رأس الكل ، وله الولاية والعزل ، وإليه عرض الأرزاق فى أوقات معروفة علىٰ الخليفة والوزير، وله الجلوس بالمرتبة والمسند، وبين يديه حاجب من أمراء الدولة ؛ وتُخْرج له الدواة من خزانة الخليفة بغير كرسىّ ، وإليه طلب الأموال وآستخراجُها والمحاسبةُ عليها، ولا يعترض فيما يقصده من أحد من الدولة . قال آبن الطوير : ولم يُرقَ هذه الوظيفة نصرانىّ إلا الأخرم .

الثانية[1] – ديوان التحقيق . وموضوعه المقابلة علىٰ الدواوين ، وكان لايتولاه إلا كاتب خبير، وله الخِلَعُ ومَرْتبة يجلس عليها وحاجب بين يديه، ويُفْتقَر إليه فى كثير من الأوقات، ويُلْحق برأس الدواوين المتقدّم ذكره .

الثالثة – ديوان المَجْلِس . قال آبن الطوير : وهو أصل الدواوين قديما، وفيه معالم الدولة بأجمعها، وفيه عِدّة كُتّاب، وعنده مُعِين أو معينان، وصاحب هذا الديوان

(١) لم يتقدم له تقسيم ولم يذكر أولىٰ لتكون هذه ثانيتها والذى يفهم من المقام أنها وظائف وأن وظيفة نظر الدواوين أولىٰ ونظر ديوان التحقيق ثانية وهكذا تأمل .

هو المتحدّث فى الإقطاعات، ويُخْلَع عليه وينشأ له سجلٌّ بذلك لاحق بديوان النظر، وله دواة تُخْرَج له من خِزانة الخليفة وحاجب يقف بين يديه، وكان يتولاه عندهم أحد كُتَّاب الدولة ممن يكون مترشحا لأن يكون رأس الدواوين، ويسمى آستيمارُه دفتر المجلس، وهو متضمن للعطاء والظاهِر من الرسوم التى تقرّر فى غُرَّةِ السنة والضحايا، وما ينفق فى دار الفِطْرَةِ فى عيد الفطر، وفى فتح الخليج والأسمطة المستعملة فى رمضان وغيره، وسائر المآكل والمشارب والتشريفات، وما يطلَقُ من الأهراء من الغَلَّات، وما لأولاد الخليفة وأقاربه وأرباب الرواتب علىٰ آختلاف الطبقات من الرُّتَب، وما يَرِد من الملوك من الهدايا والتحف، وما يُبْعَثُ به إليهم من الملاطفات، ومقاديرُ صِلات الرسل الواردين بالمكاتبات، وما يخرج من الأكفان لمن يموت من الحريم، وضبط ما يُنْفَق فى الدولة من المهمَّات ليُعْلَم ما بين السنة والأخرىٰ من التفاوت وغير ذلك من الأمور المهمة . وهـذا الديوان فى زماننا قد تفرّق إلىٰ عدّة دواوين كالوزارة ونظر الخاص والجيش وغيرها .

الرابعة — (ديوان خزائن الكُسْوة) . وكان لها عندهم رتبة عظيمة فى المباشرات، وقد تقدّم ذكر حواصلها فى جملة الخزائن فيما سبق .

الخامسة — (الطِّراز) . وكان يتولاه الأعيان من المستخدمين من أرباب الأقلام، وله آختصاص بالخليفة دون كافة المستخدمين، ومُقَامه بدِمْيَـاطَ وتِنِّيسَ وغيرهمـا من مواضع الآستعمالات، ومن عنده تحمل المستعملات إلىٰ خِزَانة الكسوة المقدّمة الذكر .

السادسة — (الخدمة فى ديوان الأحباس) . قال آبن الطوير: وهى أوكد الدواوين مباشرة ولا يخدُم فيها إلا أعيان كُتَّاب المسلمين من الشهود المعدّلين، وفيها عدّة مُدراء[1]

(١) تقدم له مثل هذا الجمع فى الجزء الأوّل ونبهنا عليه .

بسبب أرباب الرواتب، وكان فيه كاتبان ومُعِينان لنظم الآستيمارات، ويُورِد فى آستيمارِه كل ما فى الرقاع والرواتب، وما يُجْبىٰ له من جهات كل من الوجهين القبلىّ والبحرىّ.

السابعة – (الخدمة بديوان الرواتب). وفيه مرتَّبات الوزير فمن دُونَه إلىٰ الضوّى. قال آبن الطوير: بلغ فى بعض السنين ما يزيد علىٰ مائة ألف دينار ونحوا من مائتى ألف، ومن القمح والشعير عشرة آلاف إردب، وكان آستيمار الرواتب يعرض فى كل سنة علىٰ الخليفة فيزيد من يزيد، وينقص مَنْ ينقص، وإنه عُرِض سنةً علىٰ المستنصر بالله فلم يعترض أحدا من المرتَّبين بنقص، ووقَّع علىٰ ظاهر الآستيمار بخطه "الفقر مُرُّ المَذَاق، والحَاجَةُ تُذِلُّ الأعْنَاق، وحِرَاسَةُ النِّعَم بإدْرَارِ الأرزاق، فلْيُجْرَوْا علىٰ رسومهم فى الإطلاق، مَاعِنْـدَكُمْ يَنْفَدُ، ومَا عِنْـدَ اللهِ بَاقٍ" وأمر ولىّ الدولة آبن خيران كاتب الإنشاء بإمضاء ذلك.

الثامنة – (الخدمة فى ديوان الصعيد) من الصعيد الأعلىٰ والصعيد الأدنىٰ. وكان فيه عدّة كُتَّاب فروع، والآستيفاء مقسومٌ بينهم، وعليهم عمل التذاكر بطلب ما تأخر من الحساب. وصاحب هذا الديوان يترجمها بخطه، ويحملها إلىٰ صاحب الديوان الكبير فيوقِّع عليها بالآسترفاع، ويندُب لها من الحُجّاب أو غيرهم من يراه، وله مياومة يأخذها من المستخدمين مدّة بقائه عندهم ويُحْضِرُها نُسَخًا للدّواوين الأصول.

التاسعة – (الخدمة فى ديوان أسفل الأرض). وهو الوجه البحرىّ خلا الثُّغُورَ، وحكمه فيما تقدّم من الكُتَّاب وما يلزم كلا منهم حكم ديوان الصعيد المتقدّم الذكر من غير فرق.

العاشرة – (الخدمة فى ديوان الثُّغُور). وهى الإسكندرية ودِمْياط ونَسْتَرُوه والبَرَلُّس والفَرَما، وحكمه حكم ما تقدّم من ديوان الصعيد وأسفل الأرض.

الحادية عشرة ـ (الخدمة فى الحوالى والمواريث الحشرية) . قال ٱبن الطوير: كان لايتولاه إلا عدل ، وفيه جماعة من الكُتَّاب علىٰ ماتقدّم فى غيره من الدواوين أيضا .

الثانية عشرة ـ (الخدمة فى ديوانى الخراجىّ والهلالىّ) وتجرى فيه الرباع والمكوس وعليه حوالات أكثر المرتزقين .

الثالثة عشرة ـ (الخدمة فى ديوان الكُرَاع) . وفيه معاملة الإصطبلات ، وما فيها من الدوابّ الخاص وغيرها والبغال والجمال ودوابّ المَرَمَّة المُرصَدة للعمائر ورباع الديوان ، وعُدَد ذلك وآلاته ، وعلوفات ذلك مع ماينضم إليه من علوفة الفِيلَة والزَّرارِيف (١) والوحوش وراتب مَنْ يخدمها . وكان فى هذا الديوان كاتبًا أصل ومستوفى ومُعِينان .

الرابعة عشرة ـ (الخدمة فى ديوان الجِهَاد) . ويقال له ديوان العمائر ، وكان محله بالصِّناعة بمصر ، وفيه إنشاء المراكب للأسطول وحمل الغلال السلطانية والأحطاب وغيرها ، ومنه يُنْفَق علىٰ رؤساء المراكب ورجالها ، وإذا لم يف ٱرتفاقه بما يحتاج إليه ٱستُدْعِى له من بيت المال بما يكفيه .

الصنف الثالث من أرباب الوظائف

(أصحاب الوظائف الصناعية)

وأعظمها وظائف الأطباء ، وكان للخليفة طبيب يُعْرَف بطبيب الخاصّ يجلس علىٰ باب دار الخليفة كلَّ يوم ، ويجلس علىٰ الدكك التى بالقاعة المعروفة بقاعة الذهب بالقصر دونَهُ أربعةُ أطباء أو ثلاثة فيخرج الأستاذون فيستدعون منهم من يجدونه للدخول علىٰ المرضىٰ بالقصر لجهات الأقارب والخواص فيكتُب لهم رقاعا علىٰ خزانة الشراب فيأخذون ما فيها ، وتبقىٰ الرقاع عند مباشريها شاهدا لهم . ولكل منهم الجارى والراتب علىٰ قدره .

(١) لم نعثر علىٰ هذا الجمع فى كتب اللغة ولعله جارى العامة فى تعبيراتهم .

الصنف الرابع
(الشعراء)

وكانوا جماعة كثيرة من أهل ديوان الإنشاء وغيره، وكان منهم أهل سُنَّة لا يَغْلُون في المديح، وشيعةٌ يَغْلُون فيه . فمِنْ أحْسَنِ مدحٍ فيهم لِسُنِّيّ قول عمارة التميمي رحمه الله :

أَفَاعِيلُهُمْ فى الجُودِ أَفْعَالُ سُـنَّةٍ * و إن خَالَفُونِى فى ٱعْتِقَادِ التَّشَيُّعِ

ومن الذى وقعت فيه المغالاة قول بعضهم :

هَـذَا أميرُ المؤمنين بمجلس * أبْصَرْتُ فيـهِ الوَحْىَ والتَّنْزِيلَا
و إذا تَمَثَّلَ رَاكِبًا فى مَوْكِبٍ، * عَايَنْتَ تحتَ رِكَابِهِ جِـبْرِيلَا

قلت : وهـذه المغالاة من المغالاة الفاحشـة التى لا يجوز الإقدام عليها لسنّى ولا متشيع، وإنما هى من ٱقتحام الشعراء البوائق .

القسم الثانى
(من أرباب الوظائف بالدولة الفاطمية ما هو خارج عن حضرة الخلافة، وهو صنفان)

الصنف الأوّل
(النُّوّاب والوُلاة)

وٱعلم أن مملكتهم كانت قد (١) فى ثلاث ممالك فيها نوابهم ووُلَاتهم .

المملكة الأولى الديار المصرية، وهى التى كانت قد ٱستقرّت قاعدةَ ملكهم، ومحطَّ رحالهم، وكان بها أربع ولايات .

الأولى ـ ولاية قُوص . وكانت هى أعظم ولايات الديار المصرية، وواليها يحكم على جميع بلاد الصعيد، وربما وُلِّىَ بالأُشْمُونِين ونحوها من يكون دونه .

(١) بياض بالأصل ولعله "انحصرت" كما يفهم من سياق كلامه .

الثانية ــ ولاية الشَّرْقية . وكانت دون ولاية قُوص فى الرتبة،وكان متوليها يحكم علىٰ عمل بُلْبَيْس وعمل قَلْيُوب وعمل أُشْمُوم .

الثالثة ــ ولاية الغربية . وكانت دون ولاية الشرقية فى المرتبة ، وكان متوليها يحكم علىٰ عمل المَحَلَّة، وعمل مَنُوف، وعمل أبيار .

الرابعة ــ ولاية الإسْكَنْدَرِيَّة . وهى دون الغربية فى الرتبة، وكان متوليها يحكم علىٰ أعمال البحيرة بأجمعها .

قال ٱبن الطوير : وهؤلاء الأربعة كان يُخْلَع عليهم من خزانة الكُسْوَة بالبدنة، وهو النوع الذى يلبسه الخليفة فى يوم فتح الخليج .

قلت : لعـل هـذه الولايات الأربع ولايات الوُلاة التى تدخل تحت حكمها الولايات الصِّـغار، أو تكون هى التى ٱستقرّ عليه الحال فى آخر دولتهم ، وإلا فقد رأيت فى تذكرة أبى الفضل الصورىّ : أحدِ كُتَّاب الإنشاء فى أيام القاضى الفاضل سجلاتٍ كثيرةً لولاة الوجهين القبلىّ والبحرىّ [(١)] .

الجمـــلة الخـامسة

(من ترتيب مملكتهم، فى هيئة الخليفة فى مواكبه وقصوره؛ وهى علىٰ ثلاثة أضرب)

الضرب الأوّل

(جلوسه فى المواكب ، وله ثلاثة جلوسات)

الجلوس الأوّل

(جلوسه فى المجلس العامّ أيام المواكب)

وٱعلم أن جلوس الخليفـة أوّلا كان بالإيوان الكبير الذى كان بالقصر علىٰ سرير المُلْك الذى كان بصدره إلىٰ آخر أيام المستعلى . فلما ولى ٱبنه الآمر الخلافةَ بعده ،

(١) لم يذكر بقية الممالك الثلاث ٱقتصارا علىٰ المقصود وسيأتى ذكر البقية فى الجزء الرابع .

نقل الجُلوسَ من الإيوان الكبير إلىٰ القاعة المعروفة بقاعة الذهب بالقصر أيضا ، وصار يجلس من مجالسها علىٰ سرير المُلْك به ، وجعل الإيوان الكبير خِزَانَةً للسلاح ، ولم يتعرّض لإزالة سرير المُلْك منه حتّٰى جاءت الدولة الأيوبية ، وهو باق ، وكان جلوس الخليفة فى هذه الحالة لا يتعدّٰى يومى الاثنين والخميس ، وليس ذلك علىٰ الدوام بل علىٰ التقرير بحسب ما تقتضيه الحال . فإذا أراد الجلوس فإن كان فى الشتاء عُلِّق المجلس الذى يجلس فيه بستور الديباج ، وفرش بالبُسُط الحرير ، وإن كان فى الصيف ، علق بالستور الدبيقية وفرش بطبرى" طَبَرِسْتَانَ المُذْهَبِ الفائق ، وهيئت المرتبة المعدّة لجلوسه علىٰ سرير الملك بصدر المجلس ، وغُشِّى السرير بالقُرْقُوبِىّ" ، ثم يستدعىٰ الوزير من داره بصاحب الرسالة علىٰ حصان رهوان فى أسرع حركة علىٰ خلاف الحركة المعتادة ، فيركب الوزير فى هيئته وجماعته وبين يديه الأمراء ، فإذا وصل إلىٰ باب القصر ترجّل الأمراء ، وهو راكب إلىٰ أوّل باب من الدَّهاليز الطِّوال عند دِهْليز يعرف بدِهْليز العمود ، ويمشى وبين يديه أكابر الأمراء إلىٰ مَقْطَع الوزارة بقاعة الذهب ، فإذا تهيأ جلوس الخليفة ، آستدعى الوزير من مَقْطَع الوزارة إلىٰ باب المجلس الذى فيه الخليفة وهو مُغْلَق ، وعلىٰ بابه سِتْرٌ مُعَلَّق ، فيقف زِمَام القصر عن يمين باب المجلس وزِمَام بيت المال عن يساره ، والوزير واقف أمام باب المجلس وحواليه الأمراء المطوّقون وأرباب الخِدَمِ الجليلة ، وفى خلال القوم قُرَّاءُ الحضرة ؛ ويضع صاحبُ المجلس الدواة مكانها من المرتبة أمام الخليفة ، ثم يخرج كم من أكمامه يعرف بفرد الكم ويشير إلىٰ زِمَام القصر وزِمَام بيت المال الواقفَيْنِ بباب المجلس ، فيرفع كل منهما جانب الستر فيظهر الخليفة جالسا علىٰ سرير الملك مستقبل القوم بوجهه ، ويستفتح القرّاء بالقرءان ، ويدخل الوزير المجلس ويسلم بعد دخوله ، ثم يُقَبِّل يدى الخليفة ورجليه ، ويتأخر مقدار ثلاثة أذرع ويقف ساعة زمانية ،

ثم تُخْرَج له مِخَدّة عن الجانب الأيمن من الخليفـة ويؤمر بالجلوس إليها ، ويقف الأمراء فى أماكنهم المقرّرة لهم فصاحب البـاب وآسفهسلار من جانبى الباب يمينا ويسارا ،ويليهم من خارجه ملاصقا للعتبة زِمَام الآمرية والحافظية وباقى الأمراء علىٰ مراتبهم إلىٰ آخر الرواق، وهو إفريزٌ عالٍ عن أرض القاعة، ثم أرباب القصب والعماريات يَمْنَةً ويَسْرَةً كذلك، ثم الأماثل والأعيان من الأجناد المترشحين للتقدمة، ويقف مستندا بالقدر الذى يقابل باب المجلس نوّابُ الباب والحجـابُ، فإذا آنتظم الأمر علىٰ ذلك، فأول ماثل للخـدمة بالسلام قاضى القُضاة والشهودُ المعروفون بالآستخدام فيجيز صاحبُ البـاب القاضىَ دون من معـه فيسلم علىٰ الخليفة بأدب الخلافة، بأن يرفع يده اليمنىٰ ويشير بالمسبحة،ويقول بصوت مسموع : "السلام علىٰ أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته" يتخصص بهـذا الكلام دون غيره من أهـل السلام، ثم يسلم بالأشراف الأقارب زِمامُهُمْ، وبالأشراف الطالبيين نقيبهم ،فتمضى عليهم كذلك ساعتان زمانيتان أو ثلاثٌ،ثم يسلم عليه من خُلِعَ عليه بقُوصَ أو الشرقية أو الغربيـة أو الإسكندرية، ويشرّفون بتقبيل العتبة ، وإذا دعت حاجة الوزير إلىٰ مخاطبة الخليفة فى أمر ، قام من مكانه وقَرَّب منه مُنْحَنِياً علىٰ سيفه ، ويخاطبه مرة أو مرتين أو ثلاثا، ثم يؤمر الحاضرون بالآنصراف فينصرفون، ويكون آخرهم خروجا الوزير بعد تقبيل يد الخليفة ورجله . فإذا خرج إلىٰ الدهليز الذى ترجل فيه، ركب منه إلىٰ داره ، وفى خدمته من حضر فى خدمته إلىٰ القصر، ويدخل الخليفةُ إلىٰ سَكَنه مع خواصّ الأستاذين، ثم يُغْلَق باب المجلس ويرخىٰ الستر إلىٰ أن يحتاج إلىٰ حضور موكب آخر فيكون الأمر كذلك .

الجلوس الثانى

(جلوسه للقاضى والشهود فى ليالى الوقود الأربع من كل سنة)

وهى : ليلة أوّل رجب، وليلة نصفه ، وليلة أوّل شعبان، وليلة نصفه .

إذا مضىٰ النصف من جمادىٰ الآخرة حمل إلىٰ القاضى من حواصل الخليفة ستون شمعة ، زنةُ كل شمعة منها سُدْس قِنْطَار بالمصرىّ ليركب بها فى أول ليلة من شهر رجب ؛ فإذا كان أوّلُ ليلة منه جلس الخليفة فى مَنْظَرة عالية كانت عند باب الزُّمُرُّدِ من أبواب القصر المتقدّم ذكره ، وبين يديه شَمع يوقد فى العلوّ يَتَبيَّنُ شخصُه علىٰ ٱرتفاعه . ويركب القاضى من داره بعد صلاة المغرب وبين يديه الشَّمَعُ المحمول إليه من خِزَانة الخليفة موقودا، من كل جانب ثلاثون شمعة، وبين الصَّفَّين مؤذنو الجوامع ، يعلنون بذكر الله تعالىٰ، ويدعون للخليفة والوزير بترتيب مقرّر محفوظ، ويحُجبه ثلاثة من نوّاب الباب، وعشرة من حُجّاب الخليفة، خارجا عن حُجّاب الحكم المستقرّين وهم خمسة فى زىّ الأمراء ؛ وفى ركابه القُرّاء يقرءُون القرءان، والشهودُ وراءه علىٰ ترتيب جلوسهم بمجلس الحكم الأقدمُ فالأقدمُ ؛ وحول كل منهم ثلاث شَمَعات أو شمعتان أو شمعة واحدة إلىٰ بين القصرين فى جمع عظيم حتى يأتىَ باب الزُّمُرُّد من أبواب القصر، فيجلسون فى رَحَبة تحت المَنْظَرة التى فيها الخليفة ، ويحضر بين يديه بسَمْتٍ ووقار وتشوّف لٱنتظار ظهور الخليفة ، فيفتح الخليفة إحدىٰ طاقات المنظرة فيظهر منها رأسه ووجهه، وعلىٰ رأسه عِدّة من خواصّ الأستاذين من المحنَّكين وغيرهم، فيفتح بعض الأستاذين طاقةً أخرىٰ فيُخْرِجُ منها رأسه ويدَه اليمنىٰ، ويشير بكمه قائلا : " أمير المؤمنين يردّ عليكم السلام " فيسلم بقاضى القضاة أوّلا بنعوته، وبصاحب الباب بعده كذلك، وبالجماعة الباقية بجملة من غير تعيين أحد؛ ويستفتح قرّاء الحضرة بالقراءة وهم قيام فى الصَّدْر، ظهورهم

إلىٰ حائط المَنْظَرَة ووجوههم للحاضرين. ثم يتقدّم خطيب الجامع الأنور (وهو الذى بباب البحر) فيخطُب كما يخطب فوق المِنْبَرِ، وينبه علىٰ فضيلة ذلك الشهر، وأن ذلك الركوبَ علامتُـه ثم يختم كلامه بالدعاء للخليفة؛ ثم يتقـدّم خطيب الجامع الأزهر فيخطب كذلك؛ ثم يتقدّم خطيب جامع الحاكم فيخطب كذلك، والقرّاء فى خلال تلك الخطب يقرءون، فإذا آنتهت خَطَابة الخطباء، أخرج الأسـتاذ الأوّل يده من تلك الطاقة فيردّ علىٰ الجماعة السلام؛ ثم تغلق الطاقتان وينفضّ الناس، ثم يركب القاضى والشهود إلىٰ دار الوزير فيجلس لهم ليسلموا عليـه، ويخطب الخطباء الثلاثة عنده بأخفَّ من مقام الخليفة ويدعون له، ثم ينصرفون ويذهب القاضى والشهود صحبتُه إلىٰ مصر، ووالى القاهرة فى خدمته، ويمرّ بجـامع آبن طولون فيصلّى فيـه ويخرج منه فيجد والىَ مصر فى تَلَقِّيه فيمضى فى خِدْمته، ويمرّ علىٰ المَشَاهد فيتبرك بها، ويمضى إلىٰ الجـامع العتيق ويدخل من باب الزيادة التى يحكم فيها فيصلى فى الجامع ركعتين، ويُوقَد له التنور الفضـة الذى بالجامع، وهو تَنُّور عظيم حَسَن التكوين فيه نحو ألف وخمسمائة برّاقة، وبسفله نحو مائة قنديل؛ ثم يخرج من الجامع فإن كان ساكنا بمصر آستقرّ بها، وإن كان ساكنا بالقاهرة آنتظره والى القاهرة فى مكانه حتّى يعودَ من مصر فيذهب فى خدمته إلىٰ داره .

وكذلك يركب فى ليلة الخامس عشر من رجب إلا أنه بعد صلاته فى جامع مصر يتوجه إلىٰ القـرافة فيصـلّى فى جامعها؛ ثم يركب فى أوّل شـعبان كذلك؛ ثم فى نصفه كذلك .

الجـــــلوس الثـالث

(جلوسه فى مولد النبيّ صلّى الله عليه وسلم فى الثانى عشر من شهر ربيع الأوّل)

وكان عادتهم فيه أن يعمل فى دار الفِطْرة عشرون قنطارا من السُّكَّر الفائق حَلْوىٰ من طرائف الأصناف، وتُعبّىٰ فى ثلثمائة صينية نُحَاس . فإذا كان ليلةُ ذلك المولد،

تفرّق فى أرباب الرسوم : كقاضى القضاة، وداعى الدعاة، وقرّاء الحضرة، والخطباء، والمتصدّرين بالجوامع بالقاهرة ومصر، وقَوَمَةِ المشاهد وغيرهم ممن له آسم ثابت بالديوان، ويجلس الخليفة فى منْظرة قريبة من الأرض مقابلَ الدار القُطْبِيَّة المتقدّمة الذكر (وهى البيمارستان المنصورىّ الآن) ثم يركب القاضى بعد العصر ومعه الشهود إلىٰ الجامع الأزهر ومعهم أرباب تفرقة الصوانى المتقدّمة الذكر، فيجلسون فى الجامع مقدارَ قراءة الختمة الكريمة، وتُسدّ الطريق تحت القصر من جهة السُّيُوفيين وسُوَيقة أمير الجيوش، ويكنس ما بين ذلك ويُرَشّ بالماء رَشًّا، ويرشّ تحت المَنْظَرة بالرمل الأصفر، ويقف صاحب الباب ووالى القاهرة علىٰ رأس الطُّرُق لمنع المارّة، ثم يستدعىٰ القاضى ومَنْ معه فيحضرون ويترجَّلُون علىٰ القرب من المنظرة ويجتمعون تحتها وهم متشوّفون لآنتظار ظهور الخليفة، فيفتح إحدىٰ طاقات المنظرة فيظهر منها وجهُه، ثم يُخْرِجُ إحدىٰ الأستاذين المحنَّكين يده ويشير بكمه بأن الخليفة يردّ عليكم السلام، ويقرأ القرّاء ويخطب الخطباء كما تقدّم فى ليالى الوُقُود فإذا آنتهت خَطَابة الخطباء، أخرج الأستاذ يده مشيرا بردّ السلام كما تقدّم، ثم تغلق الطاقتان وينصرف الناس إلىٰ بيوتهم؛ وكذلك شأنهم فى مولد علىّ بن أبى طالب كرم الله وجهه الخاص فى أوقات معلومة عندهم من السنة .

الضرب الثانى

(ركوبه فى المواكب، وهو علىٰ نوعين)

النوع الأوّل

(ركوبه فى المواكب العظام، وهى ستة مواكب)

الموكب الاوّل

(ركوب أوّل العامِ)

وكان من شأنهم فيه أنه إذا كان العشر الآخر من ذى الحجة من السنة ، وقع

الآهتمام باخراج مايُحتاج إليه فى المواكب من حواصل الخليفة : فيُخْرَج من خزائن السلاح ما يحمله الرِّكابيــة وغيرهم حولَ الخليفة كالصَّماصم ، والدَّبابيس ، واللُّتوت ، وعمد الحديد ، والسيوف ، والدَّرَق ، والرماح ، والألوية ، والأعلام . ومن خزانة التجمل برسم الوزير والأمراء وأرباب الخِــدَمِ الألويةُ والقُضُبُ ، والعماريات ، وغير ذلك مما تقدّم ذكره . ومن الإصطبلات مائةُ فرس مسوَّمة برسم ركوب الخليفة وما بجنبه . ويُخْرَج من خزانة السروج مائةُ سرج بالذهب والفضة مرصَّع بعضها بالجواهر بمراكب من ذهب ، وفى أعناق الخيــل أطواق الذهب وقلائد العَنْــبَرِ ، وفى أرجل أكثرها خلاخل الذهب والفضة مسطحة ، قيمة كل فرس وما عليها من العدّة ألف دينار ، يُدْفَع للوزير منها عشرة بعدّتهــا برسم ركوبه وركوب أخصَّائه ، وتسلَّم إلىٰ المُنَاخات أغشية العماريات لتحمل علىٰ الجمال ، إلىٰ غير ذلك من الآلات المستعملة فى المواكب ممــا تقدّم ذكره فى الكلام علىٰ الخزائن ، ويُبْعَث إلىٰ أرباب الخِدَم من الإصطبلات بخيول عادية ليركبوها فى الموكب . فإذا كان يوم التــاسع والعشرين من ذى الحجة ، آســتدعىٰ الخليفة الوزير من داره علىٰ الرسم المعتــاد فى الإسراع ، فإذا عاد صاحبُ الرسالة من آستدعاء الوزير ، خرج الخليفة من مكانه راكبا فى القصر ، فينزل فى السدِلِّى ، بدهليز باب الملك الذى فيه الشباك ، وعليه ستر من ظاهره ، فيقف من جانبه الأيمن زِمَامُ القصر ، ومن جانبــه الأيسر صاحبُ بيت المــال ؛ ويركب الوزير من داره وبين يديه الأمراءُ ، فإذا وصــل إلىٰ باب القصر تَرَجَّلَ الأمراء وهو راكب ، ويدخل من باب العيد ، ولا يزال راكبا إلىٰ أوّل باب من الدهاليز الطِّوال ، فينزل ويمشى فيها وحواليه حاشيتُــه ومَنْ يُرَابُّه من أولاده وأقاربه . فإذا وصل إلىٰ الشُّبَّاك ، وجد تحته كرســيا كبيرا من حديد فيجلس عليــه ورجلاه تطأ الأرض ، فإذا جلس ، رفع كلٌّ من زمامِ القصر وصاحب بيت المــال

الستر من جانبه فيرى الخليفة جالسا على مرتبة عظيمة ، فيقف ويسلم ويخدم بيده في الأرض ثلاث مرات ، ثم يؤمر بالجلوس على كرسيه فيجلس . ويستفتح القرّاء بقراءة آيات لائقة بذلك المكان مقدار نصف ساعة ؛ ثم يسلم الأمراء ، ويُشْرَع في عرض خيول الخاص المقدّم ذكرها واحدةً واحدةً إلى آخرها . فإذا تكمل عرضها ، قرأ القرّاء ما يناسب ختم ذلك المجلس . فإذا فرغوا أُرْخى الستر وقام الوزير فدخل عليه فقبل يديه ورجليه ، ثم ينصرف عنه فيركب من مكان نزوله ويخرج الأمراء معه إلى خارج فيَمْضُون معه إلى داره رُكْبانا ومُشاة على حسب مراتبهم . فإذا صلّى الخليفة الظهر ، جلس لعرض خزانة الكسوة الخاص وتعيين ما يُلْبَس في ذلك الموكب ولباسه فيه ، فيعين مِنْديلًا لشدّ التاج ، وبَدْلَةً من هذا النوع ، والجوهرةَ الثمينةَ وما معها من الجواهر المتقدّمة الذكر لشدّ التاج وتشدّ مِظَلَّة تشبه تلك البدلة ، وتلف في مِنْديل دَبِيقِيّ فلا يكشفها إلا حاملُها عند ركوب الخليفة ، ثم يشدّ لواءى الحمد المتقدّمى الذكر . فإذا كان أوّلُ يوم من العام ، بكّر أربابُ الرُّتَبِ من ذوى السيوف والأقلام فلا يُصْبِح الصبح إلا وهم بين القصرين منتظرين ركوب الخليفة (وهو يومئذ فضاء واسع خال من البناء) ويبكر الأمراء إلى دار الوزير ليركبوا معه ، فيخرج من داره ويركب إلى القصر من غير ٱستدعاء وأمامه ما شرَّفه به الخليفة من الألوية والأعلام ، والأمراء بين يديه ركبانا ومشاة ، وأولاده وإخوته قدّامه ، وكل منهم مرخى الذؤابة بلا حنك ، وهو في هيئة عظيمة من الثياب الفاخرة والمنديل والحَنَك متقلدا بالسيف الذهب . فإذا وصل إلى باب القصر ، ترجَّل الأمراء ودخل هو راكبا إلى محل نزوله بِدِهْليز القصر المعروف بدهليز العمود فيترجَّل هناك ويمشى في بقية الدهاليز حتّى يصلَ إلى مَقْطَع الوزارة بقاعة الذهب هو وأولاده وإخوته وخواصُّ حاشيته ، ويجلس الأمراء بالقاعة على دِكَك معدّة لهم ،

ويُدْخَل فرسُ الخليفة إلىٰ باب المجلس الذى هو فيه ، وعلىٰ باب المجلس كرسىٌّ يركب من عليه . فإذا آستوت الدابة إلىٰ ذلك الكرسىّ ، أُخرجت المظلة إلىٰ حاملها فيكشفها مما هى ملفوفة فيه ويتسلمها بإعانة أربعة معدّين لخدمتها فيركزُها فى آلة من حديد تشبه القرن المصطحب مشدودة فى ركاب حاملها الأيمن بقوّة ، ويمسك العمود بحاجز فوق يده ، ثم يخرج السيف فيتسلمه حامله . فإذا تسلمه أرخى ذُؤَابَتَه فلا تزال مرخاة ما دام حاملا له ، ثم تُخْرَج الدواة فيتسلمها حاملها ويجعلها قدّامه بينه وبين السرج ، ثم يخرج الوزير عن المَقْطَع وينضم إليه الأمراء ويقفون إلىٰ جانب فرس الخليفة ، ويرفع صاحب المجلس السترَ فيخرج مَنْ كان عند الخليفة للخدمة من الأستاذين ، ويخرج الخليفة فى أثرهم فى ثيابه المختصة بذلك اليوم وعلىٰ رأسه التاج الشريف والدرّة اليتيمة علىٰ جبهته ، وهو مُحَنَّكٌ مرخىّ الذؤابة مما يلى جانبه الأيسر متقلد بالسيف العربىّ وقضيبُ المُلْك بيده ، ويسلم علىٰ الوزير قوم مرتَّبون لذلك ، ثم علىٰ القاضى وعلىٰ الأمراء بعدهما ، ثم يخرج الأمراء وبعدهم الوزير فيركب ويقف قُبَالة باب القصر ، ويخرج الخليفة راكبا وفرسه ماشيةٌ علىٰ بُسُط خَشْيَةَ أن تَزْلَق علىٰ الرخام والأستاذون حوله . فإذا قارب الباب وظهر وجهُه ، ضرب رجلٌ ببُوقٍ لطيف مُعْوَجّ الرأس متَّخَذٍ من الذهب يقال له الغريبة مخالف لصوت الأبواق ، فتضرب البوقات فى الموكب ، وتُنْشَر المظلة ، ويخرج الخليفة من باب القصر فيقف وقفةً يسيرة بمقدار ركوب الأستاذين المحنكين وغيرهم من أرباب الرتب الذين كانوا فى الخدمة بالقاعة ، ثم يسير الخليفة فى الموكب وصاحبُ المظلة علىٰ يساره ، وهو يحْرِص أن لا يزول ظلها عن الخليفة ، ثم يكتنف الخليفةَ مقدّمو صِبْيان الركاب ، آثنان منهم فى شكيمتى لجام فرسه ، وآثنان فى عنق الفرس من الجانبين ، وآثنان فى ركابه من الجانبين أيضا ، والأيمن منهما هو صاحب المِقْرَعة

الذى يناولها للخليفة و يتناولها منه، وهو الذى يؤدّى عن الخليفة مدّة ركوبه الأوامرَ والنواهىَ، واللواءان المعروفان بلواءى الحمد عن جانبيه، والمِذَبَّتَانِ عند رأس فرس الخليفة، والركابية يمينه وشماله نحو ألف رجل مقلدو السيوف مشدودو الأوساط بالمناديل والسلاح ، وهم من جانبى الخليفة كالجناحين المادّين، بينهما فرجة لوجه الفرس ليس فيها أحد، وبالقرب من رأسها الصقلبيان الحاملان للمِذَبتين ، وهما مرفوعتان كالنخلتين. (ويترتب الموكب) : أجناد الأمراء وأولادهم وأخلاط العسكر أمام الموكب وأدوان الأمراء يلونهم ، وبعدهم أرباب القُضُبِ الفضة من الأمراء ، ثم أرباب الأطواق منهم، ثم الأستاذون المحنكون، ثم أهل الوزير المتقدّم ذكرهم، ثم الحاملان للواءى الحمد من الجانبين، ثم حامل الدواة وحامل السيف بعده، وهما من الجانب الأيسر، وكل واحد ممن تقدّم ذكره بين عشرة إلىٰ عشرين من أصحابه، ثم الخليفة بين الركابية ، وهو سائر علىٰ تُؤَدَةٍ ورِفْقٍ ، وفى أوائل العسكر ومتقدّميه والِى القاهرة ذاهبا وعائدا لفسح الطرقات وتسيير مَنْ يقف، وفى وسط العسكر آسفهسلار يَحُث الأجناد علىٰ الحركة و يزجُر المتزاحمين والمعترضين فى العسكر ذاهبا وعائدا ، وفى زمرة الخليفة صاحب الباب لترتيب العسكر وحراسة طرقات الخليفة ذاهبا وعائدا ، يلقى صاحبُ الباب آسفهسلارُ، واسفهسلارُ يلقىٰ والى القاهرة ، وفى يد كل منهم دبُّوس،وخلف الخليفة جماعةٌ من الركابية لحفظ أعقابه، ثم عشرة يحملون عشرةَ سيوفٍ فى خرائط ديباج أحمرَ وأصفرَ يقال لها سيوف الدم برسم ضرب الأعناق، وبعدهم الحاملون للسلاح الصغير المتقدّم الذكر؛ ووراءه الوزير فى هيئة عظيمة، وفى ركابه نحو خمسمائة رجل ممن يختاره لنفسه من أصحابه، وقوم يقال لهم صبيان الزَّرَدِ من أقوياء الأجناد من جانبيه بفُرْجة لطيفة أمامه دون فرجة الخليفة مجتهدا أن لا يغيب الخليفة عن نظره، وخلفه الطُّبول والصُّنوج والصفافير فى عدّة

كثيرة تَدْوِى من أصواتها الدنيا، ووراءَ ذلك حاملُ الرمح المقدّم ذكره والدرَقَةِ المنسوبة إلىٰ حمزة، ثم رجال الأساطيــل مشاةً ومعهم القِسِىّ العربية، وتسمّى قسى الرِّجْلِ والركاب، ما يزيد علىٰ خمسمائة رجل؛ ثم طوائف الرجال من المصامدة، ثم الريحانية والجُيُوشية، ثم الفرنجية، ثم الوزيرية: زُمْرةً بعد زُمْرةٍ فى عِدّة وافرة تزيد علىٰ أربعة آلاف؛ ثم أصحاب الرايات والسبعين، ثم طوائف العساكر: من الآمرية والحافظية والحجرية الكبار والحجرية الصِّغار والأفضلية والجيوشـيـة، ثم الأتراك المصطنعون، ثم الديلم، ثم الأكراد، ثم الغُزُّ المصطنعة وغيرهم ما يزيد علىٰ ثلاثة آلاف فارس .

قال آبن الطوير: وهذا كله بعضٌ مِنْ كلٍّ . وإذا ترتب الموكب علىٰ ذلك، سار من باب القصر الذى خرج منـه بين القصرين ، يسـير بموكبه حتّٰى يخرج من باب النصر ويصـلَ إلىٰ حوض كان هناك يعرف بعز الملك علىٰ القرب من باب النصر، ثم ينعطف علىٰ يساره طالبا بابَ الفتوح، وربما عطف عند خروجه من باب النصر علىٰ يساره ، وسار بجانب السُّور حتّٰى يأتى بابَ الفتوح فيدخل منـه . وكيفما كان فإنه يدخل منه ، ويسـير الموكب حتّٰى ينتهىَ بين القصرين فيقف العسكرُ هناك علىٰ ما كان عليه عند الركوب ويترجّل الأمراء . فإذا آنتهىٰ الخليفةُ إلىٰ الجامع الأقمر، وقف هناك فى جماعته وينفرج الموكب للوزير فيتحرّك مسرعا ليصير أمام الخليفة . فإذا مرّ بالخليفة، سَكَع له سَكْعة ظاهرة، فيشير الخليفة بالسلام عليه إشارة خفيفة، وهذه أعظم كرامة تصـدُر من الخليفة، ولا تكون إلا للوزير صاحبِ السـيـف . فإذا جاوز الوزيرُ الخليفةَ، سـبقه إلىٰ باب القصر ودخل راكبا علىٰ عادته والأمراءُ أمامه مشاةً إلىٰ الموضع الذى ركب منه بدهليز العمود المقدّم ذكره، فيترجل هناك ويقف هو والأمراءُ لآنتظار الخليفة . فإذا آنتهىٰ الخليفةُ إلىٰ باب القصر، ترجل الأستاذون المحنَّكون ودخل الخليفة القصر وهو راكب والأسـتاذون مُحْدِقون به .

فإذا آنتهى إلى الوزير، مشى الوزير أمام وجه فرسه إلى الكرسى الذى ركب من عليه فيخدمُه الوزيرُ والأمراء، وينصرفون ويدخل الخليفة إلى دُوره . فإذا خرج الوزير إلى مكانِ تَرَجُّلِه ركب، والأمراء بين يديه، وأقاربُه حواليه إلى خارج باب القصر، فيركب منهم مَنْ يستحق الركوب، ويمشى من يستحق المشى، ويسيرون فى خدمته إلى داره، فيدخل راكبا وينزل على كرسى فيخدمُه الجماعة وينصرفون ، وقد رأى الناس من حسن الموكب ما أبهجهم وراق خواطِرَهم، ويتفرّق الناسُ إلى أماكنهم فيجدون الخليفة قد أرسل إليهم الغرّة : وهى دنانير رُبَاعية ودراهم خِفَاف مدوّرة، ويكون الخليفة قد أمر بضربها فى العشر الأخير من ذى الحجة برسم التفرقة فى هذا اليوم، لكل واحد من الوزير والأمراء وأرباب المراتب من حملة السيوف والأقلام قدرٌ مخصوص من ذلك، فيقبلونها على سبيل التبرك من الخليفة، ويكتب إلى البلاد والأعمال مخلَّقات بالبشائر بركوب أول العام كما يكتب بوفاء النيل وركوب المَيْدان الآن .

الموكب الثانى

(ركوب أوّل شهر رمضان)

وهو قائم عند الشيعة مَقام رؤية الهلال ، والأمر فى العَرْض واللباس والآلات والركوب والموكب وترتيبه والطرق المسلوكة على ماتقدّم فى أول العام من غير فرق، ويكتب فيه المخلَّقات بالبشائر كما يكتب فى أول العام .

الموكب الثالث

(ركوبه فى أيام الجمع الثلاث من شهر رمضان)

وهى الجمعة الثانية [والثالثة[1]] والرابعة ، وذلك أنه إذا ركب إلى الجامع الأنور بباب البحر، بكَّر صاحب بيت المال إلى الجامع بالفَرْش المختص بالخليفة محمولا

(١) الزيادة ليست بالأصل ، ولكن سياق كلامه يدل عليها .

علىٰ أيدى أكابر الفرّاشـين ملفوفا فى العَرَاضى الدبيقية ، فيُفْرَشُ فى المحراب ثلاث طرّاحات إمّا شاميات ، و إمّا دَبيقى أبيض، منقوشة بالحمرة ، وتُفْرَش واحدة فوق واحدة، ويعلَّق ستران يَمْنَةً و يَسْرَةً ، فى الستر الأيمن مكتوب برقم حرير أحمر سُورة الفاتحة وسُورةُ الجمعة ، وفى الستر الأيسر سورةُ الفاتحة وسورةُ المنافقين كتابةً واضحة مضبوطة، ويصـعد قاضى القضاة المنبَر، وفى يده مِدْخنة لطيفة خَيْزُرَان يُحْضرها إليه صاحبُ بيت المـال وفيها نَدٌّ مثلَّث لايشم مثله إلاهناك، فيبخر ذِرْوة المِنْبر التى عليها القَنَا كالقبـة لجلوس الخليفة للخطابة ثلاث دَفَعات، ويركب الخليفـة فى هيئة ما تقدّم فى أوّل العام وأوّل رمضان : من المِظَلَّة والآلات ، ولباسُـه فيه الثياب البياض غير المُذْهَبة توقيرا للصلاة،والمِنْديل والطيلسان المقور . وحولَ ركابه خارج الركابية قرّاء الحضرة من الجانبين يرفعون أصواتهم بالقراءة نَوْبةً بعد نَوْبةٍ من حين ركوبه من القصر إلىٰ حين دخوله قاعة الخَطَابة ، فيدخل من باب الخطابة فيجلس فيهـا ، وإن ٱحتاج إلىٰ تجديد وضوء فعل، وتحفظ المقصورة من خارجها بترتيب أصحاب الباب وٱسفهسلار وصِبيان الخاصّ، وغيرهم ممن يجرى مجراهم من أوّلها إلىٰ آخرها، وكذلك من داخلها من باب خروجه إلىٰ المنبر . فإذا أُذِّنَ للجمعة دخل إليه قاضى القضاة، فقال : "السلام علىٰ أمير المؤمنين الشريف القـاضى الخطيب ورحمة الله وبركاته، الصلاةَ يرحمك الله" فيخرج ماشيا وحواليه الأستاذون المحنَّكُون والوزير وراءه، ومن يليهم من الأمراء من صِبْيان الخاص ، و بأيديهم الأسلحة حتّٰى ينتهى إلىٰ المِنْبَر فيصعد حتّٰى يصلَ إلىٰ الذِّروة تحت القبة المُبخَّرة،والوزير علىٰ باب المنبر ووجهه إليه . فإذا ٱستوىٰ جالسا أشار إلىٰ الوزير بالصـعود فيصعد إلىٰ أن يصلَ إليه، فيُقَبِّلُ يديه و رجليه بحيث يراه الناس ، ثم يزرّ عليه تلك القبة وتصـير كالهودج، ثم ينزل مسـتقبلا للخليفة و يقف ضابطا للمنْبر . فإن لم يكن وزيرٌ صاحب

سيف ، كان الذى يَزُرُّ عليـه قاضى القضاة ، و يقف صاحب الباب ضابطا للمنبر، فيخطب خطبة قصيرة من سَـفَط يأتى إليه من ديوان الإنشاء، و يقرأ فيها آيةً من القرآن الكريم، ثم يصلى فيها على أبيه وجدّه يعنى النبىّ صلى الله عليه وسـلم، وعلىّ آبن أبى طالب كرم الله وجهه، و يَعِظُ الناسَ وَعْظًا بليغا قليـلَ اللفظ، و يذكر مَنْ سـلف من آبائه حتّى يصـل إلىٰ نفسـه فيقول : "اللهم وأنا عبدك وآبن عبديك لا أملِك لنفسى ضَرًّا ولا نفعا" ويتوسل بدعوات نخمة تليق به، ويدعو للوزير إن كان ثَمَّ وزيرٌ وللجيوش بالنصر والتآلف، وللعساكر بالظَّفَر، وعلىٰ الكافرين والمخالفين بالهلاك والقَهْر، ثم يختم بقوله ﴿ٱذْكُرُوا اللهَ يَذْكُرْكُمْ﴾ فيطلع إليه من زرّ عليه فيفُكُّ ذلك التزرير عنـه، و ينزل القَهْقَرىٰ، فيـدخل(١) المحراب ويقف علىٰ تلك الطراحات إماما والوزير وقاضى القضاةِ صَفًّا، ومن ورائهما الأستاذون المحنكون والأمراء المطوّقون وأرباب الرتب من أصحاب السـيوف والأقلام، والمؤذِّنون وقوفٌ وظهورهم لحائط المقصورةِ ، والجامع مشحون بالعالَم للصـلاة وراءه فيقرأ فى الركعـة الأولىٰ ما هو مكتوب فى الســتر الأيمن، وفى الثانية ما فى الستر الأيسر . فإذا سَمَّعَ الخليفةُ، سَمَّعَ القـاضى المؤذنين ، فيسمِّع المؤذنون النـاسَ . فإذا فرغ خرج(٢) الناس وركبوا أوّلا فأوّلا وعاد إلىٰ القصر والوزيرُ وراءه حتّى يأتى إلىٰ القصر، والطبول والبُوقات تضرب ذَهَابا و إيابا .

فإذا كانت الجمعة الثالثة من الشهر، ركب إلىٰ الجامع الأزهر كذلك وفعل كما فعل فى الجمعة الأولىٰ، لا يختلف فى ذلك غيرُ الجامع .

فإذا كانت الجمعة الرابعة منه ، ركب إلىٰ الجامع العتيق بمصر و يزيِّن له أهل القاهرة من باب القصر إلىٰ الجامع الطُّولونى، و يزيِّن له أهل مِصْرَ من الجامع الطولونىّ إلىٰ

(١) لعله فينزل (أى الخليفة) فيدخل الخ . (٢) لعله خرج وخرج الناس الخ .

الجامع العتيق ، وقد نَدَب الواليان بالبلدين مَنْ يحفظ الناس والزينة . ويركب من باب القصر ويسير فى الشارع الأعظم بمصر، يمشى فى شارع واحد بين العمارة إلىٰ الجامع العتيق بمصر فيفعل كما فعل فى الجامعين الأوّلين من غير مخالفة . فإذا قضى الصلاة، عاد إلىٰ القاهرة من طريقه تلك إلىٰ أن يصل إلىٰ قصره، وفى خلال ذلك كلّه لا يمرّ بمسجد إلا أعطىٰ أهله دينارا علىٰ كَثْرة المساجد فى طريقه .

الموكب الرابع

(ركوبه لصلاة عيدى الفطر والأضحىٰ)

أما عيد الفطر فيقع الاهتمام بركوبه فى العشر الأخير من رمضان ، وتعبّى أهبة المواكب علىٰ ما تقدّم فى أوّل العام وغيره، وكان خارج باب النصر مصلًّى علىٰ رَبْوَةٍ وجميعها مبنيٌّ بالحجر ، ولها سور دائر عليها وقلعة علىٰ بابها ، وفى صدرها قبّةٌ كبيرة فى صدرها مِحْراب، والمنبر إلىٰ جانب القبة وسط المصلّى مكشوفا تحت السماء، ارتفاعه ثلاثون درجة وعَرْضه ثلاثة أذرع ، وفى أعلاه مصطبةٌ . فإذا كمل رمضان ، وهو عندهم ثلاثون يوما من غير نقص . فإذا كان اليوم الأوّل من شوّال ، سار صاحب بيت المال إلىٰ المصلّى خارج باب النصر، وفرش الطرّاحات بمحراب المصلّى، كما تقدّم فى الجوامع فى أيام الجمع ، ويعلق سترين يَمْنَةً ويَسْرَةً، فى الأيمن الفاتحةُ وسَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلىٰ ، وفى الأيسر الفاتحةُ ، وهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الغَاشِيَةِ ، ويركز فى جانبى المصلّى لواءين مشدودين علىٰ رمحين ملبسين بأنابيب الفِضة ، وهما منشوران مرخيان ، ويوضع علىٰ ذِرْوة المنبر طرّاحة من شاميات أو دبيق ، ويفرش باقيه بستر من بياض، علىٰ مقداره فى تقاطيع درجه مضبوطة لا تتغير بالمشى وغيره ، ويجعل فى أعلاه لواءان مرقومان بالذهب يَمْنَةً ويَسْرَةً، ثم سار الوزير من داره إلىٰ

قصر الخليفة علىٰ عادته المتقدّمة الذكر، ويركب الخليفة بهيئة المواكب العظيمة علىٰ ما تقـدّم فى أوّل العام : من المِظَلّة والتاج وغير ذلك من الآلات ، ويكون لباسـه فى هـذا اليوم الثيابَ البيض الموشّحة المجومة ، وهى أجلُّ لباسـه ومظالته كذلك ، ويخرج من باب العيد علىٰ عادته فى ركوب المواكب إلا أن العساكر فى هـذا اليوم من الأمراء والأجناد والركبان والمشاة تكون أكثر من غيره، وينتظم القوم له صَفَّيْنِ من باب القصر إلىٰ المصـلّٰى ، ويركب الخليفـة إلىٰ المصلّٰى فيدخل من شرقيّها إلىٰ مكان يستريح فيه دقيقةً، ثم يخرج محفوظا بحاشيته كما فى صلاة الجمع المتقدّمة الذكر فيصير إلىٰ المحراب، والوزير والقاضى وراءه كما تقدّم، فيصلى صلاة العيد بالتكبيرات المسنونة، ويقرأ فى الركعة الأولىٰ مافى الستر الذى علىٰ يمينه، وفى الثانية مافى الستر الذى علىٰ يساره . فإذا فرغ وسلم، صعد المنبر لخَطابة العيد . فإذا انتهىٰ إلىٰ ذِرْوة المنبر، جلس علىٰ تلك الطرّاحة بحيث يراه الناس ، ويقف أسـفل المنبر الوزيرُ، وقاضى القضاة ، وصاحب البـاب واسفهسلار ، وصاحب السـيف ، وصاحب الرسالة، وزِمَامُ القصر، وصاحب دفتر المجلس، وصاحب المِظَلّة، وزِمَامُ الأشراف الأقارب ، وصاحب بيت المـال ، وحامل الرمح ، ونقيب الأشراف الطالبيـين . (١) ووجه الوزير إليه فيقبلهـما بحيث يراه النـاس، ثم يقوم فيقف علىٰ يَمْنَة الخليفة . فإذا وقف أشار إلىٰ قاضى القضاة بالصعود فيصـعد إلىٰ سابع درجة، ثم يتطلع إليه منتظرا مايقول، فيشير إليه فيُخْرِجُ من كُمِّه دَرْجا قد أُحْضِر إليه فى أمسه من ديوان الإنشاء بعد عرضـه علىٰ الخليفة والوزير، فيعلن بقراءة مضـمونه [ويقول] بعد البسملة : شُرِّف بصعود المنبر الشريف فى يوم كذا ، وهو عيد الفطر من سنة

(١) فيه سقط وفى المقريزى بعد هذا [فيشير إليه فيصعد و يقرب وقوفه منه و يكون وجهه موازيا رجليه فيقبلهما الخ].

كذا من عند أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلىٰ آبائه الطاهرين وأبنائه الأكرمين بعد صعود السـيد الأجل (يذكر نعوت الوزير المقررة والدعاء له) ثم ذكر من يُشَرِّفُه الخليفة بصعود المنبر من أولاد الوزير، ثم ذكر القاضى ولكنه يكون هو القارئ للثَّبَت فلا يسـعه ذكر نعوته فيقول : المملوك فلان بن فلان ونحو ذلك ، ثم الواقفين علىٰ باب المنبر ممن تقدّم ذكره بنعوتهم واحدا واحدا، وكلما ذكر واحدا آستدعاه وطلع المنبر، كل منهـم يعرف مقامه فى المنبر يَمْنَةً ويَسْرَةً . فإذا لم يبق أحد ممن أُطلع إلىٰ المنبر، أشار الوزير إليهم فأخذ كل مَنْ هو فى جانب بيده نصيبا من اللواء الذى بجانبه فيستتر الخليفة ويستترون، وينادىٰ فى الناس بالإنصات، فيخطب الخليفةُ خطبـةً بليغةً مناسـبة لذلك المقام ، يقرؤها من السَّفَط الذى يُحْضَر إليه مسطَّرا من ديوان الإنشاء كما فى جُمَع رمضان المتقدمة الذكر . فإذا فرغ من الخطبـة ، ألقىٰ كلُّ مَنْ فى يده شىءٌ من اللواء خارج المنبر، فينكشفون ويتزلون القهقرىٰ أوّلا بأول الأقرب فالأقرب . فإذا خلا المنبر للخليفة ، هبط ودخل المكانَ الذى خرج منـه ، فيلبث قليلا ثم يركب فى هيئته التى أتىٰ فيها إلىٰ المصلّى، ويعود فى طريقه التى أتىٰ منها . فإذا قرب من القصر، تقدّمه الوزير علىٰ العادة، ثم يدخل من باب العيد الذى خرج منه ، فيجلس فى الشُّبَّاك الذى فى الإيوان الكبير ، وقد مدّ منه إلىٰ فسقية فى وسط الإيوان مقدار عشرين قصبة سِمَـاطٌ فيه من الخُشْكَان والبسندود، وغير ذلك ممـا يعمل فى العيد مثـلُ الجبل الشاهق ، كل قطعـة ما بين ربع قنطار إلىٰ رطل واحد ، فيأكل مَنْ يأكل وينقلُ مَنْ ينقلُ لا حَجْر عليـه ولا مانع دونه ، ثم يقوم من الإيوان فيركب إلىٰ قاعة الذهب فيجد سرير الملك قد نُصِب ، ووضع له مائدة من فضـة ، ومدّ السماط تحت السرير فيترجل عن السرير، ويجلس علىٰ المـائدة، ويستدعى الوزيرَ فيجلس معـه، ويجلس الأمراء علىٰ السِّماط ولا يزال كذلك حتّى

يستهدم السماط قريبَ صلاة الظهر؛ ثم يقوم وينصرف الوزير إلىٰ داره والأمراء فى خدمته فيمدّ لهم سماطا يأكلون منه وينصرفون .

وأما عيد الأضحىٰ، فإنه إذا دخل ذو الحجة وقع الاهتمام بركوبه . فإذا كان يوم العيد، ركب الخليفة علىٰ ما تقدّم فى عيد الفِطْر من الزِّىّ والترتيب والركوب إلىٰ المصلّىٰ ، ويكون لباس الخليفة فيه الأحمرَ الموشحَ ، ومِظَلّته كذلك ، ويخرج إلىٰ المصلّىٰ خارج باب النصر ويخطب ، ثم يعود إلىٰ القصر كما فى عيد الفطر من غير زيادة ولا نقص ؛ ثم بعد دخوله إلىٰ القصر يخرج من باب الفَرَج ، وهو باب القصر الذى كان مسامتا لدار سعيد السُّعَداء التى هى الخانقاه الآن ، فيجد الوزيرَ راكبا علىٰ الباب المذكور ، فيترجل الوزيرُ ويمشى فى خدمته إلىٰ المَنْحَر ، وهو خارج الباب المذكور . وكان إذ ذاك فضاء واسعا لا بِناءَ فيه ، وهناك مصطبة مفروشة فيطلُع عليها الخليفةُ والوزيرُ وقاضى القضاة والأستاذون المحنَّكون وأكابر الدولة ، ويكون قد سبق إلىٰ المنحر أحدٌ وثلاثون فصيلا وناقةً للأضحية ، وبيده حربة ، وقاضى القضاة ممسك بأصل سِنَانها ، وتُقَدَّم إليه الأضحية رأسا رأسا فيجعل القاضى السنانَ فى نحر النحيرة ويطعن به الخليفة فى لَبَّتِها ، فتخرّ بين يديه حتّىٰ يأتى علىٰ الجميع ، ثم يُسَيِّرُ رسومَ الأضحية إلىٰ أرباب الرسوم المقرّرة ، وفى اليوم الثانى يساق إلىٰ المنحر سبعةٌ وعشرون رأسا ، ويركب الخليفة فيفعل بها كذلك ، وفى اليوم الثالث يساق إليه ثلاثٌ وعشرون رأسا فيفعل بها كذلك . فإذا انقضىٰ ذلك فى اليوم الثالث وعاد الخليفة إلىٰ القصر ، خلع علىٰ الوزير ثيابه الحمرَ التى كانت عليه يوم العيد ، ومنديلا بغير اليتيمة والعقد المنظوم بالجوهر ، ويركب الوزيرُ بالخِلْعة من القصر ، ويشق القاهرةَ بالشارع سالكا إلىٰ الخليج فيسير عليه حتّىٰ يدخل من باب القنطرة إلىٰ دار الوزارة ، وبذلك انفصال العيد . ثم أوّل نحيرة تنحر تقدّد وتُسَيَّرُ إلىٰ داعى اليَمَنِ فيفرّقها علىٰ المعتقَدِين من وزن نصف درهم

إلىٰ وزن ربع درهم، وباقى ذلك يفرّق علىٰ أرباب الرسوم فى أطباق للبَرَكة، وأكثره يُفرِّقُه قاضى القضاة وداعى الدُّعاة علىٰ الطلبة بدارالعدل والمتصدّرين بجوامع القاهرة، وفى اليوم الأوّل يمدّ السماط بقاعة الذهب علىٰ ماتقدّم فى عيد الفطر من غير فرق .

الموكب الخـامس

(ركوبه لتخليق المقياس عند وفاء النيل)

قد تقدّم عند ذكر النيل فى الكلام علىٰ الديار المصرية ٱبتداءُ زيادة النيل ووفاؤه وٱنتهاؤه ، وذكرُ المناداة عليـه علىٰ ما الأمر مستقرّ عليـه . إلا أنه فى زمن هؤلاء الخلفاء لم يكن ينادىٰ عليه قبـل الوفاء، وإنما يؤخذ قاعُه وتكتب به رُقْعَةٌ للخليفة والوزير، ثم ينزل بديوان الرسائل فى مسير معدّ له فى الديوان ، ويستمرّ الحال علىٰ ذلك فى كل يوم ترفع رُقْعة إلىٰ ديوان الإنشاء بالزيادة لايطّلع عليها غيرالخليفة والوزير، وأمره مكتوم إلىٰ أن يبقىٰ من ذراع الوفاء (وهو السـادس عشر) أصبعٌ أو أصبعان، فيؤمر بأن يبيت فى جامع المِقياس تلك الليلة قُرّاءُ الحضرة والمتصدّرون بالجوامع بالقاهرة ومصر ومن يجرى مجراهم لختم القرءان الكريم فى تلك الليلة هناك، ويمدّ لهم السماط بالأطعمة الفاخرة، وتوقد عليهم الشموع إلىٰ الصبح . فإذا أصبح الصبح وأذن الله تعالىٰ بوفاء النيل فى تلك الليـلة ، طلعت رُقْعة ٱبن أبى الرّداد إلىٰ الخليفة ، فتُحضَرُ إليه بالقصر، فيركب الخليفةُ فى هيئة عظيمة من الثياب الفـاخرة والموكب العظيم، إلا أنه يلبس التاج الذى فيه اليتيمة، ولا يُخَلِّى المظلة علىٰ رأسـه فى ذلك اليوم، ويركب الوزيرُ وراءه فى الجمع العظيم علىٰ ترتيب الموكب، ويخرج من القصر شاقا القـاهرةَ إلىٰ باب زويلة فيخرج منه، ويسلك الشارع إلىٰ أن يجاوز البستان المعروف بعباس عنـد رأس الصّلِيبة بالقرب من الخانقاه الشيخونية

الآن، فيعطف سالكا علىٰ الجامع الطولونىّ والجسر الأعظم حتّى يأتىَ مصر، ويدخل من الصناعة ـ وهى يومئذ فى غاية العمارة، وبها دِهْلِيزٌ ممتدّ بمصاطبَ مفروشةٍ بالحصر العبدانىّ مؤزّر بها ـ ويخرج من بابها شاقًّا مصر حتّى يأتىَ المنظرة المعروفةَ برواق الملك علىٰ القرب من باب القنطرة، فيدخلها من الباب المواجه له والوزيرُ معه ماشيا إلىٰ المكان المعدّ له ، ويكون العشارىّ الخاصّ المعبَّر عنه الآن بالحرّاقة واقفا هناك بشاطئ النيل ، وقد حُمِل إليه من القصر بيتٌ مثمن من العاج والآبِنُوس كل جانب منه ثلاثة أذرع ، وطوله قامةُ رجل تامّ ، فيركب فى العشارىّ المذكور وعليه قبة من خشب محكم الصنعة، وهو وقُبَّته ملبَّس صفائح الفضة المُذْهَبة، ثم يخرج الخليفة من دار الملك المذكورة ومعه من الأستاذين المحنَّكين من يختاره من ثلاثة إلىٰ أربعة، ثم يطلُع خوّاص الخليفة إلىٰ العشارىّ والوزيرُ ومعه من خواصّه آثنان أو ثلاثة لاغير، فيجلس الوزير فى رُواقٍ بظاهر البيت المذكور، بفوانيس من خشب مخروط مدهونة مُذْهَبَةٍ ، بستور مسدَلة عليه ، ويسير العشارى من باب المنظرة إلىٰ باب المِقْياس العالى علىٰ الدَّرَج، فيطلع من العشارى، ويدخل إلىٰ الفسقية التى فيها المقياس، والوزير والأستاذون المحنكون بين يديه، فيصلِّى هو والوزير كلٌّ منهما ركعتين بمفرده ، ثم يؤْتىٰ بالزَّعفران والمسك فيَديفه فى إناء بيده بآلة معه، ويتناوله صاحب بيت المال فيناوله لآبن أبى الرّدّاد ، فيُلْقِى نفسه فى الفسقية بثيابه فيتعلق فى العمود برجليه ويده اليسرىٰ ويُخَلِّقه بيده اليمنىٰ، وقرّاء الحضرة من الجانب الآخر يقرءُون القرءان، ثم يخرج علىٰ فوره راكبا فى العشارىّ المذكور، ثم يعود إلىٰ دار الملك، ويركب منها عائدا إلىٰ القاهرة، وتارة ينحدر فى العشارى إلىٰ المَقْس، ويتبعه الموكب فيسير من هناك إلىٰ القاهرة. ويكون فى البحر ذلك اليوم نحوُ ألف مركب مشحونة بالناس للتفرّج وإظهار الفرح . فإذا كان اليوم الثانى من التخليق أتىٰ آبن أبى الرّدّاد

إلى الإيوان الكبير الذى فيـه الشُّبَّاك بالقصر فيجد خِلْعة مُذْهَبَـةً بطَيْلَسَان مقوّر ، ويُدْفَعُ إليه خمسـة أكياس فى كل كيس خمسمائة درهم مهيأة له ، فيلبس الخِلْعـة ، ويخرج من باب العيد المتقدّم ذكره فى أبواب القصر، وقد هيئ له خمس بغال على ظهورها الأحمال المزَيَّنَةُ بالحلىّ ، على ظهر كل منهـا راكب وبيده أحد الأكياس الخمسة المتقدّمة الذكر ظاهرٌ فى يده ، وأقاربه وبنوعمه يحجبونه وأصدقاؤه حوله ، وأمامه حِمْلان من النَّقَّارات السلطانية ، والأبواقُ تضرب أمامه ، والطبل وراءه مثل الأمراء ، فيشق بين القصرين ، وكلمـا مر على باب من أبواب القصر يدخل منـه الخليفة أو يخرج ، نزل فقَبَّلَه ، ويخرج من باب زويلة فى الشارع الأعظم حتّى يأتى مِصْرَ فيشقُّ وسَطَها ويمرّ بالجامع العتيق ، ويجاوزه إلى شاطئ النيل فيعدّى إلى المقياس بخِلْعته ومامعه من الأكياس ، فيأخذ من الأكياس قدرا مقرّرا له ، ويفرّق باقى ذلك على أرباب الرسوم الجارية من قديم الزمان من بنى عمه وغيرهم .

الموكب السادس

(ركوبه لفتح الخليج)

وهو فى اليوم الثالث أو الرابع من يوم التخليق المتقدّم ذكره ، وليس كما فى زماننا من فتحه فى يوم التخليق ؛ وكان يقع الاهتمام عنـدهم بركوب هـذا اليوم من حين يأخذ النيل فى الزيادة ، وتعـمل فى بيت المـال موائدُ من التمـاثيل المختلفـة : من الغِزْلان ، والسباع ، والفِيَـلةِ ، والزَّرَارِيف عدّة وافرة ، منها ما هو ملبَّس بالعنبر ، وما هو مُلَبَّسٌ بالصندل ، مفسرة الأعين والأعضاء بالذهب ، وكذلك يُعْمَلُ أشكالُ التُّفَّاح والأُتْرُجّ وغير ذلك ، وتخرج الخَيْمَةُ العظيمة المعروفة بالقاتول المتقدّمة الذكر فتنصب للخليفـة فى بَرِّ الخليج الغربىّ على حافته عنـد مَنْظَرة يقال لهـا السكَّرة على

القرب من فم الخليج، ويُلَفُّ عمودُ الخيمة بديبـاج أحمرَ أو أبيض أو أصـفر من أعلاه إلىٰ أسفله، وينصب فيها سرير الملك مستندا إليه ويغشّى بقُرْقوبىّ، وعرَانيسه ذهبٌ ظاهرة، ويوضع عليه مَرْتبة عظيمة من الفرش للخليفة؛ ويضرب لأرباب الرُّتَب من الأمراء بَحْرِىّ هذه الخيمة خِيَمٌ كثيرة علىٰ قدر مراتبهم فى المقدار والقرب من خيمة الخليفة؛ ثم يركب الخليفة علىٰ عادته فى المواكب العظيمة بالمِظَلَّة وتوابعها من السيف والرمح والألوية والدواة وسائر الآلات، ويزاد فيه أربعون بُوقا: عشرة من الذهب وثلاثون من الفضة، يكون المنفِّرون بها ركبانا، والمنفِّرون بالأبواق النُّحَاس مشـاةً، ومن الطبول العظام عشرة طبول. فإذا كان يومُ الركوب، حضر الوزير من دار الوزارة راكبا فى هيئة عظيمة، ويركب حينئذ إلىٰ باب القصر الذى يخرج منه الخليفة، ويخرج الخليفة من باب القصر راكبا والأستاذون المحنَّكون مشاةٌ حوله، وعليـه ثوب يسـمّى البدنة حريرٌ مرقومٌ بذهب، لايلبسه غير ذلك اليوم، والمظلة بنسبته؛ فيركب الأسـتاذون المحنَّكُون ويسير الموكب علىٰ الترتيب المتقدّم فى ركوب أوّل العـام سائرا فى الطريق التى ذهب فيها للتخليق حتّى يأتىَ الجـامع الطولونىّ؛ ويكون قاضى القضاة وأعيانُ الشهود جلوسا ببابه من هذه الجهة، فيقف لهم الخليفة وقفةً لطيفةً، ويسلم علىٰ القاضى، فيتقدّم القاضى ويُقَبِّلُ رجله التى من جانبه، ويأتى الشهود أمام وجه فرس الخليفة، ويقفون بمقـدار أربعة أذرع عن الخليفة فيسـلم عليهم، ثم يركبون ويسير الموكب حتّى يأتى ساحل الخليج، فيسير حتّى يقارب الخليفةُ الخيمةَ، فيتقدّمه الوزير علىٰ العادة، فيترجل علىٰ باب الخيمة، ويجلس علىٰ المرتبة الموضوعة له فوقه(١)، ويحيط به الأستاذون المحنكون والأمراء المطوّقون بعدهم؛ ويوضع للوزير كرسيهُّ الجارى به العادة علىٰ ما تقدّم فى جلوسـه فى القصر، فيجلس

(١) أى فوق السرير المتقدم وصفه قريبا.

ورجلاه يحُكّان الأرض، ويقف أرباب الرُّتَبِ صـفين من سرير المُلْك إلىٰ باب الخيمة، وقرّاء الحضرة يقرءُون القرءان سـاعة زمانيــة . فإذا فرغوا من القراءة، ٱستأذن صاحبُ الباب علىٰ حضور الشعراء للخدمة، فيؤذن لهم فيتقدّمون واحدا بعد واحد علىٰ مقدار منازلهم المقرّرة لهم ، ويُنْشِدُ كلٌّ منهم ما وقع له نظمه ممـا يناسب الحـال . فإذا فرغ أتىٰ غيره وأنشـد ما نظمه إلىٰ أن يفرغ إنشادهم ، والحاضرون ينتقدون علىٰ كل شاعر ما يقوله ، ويُحَسِّنُون منه ما حَسُنَ ويُوَهُّون منه ما وهىٰ . فإذا ٱنقضىٰ هذا المجلس، قام الخليفة عن السرير فركب إلىٰ المنظرة المعروفة بالسكّرة بقرب الخيمة والوزير بين يديه ، وقد فُرِشت بالفُرُش المعدّة لهـا، فيجلس الخليفة بمكان معـدّ له منها ، ويجلس الوزيرُ بمكان منها بمفرده ، ويجلس القاضى والشهودُ فى الخيمة البيضاء الدبيقية، فيُطِلُّ منها أستاذ من الأستاذين المحنكين فيشير بفتح السدّ فيفتح بالمَعَاول، وتضرب الطبول والأبواق من البرّيـن ، وفى أثناء ذلك يصـل السِّماط من القصر صحبةَ صاحب المائدة القائم مقام أستاذ دار الصحبة الآن، وعدّتها مائة شدّة فى الطيافير الواسعة فى القواوير الحرير، وفوقها الطرّاحات النفيسة، وريح المسك والأفاويه تفوح منها، فتوضع فى خيمة وسـيعة معـدّة لذلك، ويحمل منهـا للوزير وأولاده ما جرت به عادتهم، ثم لقاضى القضاة والشهود، ثم إلىٰ الأمراء علىٰ قدر مراتبهم : علىٰ أنواع الموائد من التمـاثيل المقدمة الذكر خلا القاضى والشهود، فإنه لا يكون فى موائدهم تمـاثيل . فإذا ٱعتدل المـاء فى الخليج دخلت فيه العشاريات اللطاف ووراءها العشـاريات الكبار، وهى سـبعة : الذهبىّ المختص بالخليفـة ، وهو الذى يركب فيه يوم التخليق ، والفِضِّىُّ ، والأحمر ، والأصـفر ، والأخضر ، واللّازَوَرْدِىُّ ، والصـقلىّ ، وهو عشارى أنشأه نجّارٌ من صقلية علىٰ الإنشاء المعتاد فنسب إليه ، وعليها الستور الدبيقى الملوّنة ، وفى أعناقها الأهلة وقلائد العنبر والخرز

الأزرق، وتسير حتّى ترسُوَ علىٰ بر المنظرة التى فيها الخليفة . فإذا صلّى الخليفةُ العصر، ركب لابسا غير الثياب التى كانت عليه فى أوّل النهار، ومِظلّته مناسبة لثيابه التى لبسها، وباقى الموكب علىٰ حاله، ويسير فى البر الغربىّ من الخليج شَاقّاً للبساتين حتّى يصلَ إلىٰ باب القنطرة فيعطف علىٰ يمينه ويسير إلىٰ القصر، والوزير تابعه علىٰ الرسم المعتاد، فيدخل الخليفة قصره، ويمرّ الوزير إلىٰ داره علىٰ عادته فى مثل ذلك اليوم .

وذكر القاضى محيي الدين بن عبد الظاهر : أنه إذا ركب من المنظرة المعروفة بالسكرة، سار فى بر الخليج الغربىّ علىٰ ما تقدّم ذكره حتّى يأتىَ بستان الدكة، وقد عُلِّقت دهاليزه بالزينة فيدخله وحده ويسقى منه فرسه، ثم يخرج حتّى يقف علىٰ الرعنة المعروفة بخليج الدار، ويدخل من باب القنطرة ويسير إلىٰ قصره .

النوع الثانى

(من مواكبهم المواكب المختصرة فى أثناء السنة)

وهى أربعة أيام أو خمسة فيما بين أوّل العام ورمضان ولا يتعدّى ذلك يومى السبت والثلاثاء . فإذا عزم علىٰ الركوب فى يوم من هذه الأيام، قدّم تفرقة السلاح علىٰ الركابية علىٰ ما تقدّم ذكره فى أوّل العام، وأكثرُ ما يكون ركوبه إلىٰ مصر، فيركب والوزير وراءه علىٰ أخصرَ من النظام المتقدّم له فى المواكب العظام وأقلَّ جمعا، ولبسه فى هذه الأيام الثياب المُذْهَبَةُ من البياض والملوّن ومنديلٌ من نسبة ذلك مشدودة بشدة عسر (١) شدات غيره، وذوائبه مرخاة تقرب من جانبه الأيسر، وهو مقلد بالسيف العربىّ المجوهر بغير حنك ولا مظلة، ويخرج شاقا القاهرة فى الشارع الأعظم حتّى يجاوز الجامع الطولونىّ علىٰ المشاهد إلىٰ الجامع العتيق . فإذا وصل إلىٰ بابه، وجد الخطيب قد وقف علىٰ مصطبة بجانبه فيها محراب، مفروشةٍ

(١) كذا فى الأصل ولعله غير شدات .

بحصير وعليها سجادة معلقة ، وفى يده المصحف الكريم المنسوب خطه إلىٰ أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب كرم الله وجهه فيناوله المصحف من يده فيقبله ويتبرك به ويأمر له بعطاء يفرّق علىٰ أهل الجامع .

الضرب الثـالث

(من هيئة الخليفة هيئته فى قُصُوره)

قال ٱبن الطوير : كان له ثياب يلبَسُها فى الدور أكمامها علىٰ النصف من أكمام ثيـابه التى يلبسها فى المواكب ، وكان من شأنه أنه لاينصرف من مكان إلىٰ مكان فى القصر فى ليل أو نهار إلا وهو راكب ، ولا يقتصر فى القصر علىٰ ركوب الخيـل بل يركب البغال والحمير الإناث لمـا تدعوه الضرورة إليـه من الجواز فى السراديب القصيرة والطلوع علىٰ الزلاقات إلىٰ أعلىٰ المناظر والمساكن ، وله فى الليل نسوة برسم شدّ مايحتاج إلىٰ ركوبه من البغال والحمير ، وفى كل محلة من محلات القصر فَسْـقِيَّةٌ مملوءة بالمـاء خِيفَةً من حدوث حريق فى الليل ، ويبيت خارج القصر فى كل ليلة خمسون فارسا للحِراسة . فإذا أُذِّن بالعشاء الآخرة داخلَ قاعة الذهب وصلّىٰ الإمامُ الراتبُ فيها بالمقيمين من الأستاذين وغيرهم ، وقف علىٰ باب القصر أميرٌ يقال له سِنَان الدولة ــ مقام أمير جاندار الآن ــ فإذا علم بفراغ الصلاة تضرب البوقيةُ من الطبول والبوقات وتوابعها علىٰ طريق مستحسنة ساعةً زمانية ، ثم يخرج أسـتاذ برسم هذه الخدمة فيقول : "أمير المؤمنين يردّ علىٰ سـنان الدولة السلام" فيغرِز سنان الدولة حربةً علىٰ الباب ثم يرفعها بيـده ، فإذا رفعها أغلق الباب ، ودار حول القصر سبعَ دَوْرات . فإذا ٱنتهىٰ ذلك جعـل علىٰ الباب البوّابين والفرّاشـين وأوىٰ المؤذِّنون إلىٰ خزائنَ لهم هناك ، وتُرْمىٰ السلسلة عند المضيق : آخر بين القصرين عند السيوفيين

فينقطع المارّ من ذلك المكان إلى أن تضرب البوقية سَحَرا قربَ الفجر فتُرفَع السلسلة ويجوز الناس من هناك .

الجملة السادسة

(فى آهتمامهم بالأساطيل وحفظ الثغور وآعتنائهم بأمر الجهاد، وسيرهم فى رعاياهم، وآستمالة قلوب مخالفيهم)

أمّا آهتمامهم بالأساطيل وحفظ الثغور وآعتناؤهم بأمر الجهاد، فكان ذلك من أهمّ أمورهم، وأَجَلِّ ما وقع الآعتناءُ به عندهم . وكانت أساطيلهم مرتبة بجميع بلادهم الساحلية كالإسْكَنْدَرِيَّة ودِمْياطَ من الديار المصرية، وعَسْقَلان وعَكَّا وصُور وغيرها من سواحل الشام، حين كانت بأيديهم، قبل أن يغلبهم عليها الفرنج؛ وكانت جريدة قوّادهم تزيد على خمسة آلاف مقاتل مدوّنة ، وجوامكهم فى كل شهر من عشرين دينارا إلى خمسة عشر دينارا إلى عشرة إلى ثمانية إلى دينارين ، وعلى الأسطول أمير كبيرٌ من أعيان الأمراء وأقواهم جأشا؛ وكان أسطولهم يومئذ يزيد على خمسة وسبعين شينيا وعشر مسطحات وعشر حمالات ، وعمارة المراكب متواصلة بالصناعة لا تنقطع . فإذا أراد الخليفة تجهيزها للغزو ، جلس للنفقة بنفسه حتّى يكملها ، ثم يخرج مع الوزير إلى ساحل النيل بالمَقْسِم ، فيجلس فى مَنْظَرَةٍ كانت بجامع باب البحر والوزير معه للموادعة(١)، ويأتى القُوَّادُ بالمراكب إلى تحت المنظرة ، وهى مزينة بالأسلحة والمَنْجَنيقات واللعب منصوبة فى بعضها ، فتسَيَّر بالمجاديف ذَهَاباً وعَوْدًا كما يُفْعَلُ حالة القتال ، ثم يحضر إلى بين يدى الخليفة المُقَدَّمُ والرِيِّسُ فيوصيهما ويدعو لهم بالسلامة، وتنحدر المراكب إلى دِمْيَاطَ وتخرج إلى البحر المِلْح، فيكون لها فى بلاد العدوّ الصِّيتُ والسُّمْعة . فإذا غنموا مَرْكَبًا آصطفى الخليفة

(١) أى التوديع . وقد جرى فيه وفى كثير غيره على آصطلاحات العامة .

لنفسه السبْىَ الذى فيه من رجال أو نساء أو أطفال، وكذلك السلاح، وما عدا ذلك يكون للغانمين لا يُساهَمُون فيــه . وكان لهم أيضا أسطول بعَيْذَابَ يتلقّى به الكارم فيما بين عَيْــذَابَ وسواكن، وما حولهــا خوفا علىٰ مراكب الكارم من قوم كانوا بجزائر بحر القلزم هناك يعترضون المراكب، فيحميهم الأسطول منهم، وكان عدّة هذا الأسطول خمسة مراكب، ثم صارت إلىٰ ثلاث، وكان والِى قُوص هو المتولّى لأمر هذا الأسطول، وربما تولاه أمير من الباب، ويحمل إليه من خزائن السلاح مايكفيه .

وأمّا سَيْرُهم فى رعيتهم وٱستمـالة قلوب مخالفيهم ، فكان لهم الإقبال علىٰ من يَفِدُ عليهم من أهل الأقاليم جلَّ أو دَقَّ ، ويقابلون كل أحد بمـا يليق به من الإكرام ، ويعوّضون أرباب الهدايا بأضعافها . وكانوا يتألَّفُون أهل السُّنَّة والجماعة ويمكنونهم من إظهار شـعائرهم علىٰ ٱختلاف مذاهبهم، ولا يمنعون من إقامة صـلاة التراويح فى الجوامع والمساجد علىٰ مخالفــة معتَقَدهم فى ذلك (١) بذكر الصحابة رضوان الله عليهم، ومذاهب مالك والشـافعىّ وأحمد ظاهرة الشِّعار فى مملكتهم ، بخلاف مذهب أبى حنيفة، ويُراعُون مذهب مالك، ومَنْ سألهم الحكم به أجابوه، وكان من شأن الخليفة أنه لايكتب فى علامته إلا "الحمد لله رب العالمين" ولا يخاطب أحدا فى مكاتبته إلا بالكاف حتّى الوزير صاحب السيف ، وإنمـا المكاتبات عن الوزير هى التى تتفاوت مراتبها؛ ولا يخاطب عنهــم أحدٌ إلا بنعت مقرّر له ودعاء معروف به؛ ويراعون من يموت فى خدمتهم فى عقبــه ، وإن كان له مرتب نقلوه إلىٰ ذرّيته من رجال أو نساء .

---

(١) بياض بالأصل بقدر كلمة .

الجمــــلة الســابعة

(فى إجراء الأرزاق والعطاء لأرباب الخدم بدولتهم، وما يتصل بذلك من الطعمة)

أمّا إجراء الأرزاق والعطاء، فقد تقدّم أن ديوان الجيوش كان عندهم علىٰ ثلاثة أقسام : قسم يختص بالعرض وتحلية الأجناد وشِيَات دوابِّهم، وقسم يختص بضبط إقطاعات الأجناد ، وقسم يختص بمعرفة ما لكل مرتزق فى الدولة من راتب وجار وجراية، ولكل من الثلاثة كُتَّابٌ يختصون بخدمته . والقسم الثالث هو المقصــود هنا؛ وكان راتبهم فيه بالدنانير الجَيْشية، وكان يشتمل علىٰ ثمانية أقسام .

الأوّل ـ فيه راتب الوزير وأولاده وحاشيته .

فراتب الوزير فى كل شهر خمسة آلاف دينار، ومَنْ يليه من ولد أو أخ من ثلثمائة دينـار إلىٰ مائتى دينار، ولم يقرّر لولد وزير خمسُمائة دينار سوىٰ الكامل بن شاور، ثم حواشيه من خمسمائة دينار، إلىٰ أربعمائة دينار، إلىٰ ثلثمائة دينار خارجا عن الإقطاعات

الثانى ـ فيه حواشى الخليفة .

فأوّلهم الأستاذُون المحنكون علىٰ رُتَبِهِمْ . فزِمَامُ القصر، وصاحبُ بيت المــال ، وحامل الرسالة، وصاحب الدفتر، وشادُّ التاج ، و زِمَامُ الأشراف الأقارب، وصاحب المجلس ، لكل واحد منهم فى الشهر مائة دينار ، ثُمَّ مَنْ دونهم من تسعين دينارا إلىٰ عشرة دنانير علىٰ تفـاوُت الرُّتَب . و فى هــذا طبيبا الخاص، ولكل واحد منهــما فى الشهر خمسون دينارا، ولمن دونهما من الأطباء المقيمين بالقصر لكل واحد عشرة دنانير .

الثالث ـ فيه أرباب الرُّتَب بحضرة الخليفة .

فأوّل مسطور فيه كاتبُ الدَّسْت ـ وهو المعبَّر عنه الآن بكاتب السرّ ـ وله فى الشهر مائة وخمسون دينارا، ولكل واحد من كُتَّابه ثلاثون دينارا ـ ثم الموقِّع بالقلم الدقيق، وله مائة دينار ـ ثم صاحب الباب، وله مائة وعشرون دينارا ـ ثم حامل السـيف وحامل الرمح، ولكل منهـما سبعون دينارا؛ وبقيَّة الأزِمَّة على العساكر والسودان من خمسين دينارا، إلىٰ أربعين دينارا، إلىٰ ثلاثين .

الرابع ـ فيه قاضى القضاة، وله فى الشهر مائة دينار ـ وداعى الدُّعاة وله مثله؛ وقُرَّاء الحضرة، ولكل منهم عشرون دينارا، إلىٰ خمسة عشر دينارا، إلىٰ عشرة .

الخامس ـ فيه أرباب الدواوين ومن يجرى مَجْراهم .

فأوّلهم مُتَوَلِّى ديوان النظر، وله فى الشهر سبعون دينارا ـ ثم متولى ديوان التحقيق، وله خمسون دينـارا ـ ثم متولى ديوان المجلس، وله أربعون دينارا ـ ثم متولى ديوان الجيوش، وله أربعون دينارا؛ ثم صاحب دفتر المجلس، وله خمسة وثلاثون دينارا؛ ثم الموَقِّع بالقلم الجليـل القائم مقام كاتب الدَّرْج الآن، وله ثلاثون دينارا . ولكل مُعِين عشرة دنانير، إلىٰ سبعة، إلىٰ خمسة .

السادس ـ فيه المستخدمون بالقاهرة ومصر فى خدمة واليهـما، ولكل واحد منهما خمسون دينارا ـ وللحُمَاة بالأهراء والمُنَاخات والحوالى والبساتين والأملاك وغيرها لكل منهم مايقوم به من عشرين دينارا، إلىٰ خمسة عشر، إلىٰ عشرة، إلىٰ خمسة .

السابع ـ فيه عدة الفرّاشين برسم خِدْمَةِ الخليفة والقصور وتنظيفها خارجا وداخلا ونصب الستائر المحتاج إليها والمناظر الخارجة عن القصر، ولكل منهم فى الشهر ثلاثون دينارا فما حولها ـ ثم مَنْ يليهم من الرشَّاشين داخل القصر وخارجه وهم نحو ثلثمائة رجل، ولكل منهم من عشرة دنانير إلىٰ خمسة .

الثامن — فيه الركابية ومقدّموهم، ولكل من مقدّميهم فى الشهر خمسون دينارا وللركابية من خمسة عشر دينارا إلى عشرة إلى خمسة .

وأمّا الطعمة فعلى ضربين .

الضرب الأوّل

(الأسمطة التى تمدّ فى شهر رمضان والعيدين)

أمّا شهر رمضان فإن الخليفة كان يرتّب بقاعة الذهب بالقصر سِمَاطا فى كل ليلة من ٱستقبال الرابع منه، وإلى آخر السادس والعشرين منه، ويستدعى الأمراء لحضوره فى كل ليلة بالنَّوْبة، يحضُر منهم فى كل ليلة قومٌ كى لايحرِمَهم الإفطارَ فى بيوتهم طول الشهر، ولا يكلَّف قاضى القضاة الحضورَ سوى ليالى الجُمَع توقيرا له، ولا يحضُر الخليفةُ هذا السِّماط، ويحضر الوزيرُ فيجلس على رأس السماط . فإن غاب قام ولده أو أخوه مَقَامه . فإن لم يحضر أحدٌ منهم، كان صاحبُ الباب عِوَضَه . وكان هذا السِّماط من أعظم الأسمطة وأحسنها، يُمَدّ من صدر القاعة إلى مقدار ثلثيها بأصناف المأكولات والأطعمة الفاخرة، ويخرجون من هنالك بعد العشاء الآخرة بساعة أو ساعتين، ويفرّق فضلُ السماط كلَّ ليلة، ويتهاداه أرباب الرسوم حتّى يصل إلى أكثر الناس . وإذا حضر الوزير بعث الخليفة إليه من طعامه الذى يأكل منه تشريفا له، وربما خصه بشىء من سَحُوره .

وأمّا سِمَاط العيدين فإنه يمدّ فى عيد الفطر وعيد الأضحى تحت سرير الملك بقاعة الذهب المذكورة أمام المجلس الذى يجلس فيه الخليفة الجلوسَ العامَّ أيام المواكب، وتنصب على الكرسىّ مائدةٌ من فضة تعرف بالمدوّرة، وعليها من الأوانى الذهبيات والصينىّ الحاوية للأطعمة الفاخرة ما لا يليق إلا بالملوك؛ وينصب السِّماط العامّ تحت السرير من خشب مدهون فى طول القاعة فى عرض عشرة أذرع، وتفرش

فوقه الأزهارُ المشمومة ، ويُرَصّ الخبز على جوانبه كل شابورة ثلاثة أرطال من نَقِيّ الدقيق، ويعمر داخل السماط على طوله بأحد وعشرين طبقا عظاما ، فى كل طبق أحد وعشرون خروفا من الشِّوِىّ، وفى كل واحد منهـا ثلثمائة وخمسون طيرا من الدَّجاج والفراريج وأفراخ الحمام ، ويعبّى مستطيلا فى العلو حتّى يكون كقامة الرجل الطويل، ويسوّر بتشاريح الحلواء اليابسة على آختلاف ألوانها ، ويسـدّ خلل تلك الأطباق على السماط نحوٌ من خمسمائة صحن من الصحون(١) الخَزَفيـة المترعة بالألوان الفائقة،وفى كل منها سبع دجاجات من الحلواء المـائعة والأطعمة الفاخرة؛ ويعمل بدار الفطرة الآتى ذكرها قصران من حلوى زنة كل منهما سـبعة عشر قنطارا فى أحسن شكل، عليها صُوَر الحيوان المختلفة، ويحملان إلى القاعة فيوضعان فى طرفى السماط. ويأتى الخليفة راكبا فيترجَّلُ على السرير الذى قد نصبت عليه المائدة الفضة ويجلس على المـائدة وعلى رأسه أربعـةٌ من كبار الأسـتاذين المحنكين، ثم يستدعِى الوزيرَ وحده فيطلُع ويجلس على يمينه بالقرب من باب السرير، ويشير إلى الأمراء المطوّقين فمن دونهم من الأمراء، فيجلسون على السِّماط على قدر مراتبهـم فيأكلون وقرّاءُ الحضرة فى خلال ذلك يقرءون القرءان ، ويبقى السماط ممدودا إلى قريب من صلاة الظهر حتّى يستهلك جميعُ ما عليه أكلا وحملا، وتفرقةً على أرباب الرسوم .

الضرب الثـانى

(فيما كان يعمل بدار الفطرة فى عيد الفطر)

وكان لهم بها الآهتمام العظيم . وقد ذكر آبن عبد الظاهر أصنافها فقال : كانت ألف حملة دقيق ، وأربعمائة قنطار سُكَّر، وستة قناطير فُسْـتُق ، وأربعمائة وثلاثين

(١) عبارة المقريزى " من الصحون الخزفية " التى فى كل منها سبع دجاجات وهى مترعة الخ .

إردب زبيب، وخمسة عشر قنطار عسـل نحل، وثلاثة قناطير خل وإردبين سمسم وإردبين أنيسون وخمسين رطلا ماء ورد، وخمس نوافج مسك، وكافور قديم عشرة مثاقيـل، وزعفران مطحون مائة وخمسون درهما، وزيت برسم الوقود ثلاثون قنطارا . فى أصـناف أخرىٰ يطول ذكرها . قال آبن الطوير : ويندب لهـا مائة صانع من الحلاويين، ومائة فرّاش برسم تفرقة الطوافير علىٰ أصحـاب الرسوم خارجا عمن هو مرتّب فيها؛ ويحضرها الخليفة والوزير معه فيجلس الخليفة علىٰ سريره فيها، ويجلس الوزير علىٰ كرسىّ له، فى النصف الأخير من رمضان، وقد صار مالهـا من المستعملات كالجبال الرواسى، فتفرّق الحلوىٰ من رُبْع قنطار إلىٰ عشرة أرطال إلىٰ رطل واحد، والخشكنان من مائة حبة إلىٰ خمس وسبعين حبة، إلىٰ ثلاث وثلاثين، إلىٰ خمس وعشرين، إلىٰ عشرين؛ ويفرّق علىٰ السودان علىٰ يد مقدّمهم بالأفراد من تسعة أفراد إلىٰ سبعة، إلىٰ خمسة، إلىٰ ثلاثة كل طائفة علىٰ مقدارها (١)

بسماط يوم الفطر ما يمدّ فى الإيوان الكبير قبل مدّ سمـاط الطعام بقاعة الذهب . وقد وقع فى كلام آبن الطوير خُلْفٌ فى وقته، فذكر فى موضع من كتابه أن ذلك يكون قبل ركوب الخليفة لصـلاة العيد، وذكر فى موضع آخر أن ذلك يكون بعد حضوره من الصلاة .

الطـــرف الثـامن(٢)

(فى جلوس الوزير للظالم إذا كان صاحب سيف، وترتيب جلوسه)

يجلس الوزير فى صَدْر المكان، وقاضى القضاة مقابِلَه، وعن جانبيه شاهدان من المعتبرين، وكاتب الوزير بالقلم الدقيق، ويليه صاحب ديوان المـال، وبين يديه

---

(١) بياض بالأصل . ولعله وقد كان سماط يوم الفطر يمد الخ .

(٢) لم يتقدم فى هذا الفصل تقسم بالأطراف .

صاحب الباب وآسفهسلارُ، وبين أيديهما النوّاب والحُجّاب على طبقاتهم . وذلك يومان فى الأسبوع .

وقد رثاهم عمارة اليمنىّ بعد آنقراضهم وآستيلاء السلطان صلاح الدين بن أيوب على المملكة بقصيدة وصف فيها مملكتهم، وعدّ مواكبهم، وحكى مكارمهم، وجلّى محاسنهم، وهى :

رَمَيْتَ يادهرُ كَفَّ المجْدِ بالشَّلَلِ * وجِيدَهُ بعد حُسْنِ الحَلْى بالعَطَلِ

سَعَيْتَ فى مَنْهَجِ الرَّأْيِ العَثُورِ فإن * قَدَرْتَ من عَثَراتِ الدَّهْرِ فاسْتَقِلِ

جَدَعْتَ مَارِنَكَ الأَقْنَى فَأَنْفُكَ لا * يَنْفَكُّ ما بين أَمْرِ الشَّيْنِ(١) والخَجَلِ

هَدَمْتَ قَاعِدَةَ المَعْرُوفِ عَن عَجَلٍ * شَقِيتَ، مَهْلًا أَمَا تَمْشِى علىٰ مَهَلِ

لَهْفِى ولَهْفَ بنى الآمالِ قَاطِبَـةً * علىٰ فَجِيعَتِهَـا فى أكرم الدُّوَلِ

قَدِمْتُ مصـرَ فأَوْلَتْنِى خَلَائِفُهَا * من المَكَارِمِ ما أَرْبىٰ علىٰ أَمَلِى

قَوْمٌ عرفتُ لهم كَسْبَ الأُلُوفِ، ومِنْ * كَمَالِهـا أنهـا جاءتْ ولم أَسَـلِ

وكُنتُ من وُزَرَاءِ الدَّسْتِ حَيْثُ سَمَا * رَأْسُ الحِصَانِ بِهَادِيهِ علىٰ الكَفَلِ

ونِلْتُ من عُظَمَاءِ الجَيْشِ تَكْرِمَةً * وخُلَّةً حُرِسَتْ من عَارِضِ الخَلَلِ

ياعاذلى فى هوىٰ أَبْنَـاءِ فَاطِمَـةٍ * لَكَ المَلَامَـةُ إن قَصَّرْتَ فى عَذَلِى

بالله! زُرْ سَاحَةَ القَصْرَيْنِ وَآبْكِ مَعِى * عَلَيْهِما لا علىٰ صِفِّينَ والجَمَلِ!

وقُلْ لأَهْلِيهِمَا : والله ما آلْتَحَمَتْ * فِيكُم جُرُوحِى ولا قَرْحِى بمُنْدَمِلِ!

ماذا تَرىٰ كَانَتِ الإفْرِنْجُ فَاعِلَةً * فى نَسْـلِ آلِ أَمِيرِ المؤْمنين عَلِى

[هَلْ كانَ فى الأَمْرِ شَىْءٌ غيرُ قِسْمَةِ ما * مَلَكْتُمُو بَيْنَ حُكْمِ السَّبْيِ والنَّفَلِ؟](٢)

(١) فى الخطط للقريزىّ "قرع السن". (٢) الزيادة عن المقريزىّ .

وقد حصلتم عليها، واسم جدكم * محمد وأبوكم خير منتعل

مررت بالقصر والأركان خالية * من الوفود، وكانت قبلة القبل

فملت عنها بوجه خوف منتقد * من الأعادى، ووجه الود لم يمل

أسبلت من أسفى دمعى غداة خلت * رحابكم وغدت مهجورة السبل

أبكى على مأثرات من مكارمكم * حال الزمان عليها وهى لم تحل

(دار الضيافة) كانت أنس وافدكم * واليوم أوحش من رسم ومن طلل

و(فطرة الصوم) إذ أضحت مكارمكم، * تشكو من الدهر حيفا غير محتمل

و(كسوة الناس) فى الفصلين قد درست * ورث منها جديد عندهم وبلى

وموسم كان فى (يوم الخليج) لكم * يأتى تجملكم فيه على الجمل

و(أول العام) و(العيدين) كم لكم * فيهن من وبل جود ليس بالوشل

والأرض تهتز فى (يوم الغدير) كما * يهتز ما بين قصريكم من الأسل

والخيل تعرض فى وشى وفى شية * مثل العرائس فى حلى وفى حلل

وما حملتم قرى الأضياف من سعة الأ * طباق إلا على الأكتاف والعجل

وما خصصتم ببر أهل ملتكم * حتى عممتم به الأقصى من الملل

كانت رواتبكم للوافدين وللضـ * ـيف المقيم وللطارى من الرسل

ثم (الطراز) بتنيس الذى عظمت * منه الصلات لأهل الأرض والدول

وللجوامع من أخماسكم[1] نعم * لمن تصدر فى علم وفى عمل

وربما عادت الدنيا فمعقلها * منكم وأضحت بكم محلولة العقل

(١) فى المقريزى "من احسانكم" وهى أوضح.

واللهِ ! لافَازَ يومَ الحَشْرِ مُبْغِضُكُمْ * ولا نَجَا من عذاب النَّـارِ غيرُ وَلِى
ولا سُقِى المـاءَ من حَرٍّ ومن ظَمَإٍ * من كَفِّ خيرِ البَرَايَا خاتَمِ الرُّسُـلِ
[ولَا رأى جَنَّـةَ اللهِ التى خُلِقَتْ * مَنْ خانَ عَهْدَ الإمَامِ العَاضِدِ بنِ عَلِى] (١)
أَئِمَّـتِى وهُدَاتِى والذخـيرَةُ لِى * إذا آرْتَهَنْتُ بمـا قَدَّمْتُ من عَمَلِ
واللهِ لم نُوفِهِمْ فى المَـدْحِ حَقَّهُمُ! * لأنَّ فَضْلَهُمُ كالوَابِلِ الهَطِـلِ
ولو تَضَاعَفَتِ الأقوالُ وآسْتَبَقَتْ * ما كُنْتُ فيهم بحمـدِ اللهِ بالخَجِـلِ
بابُ النَّجَاةِ، هُـمُ دُنْيَـا وآخِرَةً * وحُبُّهُمْ فَهُوَ أَصْـلُ الدِّينِ والعَمَلِ
نُورُ الدُّجىٰ ومَصَابِيحُ الهُـدىٰ وهُمُ * من نُورِ خالِصِ نُورِ اللهِ لم يَغِلِ
واللهِ لا زُلْتُ عن حُبِّى لهم أبدًا * ما أَخَّرَ اللهُ لِى فى مُدَّةِ الأَجَـلِ!

قلت : وعمارة هذا لم يكن علىٰ مُعْتَقَدِ الشِّيعَةِ بل فقيها شافعيًّا، قَدِمَ مِصْرَ برسالة عن القاسم بن هاشم بن أبى فليتة أمير مكة إلىٰ الفائز أحد خلفائهم فى سنة خمسين وخمسمائة فى وزارة الصالح طلائع بن رزيك ، فأحسـنوا له وبالغوا فى برّه ، فأقام عنـدهم وتألف بهم، وأتىٰ فيهم من المدح بمـا بَهَرَ العقول ، ولم يزل مواليـا لهم حتّى زالت دولتهم وآستولىٰ السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب رحمه الله ، فرثاهم بهـذه القصيدة، فكانت آخر أسباب حتفه، فصلب فيمن صُلِب بين القصرين من أتباع الدولة الفاطمية .

﴿ تم الجـــزء الثـالث ﴾

ويليه الجزء الرابع ، وأوله " الحـالة الثالثـة من أحوال المملكة ، ماعليه ترتيب المملكة من آبتداء الدولة الأيوبية وإلىٰ زماننا "

---

(١) الزيادة عن المقريزىّ فى الخطط .

(م٠م/٦٦٤١/١٩١٣/٣٠٠٠)

فهـــــرست

الجزء الثـالث

من كتاب صبح الأعشىٰ للقلقشندىّ

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

سفحة

المقـالة الثانيـــة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

(تم فهرست الجزء الثالث من كتاب صبح الأعشى)

ويليه الجزء الرابع

وأوّله "الحالة الثالثة من أحوال المملكة

ما عليه ترتيب المملكة: من ابتداء الدولة الأيوبية وإلى زماننا"